

دَارُ الْكِتَابِ الْمِصْرِيَّةِ

القسم الأدبي

نَهَائِيَةُ الْأَلْبَابِ

في

فُنُونِ الْأَدَبِ

تَأَلَّفَ

شَيْخُ الدِّينِ الْحَمْدُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ

السُّفْرُ السَّادِسُ عَشَرَ

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

مع استدراقات وفهارس جامعة

المطبعة

مطبعة دار الكتب المصرية

١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

مَعِينُ التَّارِيخِ
لَأَهْلِ التَّارِيخِ

الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب المصرية

جميع الحقوق محفوظة لدار الكتب المصرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بيان

رتب شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري كتابه «نهاية الأرب» على خمسة فنون : الفن الأول في السماء والآثار العلوية ، والأرض والمعالم السفلية . والثاني في الإنسان وما يتعلق به . والثالث في الحيوان . والرابع في النبات . والخامس في التاريخ .

وقد أنجز القسم الأدبي بالدار فيما مضى طبع خمسة عشر جزءاً ؛ تشتمل على الفنون الأربعة الأولى ، وقسم من فن التاريخ ؛ يبدأ بخلق آدم ؛ ثم تاريخ الرسل من بعده ، وأخبار الأمم والملوك في مختلف الأصقاع ، إلى وقت ظهور الإسلام .

واليوم تقدمت الدار إلى قراء العربية ثلاثة أجزاء ، من السادس عشر إلى الثامن عشر ؛ وقد حرصت على أن تخرج هذه الأجزاء الثلاثة معا ، لأنها تنظم موضوعاً واحداً من فن التاريخ ، هو تاريخ السيرة النبوية العطرة .

وقد بسط المؤلف القول في سيرته صلوات الله عليه ؛ مبتدئاً بذكر نسبه ونسب آبائه ، ثم تاريخه من يوم مولده إلى وفاته ؛ متناولاً جميع الأحداث التي لا بدت حياته ، والمشاهد التي اقترنت بجهاده ، وأخباره مع الوفود ، وكتبه إلى الملوك ؛ مع ذكر شمائله ومعجزاته ؛ جامعاً مستوعباً ، في تفصيل محكم ، وتبويب متناسق . معتمداً في ذلك على النقل من كتب السير والمغازي ، وتواريخ الصحابة ؛

وأمهات كتب التفسير، وكتب السنة الصحاح. ومما نقل عنه كتب لم يسبق نشرها؛
وأخرى مما لم نثر عليه من التراث القديم في هذا الباب .
وبهذا الجمع والتأليف جاءت هذه الأجزاء أوفى مرجع لسيرة الرسول
عليه السلام .

♦ ♦ ♦

وقد اعتمد القسم الأدبي في تحقيق هذه الأجزاء على نسختين :
النسخة الأولى مصورة عن نسخة مخطوطة بمكتبة « كبرلي » بالآستانة ؛
وتألف من واحد وثلاثين جزءا ؛ وهى بالدار برقم (٥٤٩) معارف عامة .
وأصلها مكتوب بقلم معتاد واضح، وعناوين الفصول والأبواب بخط الثلث ؛
وهى مكتوبة بخطوط مختلفة ، وأكثر أجزائها بخط « نور الدين بن شرف الدين
العاملى »، كتبها ما بين سنتي ٩٦٦، ٩٦٧ هـ . وفى كل صفحة خمسة وثلاثون سطرا،
ومتوسط الكلمات فى السطر خمس عشرة كلمة ، وقد رمز لهذه النسخة بحرف (ا) .
أما الثانية ؛ فهى نسخة مصورة عن نسخة مخطوطة بمكتبة « أياصوفيا »
بالآستانة ؛ وهى كسابقتها تتألف من واحد وثلاثين جزءا ، والموجود منها بالدار
ثمانية عشر جزءا غير متصلة ؛ محفوظة برقم (٥٥١) معارف عامة، وبآخر كل جزء
منها عبارة تشير إلى أنها بخط المؤلف ؛ كتبت ما بين سنتي ٧٢١، ٧٣٠ هـ تقريبا .
وعناوين الفصول والأبواب فيها بالخط الثلث ، وتحتوى كل صفحة على سبعة عشر
سطرا، ومتوسط كلمات كل سطر ثمانى كلمات . وقد رمز إليها بالحرف (ج) .
وبأول كل جزء منها وقفية للكتاب على المكتبة المحمودية التى أنشأها محمود
الأستادار بمُحط الموازين بالقاهرة^(١)؛ وتاريخ هذه الوقفية سنة ٧٩٧ هـ .

(١) هذا المخط هو المعروف الآن بشارع قصبة رضوان فى الخيامية بالقرب من باب زويلة . وكانت
هذه المكتبة من أكبر المكتبات فى الشرق فى ذلك العصر وكان من أمثاتها الحافظ ابن حجر السقلاوى،
والحافظ جلال الدين السيوطى .

أما النسخة التي رمز إليها في الجزء الثامن بالحرف (ب) فهي قطعة مصورة عن مكتبة مشيخة علماء الإسكندرية ، وتنتهى في ص ٦٩ من ذاك الجزء .



وقد رجعنا في تحقيق الجزء السادس عشر إلى نسخة (١) فقط ؛ أما السابع عشر والثامن عشر فقد رجعنا في تحقيقهما إلى (١) و (ج) .

وقد وقع في النسختين كثير من الغموض والتحريف ؛ فبذلنا غاية الجهد في بيان الغامض ، وإيضاح المبهم ، وحل المشكل ، ورجعنا في ذلك إلى ما أمكن الرجوع إليه من مصادر المؤلف ؛ ثم إلى أهمات كتب التاريخ والتفسير والحديث واللغة .

وقام الأستاذ محمد بن ناوي الطنجي الأستاذ الآن بجامعة أنقرة بتركيا ، بتحقيق ثلاث عشرة ملزمة من الجزء السادس عشر ؛ وتولى مصححو القسم الأدبي تصحيح بقية هذا الجزء ، مع الجزأين : السابع عشر والثامن عشر .



وقد جدت الدار أخيرا في استحضار بقية الأجزاء الباقية من النسخة المنسوبة لخط المؤلف من المكتبات المختلفة ؛ وأستكمال نسخ هذا الكتاب وأجزائه من المكتبات الأخرى ، ليم تحقيق بقية هذه الأجزاء على المنهج العلمى القويم ؛ ونأمل أن يتم هذا قريبا إن شاء الله .

ومن الله العون والحول ، والهداية والتوفيق .

محمد أبو الفضل إبراهيم

مدير القسم الأدبي بدار الكتب المصرية

١٦ رجب سنة ١٣٧٤

١٨ مارس سنة ١٩٥٥

فهرست

السفر السادس عشر

من

كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري

القسم الخامس من الفن الخامس في أخبار الملة الإسلامية

صفحة

الباب الأول من القسم الخامس من الفن الخامس في سيرة رسول الله

صلى الله عليه وسلم ٢

نسبه الطاهر صلى الله عليه وسلم ٢

ذكر أمهات رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥

ذكر نبذة من أخبار آبائه ٦

خبر انتراع البيت ومكة من نزاعة ومن ولي البيت بعد إسماعيل

عليه السلام ، إلى أن أتت قصي ابن كلاب ٢٢

ذكر ولاية هاشم الزفاعة والسقاية ٣٤

أخبار عبد المطلب بن هاشم ٣٩

ذكر ما قيل في سبب تسميته وكنيته ٤٠

ذكر حفر عبد المطلب زمزم ، وما وجد فيها ٤٣

ذكر خبر استسقاء عبد المطلب لبني قيس عيلان ، وهذيل ومن معهما ٤٨

صفحة

- ذكر نذر عبد المطلب نحر أبنيه ، وخروج القداح على عبد الله
والد رسول الله ، وفدائه ٥٠
- ذكر زواج عبد الله آمنة بنت وهب ، أمه عليه السلام ٥٦
- خبر المرأة التي عرضت نفسها على عبد الله بن عبد المطلب ٥٨
- حمل آمنة برسول الله ، وما رآته في ذلك ٦٣
- وفاة عبد الله بن عبد المطلب ٦٦
- ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦٧
- ذكر أسمائه وكناه ٧٢
- ذكر ما جاء في تسميته محمداً ، وأحمد ، ومن تسمى بمحمد قبله من
العرب ، واشتقاق ذلك ٧٥
- أسمائه في الكتب المنزلة ٧٨
- أسمائه ونعوته التي جرت على السنة أئمة الأمة ٧٩
- مراضعه وإخوته من الرضاعة وما ظهر من معجزاته في زمن الرضاعة
وحال طفولته ٨٠
- وفاة أمه ٨٧
- كفالة جده له ٨٨
- خروجه إلى الشام مع عمه أبي طالب ، وخبر بحيرا الراهب ٩٠
- رعيته الغنم ٩٣
- حضوره حلف الفضول ٩٤
- خروجه إلى الشام المرة الثانية ، وحديث نسطورا ٩٥
- ترويجه خديجة بنت خويلد ٩٧

صفحة

- حضوره هدم الكعبة وبناءها ٩٩
- أختلاف قريش في رفع الركن وتراضيمهم به صلى الله عليه وسلم ،
- وخبير النجدى ١٠٢
- ذكر المبشرات به صلى الله عليه وسلم قبل مولده ومبعثه وبعد ذلك
- خبر سلمان الفارسي وقصته في سبب إسلامه وهجرته إلى المدينة ... ١٢٩
- خبر سيف بن ذي يزن وقصته مع عبد المطلب وتبشيره به صلى الله
- عليه وسلم ١٣٧
- خبر من ذكر صفته صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه وذكر قومه بها
- ذكر بشائر كهان العرب به صلى الله عليه وسلم ١٥٣
- خبر مازن الطائي في سبب إسلامه ١٦٥
- ذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم ، وما بدئ به من النبوة ١٦٨
- ذكر فترة الوحي عنه ، وما أنزل بعد فترته ١٧٦
- ذكر فرض الصلاة ١٧٨
- أول من أسلم وآمن بالله تعالى ورسوله ١٨٠
- خبر إسلام علي بن أبي طالب ١٨١
- خبر إسلام زيد بن حارثة ١٨٣
- ذكر من أسلم بدعاء أبي بكر الصديق ١٨٧
- ذكر تسمية من كانت لهم سابقة في الإسلام من العرب من غير قريش
- ذكر دعائه صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام ١٩٥
- ذكر أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين جاهدوا بالعداوة ... ١٩٨
- ذكر دخول قريش على أبي طالب في أمره وما كان بينهم من المحاورات
- ١٩٩

- صفحة
 ذكر تحزب قريش عليه صلى الله عليه وسلم ، وأذاهم له ولأصحابه ٢٠٣
 ذكر إسلام حمزة بن عبد المطاب ٢٠٨
 ذكر مشى عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسماعهما القرآن ٢٠٩
 اجتماع أشراف قريش إليه صلى الله عليه وسلم ، وما عرضوا عليه ، وما طلبوا منه أن يريهم إياه ويخبرهم به ٢١٢
 قصة أبي جهل في الحجر الذي قصد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم به ، وما شاهده من حماية الله تعالى لنبيه ٢١٧
 خبر النضر بن الحارث وما قال لقريش وإرسالهم إياه إلى أحبار يهود يثرب ، ومعه عقبة بن أبي معيط ، وما عادا به ٢١٩
 ذكر ما أشتمت عليه سورة الكهف مما سأله عنه ٢٢٢
 ذكر ما أنزل من القرآن عليه صلى الله عليه وسلم فيما سأله قومه لأنفسهم ، من تسيير الجبال وغيره ٢٢٥
 ذكر ما كان من عناد قريش بعد ما عرفوا من صدقه فيما حدث ... ٢٢٧
 ذكر أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ٢٢٨
 ذكر ما نال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذى قريش هجرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة ، وهى الهجرة الأولى ٢٣٢
 رجوع أهل هذه الهجرة إلى مكة ، وما قيل فى سبب رجوعهم ... ٢٣٣
 ما ورد فى توهين حديث الغرائق ٢٣٦
 الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة ، ومن هاجر إليها من الصحابة ، ٢٤١
 ذكر إرسال قريش إلى النجاشي فى شأن من هاجر إلى الحبشة ، وإسلامه ٢٤٧

منحة	
٢٥٣	إسلام عمر بن الخطاب
٢٥٨	تعاقد قريش على بني هاشم وبني المطلب
٢٦٢	ذكر من غاد من أرض الحبشة ممن هاجر إليها ، وكيف دخلوا مكة
	ذكر من قدم من أرض الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٦٥	وهو بنخير
٢٦٧	أسماء من هلك بأرض الحبشة ممن هاجر إليها
٢٦٨	من أنزل فيه القرآن من مشركي قريش ، وما أنزل فيهم
	خروج أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى الهجرة ، وعوده وجواره
٢٧٥	ورده الجوار
٢٧٧	وفاة أبي طالب بن عبد المطلب ومشى أشراف قريش إليه
٢٧٩	وفاة خديجة بنت خويلد
	خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وعوده إلى مكة »
٢٨٣	خبر الإسراء والمعراج
٢٩٣	ذكر من قال إن الإسراء كان بالجسد وفي اليقظة
٢٩٥	ذكر ماورد في رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه
٣٠٠	ذكر ما كان بعد الإسراء من إنكار قريش لذلك
٣٠٢	ذكر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قبائل العرب في المواسم
٣٠٦	خبر مفروق بن عمرو وأصحابه
٣١٠	بيعة العقبة الأولى
٣١٢	بيعة العقبة الثانية
٣١٣	بيعة العقبة الثالثة

صفحة	
٣١٧	تسمية من شهد العقبة ، وباع رسول الله صلى الله عليه وسلم أول آية
٣٢١	أُزيلت في القتال
»	أول من هاجر من مكة إلى المدينة
٣٢٦	اجتماع قريش في دار الندوة
٣٣٠	ذكر ابتداء هجرته صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه
٣٣١	خبر الغار وما قيل فيه
	خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر من الغار إلى المدينة ،
٣٣٣	وخبر سراقه بن مالك وأُمّ تَعَبَد
٣٣٩	قدومه مع أبي بكر إلى المدينة
٣٤١	خروجه من قُبَاء ، وتحوله إلى المدينة
٣٤٤	بناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيوته بالمدينة
٣٤٥	بناء المسجد الذي أسس على التقوى ، وهو مسجد قُبَاء
٣٤٦	ذكر ما أصاب المهاجرين من حُمى المدينة
٣٤٧	ذكر مؤاخاته صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار
٣٤٨	ذكر كتابه الذي أمر بكتبه بين المهاجرين والأنصار ، وموادة يهود
٣٥١	أخبار المنافقين من الأوس والخزرج ، وما أنزل فيهم من القرآن
	ذكر شيء من أخبار يهود الذين نصبوا العداوة له صلى الله عليه وسلم ،
٣٦٢	وما أنزل فيهم من القرآن
٣٦٣	إسلام عبد الله بن سلام ومُخَيَّرِيق
	سؤال أخبار يهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشترطهم أنه إن
٣٧٠	أجابهم عما سألوهم آمنوا به

صفحة	
٣٧٢	كتابه صلى الله عليه وسلم الذي كتبه إلى يهود خيبر
٣٧٣	ما قاله أحبار يهود في أوائل السور
٣٧٤	ذكر شيء من مقالات يهود ، وما أنزل من القرآن في ذلك
٣٧٨	ذكر ما ألقاه شأس بن قيس اليهودي بين الأوس والخزرج من الفتنة
	ذكر ما تكلم به يهود في شأن من أسلم منهم ، وما أنزل الله تعالى
٣٨٠	في ذلك
٣٨٤	قصة الرجم
٣٩٠	ذكر ما ورد من أن يهود سحروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
٣٩٣	ذكر الكلام على مشكل حديث السحر
٣٩٥	خبر الشاة التي سُم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢ ذكر الحوادث بعد الهجرة ، من السنة الأولى إلى العاشرة

٣٩٦	حوادث السنة الأولى
٣٩٧	حوادث السنة الثانية
٣٩٧	ذكر صرف القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة
٣٩٩	ذكر خبر الأذان
٤٠٠	حوادث السنة الثالثة
٤٠٠	حوادث السنة الرابعة
٤٠١	نزول الحجاب على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٠٢	حوادث السنة الخامسة
٤٠٢	ما وقع بين المهاجرين والأنصار في غزوة المريسيع

صفحة

- ٤٠٥ ... حديث الإنك، وما أنزل الله تعالى من براءة عائشة رضى الله عنها ...
- ٤١٧ ... خبر التيمم ...
- ٤١٨ ... حوادث السنة السادسة ...
- ... هجرة أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وما أنزل الله تعالى
- ٤١٨ ... في هجرة النساء ...
- ٤١٩ ... حوادث السنة السابعة ...
- ٤٢٠ ... حوادث السنة الثامنة ...
- ٤٢٠ ... اتخاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر ، وخطبته عليه ...
- ٤٢١ ... إسلام عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وعثمان بن أبي طلحة ...
- ٤٢٣ ... حوادث السنة التاسعة ...
- ٤٢٧ ... خبر مسجد الضرار وهدمه ، ومن آتخذه من المنافقين ...
- ٤٢٩ ... إسلام كعب بن زهير ، وأمتداحه رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ... حج أبي بكر الصديق رضى الله عنه بالناس ، وأذات على
- ٤٣٩ ... رضى الله عنه بسورة براءة ...
- ٤٤٠ ... حوادث السنة العاشرة ، وفيها كانت حجة الوداع ...

{ ١٥ } تَمَّتِ الْفَنُ الْخَامِسُ
مِنَ السَّارِغِ ٥

١
١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً

القسم الخامس من الفن الخامس

في أخبار الملة الإسلامية

لَمَّا أَتَيْتُ الْقَرَضَ فِي التَّارِيخِ إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا ، وَالْقَصَصَ فِي الْأَخْبَارِ
الَّتِي أوردتها ، والدُّوَلِ والوَقَائِعِ الَّتِي أَتَخَبَّيْتُهَا ، مِمَّا طَالَعْتُ وَجَرَرْتُهَا ، عَمَدْتُ إِلَى ذِكْرِ
الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي فَضَّلَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سَائِرِ الْمِلَلِ ، وَرَفَعَ أَهْلَهَا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ
وَوَقَّفَهُمْ لِصَالِحِ الْعَمَلِ ، وَوَعَدَهُمْ بِرَحْمَتِهِ ، فَهُمْ مِنْ وَعْدِهِ فِي أَمْنٍ ، وَحَذَرَهُمْ عِقَابِهِ ،
فَهُمْ مِنْ وَعِيدِهِ عَلَى وَجَلٍ ، وَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَنْقَسَهُمْ فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ ،
وَأَدَّى الْأَمَانَةَ ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ وَعَدَلَ ، وَجَعَلَهُ شَافِعًا لِدُنُوبِهِمْ فِي يَوْمٍ أَجْمَعَ فِيهِ مَنْ
سِوَاهُ عَنِ الشِّفَاعَةِ وَبِنَفْسِهِ أَشْتَغَلَ ، وَجَعَلَهُمْ بِهِ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ بِأَمْرِهِمْ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، إِذْ جَمَّحَ غَيْرَهُمْ وَنَكَّلَ ، فَهُمْ الشُّهَدَاءُ عَلَى
النَّاسِ لِأَيَّانِهِمْ ، وَنَاهِكُهَا بِرُبِّيَّةٍ تَقْدُمُهَا أَوَاخِرُ الْقَوْمِ عَلَى الْأَوَّلِ . وَقُلْتُ : بِاللَّهِ
التَّوْفِيقُ ، وَمِنَ الْإِمَانَةِ وَعَلَيْهِ الْمُسْكُلُ .

{ الباب الأول

من القسم الخامس من الفن الخامس

{ في سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهي السيرة التي ظهرت آياتها ، واشتهرت معجزاتها ، واشترقت أنوارها ،
وأنشئت أخبارها ، وعمت فضائلها ، وطابت بكرها وأصائلها ، وحسنت أوصافها ،
وكثر إنصافها ، وجاءت في ظلمة الضلالة تنقذ ، وما إنكر العدو فضائلها بل شهد :
وفضائل شيد العدو بفضلها * والفضل ما شهدت به الأعداء

تالله لقد عجز الواصفون عن وصفها ، وأعترف المادحون بالتقصير عن بلوغ
السير من مدى مدحها :

١٠ وإذا أردت لك الشاء فما الذي * — والله قد أثنى عليك — أقول

ولنبداً بذكر نسب الطاهر صلى الله عليه وسلم ، وإن كنا قدمناه مستوفى
في باب الأنساب ، فلا غنى عن سرده ههنا .

هو أبو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم بن عبد الله ، بن عبد المطلب — وأسم
عبد المطلب : شيبة الحمد — بن هاشم — وأسم هاشم عمرو — بن عبد مناف
— [واسمه] المغيرة — بن قصي — وأسمه زيد — بن كلاب ، بن مرة ، بن كعب ،
١٥ ابن لؤي ، بن غالب ، بن فهر . وإلى فهر جماع قریش ، ومن كان فوق فهر فليس

(١) ٣٧٦ : ٢ وما بعدها .

(٢) تكملة عن المؤلف نفسه فيما يأتي له بعد .

وهو بقرشي . وفهر هو ابن مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، بن خزيمة ، بن مدركة
 - وأسم مدركة عامر - بن إلياس ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان .
 روى عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كان إذا انتسب لم يجاوز في نفسه معد بن عدنان بن أدد ، ثم يمك ويقل :
 « كذب النسايون » . قال الله عز وجل : (وَقرؤنا بين ذلك كثيرا) . قال
 ابن عباس : لو شاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلمه لعلمه .
 وعن هشام بن محمد قال : سمعت من يقول : « كان معد على عهد عيسى بن
 مريم عليه السلام » .

$\frac{2}{14}$

وقد تقدم في باب الأنساب ، وهو الباب الرابع من القسم الأول من الفن
 الثاني من كتابنا هذا ، في الفرع الثاني من هذه الفسخة ، ما اختاره الشريف
 أبو البركات محمد بن أحمد بن علي بن مقعر الحسيني الجوافي النساب

(١) سيذكر المؤلف في ص ١٢ عن ابن السائب : أن مدركة يسمى « عمرا » أيضا ، وفي نسب فريش
 (الورقة ٢ ب) : « فوله إلياس بن مضر مدركة ، واسمه عامر ، وطاحجة ، واسمه عمرو ، وقفة ، واسمه عمير » .
 (٢) رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق ٢ : ١٦٩ . ويقول السيل في الرض الأنف ١ : ٨ :
 « والأصح في هذا الحديث أنه من قول ابن مسعود » . وانظر الجامع الصغير ٣ : ١٩٠ .
 (٣) الفرقان ٣٨ .

(٤) هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي النساب النساب الكوفي المتوفى سنة ٢٠٤ ، على خلاف .
 انظر وفيات الأعيان ٢ : ٢٥٨ .
 (٥) ٢ : ٣٧٦

(٦) كناه المؤلف هنا وفي باب الأنساب - فيما عدا - أبا البركات ، وهي كنية أبيه أحمد .
 (٧) هو أبو علي محمد بن أبي البركات أحمد بن علي الحسيني الجوافي (٥٢٥ - ٥٨٨) ينسب
 إلى « الجوافية » فتح الجيم وتندب الرازي وهي قرية قرب المدينة . انظر تاج العروس (جون) ،
 معجم البلدان (٣ : ١٥٦) .

(١)

(٢)

في «مقدمته» بعد معدة: بن عدنان، بن أذ، بن أد، بن الياسع، بن الهيمس، بن سلامان، بن نبت، ^{دجبر} ابن حمل، بن قيذار، بن إسماعيل الذبيح، بن إبراهيم الخليل، صلى الله عليهم وسلم، ابن تارح، وهو آزر، بن ناحور، بن ساروغ، بن أرغو، ابن فالغ، بن عابر، وهو هود النبي عليه السلام - وهو جحاح قيس ويمن ويزار وخديف - بن شالح، بن أرغشذ، بن سام، بن نوح [النبي] عليه السلام، بن ملك، بن متوشلخ، بن أخنوخ، وهو إدريس النبي عليه السلام، بن يارد، ابن مهلائيل بن قينان، بن أنوش، بن هبة الله شيث، بن أبي البشر آدم عليه السلام.

هذا ما أورده الشريف الجواني قال: وعليه أكثر أئمة الأنساب.

وستزيد إن شاء الله تعالى، في أخبار آباء رسول الله صلى الله عليه وسلم،

زيادة حسنة يحتاج إلى إيرادها من عدنان ^(٦) فمن بعده، تقف عليها قريبا، إن شاء الله تعالى، بعد ذكرنا لأمهاته صلى الله عليه وسلم.

(١) سماها مرتضى الزبيدي «المقدمة الفاضلية» لأن الجواني «ألقاها باسم القاضي الفاضل، وجعلها مقدمة لكتابه الجوهر المكنون» في القبائل والبطون. وقد جاء النص الذي نقله النوري عنها في (الورقة ٩ ب ١٤) من مخطوطة دار الكتب رقم ١٩ م تاريخ.

(٢) علماء النسب في «أد» و«أد» فريقان: الأول أنها شخصان ابن ووالد، وهو الذي حكاه المؤلف هنا عن الجواني (الورقة ١٤) وقالت به طائفة؛ والفرق الثاني أن مسماها شخص واحد، يقال فيه «أد» مرة، و«أد» مرة أخرى.

(٣) ورد هذا العلم في مقدمة الجواني بالنسبة المعجمة (الورقة ٩ ب ٣٤) وبالعين المهملة في (الورقة ١٤).

(٤) إضافة عن مقدمة الجواني (ورقة ١٤).

(٥) تختلف كتب النسب في رواية هذه الأعلام اختلافا كبيرا. وقد اعتمدت فيها رواية الجواني كما وردت في نسخة (١٩ م تاريخ) لأن العلماء بالنسب تداولوها ومصححوها.

(٦) في الأصل: «تقف عليه».

ذكر أمهات رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو عبد الله محمد بن سعد رحمه الله تعالى في طبقاته الكبرى :
 « أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قال :

أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمّنة بنت وهب ، بن عبد مناف ،
 ابن زهرة ، بن كلاب بن مرة . وأُمها برة ، بنت عبد العزى ، بن عثمان ، بن
 عبد الدار ، بن قصي ، بن كلاب . وأُمها أم حبيب ، بنت أسد ، بن عبد العزى ،
 ابن قصي بن كلاب . وأُمها برة بنت عوف ، بن عبيد ، بن عويج ، بن عدي ،
 ابن كعب ، بن لؤي . وأُمها قلابة بنت الحارث ، بن مالك ، بن حناشة ، بن
 غنم ، بن لحيان ، بن عادية ، بن صغصعة ، بن كعب ، بن هند ، بن طابخة ، بن
 لحيان ، بن هذيل ، بن مدركة ، بن الياس ، بن مضر . وأُمها أُميمة بنت مالك ،
 ابن غنم بن لحيان ، بن عادية ، بن صغصعة . وأُمها دُب بنت ثعلبة ، بن الحارث ،
 ابن تميم ، بن سعد ، بن هذيل ، بن مدركة . وأُمها عاتكة بنت غاضرة ، بن
 حطيظ ، بن جشم ، بن ثقيف ، بن مُنبة ، بن بكر ، بن هوازن ، بن منصور ، بن
 عكرمة ، بن خصفة ، بن قيس ، بن عيلان - وأسمه الناس - بن مضر . وأُمها ليلى
 بنت عوف ، بن ثقيف . وأمّ وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب قليلة .
 ويقال : هند بنت أبي قيلة . »

وقال ابن الكلبي : « كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم نحو مائة أم ، فما وجدت
 فيها سفاحا ، ولا شيئا مما كان من أمر المأهلية . »

(١) ٣٠ : ١ - ٣١ (قسم أول) .

(٢) في نسب قريش (الورقة ١٨) ، والروض الأوفى ١ : ٧٨ : « وأم أسماء دبة . »

(٣) في طبقات ابن سعد ١ : ٣٠ (قسم أول) : « ثقيف » وهو قسي بن منبه .

(٤) في طبقات ابن سعد ١ : ٣٠ (قسم أول) : « عوف بن قسي » وهو ثقيف .

وعن محمد بن علي بن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لَدُنْ آدم ؛ لم يُصْنِ من سفاح أهل الجاهلية شيء ؛ لم أخرج إلا من طُهْرَةٍ ^(١) . والله الععال .

ذكر نبذة من أخبار آباء رسول الله صلى الله عليه وسلم

فمن بعده إلى أبيه عبد الله بن عبد المطلب

قد تقدم ذكر آباء رسول الله صلى الله عليه وسلم في باب الأنساب ، وذكرنا كل أب من آبائه وأولاده ومن أعقب منهم ، وجعلنا العُمدة على سرد عمود النسب الشريف على ما توقف عليه هناك في السفر الذي من كتابنا هذا من هذه النسخة ، وسردنا الذنب أيضا آنفا . وقد رأينا أن نذكر في هذا الموضع نبذة أخرى زيادة على ذلك نذكر فيها الأسماء ، والكُنى ، والألقاب ، وبعض الوقائع والأخبار ، مما لم يتقدم ذكره ، فنقول وبالله التوفيق :

أما عَدْنَانُ فإليه انقطع علم أهل الأنساب حقيقة ؛ لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا انتهى في النسب إلى معدن عَدْنَانِ أَمَسَ ، ثم قال : « كَذِبَ النَّسَابُونَ » . قال الله جل ثناؤه : (وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا) . وقد روى أنه قال : « عَدْنَانُ بْنُ أَدَدَ » . والله أعلم .

(١) هو أبو جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب : مدني تابعي ، في ولده ووفاته خلاف . انظر تهذيب التهذيب ٩ : ٣٥٠ .

(٢) هذه رواية ابن سعد ١ : ٣٠ ، وهي تنفرد « بزيادة إنما » في أول الحديث ، وزيادة « لم أخرج إلا من طهارة » في آخره . وقد رواه الطبراني في معجمه الأوسط ، وابن عساكر ، وابن عدي في الكامل ، وابن كثير في البداية والنهاية ٢ : ٢٥٦ باختلاف في الرواية ، وقال عقبه : « هذا غريب من هذا الوجه ولا يكاد يضح » . (٣) ٢ : ٢٥٨ - ٣٧٧ .

وأنا معد بن عدنان ، فكنته أبو قضاة ، كنى بولده قضاة وهو يكره .
ومعد (بتحريك العين وتشديد الدال) ، وفي طيء معد (بنسكين العين) بن مالك
ابن قيثة ، وفي خثعم أيضا معد (بنسكين العين) بن الحارث ، بن نهم ، بن كعب ، بن
مالك ، بن خثافة . وأم معد بن عدنان : مهدد ، بنت اللهم بن جَلَحَب الجهرمية ، وقيل
فيها مهاد بنت ليم . وقيل اللهم بنت جَلَحَب ، وفي رواية خُليد ، بن طسم ، بن بلعم ،
ابن عابر ، بن اسليخيا ، بن لاوذ ، بن سام ، بن نوح . حكاه الزبير بن بكار .

وذكر عبد الملك بن حبيب أن ولد معد بن عدنان سبعة عشر رجلا ، درج
منهم بلا عقب تسعة ، وأعقب ثمانية .

وقال أبو الربيع بن سالم : ذكر الزبير بن أبي بكر ، أن يُختصر لما أمر بغزو
بلاد العرب ، وإدخال الجنود عليهم وقتلهم لقتلهم أنبياء الله تعالى ، وردهم رسالاتهم ،

- (١) في الأصل : « وكنيته » ، والمكان للقاء .
- (٢) في الأصل : « قفة » ، وانظر شرح الحاشية للتبريزي ٣ : ١٤٣ ، تاج العروس (فا) .
- (٣) في « مقدمة » الجسوافي (الورقة ٤٨ ب) : « بنت اللهم الجديسية » . ومرة للوف
- (٤) (٢ : ٣٤١) أنها : « بنت اللهم الجهرمية » . وانظر تاريخ الطبري ٢ : ١٩١ ، وابن الأثير ٢ : ١٢ .
- (٥) في نسب قريش لمصعب الزبيري (الورقة ٢ ب) : « فولد عدنان بن أدد معدا ، والحارث وهو عك ،
وأهما مهاد بنت ليم بن جليل بن طسم » ، وفي طبقات ابن سعد ١ : ٣٦ (قسم أول) : « مهدد بنت اللهم
ابن جلح بن جديس بن جابر بن إرم » .
- (٥) في الأصل : « لود » . وانظر تاج العروس « لود » .
- (٦) سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي الأندلسي (٥٦٥ - ٦٣٤) . من مؤلفاته كتاب الاكتفا ،
بما تضمنه من مغازي المصطفى ، وعنه نقل المؤلف ، وقد ورد هذا النقل في (الورقة ١٢) من مخطوطة
دار الكتب المصرية .
- (٧) هو الزبير بن بكار بن عبد الله : أبو عبد الله بن أبي بكر النسابة القاضى المدنى (١٧٢ - ٢٥٦) .
انظر تهذيب التهذيب ٣ : ٣١٢ .
- (٨) في الأصل : « بلاد المغرب » ، والمثبت زواية الاكتفا ، والخبر عن البشر ٣ : ١٧ (قسم أول) .
- (٩) في الأصل : « وقتلهم » ، قتل . والمثبت عن الاكتفا . وفي الخبر عن البشر ٣ : ١٧
(قسم أول) : « وقتل مقاتلتهم »

أمر إرميا بن حلقيا — وكان فيما ذكرني بني إسرائيل في ذلك الزمان — أن أت معذ بن عدنان الذي من ولده خاتم النبيين، وأحمله معك إلى الشام، وتول أمره .
وقال السهيلي : « أوحى الله تعالى إلى إرميا أن أحمل معذ بن عدنان على البراق إلى أرض العراق ، فإني مُستخرج من ضلبي نبياً اسمه عجد ، فعمل معه معذ ودهو ابن أنثى عشرة سنة ، وكان مع بني إسرائيل إلى أن كبر وتزوج امرأة اسمها معانة » .
قال أبو الربيع بن سالم : « ويقال المحمول عدنان ، والأول أكثر . قال : وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما : إن الله تعالى بعث ملكين فاحتملا معذاً ، فلما رفع الله تعالى رأسه عن العرب ، ردها إلى موضعه من تهامة ، فكان بمكة ونواحيها مع إخواله من جرهم » .

وقال الزبير : « حدثني علي بن المغيرة قال : لما بلغ بنو معذ عشرين رجلاً ، أغاروا على عسكر موسى عليه السلام ، فدعا عليهم ثلاث مرّات فقال : يا رب ، دعوتك علي قوم فلم تجبني فيهم بشيء . قال : يا موسى ، دعوت علي قوم فيهم خيرتي في آخر الزمان » .

وفي هذه الرواية ما فيها من المناقاة لما تقدم من أنه كان مع إرميا ، ومن قال إنه كان على عهد عيسى عليه السلام . والله أعلم بالصواب وإليه المرجع .

وأما نزار بن معذ ، فكنته أبو إيباد ، وقيل أبو ربيعة . وزار (بكسر النون) .
قال السهيلي : « من النَّزَر وهو القليل . وكان أبوه حين ولده ، ونظر إلى النورين » .

(١) سقط من السهيلي ١ : ٩ : « إلى أرض العراق » وقد تصرفت المؤلف في النص .

(٢) في الخبر عن البشر ٣ : ١٧ (قسم أول) : « هم خير » .

(٣) تقدم ذلك في ص ٣ .

(٤) في الأصل : « وكنته » .

(٥) الروض الأنف ١ : ٨ .

عليه، وهو نور النبوة الذي كان ينقل في الأصلاب إلى محمد صلى الله عليه وسلم فرج به قرحا شديدا ، ونحر وأطمع وقال : إن هذا كله نزر لحق هذا المولود، فسعى نزارا لذلك . وأم نزار : معانة بنت جوشم ^(١) بن جلثمة ، بن عمرو ، بن هذيل ^(٢) بن دؤة ^(٣) بن جرم . قال السهيلي : « ويقال اسمها ناعمة » .

وأما مضر بن نزار فامه [و] أم إباد : سودة بنت عك ، بن الذيب ^(٥) بن عدنان . وقال محمد بن الحسين في كتاب « التحفة » : إن أم مضر اسمها سودة بنت عك ، قال : وقيل حبيبة بنت عك . وقاله الزبير بن بكار . وروى أن أم مضر خاصة سودة بنت عك ، وربيعة وأنار وإباد أمهم شقيقة بنت عك ، وإلى مضر تنسب مضر الحمراء لسكناها قباب الآدم ، ومضر السوداء سُميت بذلك لسكناها المظال .

وقال الزبير عن غير واحد من أهل العلم بالنسب : إنهم قالوا : لما حضرت نزارا الوفاة ، أثر إبادا بولاية الكعبة ، وأعطى مضر ناقة حمراء فسُمي مضر الحمراء ،

(١) هكذا ورد هذا العلم في تاريخ ابن الأثير . وفي البداية والنهاية ٢ : ١٩٤ ، والروض الأثف ١ : ٩ : « جوشن » . وفي الخبر عن البشر ٣ : ١٧ قسم أول : « عنة ابنة جوشن » . وفي المقدمة القاضية (الورقة ٤١ ب) « معانة بنت جرم الجرهمية » . (٢) في الأغاني ٧ : ٧٧ ، نسب قريش

(الورقة ٢ ب) والخبر عن البشر ٣ : ٧ (قسم أول) : « بن عامر بن عوف بن عدي بن دب » . (٣) رواية الأصل وابن سعد في الطبقات ١ : ٣٠ (قسم أول) ، والخبر عن البشر ٣ : ١٧ (قسم أول) :

« ... بن جلثمة بن دؤة بن هذيل بن جرم » ، والتصويب عن نسب معد لابن الكلبي ١ : ٣ وانظر تاج العروس ٩ : ٣٦٧ . وفي السهيلي ١ : ٩ ، ونسب قريش ، والبداية والنبيلة : « دب بن جرم » . (٤) في الأصل : « وأم » . (٥) الذيب ، بالذال المعجمة وبعدها ياء ، والباء الموحدة

رواية الزبير بن بكار والجواني ، ويقال فيه « الديث » بالذال المهملة والثاء المثلثة . وانظر تاج العروس (عك) ، والإكمال لابن ماكولا ١ : ٢٨٧ ب ، والروض الأثف ١ : ١٣ .

(٦) حكاه أيضا الكليني في الاكتفاء (الورقة ٤ : ١) . (٧) هذه رواية الجواني في مقدمته (الورقة ٤٢ : ١) ، وجاء في (الورقة ٤٢ ب) : « وأعطى مضر ناقة حمراء » .

وأعطى ربيعة فرسه، فسَمُوا ربيعة الفرس، وأعطى أنماراً جارية له تسمى بجيلة
فحضنت به، فسُمِّيَ بجيلة أنمار.

وقد تقدم ذكر خبر أولاد نزار في الأمثال عند قولهم: «إِنَّ الْعَصَا مِنَ
الْعَصِيَّةِ»، و«إِنْ خُشِينَا مِنْ أَحْسَنٍ»، وقصتهم مع الأَفْئَى الْجَرْهُمِيَّ، وهو في الباب
الأول من القسم الثاني من الفن الثاني في السفر الثالث من هذه النسخة من
كُتُبِنَا هَذَا.

قال ابن الأثير الجَزَرِيُّ: «وَمُضَرُّ أَوَّلُ مَنْ حَدَا، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ سَقَطَ
عَنْ بَعِيرِهِ، فَأَنْكَسَرَتْ يَدُهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا يَدَاهُ! يَا يَدَاهُ! فَأَتَتْهُ الْإِبِلُ مِنَ الْمَرْغَى،
فَلَمَّا صَلَحَ وَرَكِبَ حَدَا، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا. وَقِيلَ بَلْ انْكَهَرَتْ
يَدُ مَوْئٍ لَهُ فَصَاحَ، فَاجْتَمَعَتِ الْإِبِلُ، فَوَضَعَ مُضَرُّ الْحُدَا، وَزَادَ النَّاسُ فِيهِ».

قال السُّبَيْلِيُّ: وفي الحديث: «لَا تَسْبُوا رَبِيعَةً وَلَا مُضَرًّا لِأَنَّهُمَا كَانَا مُؤْمِنَيْنِ»
وروى عبد الملك بن حبيب بسنده إلى سعيد بن المسيَّب أن رسول الله، صلى الله
عليه وسلم، قال: «لَا تَسْبُوا مُضَرًّا فَإِنَّهُ كَانَ مُسْلِمًا عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ». وعن
عبد الملك بن حبيب والزيير وجماعة: أن ربيعة ومُضَرَّ الصَّرِيحُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ
ابْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. قال: وحدثني أبو معاوية، عن ابن جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ،

(١) في الأصل: «بته» تصحيف، والتصحيح عن مقدمة الجواني (الورقة ٢٢ ب).

(٢) جمع الأمثال ١: ١٣. (٣) جمع الأمثال ١: ١١، ومعجم البلدان ٣: ٤٤٣.

(٤) هو الأَفْئَى بن حصين بن غنم، أحد حكام العرب. انظر المحيّر لابن حبيب ص ١٣٢ وجمع

الأمثال ١: ١٠. (٥) ٧: ٣. (٦) في الكامل ٢: ١٠١. (٧) الرّوض

١: ٨، وفي الاكتفاء (الورقة ٢ ب): «كَانَا مُسْلِمَيْنِ». والحديث رواه الديلمي في مسند

الفرزدوس. انظر كنز الحقائق للناوي ص ١٨٢. (٨) رواه ابن سعد في الطبقات بلفظ:

«لَا تَسْبُوا مُضَرًّا فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ أَهْلَ» انظر الجامع الصغير ٢: ٤٤٦.

عن ابن عباس، رضى الله عنهما، قال: «مات أدد والد عدنان، وعمه ثان، وعمه بن عدنان، وربيعة، ومضر، وقيس عيلان، وتميم، وضبة، وأسد، ونخيلة، على الإسلام على ملة أبيهم إبراهيم، فلا تذكرهم إلا بما يذكر به المسلمون». والله الموفق.

وأما الياس بن مضر، فكنته أبو عمرو. وقال صاحب الأشتال: ^(٣) قول الزبير: ولد مضر بن زيار الياس بن مضر، فلما أدرك الياس أنكر على بني إسماعيل ما غيروا من سنن آبائهم وسيرهم، وبأن فضله فيهم، ولأن جانبهم لهم، حتى جمعهم رأيه ورضوا به، فردهم إلى سنن آبائهم، حتى رجعت سنتهم تامة على أولها.

وهو أول من أهدى البذل إلى البيت، وهو أول من وضع [حجر] الركن للباس بعد غرق البيت وأنهدم زمن نوح. فكان الياس أول من ظفر به، فوضعه في زاوية البيت.

وبعض الناس يقولون: إنما كان ذهب بعد إبراهيم وإسماعيل. قال: وفي هذا كله نظر. قال: وقال الزبير: ولم تزل العرب تعظم الياس بن مضر تعظيم أهل الحكمة، كتعظيمها لثمان وأشباعه. قال ابن دحية: وهو وصى أبيه، وكان ذا جمال بارع ودين، تعظمه العرب قاطبة، وهو أول من مات بالسَّل. قال السهيلي: «وإنما سمي السَّل داء يابس وداء الياس لأن الياس بن مضر مات به». ^(٨)

- (١) نص هذا الحديث في الإنباه لابن عبد البرص ٧٨: «مات تميم بن مر، وأسد بن نخيلة، وضبة بن أدد، على الإسلام، فلا تذكرهم إلا بما يذكر به المسلمون». (٢) في الأصل: «وكنيته». (٣) لد صحة الكلمة «صاحب الاكتفاء»، وقد ورد هذا النص في الاكتفاء (الورقة ١٤). (٤) الكلمة من كلام المؤلف الآتي. (٥) أبو الخطاب عمر بن الحسن ابن علي المعروف بقى التسين الأندلسي (٥١٤ - ٦٣٣). وفيات الأعيان ١: ٤٨١. (٦) الروض الأنف ١: ٧. (٧) في الأصل: «دواء الياس». تصحيف. (٨) في الروض الأنف ١: ٧: «مات منه».

ولما مات أيسف أمر أنه خُندِف عليه أسفا شديدا . وكانت تَذرت ، إن هلك ، [أ] لَا تُقِيمُ في بلدٍ مات فيه ، وَلَا يُظَاهَا بيت ، وتَسِيحُ في الأرض ، وحرمت الرجال والطيب بعده . فلما هلك خرجت سائحة حتى هلكت . وكانت وفاته يوم الخميس ، فتذرت أن تبيكه كلما طلعت شمس يوم الخميس حتى تغيب الشمس . قال السهيلي : « ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم [أنه] قال : « لا تسبوا الياس فإنه كان مؤمنا » . وذكر أنه كان يسمع في صلبه لمية النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بالبح^(٢) » . والله أعلم .

وأما مدركة بن الياس فقال ابن السائب : وأسمه عمرو . وقال ابن إسحاق والزبير : عامر ، وكنيته أبو الهذيل ، وقيل أبو خزيمة . وأمه خندف ، وأسمها ليل^(٤) بنت حلوان بن عسمران بن الحاف بن قضاة . واسم أمها ضريبة بنت ربيعة بن نزار ، وبها سمي « حمى ضريبة » .

وأما خزيمة بن مدركة فكنيته أبو أسد ، وأمه سلمى بنت أسلم بن الحاف ابن قضاة . وقيل سلمى بنت أسد بن ربيعة ، وخزيمة هذا هو الذي نصب هبل على الكعبة ، فكان يقال هبل خزيمة ، هكذا ذكره ابن الأثير . وروى عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن خزيمة مات على ملة إبراهيم عليه السلام .

(١) بكلمة من الروض الأنف ٢ : ١ (٢) الروض الأنف ١ : ٨ (٣) في الأصل :

« قال » . (٤) في الخبر عن البشر ٣ ٢٧ (نعم الأول) : « وقال الزبير : قوله الياس

ابن مضر مدركة واسمه عامر ، ويقال عمرو » . (٥) قرية بين البصرة ومكة ، وهي إلى مكة

أقرب ، وانظر خلافتهم في تحديد هذا الجي ، وفي سبب نسبه إلى ضريبة ، في معجم البلدان ٥ : ٤٣٣ ،

تابع المبروس (ضري) . (٦) في الأصل : « وكنيته » . (٧) في البكمال

أما كِنَانَةُ بْنُ خُرَيْمَةَ، فكنيته أبو النضر، وأمه عَوَانَةُ بنت سَعْدِ بْنِ قَيْسِ [بن عِيلَانَ]، ويقال: بل هند بنت عمرو بن قيس بن عِيلَانَ. قال أبو الحسن سلام ابن عبد الله بن سلام الإشبيلي: وقال أبو عمرو العدواني لابنه في وصيته: «يا بني أدركت كِنَانَةَ بْنَ خُرَيْمَةَ - وكان شيخاً مسنّاً عظيم القدر، وكانت العرب تخرج إليه لعلمه وفضله - فقال: إنه قد آن خروج نبي بمكة يدعى أحمد، يدعو إلى الله، وإلى البر والإحسان ومكارم الأخلاق، فأتبعوه تزدادوا شرفاً إلى شرفكم، وعزاً إلى عزكم، ولا تتعدوا ما جاء به، فهو الحق». والله الموفق.

وأما النُّضْرُ بْنُ كِنَانَةَ. فكنيته أبو يَحْيَى، كنى بابنه يَحْيَى. وأمهم النُّضْرُ قَيْسُ. قال أبو ذَرٍّ الحَنْتِيُّ: النُّضْرُ: الذهب الأحمر. وهو النُّضَارُ، سُمِّيَ النُّضْرُ بذلك لوضاءته وإشراق وجهه. وأمه بَرَّةُ بنت مُرِّ بن أَدِّ بن طابخة بن إلياس بن مَضَرٍّ أختُ تَمِيمِ بْنِ مُرٍّ. والذي عليه أكثر أهل السير والمؤرخين أن كِنَانَةَ خَلَفَ عَلَى بَرَّةَ بعد أبيه خُرَيْمَةَ، على ما كانت الجاهلية تفعله؛ إذا مات الرجل خلف على زوجته بعده أكبر بنيه من غيرها. ويرد هذا ما روى عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء؛ ما ولدني إلا نكاح كنكاح أهل الإسلام»، وقول ابن الكلبي: «كتبْتُ لرسول الله، صلى الله عليه وسلم خمسمائة أتم، فلم أجد فيها شيئاً مما كان من أمر الجاهلية». وقد تقدم ذكر ذلك آنفاً.

(١) في الأصل «وكنيته». (٢) عن الطبري عن البشرى: ٣٣ (قسم أول).

(٣) في الأصل «بابيه». تصحيف. (٤) انظر شرح السيرة للحنفى ١: ٣.

(٥) وكان الذي خلف أباه على زوجته يسمى الضيزن (لسان العرب - ضزن). وفي المحبر

لابن حبيب ص ٣٢٥ تفصيل لأسماء الذين فعلوا ذلك. (٦) قال ابن كثير في البدايه والنهاية

٢: ٢٥٦، بسند رواية هذا الحديث عن ابن عباس: «وهذا أيضاً حديث غريب، أورده الحافظ

ابن عساكر، ثم أسنده من حديث أبي هريرة. وفي إسناده ضعف، والله أعلم».

وقد اعتذر القائلون هذا القول عنه بأعذار، وأقاموا أدلة على أنه ليس بسفاح ولا من أمر الجاهلية . وقى أعذارهم وأدلتهم بعض تكلف . وقد حصل الظفر - وفي الحمد والمئة - بما يُزِيل هذا الإشكال، ويُفِيح هذا الاحتال، ويُغْلِص من مهاوى هذه الشبهة، وهو الصحيح، إن شاء الله تعالى، وسذكره بعد ذكر أعذارهم وأدلتهم .

أما ما استدلوا به على تقدير أن يكون كانه خُفَّ على برة فيتُمرَّب من أدب أبيه، فقال السَّيْلُ^(١)، رحمه الله، في قوله تعالى: (وَلَا تَسْكُرُوا مَا تَكْنَحُ آبَاؤُكُمْ مِنَ النَّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ)؛ أي إلا ما قد سَلَفَ من تحلل فك قبل الإسلام، قال: وقائدة لاستثناء ألا يُعَابَ نَسَبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليُعلم أنه لم يكن في أجداده بنية ولا سفاح، ألا ترى أنه لم يُقَلَّ في شيء منى عنه في القرآن (إلا ما قد سَلَفَ) نحو: (وَلَا تَقْرُبُوا الزَّوْجَ)؛ ولم يقل (إلا ما قد سَلَفَ) (وَلَا قَتَلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) ولم يقل (إلا ما قد سَلَفَ)، ولا في شيء من المعاصي التي نهى عنها إلا في هذه [الآية]، وفي الجمع بين الأخين؛ لأن الجمع بينهما قد كان مباحا في شرع من قبلنا، وقد جمع يعقوب عليه السلام، بين راحيل وأختها ليا؛ بقوله: (إلا ما قد سَلَفَ) تنحّت إلى هذا المعنى وتنبه على هذا المعنى. وقيل السَّيْلُ هذه النكتة عن القاضي أبي بكر بن العربي. واعتذر من اعتذر عن هذه الواقعة على هذا التوال.

(١) قل هذا الاستدلال عن السَّيْلُ، القسبي في حية الميزان ٢: ٢١٥، والرقائق في شرح

المواهب ١: ٩٣ - (٢) النساء ٢٢ - (٣) الإبره ١٧ - (٤) الأنعام ٦

(٥) النكتة عن القسبي ٢: ٢١٥ - (٦) في شرح المواهب اللدنية ١: ٩٣ - يقال

راحيل بالجمع والماء، وفي جبهة الأنساب لابن حزم ص ٤٦٩ - «لله» بالله .

وأما ما أرتفع به هذا الإشكال، فهو ما نقله أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
 بـرحمة الله— في كتاب له سماه «كتاب الأصنام» قال فيه : « وخلف كنانة بن
 نزيمة على زوجة أبيه بعد وفاته ، وهي برة بنت أذ بن طابخة بن الياس بن مضر ،
 وهي أم أسد بن الهون ؛ ولم تلد لكانة ولدا ذكرا ولا أنثى ، ولكن كانت ابنة
 أخيها ، وهي برة بنت مرن بن أذ بن طابخة : أخت تميم بن مرن عند كنانة بن نزيمة ،
 فولدت له النضر بن كنانة » . قال : « وإنما غلط كثير من الناس لما سمعوا أن كنانة
 خلف على زوجة أبيه لآفاق اسمهما وتقارب نسبهما » . قال : « وهذا الذي عليه
 مشايخنا وأهل العلم بالذهب » . قال : « ومعاذ الله أن يكون أصاب [نسب] رسول
 الله صلى الله عليه وسلم مقت نكاح ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما زلت
 أخرج من نكاح كنكاح الإسلام ، حتى خرجت من أمي وأبي » . قال : « ومن اعتقد
 غير هذا فقد كفر وشك في هذا الخبر . قال : والحمد لله الذي طهره من كل وضم
 وطهر به » .

وأما مالك بن النضر ، فكنته أبو الحارث ، وأمه عاتكة بنت عدوان ، وهو
 الحارث بن عمرو بن قيس عيلان ، ولقبها عكرشة ، وقيل عوانة بنت سعد القيسية ،
 وقيل غير ذلك . ومالك هو أبو قريش كلها .

وأما فهر بن مالك — وهو قريش ، وفهر لقب غلب عليه — فكنته أبو غالب ،
 وهو بجاع قريش في قول هشام بن الكلبي . وأم فهر جندلة بنت عامر بن الحارث
 ابن مضاض الجرهمي ؛ ومن جاوز فها فليس هو من قريش .

(١) في حياة الحيوان ٢ : ٢١٥ : « تحت كنانة » . (٢) في الأصل : « ولا فاق
 اسمها » ، صحيح . (٣) التكملة من حياة الحيوان ، ٢ : ٢١٥ : وشرح المواهب ١ : ٩٣ .
 (٤) في الأصل : « وكنيته » . (٥) هذه رواية ابن السائب واللاذري . وفي رواية
 الزبير بن بكار : « جندلة بنت الحارث بن جندل بن عامر » ، وزوي الزبير أيضا : « جندلة بنت
 الحارث بن عمرو أو عامر » . انظر الخبر عن البشير ٣ : ٣٨ ، ٣٩ (فم أول) .

وقد اختلف في تسمية قُرَيْشٍ قُرَيْشًا، وَمَنْ أَوَّلُ مَنْ تَسَمَّى بِهِ، فقال محمد بن كعب: ^(١) إنما سُميت قُرَيْشٌ قُرَيْشًا لتجتمعها بعد تفرقها، وقال محمد بن سلام: لما جمع قُصَيٌّ قبائل النَّضْر، وحارب بهم خِزاعة، وغلب على الحرم، سُموا قُرَيْشًا لاجتماعهم. وقيل: إنما سُموا قُرَيْشًا لأنهم يتقشرون البضاعات فيسترونها. وقيل: جاء النَّضْر بن رِكَانَةَ في ثوب له فقالوا: قد تقشَر في ثوبه كأنه جمل قُرَيْش، أي شديد مجتمع. وقيل: أول من سماهم بهذا الاسم قُصَيٌّ بن كِلَاب. قاله المبرد. وقال الشعبي: النَّضْر بن رِكَانَةَ هو قُرَيْش، وإنما سُمي قُرَيْشًا لأنه كان يُقَرِّش عن حَلَّة الناس وحاجتهم فيسَدُّ ذلك بماله، والتقريش: هو التقريش، وكان بنوه يقرشون أهل الموسم فيزودونهم بما يُلَنُّهُمْ، فسموا بذلك من فعلهم.

- ١٠ وقال الزبير بن بكار قال عمي: قُرَيْش بن بَدْر بن يَحْلُد بن النَّضْر كان دليلاً بنى رِكَانَةَ في تجارتهم، فكان يقال «قدمت غير قُرَيْش»، وأبوه بَدْر بن يَحْلُد صاحب بَدْر [الموضع] الذي كانت به الوقعة المشهورة، وذكر عن عمه أن فيها هو قُرَيْش، قال: وقد اجتمع النَّسَاب من قُرَيْش وغيرهم أن قُرَيْشًا إنما تفرقت عن فِهْر. والذي عليه من أدركت من نساب قُرَيْش أن وَلَدَ فِهْر بن مالك قُرَيْش، ومن جاوز فِهرا فليس من قُرَيْش.

١٥

(١) محمد بن كعب بن سليم القرظي، تابعي مكرري، في تحديد وفاته خلاف. انظر طبقات القراء.

٢٢٣ : ٢

(٢) في الروض الأنف ١ : ٧٠، والبدية والنهاية ٢ : ٢٠٠ والخبر عن البشر ٣ : ٣٨ (قسم أول).

« فيفردونهم »

٢٠

(٣) التكملة عن نسب قُرَيْش (الورقة ٤ ب)، والروض الأنف ١ : ٧٠.

(٤) في البدية والنهاية ٢ : ٢٠٠، والروض الأنف ١ : ٧٠ : « وقد أجمع »، وفي الخبر عن

البشر ٣ : ٣٨ (قسم أول)، « وقد أجمع فنساب قُرَيْش ».

وروي عن هشام بن السائب : أن النضر بن كنانة هو قُريش . وقيل عنه في موضع آخر : ولد مالك بن النضر فهرا وهو جُحّاع قُريش . وقال أبو عبيدة معمر ابن المنّى : أوّل من وقع عليه اسم قُريش النضر بن كنانة ، فولده قُريش دون سائر بني كنانة . وقال أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد : قُريش مأخوذ من القُرش ، وهو وقع الأسيّة بعضها على بعض ؛ لأن قُريشا أحنق الناس بالطعان .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأل عمرو بن العاص : لم سميت قُريش قُريشا ؟ قال : بالقُرش ، دابة في البحر تأكل الدواب لشتتها . وقال : المطزّي : هي ملكة الدواب ، وسيّدة الدواب وأشدّها ، فكذلك قُريش سادات الناس .

وكان فهر رئيس الناس بمكة . والله أعلم .

وأما غالب بن فهر ، فكنته أبو تيم ، وأمه ليلى بنت الحارث ، بن تيم ، بن سعد ، بن هذيل ، بن مدركة ، ولغالب هذا من الولد : ثوى ، وتيم الأدرم ، وكان تيم كاهنا ، وإنما قيل له تيم الأدرم لأن أحد لحية كان أقص من الآخر . وفي قُريش تيمان : تيم بن مرة ، وتيم الأدرم . قال ابن قتيبة : « بنو الأدرم من أعراب قُريش ليس بمكة منهم أحد » . والله أعلم .

(١) انظر لسان العرب « قرش » . (٢) في البداية والنهاية ٢ : ٢٠٢ : أن معاوية قال لابن عباس الخ . والذين روى هذا الخبر اختلفوا على أنه عن ابن عباس ؛ فالمقبول ابن عباس ، وهو المألوف . فلعن صحة الكلام : « رضي الله عنهما أنه سأله » . وانظر شرح المواهب للزرقاني ١ : ٧٦ ، نزاهة الأدب للبغدادى ١ : ٩٨ - ٩٩ . (٣) في الأصل : « وقال الطرز » ، والتصحيح عن حياة الجبران ٢ : ٢١٥ . (٤) في الأصل : « وكنته » .

(٥) في الكامل لابن الأثير ٢ : ١٠ : « الحارث بن تيم » . (٦) المعارف ص ٣٢ .

(٧) في الروض الأنف ١ : ٧١ : « قال الزبير : « بنو الأدرم هؤلاء هم أعراب مكة ، وهم من قُريش الظواهر لا من قُريش الطالح » . وانظر المحرر لابن حبيب ص ١٦٨ .

وأما لُؤَيُّ بن غالب، فكنيته أبو كعب،^(١) وأمه عاتكة بنت يَحْمَد، بن النَّضَر بن كنانة، وهي إحدى العواتك اللاتي ولدن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛^(٢) وقيل: بل أمه سلمى بنت عمرو بن ربيعة (وهو لُحَي بن حارثة) الخزاعية.^(٣)

وأما كعب بن لُؤَيٍّ، فكنيته أبو هُصَيْن،^(٤) وأمه ماوية بنت كعب بن القَيْن ابن جَسْر النَّضَاعِيَّة. قيل: إنما سُمِّي كعب كعبا لارتفاعه على قومه، وشرفه فيهم. وكان عظيم القدر عند العرب؛ فلهذا أَرْخُوا بموته إلى عام الفيل، ثم أَرْخُوا بالفيل؛ رَوَى أَبُو نَعِيم في "الدلائل" عن الطَّبْرَانِي بسنده إلى عبد العزيز بن أبي ثابت قال: «أَرْخَتْ كِنَانَةُ من موت كعب بن لُؤَيٍّ، وَأَرْخَتْ قُرَيْش بعد موته من عام الفيل؛ وبين موت كعب والفيل خمسمائة سنة وعشرون سنة».^(٥)

«وكعب هذا أَوَّل من سَمِيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْجُمُعَةَ، وكانت العرب تسمي يوم الجمعة العُرُوبَةَ»؛ قاله المنهيلي. ومعنى العُرُوبَةُ الرحمة فيما بلغني عن أهل العلم، وإنما سماه الجمعة لاجتماع قُرَيْش فيه وخطبته [فيهم].^(٦)
وأَوَّل من قال «أما بعد» كعب؛ فكان يقول: «أما بعد، فاستمعوا وأفهموا». ثم قال: «حَرِّمَكُم عَظْمُوهُ وَتَمَسَّكُوا بِهِ، وَسَيَأْتِي لَكُم نَبَأٌ عَظِيمٌ، وَسَيُخْرِجُ لَه نَبِيٌّ كَرِيمٌ».^(٧)

(١) في الأصل: «وكنيته». (٢) في ابن الأثير ٢: ١٠، والطبري ٢: ١٨٦.
(٣) في الأصل وابن الأثير ٢: ١٠: «وهو يحيى بن حارثة»
تصحيف: وانظر الروض الأنف ١: ٦١ - ٦٢ (٤) كأنها نسبت إلى الماء لصفاتها.
الروض الأنف ١: ٦١. (٥) في الوافي بالوفيات ١: ١٠: «والفيل مئة سنة»؟
(٦) الروض الأنف ١: ٦. (٧) تمككة عن الاكتفاء (الورقة ١٥)، وفي الخبر
عن البشر ٣: ٤٤ (قسم أول): «لا اجتماع قريش فيه إلى كعب بن لؤي وخطبه».
(٨) في الخبر عن البشر ٣٠: ٤٥ (قسم أول): «فسألت له نبأ عظيم، وسخرج به بي».

قال السهيلي : « وكان يخطبهم ويذكرهم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويُعلمهم أنه من ولده ، ويأمرهم باتباعه والإيمان به ، وينشد ويقول :
بالتنني شاهدُ فحواء دعوته * إذا قرئشُ تبغى الحقَّ خذلانا ^(١) »

وأما مُرَّةُ بن كعب ، فكنيته أبو يَظْظَة ، وأمه مخشبة ، وقيل وحشية بنت شيبان ، بن محارب ، بن فهر . وفي مُرَّةٍ يجتمع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونسب أبي بكر الصديق ، وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهما .

وأما كلابُ بن مُرَّة ، فكنيته أبو زهرة ، وأسمه حكيم . وِكَلاب لقب غلب عليه ، وسبب ذلك أنه كان مُحباً للصيد مولماً به ، وكان أكثرُ صيده بالِكَلاب ، وجمع منها شيئاً كثيراً ، فكان إذا مرَّ بقوم يَكَلابه قالوا : « هذه كلابُ ابن مُرَّة ، فغلب ذلك عليه ، وفيه يقول الشاعر :

حكيمُ بن مُرَّة سادَ الورى * يبذل النِّوالَ وكَفَّ الأذى

وأمُّ كلاب هند بنت سرير ^(٢) ، بن ثعلبة ، بن الحارث ، بن فهر ، بن مالك ، بن نكتة . ويقال : إن كلاباً هذا أولُ من جعل في الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرةً للكعبة .

(١) في الأصل : « ويذكرهم بمبعث » . والمثبت عن الروض الأثف ١ : ٦ .

(٢) في الاكتفاء (الورقة ١٥) ، والخبر عن البشر ٣ : ٤٥ (قسم أول) :

* حين العشرة تبغى الحق خذلانا *

وفحواء الكلام ، وفحواء : معناه . وانظر شرح الزرقاني على المواهب ١ : ٧٥ .

(٣) في الأصل « وكنيته » .

(٤) في المقدمة الفاضلية (الورقة ١١٨) : « هند بنت سر الفهرية » ، وورد اسمها في الخبر عن البشر ٣ : ٤٧ (قسم أول) : « نعم بنت السرير » ، وفي المعارف لابن قتيبة ص ٥٧ : « نعم ابنة سرير » .

وأما قُصَيٌّ بن كلاب فاسمه زيد، وكنيته أبو المغيرة، وقُصَيٌّ لقبه، ويلقب
أيضاً مجماً. قال السهيلي: «في قُصَيٍّ» تصغير قُصَيٍّ: أي بعيد. وقال الرشاطي: «وإنما
قيل له قُصَيٌّ لأن أباه كلاب بن مرة كان قد تزوج فاطمة بنت سعد بن سَيْل،
واسم سَيْل، خير بن حمالة، بن عوف، بن عثمان، بن عامر (وهو الجادر) بن جعثمة، وهو
يَشْكُر، وهم من الأزد. فولدت له زهرة وزيدا، ثم هلك كلاب وزيد صغيراً فطم،
وقال السهيلي: إنه كان رضيعاً، «فتزوج فاطمة أم قُصَيٍّ ربيعة بن حرام، بن ضنة، بن عبد،
ابن كبير، بن عذرة، بن سعد، بن زيد، بن قضاة، فاحتلمها ربيعة ومعهما زيد،
فربي زيد في حجر ربيعة، فسمي قُصَيّاً لبعده عن دار قومه» .

وقال الخطابي: «سمي قُصَيّاً لأنه قُصِيَ قومه، أي نقصاهم بالشام فنقلهم
إلى مكة». قال الرشاطي: «ثم إن زيدا وقع بينه وبين ربيعة شر،
فقيل له: ألا تلحق بقومك؟ وعير بالعُربة، وكان لا يعرف لنفسه أباً غير
ربيعة، فرجع قُصَيٌّ إلى أمه، وشكاهما ما قيل له، فقالت له: يا بني،

(١) في الأصل: «واسمه». (٢) في الإكمال لابن ماكولا ٢: ٦٩ ب:
«خير بن جمال»، وفي ابن الأثير ٢: ٧: «جبر بن جمالة». (٣) هكذا ورد في الإكمال لابن ماكولا
٢: ٦٩ ب: «عوف بن عثمان»، وفي الاشتقاق لابن دريد ص ٢٥، ونسب قريش
(ق ٥ أ)، والطبري ٢: ١٨١، والخبر عن البشر ٣: ٤٨ (قسم أول): «عوف بن غم» .

(٤) في الأصل: «عامر بن الجادر»، وهي إحدى روايات الإكمال، والمثبت رواية
الروض الأنف (١: ٨٤)، وتوافق رواية الإكمال الثانية. (٥) سمي الجادر لأنه أول
من جدر الكعبة. (٦) تكرر ورود هذا العلم في الخبر عن البشر ٣: ٤٨، ٥٠ (قسم أول)

هكذا: «خثمة» بالخاء المعجمة بعدها ثاء مثناة. (٧) في سيرة ابن هشام ١: ١٠٩، والطبري
٢: ١٨١، والإكمال والخبر عن البشر ٣: ٤٨، ٥٠ (قسم أول): «جعثمة ابن يشكر» .
(٨) في الروض الأنف ١: ٨٤. (٩) في الأصل: «حرام بن ضبة بن عبد كثير»، وفي ابن

الأثير ٢: ٧: «ضبة بن عبد بن كثير» تصحيف، وانظر الإكمال ١: ١٣٣ ب، والطبري ٢: ١٨١،
والإنباه لابن عبد البر ص ٨٢. (١٠) في الأصل: «قال الرشاطي وإن» .

أنت أكرم منه نفساً وأباً، أنت ابن كلاب بن مُرة، وقومك بمكة عند البيت الحرام.
فاجمع قصي^(١) على الخروج، فقالت له أمه: أقيم حتى يدخل الشهر الحرام، فتخرج
في حاج العرب، فلما دخل الشهر الحرام خرج مع حاج قضاة حتى قديم مكة،
فجَّ وأقام بمكة.»

وكان الذي يلي أمر البيت يومئذ حليل، بن حنيفة، بن سلول، بن كعب،
ابن عمرو الخزاعي. فخطب إلى حليل بن حنيفة ابنته حبي. فعرف حليل نسبه
فزوجها، وأقام قصي معه، فولدت له حبي أولاده، وهم: عبد مناف، وعبد العزى،
وعبد الدار، وعبد، وبرة، وتحممر (وهي بالناء المشاة من فوق وخاء معجمة ساكنة
وميم مضمومة وراء).

فلما انتشر ولده، وكثر ماله، وعظم شرفه هلك حليل، وأرضى ولاية البيت
لأبنته حبي. فقالت: إني لا أقدر على فتح الباب وإغلاقه، فحملت ذلك إلى سليم^(٢)
ابن عمرو بن بوي، بن ملكان، وهو أبو غيثان، ويقال له المحترش، فاشتري قصي^(٣)
منه ولاية البيت بزق نحر وقعود، فضربت به العرب المثل، فقالوا: «أخسر من
صفقة أبي غيثان»^(٤). فنازعته حراة البيت فأترعه منهم. والله الناصر.

(١) في الأصل: «فاجتمع»، والمثبت عن الطبري ٢: ١٨٢.

(٢) في ابن الأثير ٢: ٨: «فحمل ذلك».

(٣) القعود: الكر من الإبل حين يمكن ظهره من الركوب، وأدنى ذلك أن يأتي عليه ستان.

(٤) أنورد الميداني (١: ١٤٦) المثل بصيغة: «أحق من أبي غيثان»، وعكس رواية النويري
أيضاً وانظر تاج العروس (غيش).

ذكر خبر أنزاع قصي البيت ومكة من خزاعة

ومن ولي البيت بعد إسماعيل عليه السلام إلى أن أنزعه قصي بن كلاب

قال محمد بن إسحاق بن يسار: ^(١) « لما توفي الله تعالى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام،

وولي البيت بعده أبنته نابت بن إسماعيل ما شاء الله أن يليه، ثم ولي البيت بعده مضاض

ابن عمرو الجرهمي، وبنو نابت مع جدتهم مضاض بن عمرو وأخوالهم من جرهم، وجرهم

وقطوراء يومئذ أهل مكة، وهما أبنا عم، وكانا ظعنا من اليمن، فأبلا سياره، وعلى

جرهم مضاض بن عمرو، وعلى قطوراء السميدع، ^(٢) رجل منهم. فلما نزل مكة رأوا بلدا

ذا ماء ونخيل، فاعجبهما فزلا به، فقتل مضاض بمن معه من جرهم أعلى مكة ^(٣) قبيعان

فما حاز، ونزل السميدع بقطوراء أسفل مكة بأجياد فما حاز، وكان كل منهما ^(٤) يعشر

من دخل مكة مما يليه، وكل منهما في قومه لا يدخل على صاحبه. »

« ثم إن جرهما وقطوراء بنى بعضهم على بعض، وتنافسوا الملك بها، ومع مضاض

بنو إسماعيل وبنو نابت، وإليه ولاية البيت دون السميدع، فصار بعضهم إلى بعض؛

فخرج مضاض بن عمرو من قبيعان في كتبه سائرا إلى السميدع ومع كتبه عدتها من

الرماح والدرق والسيوف والجلاب، ^(٥) فيقع [ملك]، فيقال ماسي قبيعان قبيعان

إلا لذلك. وخرج السميدع من أجياد ومعه الخيل والرجال، فيقال ماسي أجياد أجيادا

(١) انظر سيرة ابن هشام ١: ١١٧ - (٢) السيارة: القاطعة - (٣) وكانوا إذا خرجوا

من اليمن جلاوا عليهم مكة يوم يأمرهم - الروض: الأنف ١: ٨٠ - (٤) قبيعان: بضم القاف

الأموي وكثر الثانية، وضع العين: جبل مكة، جميع البلدان ٧: ١٣٣ - (٥) أجياد: موضع

بمكة على المضايق، انظر ٢: ٢٤٧ - (٦) يعشر: يأخذ عجزا أو الهمة - (٧) زيادة

إلا لخروج الجياد من الخيل منه مع السَّيِّدِ ع. فَأَتَّفَقُوا بِفَاضِحٍ ^(٢) وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَفُتِلَ السَّيِّدِ ع، وَفُضِحَتْ قَطُورَاءُ، ^(١) فَيَقَالُ مَا سُمِّيَ فَاضِحًا إِلَّا لَذَلِكَ .

ثم إن القوم تداعوا إلى الصَّحْ، فساروا حتى نزلوا المَطَايِخَ : شُعْبًا بِأَعْلَى مَكَّةَ، فَأَصْطَلَحُوا بِهِ ، وَأَسْلَمُوا الْأَمْرَ إِلَى مُضَاضٍ . فلما اجتمع إليه أَمْرُ مَكَّةَ ، وَصَارَ مُلْكُهَا لَهُ ، نَحَرَ لِلنَّاسِ فَطَبَخُوا وَأَكَلُوا، ^(٣) فَيَقَالُ مَا سَمِيَتْ الْمَطَايِخُ الْمَطَايِخَ إِلَّا لَذَلِكَ .
وبعض أهل العلم يزعم أنها إنما سميت المطايخ لما كان تُبْعُ نَحْرُهَا وَأَطْعَمَ وَكَانَتْ منزلة . والله أعلم .

«فكان الذي كان بين مُضَاضٍ وَالسَّيِّدِ ع أَوَّلَ بَغْيٍ كَانَ بِمَكَّةَ . ثم نشر الله ولد إسماعيل بمكة ، وأخوالهم من جُرْهُمُ وَلَاءُ الْبَيْتِ وَالْحُكَّامُ بِمَكَّةَ ، لَا يَنَازِعُهُمْ وَلَدُ إسماعيلَ فِي ذَلِكَ لَخَثُولَتِهِمْ وَقَرَابَتِهِمْ ، وَإِعْظَامَا لِحُرْمَةِ أَنْ يَكُونَ بِهَا بَقِيٌّ أَوْ قِتَالٌ ؛ فَلَمَّا ضَاقَتْ مَكَّةُ عَلَى وَلَدِ إسماعيلَ أَنْتَشَرُوا فِي الْبِلَادِ ، فَلَا يَنَارِثُونَ قَوْمًا إِلَّا أَظْهَرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِدِينِهِمْ » .

«ثم إن جرهمًا بغوا بمكة ، وَأَسْتَحْلَوْا خِلَالَآ مِنَ الْحُرْمَةِ ، وَظَلَمُوا أَنْ دَخَلُوا مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا ، وَأَكَلُوا مَالَ الْكَعْبَةِ الَّذِي يُهْدَى لَهَا ، فَرَفَى أَمْرُهُمْ . فلما رأت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وَغُبْشَانُ مِنْ نَحْرَاعَةِ ذَلِكَ ، أَجْمَعُوا لِحَرْبِهِمْ وَإِحْرَاجِهِمْ مِنْ مَكَّةَ ؛ فَأَذْنَوْهُمْ بِالْحَرْبِ فَأَقْتَتَلُوا ، فَغَلِبَتْهُمْ بَنُو بَكْرٍ وَغُبْشَانُ ، فَنفَوْهُمْ مِنْ مَكَّةَ ؛ وَكَانَتْ مَكَّةُ فِي الْجَاهِلِيَةِ لَا تُقَرُّ فِيهَا ظُلْمًا وَلَا بَغْيًا » .

(١) أجياد : جمع جواد ؛ يقال فرس جواد : بين الجودة والجمع أجياد . فلا محل لاء تراض السيل في الرض الألف ١ : ٨٠ ، وانظر تاج الدروس « جود » .

(٢) فاضح : موضع قرب مكة عند جبل « أبي قيس » . ياقوت ٦ : ٣٣٢ .

(٣) في سيرة ابن هشام ١ : ١١٧ : « نحر للناس فاطعمهم ، فاطبخ للناس وأكلوا » .

٥

١٠

١٥

٢٠

قال ابن إسحاق : « فخرج عمرو بن الحارث بن مُضاض الجُرهمي - بَغزَالِي الكعبة ^(١) وَبَحَجَر الركن ، فدفعها في زَمْرَم ، وَأَنْطَلَق هو وَمَنْ مَعَهُ مِنْ جُرْهُم إِلَى الْيَمَنِ ، فَخَزَنُوا عَلَى مَا فَارَقُوا مِنْ أَمْرِ مَكَّةَ وَمُلْكِهَا حَزَنًا شَدِيدًا ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ [الْحَارِثِ] ^(٢) بْنُ مُضَاضٍ فِي ذَلِكَ ، وَلَيْسَ بِمُضَاضٍ الْأَكْبَرُ » . والله المَعِين :

[وَفَائِلَةٌ وَالْدَّمْعُ سَكْبٌ مُبَادِرٌ * وَقَدْ شَرِفتْ بِالْدَّمْعِ مِنْهَا الْمُجَاحِرُ ^(٣)]
 كَانَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْجَعُونَ إِلَى الصُّفَا * أَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرِ
 [فَقَتَتْ لَهَا وَالْقَلْبُ مَتَى كَأَمَّا * يُلْجَلِجُهُ بَيْنَ الْجَنَاحِينَ طِبَاطِرُ ^(٤)]
 بَلَى ! نَحْنُ نَكُنَّا أَهْلَهَا فَارَا لَنَا * صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَائِرِ
 وَكَأُولاةَ الْبَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَابِتِ * نَطُوفُ بِذَلِكَ الْبَيْتِ وَالْخَيْرُ ظَاهِرِ
 وَنَحْنُ وَلَيْنَا الْبَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَابِتِ * بِمَرْفَأٍ يَحْطِى لَدَيْنَا الْمَكَائِرِ
 مَلَكًا فَعَزَّزْنَا فَأَعْظَمَ بِمُلْكِنَا * فَلَيْسَ لِحَى غَيْرِنَا ثَمٌّ فَاخِرِ
 أَلَمْ تُنْكِحُوا مِنْ خَيْرِ شَخْصٍ عِلْمُهُ ^(٥) * فَأَبْنَاؤُهُ مِنَّا وَنَحْنُ الْأَصَاهِرِ
 فَإِنْ تَنَتْنِ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بِحَالِهَا * فَإِنْ لَهَا حَالًا وَفِيهَا التَّشَابُرِ
 فَأَخْرَجْنَا مِنْهَا الْمَلِكَ بِقُدْرَةِ * كَذَلِكَ يَا لِلنَّاسِ تَجَرِي الْمَقَادِرِ
 أَقُولُ إِذَا نَامَ الْخَلِيُّ وَلَمْ أُنَمْ : * أَذَا الْعَرْشِ لَا يَتَعَدَّ سُهَيْلٌ وَعَامِرِ
 وَبُدَّتْ مِنْهَا أَوْجُهَا لَا أَحِبَّهَا * قِبَائِلَ مِنْهَا حَيْرٌ وَبِحَارِ ^(٦)
 وَصِرْنَا أَحَادِيثًا وَكُنَّا يَغْبِطُهُ * بِذَلِكَ عَضَّتْنَا السَّنُونُ الْغَوَابِرِ

(١) هَاتِمَتَانِ لَفَزَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ ، دَفَعَهَا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ فِي زَمْرَم . انظر الروض الأثَر
 ٩٧ : ١ ، ٩٨ : ١ ، وشرح المواهب ٩٢ : ١ . (٢) إضافة عن سيرة ابن هشام ١ : ١٢٠ .
 (٣) الجعون فتح الحاء : جبل بأعلى مكة . ياقوت ٣ : ٢٢٧ . (٤) يريد إسماعيل
 عليه السلام . الخشني ١ : ٣٨ . (٥) يحارب بوزن (يقاتل) : قبيلة من اليمن ، أوقيلة مراد .
 انظر تاج العروس (عبر) ، الخشني ١ : ٣٨ .

[وبذلنا كعب بها دار غربة * بها الذئب يعوى والعدو المكاشف^(١)]

فسحّت دموع العين تيكى لبلدة * بها حرم أمن وفيها المشاعر^(٢)

وتيكى ليبت ليس يؤذى حمامه * يظل به أمنا وفيه العصافر

وفيه وحوش لا ترام أنيسة * اذا خرجت منه فليست تُعادر

وقال أيضا يشير إلى بكر وعُشّان الذين خلفوا مكة بعدهم :

يا أيها الناس سيروا إن قصركم^(٣) * أن تُصيحوا ذات يوم لا تسيرونا

حنوا المطى وأرخوا من أزميتها * قبل الممات وقضوا ما تقضون

نكحنا أناسا كما كنتم فغيرنا * دهر فأنتم كما كنا تكونونا

قال ابن هشام^(٤) : « حدثني بعض أهل العلم بالشعر ، أن هذه الأبيات أول شعر

قيل في العرب ، وأنها وجدت مكتوبة في حجر باليمن ، ولم يُسم لي قائلها » .

قال ابن إسحاق^(٥) : « ثم إن عُشّان من نخاعة وليت البيت دوت بن بكر

ابن عبد مناة ، وكان الذي يليه منهم عمرو بن الحارث العُشّاني ، وقريش إذ ذاك

حُلُول وصِرم ، وبيوتات متفرقون في قومهم من بني كنانة ، فوليت نخاعة البيت

يتوارثون ذلك كابرا عن كابر ، حتى كان آخرهم حُلَيْل بن حُبَيْشة بن سلول بن كعب

ابن عمرو الخزاعي . فخطب قُصَي بن كلاب إلى حُلَيْل أخته حُيَي ، فرغب فيه

حُلَيْل فزوجه ، فولدت له عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ، وعبد » .

« فلما انتشر ولد قُصَي وكثر ماله ، وعظم شرفه هلك حُلَيْل ، فرأى قُصَي أنه

أولى بالكعبة ، وبأمر مكة من نخاعة وبني بكر ، وأن قُرَيْشاً فرقة إسماعيل بن

(١) عن معجم البلدان ٣ : ٢٢٨ . (٢) الشاعر : مواضع مشهورة يعتمد عليها . الخشبي ١ : ٣٨ .

(٣) قصركم : نهايتكم وغايتكم . (٤) سيرة ابن هشام ١ : ١٢٢ . (٥) الحُلُول : جماعة البيوت المحيطة ، والصِرم : الجهة يزولون بإلهم ناحية على ماء . (٦) في سيرة ابن هشام ١ : ١٢٢ : « فرقة » بالقاف ، والفرقة بضم القاف : نخبة الشيء ، وخياره . والمراد بالفرقة هنا أن قُرَيْشاً أعل ولد إسماعيل .

إبراهيم وصريح ولده، فكلم رجلاً من قريش وبني كنانة، ودعاهم إلى إنجراح نزعته وبني بكر من مكة، فأجابوه .

وكان ربيعة بن حرام من عذرة بن سعد بن زيد مناة قد قديم مكة بعد هلاك كلاب، فتزوج فاطمة بنت سعد بن سيل - وزهرة يومئذ رجل، وقصى قاطم - فاحتملها إلى بلاده، فحملت قصياً معها وأقام زهرة، فولدت لربيعة رزاحا . فلما بلغ قصى وصار رجلاً أتى مكة فأقام بها، فلما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه كتب إلى أخيه من أمه رزاح بن ربيعة، يدعوه إلى نصرته والقيام معه؛ فخرج رزاح بن ربيعة ومعه إخوته: حن بن ربيعة، ومحمود ابن ربيعة، وجلهنة بن ربيعة، وهم لغير فاطمة، فبعت تبعهم من قضاة في حاج العرب، وهم مجمعون لنصرة قصى .

«وكان القوث بن مر بن أذ بن طابخة بن إلياس بن مضر يلى الإجازة للناس بالبحر من عرفة، وولده من بعده، وكان يقال له ولولده صوفة^(١). وإنما ولي القوث ذلك لأن أمه كانت من بني جرهم، وكانت لا تبا، فنذرت لله إن هي ولدت رجلاً أن تصدق به على الكعبة عبداً لها يخدمها، ويقوم عليها؛ فولدت القوث، فكان يقوم على الكعبة في الدهر الأول مع أخواله من جرهم، فولى الإجازة بالناس من عرفة، لمكانه الذي كان به من الكعبة، وولده من بعده حتى انقرضوا .

«وكان القوث بن مر إذا دفع بالناس قال :

لا هم إلى تابع تباعة * إن كان إثم فعلي قضاة^(٢)

(١) في سبب تسميته صوفة أقوال ذكرها السهيلي في الروض الأنف ١ : ٨٥ .

(٢) التباعة : ما يتبعه الإنسان ويقتدى به، وإنما قال : « إن كان إثم الخ »، لأنه كان

في قضاة من يشغل الأشهر الحرم، فجعل إثم ذلك عليهم . الخفي ٣ : ٤٠ .

قال ابن إسحاق : « كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة ، وتُجيزهم إذا نفروا من مي ، حتى إذا كان يوم النفر أتوا رعى الجمار ، ورجل من صوفة يرمى للناس ، لا يرمون حتى يرمى ، فكان ذوو الحاجات المتعجلون يأتونه فيقولون له : قم فأرم حتى نرى [معل^(١)] ؛ فيقول : لا والله ، حتى تميل الشمس ، فيظل ذوو الحاجات يرمونه بالجمارة ويقولون له : وياك ! قم فأرم ، فيأبى عليهم ، حتى إذا مالت الشمس قام فرمى ، ورمى الناس معه » .

« فلما مرغوا من رمى الجمار ، وأرادوا النفر من مي أخذت صوفة بجاني العقبة ، فحبسوا الناس وقالوا : أجزى صوفة . فلم يجز أحد من الناس حتى يمروا ، فإذا نفرت صوفة ونصت خلئ سبيل الناس فأنطلقوا بصددهم ؛ فكانوا كذلك حتى أقهرضوا ، فورثهم في ذلك بنو سعيد بن زيد مائة ، من تميم ، وكانت من بني سعيد في آل صفوان بن الحارث بن شجعة ؛ فكان صفوان هو الذي يُميز الناس بالبح من عرفة ، ثم بنوه من بعده ، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام كرب بن صفوان ؛ وفي ذلك يقول أوس بن مقرن من قصيدة :

لا يبرح الناس ما حجوا مرفهم * حتى يقال أجزوا آل صفوانا^(٢)

« وكانت الإفاضة في عدوان يتوارثون ذلك كباراً عن كبار ، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام أبو سيارة عميلة بن الأعزل ، وكان أبو سيارة يدفع بالناس على أن لا له ، فبوجه ضرب المثل : « أصبح من غير أبي سيارة » ؛ لأنه دفع بأهل الموسم عليه أربعين عاماً » .

(١) الفكة عن الطبري ٢ : ١٧٢ ، وسيرة ابن هشام ١ : ١٢٦ . (٢) المترف : اللطف مرفات . ورواية النسان : صوف ، عرق) :

(٢) رواية اللباني ١ : ٢٧٧ ، ولسان العرب (سير) : « أصبح من غير أبي سيارة » .

نعود إلى أخبار قُصَيِّ بنِ كَلَّابٍ ، « [فلما كان ذلك العام ، فعلت صُوفَةٌ كما كانت تفعل ، وقد عرفت ذلك لها العرب ، وهو دينٌ في أنفسهم من عهد جرهم وخراعة وولايتهِم ، فاتاهم قُصَيٌّ ^(١)] بمن معه من قومه من قُرَيْشٍ وكنانة وقضاعة عند العقبة فقال : لا تجرّ - لنحن أولى بهذا منك - ، فقاتلوه ، فآقتل الناس قتالاً شديداً ، ثم انهزمت صُوفَةٌ ، وغلبهم قُصَيٌّ على ما كان بأيديهم من ذلك » .

« وانحازت عند ذلك خُرَاعَةٌ وبنو بكر عن قُصَيِّ ، وعرفوا أنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة ، فلما انحازوا عنه باداهم وأجمع لحربهم ، وخرجت إليه خُرَاعَةٌ وبنو بكر ، فالتقوا وقاتلوا قتالاً شديداً حتى كثرت القتلى في الفريقين ، ثم تداعوا إلى الصالح ، وأن يحكموا بينهم رجلاً من العرب ، فحكوا يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، ففَضَى أن قُصَيًّا أولى بالكعبة وأمر مكة من خُرَاعَةٍ ، وأن كل دَمٍ أصابه قُصَيٌّ من خُرَاعَةٍ ونحو بكر موضوعٌ بَشَدْحِهِ تحت قدميه ، وأن ما أصابت خُرَاعَةٌ وبنو بكر من قُرَيْشٍ وكنانة وقضاعة ففيه الدية مؤذاة ، وأن يُحْلَى بين قُصَيِّ وبين الكعبة ومكة . فسمي يعمر بن عوف يومئذ الشَّدَاخَ ، لما شَدَخَ من الدماء ووضع منها » .

قال : « فولى قُصَيٌّ البيت وأمر مكة ، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة ، وتلك على قومه وأدل مكة فأكوه ، إلا أنه أقر للعرب ما كانوا عليه ، وذلك أنه كان يراه

(١) النكتة عن سيرة ابن هشام : ١ : ١٣٠ ، حيث النقل عن ابن إسحاق أيضاً ، وانظر الطبري

٢ : ١٨٣ . (٢) في تاريخ الطبري ٢ : ١٨٣ : « منكم ، فأكروه الخ » . (٣) باداهم :

كاشفهم . (٤) كان يصر هذا أحد حكام العرب . انظر الحبر لابن حبيب ص ١٢٢ -

(٥) هذا هو المعروف بين المؤرخين ، وفي الخبر أنه « حكم بينهم » ، وبارأ (سوى) بين الدماء ،

وعلى أن لا يخرج خُرَاعَةٌ من الكعبة » . (٦) لا يزال النقل عن ابن إسحاق ، وانظر سيرة ابن هشام

دِينًا فِي نَفْسِهِ لَا يَبْنِي تَغْيِيرُهُ؛ فَأَقْرَأَ آلَ صَفْوَانَ، وَعَدَّوَانَ، وَالنَّسَاءَ، وَمِرَّةَ بْنَ عَوْفٍ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ، حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامَ، فَهَدَمَ اللَّهُ بِهِ ذَلِكَ كُلَّهُ. »

«فَكَانَ قُصَى- أَوَّلَ مَنْ أَصَابَ مُلْكًا مِنْ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَى-، وَكَانَتْ إِلَيْهِ الْحِجَابَةُ، وَالسَّقَايَةُ، وَالرَّفَادَةُ، وَالنَّدْوَةُ، وَاللَّوَاءُ؛ فَازْشَرَفَ مَكَّةَ كُلَّهَا، وَقَطَعَ مَكَّةَ رِبَاعًا بَيْنَ قَوْمِهِ، فَأَنْزَلَ كُلَّ قَوْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ مَنَازِلَهُمْ مِنْ مَكَّةَ، فَسَمَّاهُ قُرَيْشَ مُجْتَمَعًا لِمَا جُمِعَ مِنْ أَمْرِهَا، وَتَمَيَّنَتْ بِأَمْرِهَا؛ فَمَا تُنْكِحُ أَمْرًا، وَلَا يَتَرَوِّجُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَلَا يَتَشَاوَرُونَ فِي أَمْرٍ نَزَلَ بِهِمْ، وَلَا يَعْقِدُونَ لَوَاءً لِحَرْبٍ قَوْمٌ غَيْرِهِمْ إِلَّا فِي دَارِهِ؛ يَعْقِدُهُ لَهُمْ بَعْضُ وَلَدِهِ، وَمَا تَدَّرِعُ جَارِيَةً إِذَا بَلَغَتْ أَنْ تَدَّرِعَ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا فِي دَارِهِ، يُسَقُّ عَلَيْهَا فِيهَا دَرْعُهَا ثُمَّ تَدَّرِعُهُ، ثُمَّ يُنْطَلِقُ بِهَا إِلَى أَهْلِهَا. »

«فَكَانَ أَمْرُهُ فِي قَوْمِهِ مِنْ قُرَيْشٍ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ، كَالَّذِينَ اتَّبَعُوا لَا يَعْمَلُ بغيره. وَاتَّخَذَ لِنَفْسِهِ دَارَ النَّدْوَةِ، وَجَعَلَ بَابَهَا إِلَى مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ؛ فَفِيهَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَقْضِي أُمُورَهَا » قَالَ الشَّاعِرُ :

قُصَى لَعَمْرِي كَانَ يُدْعَى مُجْتَمَعًا * بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْفِيَاثَ مِنْ قَهْرٍ (٢)

قال ابن إسحاق : « فلما فرغ قُصَى مِنْ حَرْبِهِ أَنْصَرَفَ أَخُوهُ رِزَاحُ بْنُ رَبِيعَةَ بَيْنَ مَعِهِ إِلَى بِلَادِهِ ». قَالَ : « فَلَمْ يَزَلْ قُصَى عَلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا كَبُرَ وَرَقَّ عَظْمُهُ - وَكَانَ عَبْدَ الدَّارِ بَكْرًا، وَكَانَ عَبْدُ مَنَافٍ قَدْ شَرُفَ فِي زَمَانِ أَبِيهِ وَذَهَبَ كُلُّ مَذْهَبٍ،

(١) جمع ناسي . وهم قوم من كنانة كان العرب إذا صدروا عن « منى » يقولون لأحد النساء : « أنسننا شمرا »، أى أخرنا حرمة المحرم وأجعلها في صفر؛ وبذلك تصبح الإغارة في شهر المحرم حلالا لهم . وفي تاج العروس (نساء)، والروض الأنف ١ : ٤١ - ٤٢ ذكر للذين كانوا يتولون إفساء الثمور . (٢) في سيرة ابن هشام ١ : ١٣٢ « وما يتشاورون » - (٣) رواية اللسان (جمع)،

وتهذيب الكمال للري (الورقة ١٤) : * أبوكم قُصَى كان يدعى مجعًا *

والبيت لحذافة بن غانم العذوى . (٤) سيرة ابن هشام ١ : ١٣٣، ١٣٦ .

وعبد العزى وعبد — قال لأبنته عبد الدار : أما والله يا بنى لأخيفنك بالقوم وإن كانوا قد شرفوا عليك ؛ لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها له ، ولا يعقد قريش لواء^(١) [لحربها] إلا أنت بيدك ، ولا يشرب رجل بمكة إلا من سقايته ، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاما إلا من طعامك ، ولا تقطع قريش أمرا من أمورهم إلا في دارك . فأعطاه داره : دار الندوة التي لا تقضى قريش أمرا إلا فيها ، وأعطاه المجابة واللواء والسقاية والرئاسة .

« وكانت الرئاسة حربا يخرجهم قريش في كل موسم من أموالها إلى قضى بن كلاب ، فيصنع به طعاما للحاج ، فيأكله من لم تكن له سعة ولا زاد . وقضى هو الذى فرض ذلك ، فقال [لهم] حين أمرهم به : يا معشر قريش ، إنكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم ، وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته ، وهم أحق الضيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج ، حتى يصيدروا عنكم . ففعلوا .^(٢) قل : « فلما هلك قضى بن كلاب أقام أمره في قومه من بعده بنوه ، فاخطوا مكة رباعا ، بعد الذى كان قد قطع لقومه بها ، فكانوا يبطونها في قومهم وفي غيرهم من حلفائهم ، ويبيعونها ، فأقامت قريش على ذلك معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع » ، إلى أن كان ما ذكره إن شاء الله تعالى في هاشم بن عبد مناف .

وحكى أبو عبد الله محمد بن عائذ الدمشقي في "مغازيه" زيادة في خبر قضى^(٦) نذكرها في هذا الموضع ، وإن كان قد نقص في غيره ، فقال في أثناء ما حكاه :

(١) التكملة عن سيرة ابن هشام ١ : ١٣٣ ، والطبرى ٢ : ١٨٤ (٢) التكملة عن سيرة ابن هشام ١ : ١٣٧ (٣) القائل ابن إسحق ، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ١٣٨ . (٤) في الأصل : « قد وقع لقومه » . (٥) في سيرة ابن هشام ١ : ١٣٨ : « فكانوا يقطعونها » . (٦) محمد بن عائذ (بالذال المعجمة) بن أحمد القرشي أبو عبد الله الدمشقي (١٥٠ - ٢٣٣) له ترجمة في تهذيب التهذيب ٩ : ٢٤٢ .

«إن البيت كان حوله غَيْضَةٌ وَالسَّيْلُ يَدْخُلُهُ، وَلَمْ يُرْفَعْ الْبَيْتُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا قَدِمَ الْحَاجُّ وَطَوَّهُ حَتَّى تَذْهَبَ الْغَيْضَةُ، فَإِذَا خَرَجُوا نَبَتَ». قال: «فلما قدم قُصَى قَطَعَ الْغَيْضَةُ، وَأَبْنَى حَوْلَ الْبَيْتِ دَارًا، وَنَكَحَ حُجَّى بِنْتَ حُلَيْلٍ».

وقال أيضا: «إِنْ قُصِيًّا قَالَ لَأَمْرَأَتِهِ حُجَّى: قَوْلِي لِحَدَثِكَ تَدُلُّ بَنَتَكَ عَلَى الْمَجْرٍ، فَلَمْ تَزَلْ بِهَا حَتَّى قَالَتْ: إِنِّي أَعْقِلُ أَنَّهُمْ حِينَ خَرَجُوا إِلَى الْيَمَنِ سَرَقُوهُ، وَنَزَلُوا مَزِيلًا وَهُوَ مَعَهُمْ، فَبَرَكَ الْجَمَلُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الْمَجْرُ، فَضْرِبُوهُ فَقَامَ، ثُمَّ سَارُوا فَبَرَكَ، فَضْرِبُوهُ فَقَامَ، ثُمَّ بَرَكَ الثَّالِثَةُ فَقَالُوا: مَا بَرَكَ إِلَّا مِنْ أَجْلِ الْمَجْرِ، وَدَفَنُوهُ، وَذَلِكَ أَسْفَلَ مَكَّةَ، وَإِنِّي لَأَعْرِفُ حَيْثُ بَرَكَ، فَخَرَجُوا بِالْحَدِيدِ وَخَرَجُوا بِهَا مَعَهُمْ، فَأَرْتَهُمْ حَيْثُ بَرَكَ أَوَّلًا وَثَانِيًا وَثَالِثًا، فَقَالَتْ: أَحَقُّرُوا هَهُنَا، فَخَفَرُوا حَتَّى يَسُوا مِنْهُ، ثُمَّ ضَرَبُوا فَأَصَابُوهُ وَأَخْرَجُوهُ، فَأُتِيَ بِهِ قُصَى، فَوَضَعَهُ فِي الْأَرْضِ، فَكَانُوا يَتَمَسَّحُونَ بِهِ وَهُوَ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى بَنَى قُصَى الْبَيْتَ». قال: «وَمَاتَ قُصَى وَدُفِنَ بِالْمَجْرُونِ». والله أعلم بالصواب.

وأما عبد مناف بن قصي فكنيته أبو عبد شمس، وأسمه المغيرة، وعبد مناف [لقبه]، وسبب ذلك أن أمه حُجَّى بنت حُلَيْلٍ الْحِزَامِيَّةَ أَخْدَمَتْهُ مَنَاءً، وَكَانَ مَنَاءُ صِنْمَا عَظِيمًا لَهُمْ، فَسَمَّى عَبْدَ مَنَاءَ بِهِ. ثُمَّ نَظَرَ قُصَى، فَرَأَاهُ يُوَافِقُ عَبْدَ مَنَاءَ بْنِ كَنَانَةَ، فَخَوَّلَهُ عَبْدَ مَنَافٍ. قاله السَّيْلِيُّ. [و] مَنَافٌ «مَفْعَلٌ» مِنْ أُنَافٍ يُنْفِ إِذَا أَرْتَفَعَ. وقال المِفْصَلُ: الْإِنْفَافَةُ الْإِشْرَافُ وَالزِّيَادَةُ، وَبِهِ سَمِيَ عَبْدُ مَنَافٍ لَطَوْلُهُ، وَمِنْهُ تَقُولُ: مَائَةٌ وَتَيْفٌ، أَيْ شَيْءٌ زَائِدٌ عَلَى الْمِائَةِ.

(١) فِي الْأَصْلِ: «رَكْنِيَّةٌ». (٢) تَكْلَهُ يَتَضَعُهَا الْبَيَاقُ. فِي الْأَصْلِ: «عَبْدُ مَنَافٍ، وَصَبَّحَ الْخ». (٣) الرُّوْضُ الْآفَافُ ١: ٦، فِي الْأَصْلِ: «قَالَ السَّيْلِيُّ». (٤) فِي الْأَصْلِ: «مَنَافُ الْخ»، عَلَى أَنَّهُ مَقُولٌ قَالَ، وَالمَثْبُوتُ اسْتِظْهَارُ. لَعَلَّهُ الْقَرِيبُ مِنَ الصَّوَابِ.

فكان قُصَيٌّ يقول : لى أربعة بنين سميتُ أبين بالهوى ، وهما عبد مناف وعبد المزى ، وواحدًا بدارى ، وهو عبد الدار ، وواحدًا بى ، وهو عبد قُصَيٍّ . يحكاه محمد بن عائذ فى "مغازيه" عن أم سلمة .

وقال محمد بن سعد : ^(١) « أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قال :

لما ذلك قُصَيٌّ بن كلاب قام عبد مناف بن قُصَيٍّ على أمر قُصَيٍّ بعده وأمر قُريش إليه ، وأخطت بمكة رباعا بعد الذى كان قُصَيٌّ قطع لقومه » .

قال : ^(٢) « وولد عبد مناف ستة نفر ، وست نسوة ، وهم : عبد المطلب بن عبد مناف

وكان أكبرهم ، وهو الذى عقد الحلف لقُريش من النجاشي فى متجراها إلى أرضه ،

وهاشم ، وأسمه عمرو ، وهو الذى عقد الحلف لقُريش من هراقل لأن تختلف إلى الشام

آمنة ، وعبد شمس بن عبد مناف ، ومخاض بنت عبد مناف ، وحجة ، وقلاية ، ^(٣)

وبرة ، وهالة ، وأُمهم عائكة الكبرى بنت مرة ، بن هلال ، بن فالح ، بن ثعلبة بن ذكوان ، بن

ثعلبة بن بهثة ، بن سليم ، بن منصور ، بن عكرمة ، بن خصفة ، بن قيس عيلان ، بن مضر .

وتوفى بن عبد مناف ، وهو الذى عقد الحلف لقُريش من كسرى إلى العراق ،

وأبو عمرو بن عبد مناف ، واسمه عبيد ، درج ولا عقب له ، وأُمهم واقدة بنت ^(٤)

١٥ (١) فى الطبقات ١ : ٤٢ . (قسم أول) . (٢) فى طبقات ابن سعد ١ : ٤٢ (قسم أول) :

« ولد عبد » . (٣) فى الأصل ، وطبقات ابن سعد ١ : ٤٣ (قسم أول) ، وتاريخ يعقوبى

١ : ٢٠٠ : « وحجة » ، والمثبت عن نسب قُريش (الورقة ٥ ب) « وسيرة ابن هشام ١ : ١١٢ .

(٤) هى إحدى النسوة اللواتى كن يشترطن ، لشرهن إذا تزوجن ، أن يكون أمرهن يدهن

فى المقام والزواج . انظر المجلد لابن حبيب ص ٣٩٩ . (٥) فى ابن الأثير ٢ : ٩١٣ وسيرة

٢٠٠ ابن هشام ١ : ١١١ ، وتاريخ يعقوبى ١ : ٢٠٠ : « فالح بن ذكوان » . (٦) فى الأصل :

« ابن عبد مناف ، وأبا عبيد » . تصحيح .

أبي عديّ، وهو عامر، بن عبد نهم، بن زيد، بن مازن، بن صمصعة، وربطة بنت
عبد مناف، ولدت بني هلال، بن معيط من بني كنانة، بن خزيمه، وأُمها النخفية» .
وأما هاشم بن عبد مناف، فكنيته أبو نضلة، وقيل أبو يزيد، وقيل بل
كان يُكنّى بابنه أسد، وأسمه عمرو، وهاشم لقب لقّب به . روى عن ابن عباس
رضي الله عنهما أنه قال : « كان أسم هاشم عمرا، وكان صاحب إيلاف قريش،
وإيلاف قريش : دأب قريش، وهو أول من سنّ الرحلتين لقريش، ترحل إحداهما
في الشتاء إلى اليمن وإلى الحبشة إلى النجاشي فيكرمه ويحبوه، ورحلة في الصيف
إلى الشام إلى غزّة وربما بلغ أنقرة، فيدخل على قيصر فيكرمه ويحبوه، فأصاب
قريشا سنوات ذهب بالأموال، فخرج هاشم إلى الشام، فأمر بجُز كثير فحُز له،
وحمله في القرائر على الإبل حتى وافى مكة، فهشم ذلك الخبز، يعني كسره وثرده،
ونحر تلك الإبل، ثم أمر بطبخها، ثم كفا القدور على الحفان، فأشبع أهل مكة،
فكان ذلك أول الحيا بعد السنة التي أصابته، فسمّى بذلك هاشما، وفي ذلك
يقول عبد الله بن الزبيري :

(١) في تاريخ العقوي ١ : ٢٠٠ : « ابن عامر بن صمصعة » .

(٢) في نسب قريش (الورقة ٥ ب) : « وكانت ربطة بنت عبد مناف عند معيط بن عامر ...
ابن كنانة، فولدت له هلالا » .

(٣) في نسب قريش (الورقة ٥ ب) : « ربطة بنت عبد مناف، وأمها هند بنت كعب بن
سعد بن عوف من ثقيف » .

(٤) في الأصل : « وكنيته » .

(٥) في الأصل : « ابن عثمان »، تصحيف .

(٦) انظر طبقات ابن سعد ١ : ٤٣ (قسم أول) .

(٧) انظر معجم البلدان ١ : ٣٦١ .

عمرو العلى هَاشِمُ الثَّرِيدُ لقومه * ورجالُ مَكَّةَ مُسْتِنُونَ عِجَافٌ^(١)

قال: «حَسَدَهُ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ بْنُ عَبْدِ مَنَاةٍ، وَكَانَ ذَا مَالٍ، فَتَكَلَّفَ أَنْ يَصْنَعَ صَنِيعَ هَاشِمٍ فَعَجَزَ عَنْهُ، فَشَمَتَ بِهِ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَغَضِبَ وَتَلَّ مِنْ هَاشِمٍ، وَدَعَاهُ إِلَى الْمَنَافَةِ، فَكَرِهَ هَاشِمٌ ذَلِكَ لِسَنَّتِهِ وَقَدَرِهِ، فَلَمْ تَدْعُهُ قُرَيْشٌ وَأَحْفَظُوهُ»
 قال: «فَلَمَّا أَتَانَا فَرَكَ عَلَى نَحْسِينَ نَاقَةً سُودَ الْحَدَقِ نَحَرَهَا بَيْطَانُ مَكَّةَ، وَالْجَلَاءِ عَنْ مَكَّةَ عَشْرَ سَنِينَ. فَرَضَى أُمَيَّةٌ بِذَلِكَ، وَجَعَلَا بَيْنَهُمَا الْكَاهِنَ الْخُرَاعِيَّ، فَفَقَرَ هَاشِمًا^(٢) عَلَيْهِ، فَأَخَذَ هَاشِمُ الْإِبِلَ فَنَحَرَهَا وَأَطْعَمَهَا مَنْ حَضَرَهُ، وَخَرَجَ أُمَيَّةٌ إِلَى الشَّامِ، فَأَقَامَ بِهَا عَشْرَ سَنِينَ؛ فَكَانَتْ هَذِهِ أَوَّلُ عِدَاوَةٍ وَقَعَتْ بَيْنَ هَاشِمٍ وَأُمَيَّةَ، ثُمَّ وَلِيَ هَاشِمُ الرَّفَادَةَ وَالسَّقَايَةَ».

١٠ ذكر ولاية هاشم الرفادة والسقاية

قال: «إِنْ هَاشِمًا، وَعَبْدَ شَمْسٍ، وَالْمُطَّلَبَ، وَتَوْفَلًا: بَنَى عَبْدِ مَنَاةٍ أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا مَا بَأْيَدِي بَنَى عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ مِمَّا كَانَ قُصَيٌّ جَلَّ إِلَى عَبْدِ الدَّارِ مِنَ الْحِجَابَةِ، وَاللَّوَاءِ، وَالرَّفَادَةِ، وَالسَّقَايَةِ، وَالتَّدْوَةِ، وَرَأَوْا أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُمْ لَشَرَفِهِمْ عَلَيْهِمْ، وَفَضْلِهِمْ فِي قَوْمِهِمْ، وَكَانَ الَّذِي قَامَ بِأَمْرِهِمْ هَاشِمٌ، فَأَبَتْ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ أَنْ تُسَلَّمَ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ، وَقَامَ بِأَمْرِهِمْ عَامِرُ بْنُ هَاشِمٍ بْنُ عَبْدِ مَنَاةٍ بْنُ عَبْدِ الدَّارِ؛ فَصَارَ مَعَ بَنَى عَبْدِ مَنَاةٍ بْنِ قُصَيٍّ بَنُو أَسَدَ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ، وَبَنُو ذُهْرَةَ ابْنِ كِلَابٍ، وَبَنُو تَيْمٍ بْنِ مُرَّةٍ، وَبَنُو الْحَارِثِ بْنِ فَيْهَرٍ؛ وَصَارَ مَعَ بَنَى عَبْدِ الدَّارِ

(١) رواية ابن هشام في السيرة ١: ١٤٤، والروض الأنف ١: ٩٤:

«... .. لقومه قوم بمكة مستن عجاف»

٢٠ وهي التي تنفق مع قافية الآيات — قبلها وبعدها — المكسورة. وعلى رواية التزويري تبعاً للطبري ١٧٩: ٢ يكون في البيت إقواء. (٢) يقرأ الحكم: قضى لأحد المتنازعين بالعلية على الآخر.

بنو مخزوم، وسهم، وجمح، وبنو عدي بن كعب، وخرجت من ذلك بنو عامر
آبن لؤي، ومخارب بن فهر، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين، ف عقد كل قوم
على أمرهم خلفاً مؤكداً: ألا يتخاذلوا، ولا يسلم بعضهم بعضاً، «ما بل ببحر صوفة»^(١).

فأخرجت بنو عبد مناف، ومن صار معهم، جفنة مملوءة طيباً، فوضعوها حول
الكعبة، ثم خمس القوم أيديهم فيها، وتعاقدوا وتعاقدوا وتحالفوا، ومسحوا الكعبة
بأيديهم توكيداً على أنفسهم، فمسوا المطيبين. وأخرجت بنو عبد الدار ومن كان
منهم جفنة من دم، فمسوا أيديهم فيها، وتعاقدوا وتحالفوا: ألا يتخاذلوا ما بل ببحر
صوفة. فمسوا الأحلاف، ولقعة الدم، وتهيئوا للقتال، وعُبت كل قبيلة لقبيلة، فبينما
الناس على ذلك، إذ تداعوا إلى الصلح على أن يعطوا بني عبد مناف بن قصى السقاية
والرفادة، وتكون الحجابة واللواء ودأر الندوة إلى بني عبد الدار كما كانت، ففعلوا،
وتحاجز الناس، فلم تزل دار الندوة في بني عبد الدار، حتى باعها عكرمة بن عامر،
ابن هاشم، بن عبد مناف، بن عبد الدار، بن قصى، من معاوية بن أبي سفيان،
بفعلها معاوية دار الإمارة.

قال: «وولي هاشم بن عبد مناف بن قصى السقاية والرفادة، وكان رجلاً
موسراً، فكان يخرج في كل عام مالا كثيراً، وكان قوم من قريش أهل يسار
يتراقدون، فيرسل كل إنسان بمائة مثقال هرقلية، وغيرهم يرسل بالشئ اليسير على

(١) يقصدون بمثل هذا التعبير تأكيد الحكم، جاء في اللسان: «ومن الأبيات قولهم: لا آتيك
ما بل ببحر صوفة، ويقال: ما بل ببحر الصوفة».

(٢) سموا بذلك لأنهم لعقوا من ذلك الدم. انظر المحير لابن حبيب ص ١٦٦

(٣) في طبقات ابن سعد ١: ٥٥ (قسم أول): «في بدى بنى».

(٤) في الأصل: «قصى بن معاوية»، والتصويب عن طبقات ابن سعد ١: ٥٥ (قسم أول).

قدر حالهم ، فكان هاشم ، إذا حضر الحج ، يأمر بجياض من أدم ، فُجعل في موضع زَمَرَم ، ثم يُستَقَى فيها الماء من البئار التي بمكة فيشربه الحاج ، وكان يُطعمهم قبل التَّروِيَةِ بيوم بمكة ، وبمَنَى ، وجمع ، وعَرَْفَةَ ، وكان يَرُدُّ لهم الخبز واللحم ، والخبز والسمن ، والسويق والتمر ، ويحمل لهم الماء ، فيستقون بمَنَى ، والماء يومئذ قليل ، [في حياض الأدم] ، إلى أن يَصْدُرُوا من مَنَى ، ثم تقطع الضيافة ويتفرق الناس إلى بلادهم .

قال : « وهاشم بن عبد مناف هو الذي أخذ الحلف لقريش من قيصران تختلف آمنة ، فكتب له آباء ، وكتب إلى النجاشي أن يدخل قريشا أرضه وكانوا تجاراً ، فخرج هاشم في غير لقريش فيها تجارات ، وكان طريقهم على المدينة ، فزلوا بسوق النبط ، فصادفوا سوقاً تقصوم بها في السنة يحشدون لها ، فباعوا واشتروا ، ونظروا إلى امرأة على موضع مُشْرِف من السوق ، فرأى امرأة تأمر بما يُشترى ويُبَاع لها ، فرأى امرأة حازمة جلدة مع جمال ، فسأل هاشم عنها أئيم هي أم ذات زوج ؟ فقيل له أئيم كانت تحت أحيحة بن الجلاح ، فولدت له عمراً ومعبداً ثم فارقتها ، وكانت لا تتكح الرجال ، لشرفها في قومها ، حتى يَشْرطوا لها أن أمرها بيدها ، فإذا كرهت رجلاً فارقت ، وهي سلمى بنت عمرو ، بن زيد ، بن لبيد ، بن خدّاش ، ابن عامر ، بن غنم ، بن عدى ، بن النجار ، فخطبها هاشم ، فعرفت شرفه ونسبه فزوجته نفسها ، ودخل بها وصنع طعاماً ، ودعا من هناك من أصحاب العير الذين كانوا معه ، وكانوا

(١) « جمع » : علم للزدلفة . معجم البلدان ٣ : ١٣٨ . (٢) في طبقات ابن سعد ١ : ٤٥ :

(قسم أول) : « فيسقون بمَنَى » . (٣) تكملة عن ابن سعد ١ : ٤٥ (قسم أول) .

(٤) انظر المحبر لابن حبيب ص ٣٩٨ . (٥) في « نسب قريش » (الورقة ١٦) :

« سلمى بنت زيد بن عمرو » .

أربعين رجلا من قُريش ، ودعا من الخَزَرَج رجالا ، وأقام بأصحابه أياما ؛ فمِلِقت سَلَمَى بعبد المَطْلَب ، وولَدته وفي رأسه شَيْبَةٌ ، فُسِّمَى شَيْبَةً . وخرج هاشم في أصحابه إلى الشام حتى بلغ غَزَّةَ فَمَاتَ ، ودَفِنَ بِغَزَّةٍ وله عشرون سنة ، وقيل خمس وعشرون سنة ، وَرَجَعُوا بِرَكَتِهِ إلى وَلَدِهِ ، وَأَوْصَى هاشم إلى أخيه المَطْلَب ابن عبد مَنَاف .

وحكى ابن الأثير ^(٢) أنه لما تزوج سَلَمَى شرط لها أبوها ألا تَلِدَ وَلَدًا إلا في أهلها ، فحَمَلَهَا هاشم إلى مَكَّة فحَمَلَتْ منه ، فلما أَتَقَلَّت رَدَّهَا إلى أهلها ومضى إلى الشام ؛ وقيل إنه لم ينقلها ، وإنه خرج إلى الشام هو وعبد شمس ، فماتا جميعا بِغَزَّةٍ في عام واحد ، وبقي المَآلِهُمَا إلى أن جاء الله تعالى بالإسلام ؛ فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر غزوة غزاها جاءه قيس بالمَآلِهُمَا ، فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مَالَ هاشم إلى العباس بن عبد المَطْلَب ، ففَرَّقَهُ على كُتَبَاءِ بني هاشم ، ودفع مَالَ عبد شمس إلى مُفَيَّان بن حَرْب ، ففَرَّقَهُ على كُتَبَاءِ بني عبد شمس .

وقد حكى ابن الأثير ^(٣) : أن عبد شمس مات بِمَكَّة فَقَبِرَ بِأَجْيَادٍ ، وذلك بعد وفاة هاشم بِغَزَّةٍ . قال ^(٤) : ثم مات نوفل بِسَلَمَانَ من طريق العراق ، ومات المَطْلَب بِرَدْمَانَ من أرض اليمن والله أعلم .

(١) ولذلك تضاف إليه فيقال : غزاة هاشم . وهي بفتح الغين والراء المشددة المفتوحة ، وتقع في أقصى الشام من ناحية مصر . معجم البلدان ٦ : ٢٩٠ . (٢) في الكامل ٢ : ٤٤ ، وأصل هذا الكلام للطبري ٢ : ١٧٦ . (٣) في الكامل ٢ : ٧ ، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ١٤٧ ، ١٥٧ . (٤) في الأصل : « هشام » ، تحريف . (٥) سلمان : ماء قديم ، وهو في طريقهم أيام الجاهلية . من العراق إلى تهامة . معجم البلدان ٥ : ١١١ . (٦) ردمان بفتح الراء : بلد باليمن . انظر معجم البلدان ٤ : ٢٤٥ . وفي الأصل : « بريمان » ، تحريف . (٧) في الأصل ، وابن الأثير ٢ : ٧ : « من أرض العراق » ، تصحيف ، والتصويب عن سيرة ابن هشام ١ : ١٤٥ ، ١٤٧ ، والطبري ٢ : ١٨١ ، والروض الأنف ١ : ٩٥ ، والخبر عن البشر ٣ : ٦٤ (قدم أول) .

(١) وقيل : إن هاشمًا وعبد شمس ^{تورهمان} تولدان ، وإن أحدهما ولد قبل الآخر ، قيل : إن الأول هاشم ، وقيل : إنهما ولدا وأصبح أحدهما ملتصقةً ^{تورهمان} بجنبه فتجيت ، فسأل دم فقيل يكون بينهما دم . والله تعالى أعلم .

(٢) قال ابن الكلبي : وولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمسة نسوة ، وهم : شَيْبَةُ الْحَمْد ، وهو عبد المطلب ، ورُقِيَّة ماتت وهي جارية لم تبرز ، وأُمُّهُمَا سَلَمَى بنت عمرو ، وأبو صَيْفَى وأسمه عمرو وهو أكبرهم ، وأمه هند ، بنت عمرو ، بن ثعلبة ، بن الحارث ، بن مالك ، بن سالم ، بن غنم ، بن عوف ، بن الحزرج . وأسَدُ بْنُ هَاشِمٍ وأمه قَيْلَةُ ، وكانت تُلقَّبُ الْحَزُورُ ، ^(٤) بنت عامر ، بن مالك ، بن جَذِيمَةَ ، وهو الْمُصْطَلِقُ بن خُرَاعَةَ ، ونُضَلَّةُ بن هَاشِمٍ ، والشَّافِءُ ، وأُمُّهُمَا أُمِّيَّةُ بنت عَدَى ، ^(٥) ^(٦) ابن عبد الله ، بن دينار ، بن مالك ، بن سَلَامَانَ ، بن سَعْدٍ ، بن قُضَاعَةَ . وَالضَّعِيفَةُ ^(٧) بنت هَاشِمٍ ، وخَالِدَةُ بنت هَاشِمٍ ، وأُمُّهُمَا أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ ، وهي وافدة بنت أَبِي عَدَى ، ^(٨) ويقال عَدَى ، وهو عامر ، بن عبد نُهْمٍ ، بن زَيْدٍ ، بن مَازِنٍ ، بن صَعَصَعَةَ ، وحية

- (١) انظر الكامل لابن الأثير ٢ : ٧ ، والطبري ٢ : ١٨٠ . (٢) رواية ابن الأثير ٢ : ٧ : « فسال الدم » . (٣) قله ابن هشام في السيرة ١ : ١١٢ (٤) في نسب قريش (الورقة ١٦) ، والخبر عن البشر ٣ : ٦٦ (قسم أول) : « سميت الحزور لعظمتها » . وفي الأصل : « الحزور » بالخاء ، تصحيف . (٥) هذه رواية ابن الكلبي ، ونقلها المقرئ في الخبر عن البشر ٣ : ٦٥ (قسم أول) ، وفي نسب قريش (الورقة ١٦) ، والخبر عن البشر ٣ : ٦٦ (قسم أول) رواية عن الزبير بن بكار : « أمية بنت ود بن عدى » . (٦) كذا في الخبر عن البشر ٣ : ٦٥ (قسم أول) ، وفي طبقات ابن سعد ١ : ٥٢ (قسم أول) : « بن سعد من قضاة » . (٧) في سيرة ابن هشام ١ : ١١٢ و ١١٣ ، والخبر عن البشر ٣ : ٦٥ و ٦٦ (قسم أول) : « وضيفة بنت هاشم » . (٨) كذا في سيرة ابن هشام ١ : ١١٢ و ١١٣ ، والخبر عن البشر ٣ : ٦٦ (قسم أول) . وفي ابن سعد ١ : ٥٢ (قسم أول) : « حنة » .

بنت هاشم ، وأمها [أم] عدى بنت حبيب ، ابن الحارث ، بن مالك ، بن حطيط
ابن جشم بن قيس وهو ثقيف . والله عز وجل أعلم بالصواب .

ذكر أخبار عبد المطلب بن هاشم

قال ابن قتيبة ^(٢) : « وأسمه عامر » . والصحيح عندهم ما ذكره محمد بن إسحاق بن
يسار وغيره أن اسمه شيبة ، وكنيته أبو الحارث ، كُنِيَ باسم ولده الحارث ، وهو
أكبر ولده .

وعبد المطلب كنية أخرى ، وهي أبو البطحاء ، وتسميته بهذين الاسمين ،
وتكنيته بأبي البطحاء أسباب نذكرها قريباً إن شاء الله تعالى . وأم عبد المطلب
سلمى بنت عمرو ، بن زيد ، بن لبيد ، بن خدّاش ، بن عامر ، بن غنم ،
ابن عدى ، بن النجار ^(٥) .

وقال ابن إسحاق : سلمى بنت زيد ، بن عمرو ، بن لبيد ، بن [حرام ،
ابن] خدّاش ، بن جندب ، بن عدى ، بن النجار ^(٦) .

وقد تقدم أنفا خبر زواج هاشم بها .

(١) الزيادة من الخبر عن البشر ٢: ٦٦ (قسم أول) ، ونسب قريش (الورقة ١٦) . وفي سيرة
أبن هشام ١: ١١٣ ، والخبر عن البشر ٢: ٦٦ (قسم أول) نقلاً عن الزبير بن بكار : « وأم أبي صيفى ،
وحية ، هند بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية » . وانظر المسيل ١: ٧٧ .

(٢) في المعارف ص ٣٣ ، ونقله المقرئ في الخبر عن البشر ٣: ٦٥ (قسم أول) عن ابن الكلبي .
وانظر تاج العروس (طاب) . (٣) انظر شرح المواهب للزرقاني ١: ٧١ .

(٤) هذه رواية ابن هشام ١: ١١٢ ، ومصعب الزبيري في نسب قريش (ورقة ١٦) ، وإحدى
روايات الطبري ٢: ١٧٦ ، ونسب المقرئ في الخبر عن البشر ٣: ٦٥ (قسم أول) إلى ابن الكلبي .

(٥) نقله الطبري ٢: ١٧٦ ، وقد حكى القولين غير منسوبين إلى عبد الله في الاستيعاب ١: ١٥ .
(٦) التكملة عن الطبري ٢: ١٧٦ .

(٧) في الأصل : « ... ابن النجار ، وكان يحيى بن معين يقول : كتاب موسى بن عقبة عن الزهري
أصح هذه الكتب ، وقد تقدم الخ » . وهي جملة دخيلة على النص ، فوجب إعادتها .

ذكر ما قيل في سبب تسميته وكُنِيته

أما سبب تسميته شَيْبَةً فَقِيلَ إِنَّ أُمَّهُ وَلَدَتْهُ وَفِي رَأْسِهِ شَيْبَةٌ ^(١)، وَكَانَتْ ظَاهِرَةً فِي ذَوَابِتِهِ، فَسَمَّاهُ شَيْبَةً، وَذَلِكَ فِي غَيْبَةِ أَبِيهِ. وَقِيلَ: إِنَّ أَبَاهُ أَوْصَاهَا إِذَا وَلَدَتْ ذَكَرًا أَنْ تُسَمِّيَهُ شَيْبَةً، فَهُوَ شَيْبَةُ الْحَمْدِ ^(٢).

- وفي تسميته عبد المطلب أنه لما مات هاشم أقام شَيْبَةً بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ أُمِّهِ إِلَى أَنْ بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ، فَتَزَوَّجَ مِنْ بَنَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بِالْمَدِينَةِ، فَإِذَا غُلَامَانِ يَنْتَضِلُونَ، بَجَعَلَ شَيْبَةً إِذَا أَصَابَ قَالَ: أَنَا ابْنُ هَاشِمٍ، أَنَا ابْنُ سَيِّدِ الْبَطْحَاءِ، فَقَالَ لَهُ الْحَارِثُ: مَنْ أَنْتَ قَالَ: أَنَا شَيْبَةُ بْنُ هَاشِمٍ، بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ. فَلَمَّا أَتَى الْحَارِثُ مَكَّةَ قَالَ لِلْمَطْلَبِ، وَهُوَ بِالْحِجْرِ: يَا أَبَا الْحَارِثِ، رَأَيْتَ ابْنَ أَخِيكَ هَاشِمَ يَثْرِبُ، وَأَخْبَرَهُ بِحَالِهِ، وَلَا يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَتْرُكَ مِثْلَهُ، فَقَالَ الْمَطْلَبُ: وَاللَّهِ لَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي حَتَّى أَتِيَ بِهِ، فَأَعْطَاهُ الْحَارِثُ نَاقِيَةً فَرَكِبَهَا وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ عِشَاءً، فَإِذَا غُلَامَانِ يَضْرِبُونَ

١٣
١٤

- (١) تقدم ذلك عن ابن الأثير ٢: ٤٠.
(٢) هذا قول محمد بن إسحق، وصححه السبيلي ١: ٦٠، وانظر الزرقاني على المواهب ١: ٧١.
(٣) في الأصل: «وفي تسمية عبد المطلب»، ولعل الصواب ما أثبت.
(٤) في الخبر عن البشر ٣: ٦٦ (قسم أول): «رجل من أهل تهامة».
(٥) في الطبري ٢: ١٧٧: «عبد مناف يثرِب».
(٦) ينتضلون: يستبقون في رمي الأغراض بالسهم.
(٧) في الطبري ٢: ١٧٧: «إذا خسق».
(٨) يريد بطحاء مكة، وهي متسع سهل بها. وانظر معجم البلدان ١: ٢١٣، ٢١٥، والخشني ١: ٤٤.
(٩) في الأصل: «الحارث» تصحيف.
(١٠) الحجر بالكسر: حجر الكعبة، وهو ما زكت قريش في بنائها من أساس إبراهيم عليه السلام، وحجرت على الموضع ليعلم أنه من الكعبة. معجم البلدان ٣: ٢٢١، وتهذيب الأسماء واللغات للنوري ٢: ٨٠ تاج العروس (حجر).

كُرَّة، فعرف ابن أخيه، فقال للقوم : ^(١) هذا ابن هاشم ؟ قالوا نعم ، فبلغ أمه أنه جاء ليأخذه فقالت : والله لو أن لك مالا مثل أحد ما أعطيتك إياه ، فقال : لا أنصرف حتى أخرج به ؛ إن ابن أخي قد بلغ ، وهو غريب عن قومه . فيقال إنها دفعته إليه فأخذه بإذنها . وقيل إنه أخذه اختلاسا ، وأعانه على أخذه رجل من نخاعة .

وقال ابن سعد في طبقاته عن محمد بن واقد الأسلمي : إن ثابت بن المنذر ابن حرام ، وهو أبو حسان بن ثابت الشاعر ، قدم مكة مُعْتَمِرا ، فلقى المطلب ، وكان له خليلا ، وكان المطلب قد ولى السقاية والرئاسة بعد موت هاشم ، فقال له ثابت : لو رأيت ابن أخيك شية فينا لرأيت جمالا وهيبة وشرفا ؛ لقد نظرتُ إليه ، وهو يناضل فينا من أخواله ، ^(٢) فَيُدْخِلُ مِرْمَاتِهِ جَمِيعًا فِي مِثْلِ رَاحَتِي هَذِهِ ، ويقول كلما خَسَقَ : أنا ابن عمرو العُلى ! فقال المطلب : لا أُمسى حتى أخرج إليه فأقدم به ، فخرج فوزد المدينة ، فترز في ناحية ، وجعل يسأل عنه حتى وجده يرعى في فيان من أخواله ، فلما رآه عرف شبه أبيه فيه ، ففاضت عيناه ، وضمه إليه وكساه حلة يمانية ، وأنشأ يقول :

عَرَفْتُ شَيْبَةَ وَالتَّجَارُ قَدْ حَفَلَتْ * أَبْنَاؤُهَا حَوْلَهُ بِالنَّبْلِ تَنْتَضِلُ
عَرَفْتُ أَجْلَادَهُ مِنْهَا وَشَيْبَتَهُ * قَفَاضَ مِنِّي عَلَيْهِ وَابِلٌ سَبِلُ ^(٣)

- (١) في الطبري ٢ : ١٧٧ : « أم هذا ابن هاشم » . (٢) الكلمة في الأصل غير واضحة ، ولعل ما أثبت أقرب إلى الأصل . (٣) في الطبقات ١ : ٤٨ (قسم أول) .
(٤) يناضل فينا : يباريهم في الرمي . (٥) المرامتان : مهتان يرى بهما الراى فيحرز سبقه .
(٦) خسق السهم : أصاب الغرض . (٧) اختصر المؤلف نص ابن سعد ، وانظر الطقات ١ : ٤٨ (قسم أول) . (٨) أجداد الإنسان : جماعة شخصه ، ومن كلامهم : « ما أشبه أجداده بأجداد أبيه أى شخصه وجسمه » . (٩) أسبل الذمغ : هطل ، والاسم السبل .

فَأَرْسَلَتْ سَلَمَى إِلَى الْمُطَلِّبِ ، فَدَعَتْهُ إِلَى التَّزَوُّلِ عَلَيْهَا فَقَالَ : شَأْنِي أَخْفٌ مِنْ ذَلِكَ ؛ مَا أُرِيدُ أَنْ أَحُلَّ عُقْدَةً حَتَّى أَقِضَ ابْنُ أُمِّی فَأُلْحِقَهُ بِلَدِهِ وَقَوْمِهِ ، فَقَالَتْ : لَسْتُ بِمُرْسَلَةٍ مَعَكَ ، وَغَلَّظَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ : لَا تَفْعَلِي فَإِنِّي غَيْرُ مُنْصَرِفٍ حَتَّى أُخْرِجَ بِهِ مَعِيَ ، فَإِنَّ الْمَقَامَ بِلَدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَقَامِ هَهُنَا ، وَهُوَ ابْنُكَ حَيْثُ كَانَ ؛ فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ غَيْرُ مُقْصِرٍ حَتَّى يُخْرِجَ بِهِ اسْتَنْظَرَتْهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَتَحَوَّلَ الْمُطَلِّبُ إِلَيْهِمْ وَنَزَلَ عِنْدَهُمْ ، وَأَقَامَ ثَلَاثًا ثُمَّ أَحْتَمَلَهُ وَانْطَلَقَا جَمِيعًا ، وَدَخَلَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ : هَذَا عَبْدُ الْمُطَلِّبِ ! فَقَالَ : وَيَحْكُمُ إِنَّمَا هُوَ ابْنُ أُمِّی شَيْبَةَ بْنِ عَمْرٍو .

وَقِيلَ إِنَّهُ لَمَّا دَخَلَ إِلَى مَكَّةَ دَخَلَهَا وَشَيْبَةُ مَعَهُ عَلَى عَجْزِ نَاقَتِهِ ، وَذَلِكَ صَحِيحٌ ، وَالنَّاسُ فِي أَسْوَاقِهِمْ وَبِجَالِ السَّهْمِ ، فَقَامُوا يُرْحَبُونَ بِقُدُومِ الْمُطَلِّبِ وَيَقُولُونَ لَهُ : مَنْ هَذَا مَعَكَ ؟ مَنْ هَذَا وَرَاءَكَ ؟ فَيَقُولُ : هَذَا عَبْدِي ، وَفِي رِوَايَةٍ هَذَا عَبْدٌ أَتْبَعْتُهُ بَيْتْرِبَ ، فَادْخَلَهُ الْمُطَلِّبُ مَتَرِلَهُ عَلَى أَمْرَانِهِ خَدِيجَةَ بِنْتَ سَعِيدِ بْنِ سَهْمٍ ، فَقَالَتْ : مَنْ هَذَا مَعَكَ ؟ قَالَ : عَبْدِي ؛ وَأَشْتَرَيْ لَهُ حُلَّةً فَلَيْسَ بِهَا ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِ الْعِشِيُّ إِلَى مَجْلِسِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ ابْنُ أَخِيهِ ؛ فَبَعَثَ شَيْبَةُ يُطَوِّفُ بِمَكَّةَ ، فَإِذَا مَرَّ بِقَوْمٍ قَالُوا : هَذَا عَبْدُ الْمُطَلِّبِ ، فَغَلَبَ ذَلِكَ عَلَيْهِ .

وَفِي تَكْنِيَّتِهِ بِأَبِي الْبَطْحَاءِ أَنَّهُ اسْتَسْقَى لِأَهْلِ مَكَّةَ فَسُقُوا لَوْقَتِهِمْ ، فَقَالَ لَهُ مَسَاحُجُ قُرَيْشٍ عِنْدَ ذَلِكَ : هِنَيْشَا لَكَ أَبَا الْبَطْحَاءِ . وَنَسَدَ كَرَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

(١) فِي طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ ١ : ٤٨ (قِسْمُ أَوَّلٍ) : « قَالَ الْمُطَلِّبُ لَا تَفْعَلِي » .

(٢) فِي ابْنِ سَعْدٍ ١ : ٤٨ (قِسْمُ أَوَّلٍ) : « فَزَلَ عِنْدَهُمْ » .

(٣) فِي طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ ١ : ٤٨ (قِسْمُ أَوَّلٍ) : « إِلَى مَكَّةَ ظَهَرَا فَقَالَتْ » .

(٤) كَذَا فِي طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ ١ : ٤٨ (قِسْمُ أَوَّلٍ) ، وَفِي كَامِلِ ابْنِ الْأَثِيرِ ٢ : ٥ : « فَتَدْبِهَا ضَحْوَةً » .

(٥) فِي الْخَبَرِ عَنِ الْبُشَيْرِ ٣ : ٦٨ (قِسْمُ أَوَّلٍ) : « عَبْدِي أَتْبَعْتُهُ » .

(٦) فِي ابْنِ الْأَثِيرِ ٢ : ٥ : « فَأَعْلَمَهُمْ » .

هذه القصة بطولها في المبشرات برسول الله صلى الله عليه وسلم . فهذه أسباب تسميته وتكنيته ^(١) . والله أعلم .

وكان عبد المطلب جسيما ، أبيض ، وسيما ، طوالا ، فصيحيا ؛ ما رآه أحد قط إلا أحبه . قال الواقدي : وأقام عبد المطلب بمكة حتى أدرك ، وخرج المطلب بن عبد مناف تاجرا إلى أرض اليمن ، فهلك برذمان من أرض اليمن ، فولى عبد المطلب بعده الرقادة والسقاية ؛ فلم يزل ذلك بيده وهو يطعم الحاج ويسقيهم في حياض الأدم حتى حفر زمزم ، فترك السقي في الحياض ، وسقاهم من زمزم ، وكان يحمل الماء من زمزم إلى عرفة فيسقيهم . والله أعلم .

ذكر حفر عبد المطلب زمزم وما وجد فيها

قال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله بسند رفته إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : قال عبد المطلب ؛ إني لنائم في الحجر ، إذ أتاني آت فقال : آحفر طيبة قال : قلت : وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب عني ؛ فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فتمت فيه ، فبأني فقال : احفر زمزم ، قال : قلت وما زمزم ؟ قال : لا تنزف أبدا ولا تدم ، تسقى الحجيج الأعظم ، وهي بين الفرث

- (١) في الأصل : « تسميته وتكنيته » . (٢) رواية ابن سعد ١ : ١٤٩ (قسم أول) : « بيده يطعم الحاج ويسقيهم في حياض من أدم » . (٣) قتله ابن هشام في السيرة ١ : ١٥١ - ١٥٣ . (٤) طيبة بكسر الطاء : علم على بئر زمزم . والمطر معجم البلدان ٦ : ٧٧ ، تاج العروس (طيب) . (٥) اختصر المؤلف نص ابن إسحاق ، وقد ذكر بأربع مما هنا في سيرة ابن هشام ١ : ١٥١ . وانظر طبقات ابن سعد ١ : ٤٩ (قسم أول) ، وابن الأثير ٢ : ٥٥ . (٦) أى لا يفتى ماؤها على كثرة الاستقاء . وفي طبقات ابن سعد ٢ : ٤٩ (قسم أول) : « لا تنزح ولا تدم » . وفي ابن الأثير ٢ : ٥٥ : « قول : تراث من أيك الأعظم لا تنزف ولا تدم » . (٧) لهم في معنى « لا تدم » ثلاثة أقوال ، أحدها : لا تناب من قولك ذمته : إذا عبته ، والثاني : لا تظنى مذمومة ؛ يقال : أذمته إذا وجدته مذموما ، والثالث : لا يوجد ماؤها قليلا ناقصا ؛ من قولك برذمة : إذا كانت قبله الماء .

والدم ، عند قُفرة الغراب الأعصم ، عند قرية النمل ^(١) . قال : فلما بين له شأنها ، ودل على موضعها ، وعرف أنه قد صدق ، غداً بمُعوَلة ^(٢) ، ومعه ابنه الحارث ، وليس له يومئذ ولدٌ غيره فخر ، فلما بدا لعبد المطلب ^(٣) الطي كبر ، فعرفت قُريش أنه قد أدرك حاجته ، فقاموا إليه فقالوا : يا عبد المطلب ، إننا برأينا إسماعيل ، وإن لنا فيها حقاً ، فأشركنا معك فيها ، قال : ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمر قد خُصِصْتُ به دونكم ، وأعطيتُه من بينكم ، قالوا له : فأنصفنا ، فإننا غير تاركك حتى تُخاصمك فيها ، قال : فاجعلوا بيني وبينكم من شتم أحاكمكم إليه ، قالوا : كاهنة بني سعد بن هذيم ^(٤) ، قال نعم . وكانت بمِعان من أشرف الشام فركب عبد المطلب ومعه ثَمَر من بني أبيه من بني عبد مناف ، وركب من كل قبيلة من قُريش نفر ^(٥)

(١) الغراب الأعصم : الأحمر الرجلين والمقار ، أو هو الذي في أحد جناحيه ، أو في إحدى رجليه ريشة بيضاء ، وهذا الوصف عزيز الوجود في الغرابان . وكان — فيما رواه ابن سعد في الطبقات ١ : ٤٩ (قسم أول) — غراب أعصم لا يبرح عند الذبائح مكان القرث والدم . وانظر تاج العروس (عصم) ، ودلائل النبوة للبيهقي ١ : ٢٠ ط . (٢) قرية النمل : الموضع الذي يجتمع فيه النمل .

(٣) القائل هو ابن إسحق ، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ١٥١ . (٤) المدول : الفأس .

(٥) في طبقات ابن سعد ١ : ٤٩ (قسم أول) : « الحارث وليس له » .

(٦) قال الخشني ١ : ٥١ : « الطي : الحجارة التي طويت بها البئر ، سميت بالمصدر » . وفي طبقات

ابن سعد ١ : ٤٩ (قسم أول) : « الطوى » . والطوى : البئر المطوية بالحجارة .

(٧) كذا في طبقات ابن سعد ١ : ٤٩ (قسم أول) . وفي تاج العروس (هذيم) : « وسعد ابن

هذيم كزبير بابات الألف [يعني في « ابن »] بين سعد وهذيم : أبو قبيلة ، وهو ابن زيد بن ليث بن

سود ، لكن حصنه عبد جيشي أسود اسمه هذيم فقلبه عليه ، ونسب إليه » . وفي سيرة ابن هشام ١ : ١٥٢

ولسان العرب (هذيم) : « سعد هذيم » . وانظر الخشني ١ : ٥٠ ، والسهيلي ١ : ١٦ .

(٨) معان بفتح الميم وضها : مدينة في طرف بادية الشام تلقا الحجاز . معجم البلدان ٣ : ٩٣ ،

تاج العروس (معن) . (٩) في الأصل : « من بني أمية ؟ وركب » ، والتصويب والتكلمة

عن سيرة ابن هشام ١ : ١٥٢ ، وطبقات ابن سعد ١ : ٤٩ (قسم أول) . وفي ابن الأثير ٢ : ٥ ،

وشرح المواهب للزرقاني ١ : ٩٣ : « ومعه ثَمَر من بني عبد مناف » .

والأرض إذ ذاك مفاوز ، فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز
والشام ، فني ماء عبد المطلب وأصحابه ، فظموا حتى أيقنوا بالهلكة ، فاستسقوا
من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم ، وقالوا : إنا بمفازة ، ونحن نخشى على
أنفسنا مثل ما أصابكم ، فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم ، وما يتخوف على
نفسه وأصحابه قال : ماذا ترون ؟ قالوا : ما رأينا إلا تبع^(١) رأيك ، فمرنا بما شئت ،
قال : فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما بكم الآن من القوة ،
فكلما مات رجل دفنه أصحابه في حفرة ثم واروه ، حتى يكون آخركم رجلا [واحد]^(٢)
فيموت ضيعة^(٣) ، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعا ، قالوا : نعم ما
أمرت به . فقام كل رجل منهم فحفر حفرة ، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً ،
ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للوت^(٤) عجزاً ألا تضرب
في الأرض ، ونبتني لأنفسنا ؟ فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد . ارتحلوا !
فارتحلوا حتى إذا فرغوا ، ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون ،
تقدم عبد المطلب إلى ناقته فركبها^(٥) ، فلما أنبعثت به أفتجرت من تحت خفها عين^(٦)
[من] ماء عذب ، فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ، ثم نزل فشرب ، وشرب أصحابه ،

(١) في سيرة ابن هشام ١ : ١٥٢ : « قال : فخرجوا » . (٢) في ابن هشام :

« إلا تبع رأيك » . (٣) إضافة عن سيرة ابن هشام ١ : ١٥٢ . وفي ابن الأثير ٢ : ٦ :

« حتى يكون آخركم موتاً قد وارى الجميع ، فضيعة » . (٤) مات ضيعة بكر الضاد :

أي غير مفقود ولا متعذر . (٥) في سيرة ابن هشام ١ : ١٥٢ : « فقام كل واحد منهم » .

(٦) في شرح المواهب للزرقاني ١ : ٩٣ : « ... للوت عجز ، لنضرب في الأرض » ، وفي سيرة ابن

هشام ١ : ١٥٢ ، وابن الأثير ٢ : ٦ : « ... للوت لا تضرب في الأرض ، ولا نبتني لأنفسنا لعجز » .

(٧) في ابن هشام ١ : ١٥٢ : « إلى راحته » . (٨) زيادة عن ابن هشام ١ : ١٥٢ :

وفي ابن الأثير ٢ : ٦ : « عين عذبة من ماء » .

وَأَسْتَقَوْا حَتَّى مَلَأُوا أَسْقِيَتَهُمْ ، ثُمَّ دَعَا الْقَبَائِلَ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ : هَلُمُّوا إِلَى الْمَاءِ ، فَقَدْ سَقَانَا اللَّهُ ، فَأَشْرَبُوا وَأَسْتَقُوا ، بِخَاءٍ وَفَشِيرٍ بَوَا وَأَسْتَقُوا ثُمَّ قَالُوا : قَدْ وَاللَّهِ قَضَى لَكَ عَلَيْنَا يَا عَبْدَ الْمُطَّلَبِ ، وَاللَّهِ لَا تُحَاصِمُكَ فِي زَمْرَمَ أَبَدًا ، إِنْ الَّذِي سَقَاكَ هَذَا الْمَاءَ بِهَذِهِ الْفَلَاةِ هُوَ الَّذِي سَقَاكَ زَمْرَمَ ، فَأَرْجِعْ إِلَى سِقَايَتِكَ رَاشِدًا ، فَارْجِعْ وَرَجَمُوا مَعَهُ ، وَلَمْ يَصِلُوا إِلَى الْكَاهِنَةِ ، وَخَلَوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا .

هذا أحد ما قيل في حفر زمزم .

وفي رواية أخرى : أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : احْفِرْ زَمْرَمَ ، إِنَّكَ إِنْ حَفَرْتَهَا لَمْ تَنْدَمْ ، وَهِيَ تُرَاثُ مِنْ أَبِيكَ الْأَعْظَمِ ، لَا تُتَرَفُ أَبَدًا وَلَا تُدَمَّ ، تُسْقَى الْحَيَّجُ الْأَعْظَمُ ، مِثْلُ نَعَامِ جَانِلٍ لَمْ يَقْسَمْ . يَنْسِذِرُ فِيهَا نَازِرٌ لِمَنْعِمٍ ، تَكُونُ مِيرَاثًا وَعَقْدًا مُحْكَمًا ، لَيْسَتْ كَبَعْضِ مَا قَدْ تَعَلَّمَ ، وَهِيَ بَيْنَ الْفَرثِ وَالذَّمِّ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَزَعَمُوا أَنَّهُ حِينَ قِيلَ لَهُ ذَلِكَ قَالَ : فَأَيْنَ هِيَ ؟ قِيلَ لَهُ عِنْدَ قَرْيَةِ التَّمَلِّ ، حَيْثُ يَنْقُرُ الْغُرَابُ غَدَا . فَقَدَا عَبْدُ الْمُطَّلَبِ وَمَعَهُ ابْنُهُ الْحَارِثُ ، فَوَجَدَ قَرْيَةَ التَّمَلِّ ، وَوَجَدَ الْغُرَابَ يَنْقُرُ عِنْدَهَا بَيْنَ الْوَتَيْنِ : إِسَافَ وَنَائِلَةَ اللَّذَيْنِ كَانَتْ قُرَيْشٌ تَحْرَعُ عِنْدَهُمَا ذَبَابَتِحْمَا ، بِخَاءٍ بِالْمَعُولِ ، وَقَامَ لِيَحْفِرَ حَيْثُ أَسْرَ ، فَقَامَتْ

- (١) كذا في ابن الأثير ٢ : ٦ ، وفي سيرة ابن هشام ١ : ١٥٢ : « هلم إلى الماء . »
 (٢) جمع حاج . (٣) جافل : شارد . (٤) قال ابن هشام (١ : ١٥٤) :
 « وهذا الكلام ، والكلام الذي قبله من حديث علي رضي الله عنه في حفر زمزم ، من قوله : « لا تنزف ولا تدم » إلى قوله : « عند قرية التمل » عندنا جميع وليس شعرا . » (٥) نقله ابن هشام ١ : ١٥٤ .
 (٦) في ابن هشام ١ : ١٥٤ : « قال : وأن . » (٧) في سيرة ابن هشام ١ :
 ١٥٤ : « فعدا » بالعين المهملة . (٨) إساف « بوذن كتاب ، وسحاب » : ضم وضعه عمرو ابن علي الخزازي على الصفا ، ووضع نائلة (ضم أيضا) على المروة ، وحولها نصة تجدها في كتاب الأصنام ، وتاج العروس (أسف) ، وشرح المواهب للزرقاني ١ : ٩٥ .

إليه قُرَيْش حين رأوا جَدَّهُ فقالوا : والله لا نترك تحفِيرَ بينِ وَثْنَيْنا هَذَيْنِ اللَّذَيْنِ
تَحْفَرُ عَنْهُمَا ؛ فقال عبد المطلب لأبْنَه الجارث : دُذِّعْنِي حَتَّى أَحْفِرَ ، فَوَالله لَا مِضِينَ
لِمَا أُمِرْتُ بِهِ ، فَلَمَّا عَرَفُوا أَنَّهُ غَيْرُ نَازِعٍ خَلَوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَفْرِ وَكَفُّوا عَنْهُ ،
فَلَمْ يَحْفَرِ إِلَّا سِيرًا حَتَّى بَدَأَ لَهُ الطِّيُّ ، فَكَبَّرَ وَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ صَدَّقَ ، فَلَمَّا تَمَادَى بِهِ
الْحَفْرُ وَجَدَ فِيهَا غَزْلَيْنِ ^(١) مِنْ ذَهَبٍ ، وَهُمَا الْغَزْلَانِ اللَّذَانِ دَفَنْتَ جُرْهُمَ فِيهَا حِينَ
خَرَجْتَ مِنْ مَكَّةَ ، وَوَجَدَ فِيهَا سَيْوَفًا قَلْعِيَّةً ^(٢) وَأَذْرَاعًا ، فَقَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ : لَنَا مَعَكَ
فِي هَذَا شَرِكٌ ^(٣) وَحَقٌّ ، قَالَ : لَا . وَلَكِنْ هَلُمَّ إِلَى أَمْرِ نَصِيفِ بَنِي وَبَيْنَكُمْ ؛ نَضْرِبُ
عَلَيْهَا بِالْقِدَاحِ ، قَالُوا : وَكَيْفَ نَصْنَعُ ؟ قَالَ : أَجْعَلُ لِلْمَكْبَةِ قِدْحَيْنِ ، وَلِي قِدْحَيْنِ ،
وَلَكُمْ قِدْحَيْنِ ، فَمَنْ خَرَجَ قِدْحَاهُ عَلَى شَيْءٍ كَانَ لَهُ ، وَمَنْ تَخَلَّفَ قِدْحَاهُ فَلَا شَيْءَ لَهُ ،
قَالُوا : أَنْصَفْتَ ، فَجَعَلَ قِدْحَيْنِ أَصْفَرَيْنِ لِلْمَكْبَةِ ، وَقِدْحَيْنِ أَسْوَدَيْنِ لَهُ ، وَقِدْحَيْنِ
أَبْيَضَيْنِ لِقُرَيْشٍ ، ثُمَّ أَعْطَوْهَا صَاحِبَ الْقِدَاحِ الَّذِي يَضْرِبُ بِهَا عِنْدَ هُبْلٍ ، وَهَبْلُ صَمٍّ
فِي جَوْفِ الْمَكْبَةِ ، وَهُوَ أَكْثَرُ أَصْنَافِهِمْ ، وَقَامَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ يَدْعُو ، وَضَرَبَ صَاحِبُ ^(٤)

(١) نزع عن الأمر : كف عنه ، وفي الزرقاني ١ : ٩٥ : « غير تارك » .

(٢) في الأصل : « فيها عين البر من ذهب » ، تحريف .

(٣) في سيرة ابن هشام ١ : ١٥٤ ، وابن الأثير ٢ : ٧ : « أسيافا قلعية » ، والقلعية نسبة إلى
القلعة بفتح فسكون ، والمسمى بالقلعة موضعان أحدهما بالهند ، والثاني باليمن ، وإلهما معا تدب السيوف
القلعية وانظر تاج العروس (قلع) . وفي ابن سعد ١ : ٥٠ (قسم أول) : « سيوفا قلعية وأظفار » .

(٤) شرك : أي حصة ونصيب .

(٥) النصف : أن تعطى غيرك من الحق كالذي تأخذ لنفسك .

(٦) جمع قنح (بكسر فسكون) ؛ وهو سهم يغير نصل كانوا يستقسمون به ، وفي كيفية الاستقسام
تفصيل تجده في كتاب المسير والقنح لابن قتيبة ص ٣٨

(٧) أنظر البداية والنهاية ٢ : ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩١ .

(٨) في سيرة ابن هشام ١ : ١٥٥ : « يدعو الله عز وجل ، فضرِبَ » .

القِداح ، فخرج الأصفران على الغزاليين ^(١) [للكعبة] ، وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب ، وتخلف قدحاً قریش ، فضرب عبد المطلب الأسياف باباً للكعبة ، وضرب في الباب الغزاليين ^(٢) ، فكان أول ذهب حليته الكعبة . وقيل إنه جعل القفل والمفتاح من ذهب الغزاليين ^(٣) . وعن محمد بن عمرو بن واقد قال : كانت جرهم حين أحسوا بالخروج من مكة دفنوا غزاليين وسبعة أسياف قلعية ، وخمسة أذراع ^(٤) [سوانح] ، فوجدها عبد المطلب ^(٥) .

هذا خبر حفر زمزم وما وجد فيها ، وقد تقدم ذكر سبب خبر ردمها في أثناء أخبار قصي بن كلاب ؛ فلنذكر من أخبار عبد المطلب خلاف ذلك . والله الموفق للصواب .

(٦)

ذكر خبر استسقاء عبد المطلب لبني قيس عيلان

وهذيل ومن معهم

حكى الزبير بن بكار في أنساب قريش وبني هاشم ، وبني عبد المطلب قال : روى إبراهيم بن محمد الشافعي عن أبيه ، عن الوليد بن خالد المخزومي ، عن سعد بن حذافة الجهمي ، عن محمد بن عطية العوفي ، عن رجل من هذيل قال : حطت بلاد

(١) تكله عن سيرة ابن هشام ١ : ١٥٥ ، والبدية والنهاية ٢ : ٢٤٦ .

(٢) في البداية والنهاية ٢ : ٢٤٦ وسيرة ابن هشام ١ : ١٥٥ : « الغزاليين من ذهب ، فكان » .

(٣) في طبقات ابن سعد ١ : ٥٠ (قسم أول) : « ففرض الغزاليين صفائح في وجه الكعبة ، وكان من ذهب ، وعلق الأسياف على البابين يريد أن يحرق به خزانة الكعبة ؛ وجعل المفتاح والقفل من ذهب » .

(٤) في طبقات ابن سعد ١ : ٥٠ (قسم أول) : « قال : ركات » .

(٥) تكله عن ابن سعد ١ : ٥٠ (قسم أول) .

(٦) في الأصل « عيلان » ، بالمعجمة تصحيف .

قيس، وأجدبت فلم تُصَبِّهم سماء يعقد بها الترى، ولا يثبت بها الكلاء، فذاب الشحم،
 وذهب اللحم، وتهاقوا ضراً وهزلاً، فاجتمعوا للشورة وإجالة الرأي، وقد عزموا
 على الرحلة وانتجاع البلاد، فقالت فرقة منهم: آتبعوا بلاد سعد وبطن العشر،
 وقالت فرقة أخرى: إن تمياً عدد كثير لا يفضل منهم ما يكفيكم، وقالت فرقة
 أخرى: لينتجع كل ولد أب منكم ولد أب من غيركم، وأعقدوا معهم حلفاً
 تشركونهم به في ربهم؛ فقام رجل حسن الوجه، مجتمع الخلق، جيد الرأي،
 فقال: يا بني غيلان، إنكم قد أصبحتم في أمر ليس بالهزل؛ هذا أمر عظيم
 خطرته، متباعد أمره؛ قد بلغنا أن عبد المطلب بن هاشم سيد البطحاء استسقى
 فسقى، ودعاً فأجيب، واستجير به فأجار، فأجعلوا قصدكم إليه، ووفادتك عليه،
 فإن ذلك أوكد للسبب، وأوجه في الطلب. قالوا: أحسن الرأي، فرحلت قيس
 وهذيل، ومن دنا منهم حتى أتوا عبد المطلب، فقالوا: أفلح الوجه أبا الحارث! نحن
 ذؤوا أرحامك الواشجات، أصابتنا سنون مجذبات، أهرن السمين، وأنقذن
 المعين، وقد بلغنا خبرك، وبان لنا أمرك، وكلاماً نحو هذا.

فقال: موعدكم جبل عرقات، ثم خرج في يده وبنى أمية حتى أتى جبل عرقات،
 فصعد الجبل فقال: اللهم ربّ الريح العاصف، والرعد القاصف، والبرق الخاطف،
 مُنْشِئ السحاب، ومالك الرقاب، ذى المنّ العظام، والأيدى الجسام؛ هذه مضر

- (١) العريض فتح: شعب لهذيل قرب مكة، أو واد في ديار تميم بين البصرة ومكة. ويقال:
 على ذي عشر. ياقوت ٩: ١٧٩، تاج العروس ٣: ٤٠٤، لسان (عشر). (٢) الربيع:
 المنزل. وفي الأصل: «ربيعهم». (٣) في الأصل: «غيلان» بالمعجمة، تصحيف.
 (٤) أرحام واشجة: متصلة متألقة. (٥) في الأصل: «وأنقذنا»، تصحيف.
 (٦) في الأصل: «وبار لنا»، وكل الصواب ما أثبت.

خيرُ البشر، تشكو سوءَ الحال ، وشدةَ الإحمال ، قد أهدوَدَت ظهورها، وغارت عيونها ، وشعنت شعورها ، وقد خلقوا نساء ضلعا ، وصبياناً رُضعا، وبهائم رُتعا . فأتهم اللهم ريحاَ جَارة ، وسحاباَ دَارة ، تُضحك أرضهم ، وتكشف ضرهم . فما فرغ من كلامه حتى نشأت سحابة دكاء فيها ودق شديد ، فقال : هي هي ، ثم قال يا معشرَ مضر ، أرجعوا فقد سقيتم ، فرجعوا وأخضرت أرضهم ، وكثرت مياههم .

هذا ما أورده الزبير بن بكار راوى هذه القصة ، والله أعلم . [و] كانت بعد أن استسقى لقريش ، وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسند كذا . إن شاء الله تعالى مُستوفى في المَبَشَّرات برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا . والله تعالى عز وجل أعلم .

ذكر نذر عبد المطلب نحرَ ابنه ونحروج القداح على عبد الله

١٦
١٤

والد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدائه

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى^(١) ، عن محمد بن عمر بن واقد الأسلمى بسند رفعه إلى عبد الله بن عباس وغيره رضى الله عنهم : « إن عبد المطلب بن هاشم لما رأى قلة أعوانه في حفر زمزم نذر لئن أكل الله له عشرة ذكور حتى يراهم - أن يذبح أحدهم ، فلما تكاملوا عشرة وهم : الحارث ، والزبير ، وأبو طالب ، وعبد الله ، وحزرة ، وأبو لهب ، والعنيداق ، والمقوم ، وضرار ، والعباس » . هكذا نقل محمد

(١) ٥٣ : ١ (قسم أول) . (٢) في طبقات ابن سعد ١ : ٥٣ (قسم أول) : « عشرة ، فهم .

(٣) الزبير : يفتح الزاى عند البلاذرى وأبى القاسم الوزير ، وضما عند غيرهما . الزرقانى ١ / ٩٤ .

(٤) اسم العنيداق : جمل ، ولقب بالعنيداق لكثرة خيره وسعة ماله . وأنظر الزرقانى ١ : ٩٤ ، وسيرة

ابن هشام ١ : ١١٤ . (٥) المقوم بكسر الواو المشددة وضحاها . وأنظر الزرقانى ١ : ٩٤ .

ابن سعد، وعد من العشرة حمزة والمقوم؛ ويرد هذا العدد ما روي أن عبد المطلب لم يتزوج أم حمزة إلا بعد الفداء، وقد عد محمد بن السائب الكلبي أولاد عبد المطلب الذكور اثني عشر، فيهم المغيرة، وقثم، وعدهم الزبير بن بكار ثلاثة عشر فيهم عبد الكعبة، وحمزة، والمقوم، والمغيرة؛ هؤلاء الثلاثة إخوة أشقاء كلهم لهالة بنت وهيب، وزواج عبد المطلب هالة هذه كان بعد الفداء على ما حكاه ابن سعد أيضا عن الواقدي، ولعل العشرة تكمل بقثم وعبد الكعبة. والله تعالى أعلم.

فلنرجع إلى سبب خبر محمد بن سعد قال: « فلما تكاملوا عشرة جمعهم، ثم أخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء لله [به]،^(٣) فما اختلف عليه منهم أحد، وقالوا: أوف بنذرك، وأنفعل ما شئت، فقال: ليكتب كل رجل منكم اسمه في قدح ففعلوا، فدخل عبد المطلب في جوف الكعبة وقال للسائد: أضرب بقديحهم فضرب، فخرج قدح عبد الله أولها، وكان عبد المطلب يحبه، فأخذ بيده يقوده إلى المذبح ومعه المديّة، فبكى بنات عبد المطلب وكنّ قياما، وقالت إحداهن لأبيها: أعذر فيه بأن تضرب في إبلك السوائم التي في الحرم، فقال للسائد: اضرب عليه بالقديح، وعلى عشرة من الإبل، وكانت الديّة يومئذ عشرة من الإبل، فضرب فخرج القدح على عبد الله، فجعل يزيد عشرا عشرا، كل ذلك

(١) أورد الزرقاني في شرح المواهب ٩٤/١ هذا الاعتراض وناقشه.

(٢) في الأصل: «أهيب»، والذي أثبت عن المعارف لابن قتيبة ص ٥٢، والزرقاني ٩٤: ١.

(٣) التكلفة عن طبقات ابن سعد ١: ٥٣ (قسم أول)، وسيرة ابن هشام ١: ١٦٠، وتاريخ

الطبري ٢: ١٧٣.

(٤) السائد: خادم بيت الأصنام.

(٥) في طبقات ابن سعد ١: ٥٣ (قسم أول): «وعلى عشر من الإبل»، وكانت الديّة يومئذ

عشرا من الإبل.

يُخْرِجُ الْقِدْحَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ حَتَّى كَلَّمَتْ مَائَةً ^(١) ، فَضْرَبَ ^(٢) [بِالْقِدْحِ] نَخْرَجَ عَلَى الْإِبْلِ ، فَكَبَّرَ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ وَالنَّاسُ مَعَهُ ، وَاحْتَمَلَ بَنَاتُ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ أَخَاهُ عَبْدَ اللَّهِ ، وَقَدَّمَ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ الْإِبْلَ فَنَحَرَهَا بَيْنَ الصَّفَا وَالْمُرْوَةِ ، وَخَلَّى بَيْنَهَا وَبَيْنَ كُلِّ مَنْ وَرَدَهَا مِنْ إِنْسِيٍّ أَوْ سَبْعٍ أَوْ طَائِرٍ ، لَمْ يَذُبَّ عَنْهَا أَحَدًا ، وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْهَا هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : كَانَتْ الدِّيَةُ يَوْمَئِذٍ عَشْرًا مِنَ الْإِبْلِ ، وَعَبْدُ الْمُطَلِّبِ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ دِيَةَ النَّفْسِ مَائَةً مِنَ الْإِبْلِ ، فَجُرَتْ فِي قُرَيْشٍ وَالْعَرَبِ مَائَةً ^(٣) ، وَأَقْرَظَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ ^(٤) .

هَذَا مَا أَوْرَدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ . وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ فِي السِّيَرَةِ : قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ قَدْ نَذَرَ حِينَ لَقِيَ مِنْ قُرَيْشٍ مَا لَقِيَ ^(٥) عِنْدَ حَفَرِ زَمْزَمَ : لَثْنٌ وَلِدْلُهُ عَشْرَةُ نَقَرٍ ، ثُمَّ بَلَغُوا مَعَهُ حَتَّى يَمْنَعُوهُ ، لِيَنْتَحِرَنَ أَحَدَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، فَلَمَّا تَوَافَى بَنُوهُ عَشْرَةً ، وَعَرَفَ أَنَّهُمْ سَيَمْنَعُونَهُ جَمْعَهُمْ ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ بِنَذْرِهِ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْوَفَاءِ لِلَّهِ بِذَلِكَ ، فَأَطَاعُوهُ وَقَالُوا كَيْفَ نَصْنَعُ ؟ قَالَ : لِيَأْخُذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ قِدْحًا ، ثُمَّ لِيَكْتُبَ فِيهِ اسْمَهُ ، ثُمَّ أَتُونِي ،

- ١٥ (١) رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ ٥٣ : ١ (قِسْمُ أَوَّلٍ) : « حَتَّى كَلَّمَتْ الْمَائَةَ » . (٢) عَنْ طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ ٥٣ : ١ (قِسْمُ أَوَّلٍ) . (٣) رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ ٥٤ : ١ (قِسْمُ أَوَّلٍ) : « أَوْطَارُهُ لَا يَذُبُّ » . (٤) فِي الْأَصْلِ : « عَنْهُمَا ، وَكَانَتْ » ، وَالْمُنْبِتُ رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ ٥٤ : ١ (قِسْمُ أَوَّلٍ) . (٥) فِي ابْنِ سَعْدٍ ٥٤ : ١ (قِسْمُ أَوَّلٍ) : « مَائَةً مِنَ الْإِبْلِ ، وَأَقْرَظَهَا » . (٦) انْظُرِ الْخَبَرَ عَنِ الْبُشَيْرِ ٨٩ : ٣ (قِسْمُ أَوَّلٍ) . (٧) السِّيَرَةُ ١ : ١٦٠ . وَانْظُرِ الطَّبْرِيَّ ١٧٣ : ٢ (٨) فِي الطَّبْرِيِّ ١٧٣ : ٢ : « مَا لَقِيَ فِي حَفَرٍ » : (٩) فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ ٢ : ٢٤٨ : « اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ » . (١٠) فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ١٧٣ : ٢ : « بِأَخْذِ كُلِّ وَاحِدٍ » . (١١) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ : « ثُمَّ يَكْتُبُ » ، وَفِي دَلَالِ النَّبُوَّةِ لِلْبَيْهَقِيِّ ١ : ٢١ : « قِدْحًا ، فَيَكْتُبُ » . (١٢) فِي دَلَالِ النَّبُوَّةِ لِلْبَيْهَقِيِّ ١ : ٢٢ : « ثُمَّ يَأْتُونِي » .

فَفَعَلُوا ثُمَّ أَتَوْهُ ، فَدَخَلَ بِهِمْ عَلَى هُبَلٍ فِي جَوْفِ الْكُفَّةِ ، وَكَانَ هُبَلٌ عَلَى بئرٍ
فِي جَوْفِ الْكُفَّةِ ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْبئرُ الَّتِي يُجْمَعُ فِيهَا مَا يُهْدَى لِلْكُفَّةِ ، وَكَانَ عِنْدَ
هُبَلٍ قِدَاحٌ سَبْعَةٌ ، كُلُّ قِدَحٍ مِنْهَا فِيهِ كِتَابٌ ، قَدَحٌ فِيهِ « الْعَقْل » إِذَا اخْتَلَفُوا
فِي « الْعَقْلِ » مِنْ يَحْمِلُهُ مِنْهُمْ ضَرَبُوا بِالْقِدَاحِ السَّبْعَةِ ، فَعَلَى مَنْ خَرَجَ قِدَحُ « الْعَقْلِ »
حَمْلُهُ ؛ وَقِدَحٌ فِيهِ « نَعَمْ » لِلأَمْرِ إِذَا أَرَادُوهُ يُضْرَبُ بِهِ فِي الْقِدَاحِ ، فَإِنْ خَرَجَ قِدَحُ
« نَعَمْ » عَمِلُوا بِهِ ؛ وَقِدَحٌ فِيهِ « لَا » ، فَإِنْ خَرَجَ ذَلِكَ الْقِدَحُ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ الأَمْرَ ؛
وَقِدَحٌ فِيهِ « مِنْكُمْ » ؛ وَقِدَحٌ فِيهِ « مُلْصَقٌ » ؛ وَقِدَحٌ فِيهِ « مِنْ غَيْرِكُمْ » ؛ وَقِدَحٌ
فِيهِ « الْمِيَاهُ » إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَخْفِرُوا لِلْمَاءِ ضَرَبُوا بِالْقِدَاحِ فِيهَا ذَلِكَ الْقِدَحُ ، فَمِنْهُمَا
خَرَجَ عَمِلُوا بِهِ .

وَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَخْتَنُوا غُلَامًا أَوْ يُنْكِحُوا مَتْنَكًا ، أَوْ يَدْفِنُوا مَيِّتًا ،
أَوْ شَكُوا فِي نَسَبِ أَحَدِهِمْ ، ذَهَبُوا إِلَى هُبَلٍ وَبِمِائَةِ دِرْهَمٍ وَجَزُورٍ ، فَأَعْطَوْهَا
صَاحِبَ الْقِدَاحِ الَّذِي يَضْرِبُ بِهَا ، ثُمَّ قَرَّبُوا صَاحِبَهُمُ الَّذِي يُرِيدُونَ بِهِ مَا يُرِيدُونَ ،
ثُمَّ قَالُوا : يَا إِلَهَنَا ! هَذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ قَدْ أَرَدَنَا بِهِ كَذَا وَكَذَا ، فَأَخْرِجِ الْحَقَّ فِيهِ ، ثُمَّ
يَقُولُونَ لِصَاحِبِ الْقِدَاحِ : اضْرِبْ ! فَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ « مِنْكُمْ » كَانَ مِنْهُمْ وَسِيطًا ،
وَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ « مِنْ غَيْرِكُمْ » كَانَ حَلِيفًا ، وَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ « مُلْصَقٌ » كَانَ عَلَى

- (١) فِي الطَّبَرِيِّ ٢ : ١٧٣ : « وَكَانَتْ هِبَلٌ أَكْثَرُ أَصْنَافِ قُرَيْشٍ ، وَكَانَتْ عَلَى بئرٍ فِي جَوْفِ » .
وَانظُرِ الزُّرْقَانِي ١ / ٩٥ ، وَالْخَبَرُ عَنِ الْبَشَرِ ٣ : ١٦٠ (قِسْمٌ أَوَّلٌ) . (٢) الْعَقْلُ : الدِّينَةُ .
(٣) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ١ : ١٦٠ ، وَالْخَبَرُ عَنِ الْبَشَرِ ٣ : ٨٦ (قِسْمٌ أَوَّلٌ) : « السَّبْعَةُ » ، فَإِنْ خَرَجَ
الْعَقْلُ فَفُلٌ . (٤) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ١ : ١٦٠ ، وَالْخَبَرُ عَنِ الْبَشَرِ ٣ : ٨٦ (قِسْمٌ أَوَّلٌ) : « فِيهِ « لَا » ،
إِذَا أَرَادُوا أَمْرًا ضَرَبُوا بِهِ فِي الْقِدَاحِ فَإِذَا » . (٥) فِي الطَّبَرِيِّ ٢ : ١٧٣ : « الَّذِي يَضْرِبُهَا » .
(٦) الْوَسِيطُ : الْخَالِصُ مِنَ النَّسَبِ ، وَالشَّرِيفُ فِي قَوْمِهِ . وَرَوَاةُ الطَّبَرِيِّ : « كَانَ مِنْكُمْ وَسِيطًا » .

مترلته فيهم ، لا تَسَبُّ له ولا حِلْف ، وإن خرج في شيء مما سوى هذا مما يعملون^(٣)
 به « نعم » عملوا به ، وإن خرج عليه « لا » أخره عامته ذلك حتى يأتيه به مرة^(٤)
 أخرى ؛ يَتَنَوَّن في أمورهم إلى ذلك مما خَرَجَتْ به القِدَاح ؛ فقال عبد المطلب
 لصاحب القِدَاح : أضرب على بَنِي هَؤُلَاءِ بِقِدَاحِهِمْ هذه ، وأخبره بنذر الذي نذره ،
 فأعطاه كل رجل منهم قِدَاحَهُ الذي فيه اسمُهُ ، وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغر^(٥)
 بني أبيه ، وهو أحبُّ ولده إليه ، وهو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما^(٦)
 أخذَ صاحب القِدَاح القِدَاح ليضرب بها قام عبد المطلب عند هُبْل يدعو الله ،
 ثم ضَرَبَ صاحبُ القِدَاح نَخْرَجَ القِدَاح على عبد الله ، فأخذ عبد المطلب بيده^(٧)
 وأخذ الشُقْرَةَ ، ثم أقبل إلى إِسَافٍ ونَائِلَةٍ لِيَذْبَحَهُ ، فقامت إليه قُرَيْشٌ من أَدِيتِها^(٨)
 فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أَذْبَحُهُ ، فقالت له قُرَيْشٌ وبَنُوهُ : والله^(٩)
 لا تَذْبَحُهُ حتى تُعَذِّرَ فيه ؛ لئن فعلتَ هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه ، فما بَقَاءُ^(١٠)

- (١) في الطبري ٢ : ١٧٣ : « على منزلة منهم » .
 (٢) عن الطبري ٢ : ١٧٣ وابن هشام ١ : ١٦٠ ، وفي الأصل : « لا نسب إليه ولا حلف » .
 (٣) في الأصل : « خرج فيه شيء » ، تصحيف ، والتصويب عن الطبري ٢ : ١٧٣ .
 (٤) رواية الطبري ٢ : ١٧٣ : « أخره عامتهم في ذلك حتى يأتيه » .
 (٥) في ابن هشام ١ : ١٦٠ : « الذي نذر ، فأعطاه » ، وفي الطبري ١ : ١٧٣ « الذي نذر ،
 فأعطى كل » . (٦) لعله يريد كان أصغر بنيهم حين أراد الوقوف بنذره ، ويوجب هذا التوجيه
 أنه قد سلف له أن عبد المطلب لم يتزوج أم حزمة إلا بعد الفداء ، فيكون بذلك ولده منها أصغر من
 عبد الله . وانظر شرح الزرقاني على المراهب ١ : ٩٤ ، والروض الأنف ١ / ١٠٣ .
 (٧) كذا في الطبري ٢ / ١٧٣ ، وفي رواية ابن هشام ١ : ١٦٠ : « فأخذ عبد المطلب » .
 (٨) هذه رواية الطبري ٢ : ١٧٣ ، وفي سيرة ابن هشام ١ : ١٦٢ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٤٨ :
 « ثم أقبل به » . (٩) في تاريخ الطبري ٢ : ١٧٣ ، وسيرة ابن هشام ١ : ١٦٢ ،
 والبداية ٢ : ٢٤٨ : « لا تذبجه أبدا » . (١٠) في الأصل : « تعذره » ، تصحيف .

الناس على هذا ؟ ! وقال له المُعِينَةُ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم [بن يَقْطَبة ^(٢)] - وكان عبد الله ابن أخت القوم - : لا تَذْبَحْهُ حتى تُعْذِرَ فيه ^(٣) ، فإن كان فِدَاؤُهُ بأموالنا فَدَيْنَاهُ ، وقالت له قُرَيْشُ وَبَنُوهُ : لا نَفْعَلْ ، وَأَنْطَلِقَ به إلى الحجاز فإن به عَرَّافَةٌ لها ^(٤) تَأْبِيعُ فُسْلَهَا ، ثم أنت على رأس أَمْرِكَ ، إن أَمَرْتَكَ بِذْبَحِهِ ذَبَحْتَهُ ، وإن أَمَرْتَكَ بِأَمْرِ لِكَ وله فيه فَخْرٌ قِيلَتْهُ ، فَاَنْطَلَقُوا حتى قَدِمُوا المَدِينَةَ فَوَجَدُوهَا - فيما يَزْعُمُونَ - بِحَيْرٍ ، فَرَكِبُوا [إِلَيْهَا] حتى جَاءُوهَا فَسَأَلُوهَا ، وَقَصَّ عَلَيْهَا عَبْدُ الْمُطَّلَبِ خَبْرَهُ [وَخَبَرَ ابْنَهُ] ، فقالت لهم : قد جَاءَنِي الْخَبَرُ ، كم الدِّيَةُ فيكم ؟ قالوا : عَشْرُ ^(٥) مِنَ الْإِبِلِ ، قالت : فَارْجِعُوا إِلَى بِلَادِكُمْ وَقَرِّبُوا عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ ، ثم أَصْرِبُوا عَلَيْهَا ^(٦) وَعَلَيْهِ بِالْقَدَاحِ ، فَإِنْ نَخَرَجْتَ عَلَى صَاحِبِكُمْ فَرِيدُوا مِنَ الْإِبِلِ حتى يَرْضَى رَبُّكُمْ ، ^(٧)

- (١) في سيرة ابن هشام ١ : ١٦٢ : « بن عمرو » ، وفي الطبري ٢ : ١٧٣ ، وابن الأثير ٢ : ٦ ، والخبر عن البشر ٣ : ٨٧ (قسم أول) ما يوافق رواية المؤلف . (٢) تكملة عن سيرة ابن هشام ١ : ١٦٢ ، والطبري ٢ : ١٧٧ . (٣) في سيرة ابن هشام ، وتاريخ الطبري ، والخبر عن البشر ٣ : ٨٧ (قسم أول) : « القوم ، والله لا تذبحه أبدا حتى تعذرفيه » . (٤) اسمها قطبة في قول ، وسجاح في قول آخر . وانظر السبيل ١ : ١٠٣ ، والبداية ٢ / ٢٤٨ ، وشرح الزرقاني على المواهب ١ : ٩٦ . (٥) في الأصل : « ثم آيت » . والمثبت عن ابن هشام ١ : ١٦٢ ، والطبري ٢ : ١٧٤ ، والخبر عن البشر ٣ : ٨٧ ، والبداية ٢ : ٢٤٨ . (٦) الطبري ٢ : ١٧٤ : « أن تذبحه » ، البداية ٢ : ٢٤٨ : « بذبحه فاذبحه » . (٧) ابن هشام ١ : ١٦٢ ، والطبري ٢ : ١٧٤ : « وله فيه فرج » . (٨) في الأصل : « فركبوا حتى » ، والتكملة عن الطبري ٢ : ١٧٣ (٩) تكملة عن ابن هشام ١ : ١٦٢ ، والبداية ٢ : ٢٤٨ . (١٠) اختصر النويري . والنص كما يرويه ابن هشام ١ : ١٦٢ ، والخبر عن البشر ٣ : ٨٧ ، وابن كثير في البداية ٢ : ٢٤٨ : « ... فقالت لهم أرجعوا عني اليوم حتى يأتيني تائب فأسأله ، فرجعوا من عندها ، فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله ، ثم غدوا عليها فقالت لهم ... الخ » . (١١) في سيرة ابن هشام ١ : ١٦٢ ، والخبر عن البشر ٣ : ٨٧ : « الإبل ، وكانت كذلك ، قالت » . (١٢) في البداية ٢ : ٢٤٨ : « بلادكم ، ثم قربوا صاحبكم وقربوا » . (١٣) في الطبري : « فريدوا في الإبل » .

وإن نَحَرَجْتَ عَلَى الْإِبِلِ فَانْحَرُوهَا عَنْهُ ، فَقَدْ رَضِيَ رَبُّكُمْ وَنَجَّاهُ صَاحِبُكُمْ ، فَخَرَجُوا حَتَّى قَدِمُوا مَكَّةَ وَفَعَلُوا ذَلِكَ ، وَالْقِدَاحُ تَقَعُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، وَعَبْدُ الْمُطَّلَبِ يَزِيدُ عَشْرًا عَشْرًا ، وَهُوَ قَائِمٌ يَدْعُو حَتَّى بَلَغَتْ الْإِبِلُ مِائَةَ ، فَخَرَجَ الْقِدْحُ عَلَى الْإِبِلِ ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ وَمَنْ حَضَرَ : قَدْ أَتَيْتُمْ ، رَضِيَ رَبُّكَ يَا عَبْدَ الْمُطَّلَبِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ : لَا وَاللَّهِ ! حَتَّى أَضْرِبَ عَلَيْهِ بِالْقِدَاحِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَضَرَبُوا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ وَعَلَى الْإِبِلِ ، وَعَبْدُ الْمُطَّلَبِ قَائِمٌ يَدْعُو ، فَخَرَجَ الْقِدْحُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ عَلَى الْإِبِلِ ، فَتُحَرَّتْ عِنْدَ ذَلِكَ . وَذَكَرَ نَحْوَ مَا تَقْدُمُ .

ذِكْرُ زَوَاجِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ أَمَةً

بِنْتُ وَهَبٍ أُمُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ وَاقِدٍ بِسَنَدٍ يَرْفَعُهُ ، قَالَ : كَانَتْ أَمَةً بِنْتُ وَهَبٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ ، فِي خِجَرِ عَمِّهَا وَهَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، فَشَفَى إِلَيْهِ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ بَابَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ أَبِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

(١) اختصر المؤلف نص ابن إسحاق أيضا ، وقد ورد مفصلا في سيرة ابن هشام ١ : ١٦٣ ، والخبر عن البشر ٣ : ٨٧ (٢) في تاريخ الطبري ٢ : ١٧٤ ، وسيرة ابن هشام ١ : ١٦٤ ، والخبر عن البشر ٣ : ٨٨ : « قَدْ أَتَيْتُمْ رِضَاءَ رَبِّكَ » عَلَى الْإِضَافَةِ .

(٣) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ١ : ١٦٤ : « يَا عَبْدَ الْمُطَّلَبِ ، فَرَعَمُوا أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلَبِ قَالَ ... انْخ » . (٤) فِي الطَّبْرِيِّ ٢ : ١٧٤ ، وَسِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ١ : ١٦٤ ، بِدَايَةِ ٢ : ٢٤٩ ، وَالْخَبَرُ عَنِ الْبَشَرِ ٣ : ٨٨ : « أَضْرِبْ عَلَيْهَا » . (٥) طَبَقَاتُ ١ : ٥٨ (قِسْمُ أَوَّلٍ) .

(٦) زُهْرَةُ بِضَمِّ الزَّايِ وَسُكُونِ الْهَاءِ ، وَفِي صَحَاحِ الْجَوْهَرِيِّ « زَهْرٌ » : أَنَّ زُهْرَةَ اسْمُ امْرَأَةٍ عَرَفَ بِهَا بَنُو زُهْرَةَ . قَالَ السَّبِيلُ ١ : ٧٩ : « وَهَذَا مُتَكَرِّرٌ غَيْرٌ مَعْرُوفٌ ، وَإِنَّمَا زُهْرَةُ جَدُّهُمْ كَمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ » ، وَقَالَ : اسْمُ زُهْرَةَ الْمُتَفِيرَةِ . وَانْظُرِ الزُّرْقَانِي ١ : ١٠٣ ، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (زَهْرٌ) .

فخطب

فخطب عليه آمنة فزوجها عبد الله ، وخطب إليه عبد المطلب بن هاشم في مجلسه ذلك أبنته هالة بنت وهيب على نفسه ، فزوجه إياها ، فكان تزوجهما في مجلس واحد ، فولدت هالة لعبد المطلب حمزة ^(١) ، وكان حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في النسب ، وأخاه من الرضاعة .

ونقل أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر رحمه الله : أن عبد الله ابن عبد المطلب تزوج آمنة وهو ابن ثلاثين سنة ^(٢) . قال : وقيل بل كان يومئذ ابن خمس وعشرين سنة .

وعن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه ، وعن أبي الفياض الخثعمي قال : لما تزوج عبد الله آمنة أقام عندها ثلاثا ، وكانت تلك السنة عندهم .

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام عن محمد بن إسحاق : إن عبد المطلب لما فدى أبنة عبد الله أخذ بيده ، ونحرج به حتى أتى وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وهو يومئذ سيد بني زهرة نسباً وشرفاً ، فزوجه أبنته آمنة ، وهى يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعا ، قال : فزعموا أنه دخل عليها حين أملىكها مكانه فوقع عليها ، فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) .

(١) في ابن سعد ١ : ٥٨ (قسم أول) : « حمزة . فكان » .

(٢) في الاستيعاب ١ : ١٦ :

(٣) القائل ابن سعد (١ : ٥٨ قسم أول) .

(٤) السيرة ١ : ١٦٤ .

(٥) أملك المرأة بالبناء للجهول : تزوجهما .

(٦) في البداية ٢ : ٢٤٩ : « حملت منه برسول الله » .

ذكر خبر المرأة التي عرّضت نفسها على عبد الله بن عبد المطلب وما أبدته من سبب ذلك

قد اختلف في هذه المرأة، فمنهم من يقول: هي قَيْلَة^(١)، بنتُ نُوْفَل، بنِ أسد، ابن عبد العزى، بن قُصَيٍّ، وهي أخت وَرَقَة بن نُوْفَل. قال السَّهْلِي: اسمها رُقَيْقَة بنت نُوْفَل تُكْنَى أم قتال، وهي أخت وَرَقَة بن نُوْفَل. ومنهم من يقول: هي فاطمة بنت مُرَّ الخَثْعَمِيَّة، وقيل غيرها. ونحن نذكر ما قالوه في ذلك.

فأما عبد الملك بن هشام فقال: لما انصرف عبد المطلب يوم الفداء أخذًا بيد ابنه عبد الله، فمر به على امرأة من بني أسد، وهي أخت وَرَقَة بن نُوْفَل، وهي عند الكعبة، فقالت له حين نظرت إلى وجهه: أين تذهب يا عبد الله؟ قال: مع أبي، قالت: لك مثل الإبل التي تُمَحَرَّت عنك وقع على الآن. قال: أنا مع أبي، ولا أستطيع خلاقه ولا فراقه، ففرج به عبد المطلب حتى أتى وهب ابن عبد مناف. وذكر خبر زواجه بأمنة، وأنه وقع عليها كما ذكرناه آنفاً.

قال: ثم خرج من عندها، فأتى المرأة التي عرّضت عليه ما عرّضت، فقال لها: مالك لا تعرضين عليّ اليوم ما كنتِ عرّضتِ عليّ بالأمس؟ قالت له: فارقك النور الذي كان معك بالأمس، فليس لي بك اليوم حاجة.

(١) بضم القاف وفتح المثناة الفوقية فتحية ما كنة. (٢) في طبقات ابن سعد ١: ٥٨ (قسم أول): «بن قصي: أخت ورقة». وفي الأصل: «قصي بن أخت ورقة». تصحيف، والمثبت عن الطبري ٢: ١٧٣، وانظر السهلي ١: ١٠٢. (٣) في الروض الأنف ورقة ٥٣ ب. (٤) في الأصل: «رقية»، تصحيف. وانظر الزرقاني ١: ١٢٣ (بولاق). (٥) هو قول أبي نعيم، وابن عساكر رواية عن ابن عباس. وانظر الروض ١: ١٠٤، ١٠٢. (٦) في السيرة ١: ١٦٤. وانظر الطبري ٢: ١٧٤، البداية ٢: ٢٤٩. (٧) في الطبري ٢: ١٧٤، ابن الأثير ٢: ٧، والبيهقي ١: ٢٤ ب: «إن معي أبي».

وقال الواقدي^(١) : هي قَيْلَة بنتُ تَوَل . وعن ابن عباس رضى الله عنهما :
أنها امرأة من بنى أسد ، وهي أخت ورقة .

قال الواقدي^(٢) : كانت تنظر وتعتاف^(٣) ، فز بها عبدُ الله فدعته يستبضع منها ،
ولزمت طرف ثوبه فأبى وقال : حتى آتيك ، وخرج مُسرعا حتى دخل على أمنة^(٤)
فوقع عليها ، فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم رجع إلى المرأة وهي تنتظره
فقال : هل لك في الذى عَرَضْتِ على ؟ فقالت : لا . مررت وفي وجهك نورٌ
ساطع ، ثم رجعت وليس فيه ذلك النور .

قال^(٥) : وقال بعضهم قالت : مررت وبين عينيك غُرة مثل غُرة الفرس ،
ورجعت وليس هى في وجهك .

وقال محمد بن عُمر بن واقد ، عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبيه ،
عن أبي الفياض الخثعمي^(٦) ، قال : مرَّ عبد الله بامرأة من خثعم يُقال لها : فاطمة

(١) نقله ابن سعد ١ : ٥٨ - ٥٩ (قسم أول) .

(٢) نقله ابن سعد في الطبقات ١ : ٥٨ (قسم أول) .

(٣) في دلائل النبوة للبيهقي (١ : ورقة ١٢٥) : « وكانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل ، وكان

قد تضرع واتبع الكتب ، يقول : إنه لكائن في هذه الأمة نبي في بنى إسماعيل » ، وانظر البداية والنهاية

٢ : ٢٤٩ ، والزرقاني ١ : ١٠١ .

(٤) في طبقات ابن سعد ١ : ٥٨ (قسم أول) : « وخرج مريما » .

(٥) القائل الواقدي .

(٦) نقله ابن سعد ١ : ٥٩ (قسم أول) .

(٧) في طبقات ابن سعد ١ : ٥٩ (قسم أول) : « الكلبي عن أبي الفياض » ، وانظر ابن الأثير

٢ : ٤٤ ، ودلائل النبوة لأبي نعيم ١ : ٣٩ .

بنتُ مرءٌ، وكانت من أجمل الناس وأشبه وأعفه،^(٢) وكانت قد قرأت الكتب،^(٣)
وكان شَبَابُ قُرَيْشٍ يتحدثون إليها، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت :
يا فتى ! من أنت ؟ فأخبرها، قالت : هل لك أن تقع عليّ وأعطيك مائة^(٤) من
الإبل ؟ فنظر إليها وقال :

أما الحرامُ فالنماتُ دونَه * والحِلُّ لا حلَّ فاستنيتَه
فكيف بالأمر الذي تنوينَه^(٥) *^(٦)

ثم مضى إلى أمراته آمنة، فكان معها، ثم ذكر الخبئية وجمالها، وما عرضت
عليه، فأقبل عليها فلم ير منها من الإقبال عليه آخر كما رآه منها أولا، فقال : هل لك
فيما قلت لي ؟ فقالت : « قد كان ذاك مرةً فاليوم لا »^(٧)، فذهبت مثلاً، وقالت :
أى شيء صنعت بعدى ؟ قال : وقعت على زوجتى آمنة، قالت : إني والله لست

(١) في الطبري ١٧٤ : ٢ : « كاهنة من غنم يقال لها فاطمة بنت مر مهودة من أهل تبالة ،
قد قرأت الكتب » . وانظر البداية ٢ : ٢٥٠ ، وابن الأثير ٢ : ٤ ، والزرقاني ١ : ١٠٢ .

(٢) كذا في الأصل ، وطبقات ابن سعد ، وانظر السيرة الحلبية ١ : ٣٩ .

(٣) رواية ابن سعد ١ : ٥٥ (قسم أول) : « قرأت الكتب » .

(٤) في دلائل النبوة لأبي نعيم ١ : ٣٩ ، والبداية ٢ : ٢٥٠ : « تقع على الآن » .

(٥) في الأصل : « فكيف للأمر » ، وفي دلائل النبوة لأبي نعيم ١ : ٣٩ : « فكيف لي
الأمر » ، والمثبت عن الطبري ، وابن الأثير ٢ : ٤ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٥٠ ، وعبود الأثر
٢٤ : ١ .

(٦) هكذا يرويه أيضا الميداني في مجمع الأمثال ٢ : ٢٥ ، وفي ابن الأثير ، وأبي نعيم والبداية ،
وعبود الأثر ١ : ٢٤ : « الذي تبغيه » .

(٧) رواية الميداني ٢ : ٣٤ : « قد كان ذلك مرة » . والمثل يضرب في السدم والإجابة
بعد الاجترام .

(١) بصاحبة زينة، ولكنى رأيتُ نور النبوة في وجهك، فأردت أن يكون ذلك في،
وأبى الله إلا يجعله حيث جعله .

وبلغ شباب قريش ما عرضت على عبد الله وتأبىه عليها، فذكروا ذلك لها،
فأنشأت تقول :

إني رأيتُ ^(٢)مُخيلة ^(٣)عرضت * فتلاّلات ^(٤)بجناهم القطر
فلما ^(٥)تأبى ^(٦)نورا ^(٧)يضىء له * ما حوله كإضاءة الفجر

ورأيتَه ^(٨)شرفاً أبوء به * ما كلُّ قاذح زنده يُورى
لله ما زهرية ^(٩)سلبت * ثوبيك ما استلبت وما تدرى

وقالت أيضاً :

بني هاشم قد غادرت من أخيم ^(١٠)* أمينة إذ للباه يعتلجان ^(١١)
كما غادر المصباح بعد خبوه * فتائل قد ميّنت له بدهان

(١) في الطبري ٢ : ١٧٤ ، وابن الأثير ٢ : ٤ : « رية » .

(٢) المخيلة بالضم : السحابة التي إذا رأيتها حسبتها ماطرة . والمخيلة بالفتح : السحابة .

(٣) رواية الميداني ٢ : ٣٥ « نشأت » .

(٤) لما تأبى : أى أبصرتها ولحقها . وفي الأصل : « فلما تأبى نور » تصحيف ، وانظر لسان العرب

« لما » ، والطبري ٢ : ١٧٤ .

(٥) في ابن الأثير ٢ : ٤ : « يضىء به » .

(٦) في الطبري ٢ : ١٧٤ ، وابن الأثير ٢ : ٤ : « فرجوة نخرا » .

(٧) رواية ابن الأثير ٢ : ٤ : « منك الذى سلبت وما تدرى » .

(٨) في الأصل : « وقال » ، تصحيف .

(٩) رواية الطبري ، وابن الأثير ، وابن كثير : « للباه يعتركان » .

(١٠) هكذا برويه الميداني ٢ : ٣٥ ، وفي ابن الأثير ، والبديعة : « عند حموده » .

وما كُلُّ ما يَحْوِي الفَتَى من بِلَادِهِ ^(١) * بِحَزْمٍ ولا ما فَاتَهُ لِتَوَانٍ ^(٢)
 فَاجْبِلْ إِذَا طَالَبْتَ أَمْرًا فَإِنَّهُ * سَيَكْفِيكَ جَدَانٍ يَصْطَرَعَانِ
 سَتَكْفِيكَ إِنَّمَا يَدُ مُقَفِّلَةٍ ^(٣) * وَإِنَّمَا يَدُ مَبْسُوطَةٍ بَيَانٍ
 وَلَمَّا قَضَتْ مِنْهُ أَمِينَةٌ مَا قَضَتْ * نَبَا بَصِيرَى عَنْهُ وَكُلُّ لِسَانٍ ^(٤)

وعن أبي يزيد المدني قال: بُنِيتُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ أَبَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 أتى على امرأة من خَتَمِ فَرَاتٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ نَوْرًا ساطِعًا إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَتْ: هَلْ لَكَ
 فِي؟ قال: نَعَمْ حَتَّى أُرْمِيَ الْجَمْرَةَ، فَأَنْطَلِقُ فَرَمِي الْجَمْرَةَ، ثُمَّ أَتَى أَمْرَأَتَهُ أَمْنَةَ بِنْتَ
 وَهَبٍ، ثُمَّ ذَكَرَ الْخُتْمِيَّةَ فَأَتَاهَا فَقَالَتْ: هَلْ أَتَيْتَ أَمْرَأَةً بَعْدِي؟ قال نعم، أَمْرَأَتِي
 أَمْنَةَ بِنْتَ وَهَبٍ، قَالَتْ: فَلَا حَاجَةَ لِي بِكَ، إِنَّكَ مَرَرْتَ وَبَيْنَ عَيْنَيْكَ نَوْرٌ
 ساطِعٌ إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمَّا وَقَعْتَ عَلَيْهَا ذَهَبَ، فَأَخْبَرَهَا أَنَّهَا قَدْ حَمَلَتْ بِخَيْرِ أَهْلِ
 الْأَرْضِ.

وقال محمد بن إسحاق: حَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقُ بْنُ يَسَّارٍ، أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ
 إِذَا دَخَلَ عَلَى أَمْرَأَةٍ كَانَتْ لَهُ مَعَ أَمْنَةَ بِنْتَ وَهَبٍ، وَقَدْ عَمِلَ فِي طِينٍ لَهُ، وَبِهِ
 آثَارُ مِنَ الطِّينِ، فَدَعَاَهَا إِلَى نَفْسِهِ فَأَبْطَأَتْ عَلَيْهِ لَمَّا رَأَتْ عَلَيْهِ مِنْ آثَارِ الطِّينِ،

(١) رواية الميداني ٢: ٣٥: «وما كل ما نال الفتى من نصيبه».

(٢) رواية الطبري، وابن الأثير: «ملاده * لغزم».

(٣) مقفلة: متقبضة، متشنجة الأصابع.

(٤) رواية ابن الأثير، والطبري: «قضت * حوت منه لغزا ما لذلك شأى».

(٥) في الأصل: «المدني»، والمثبت عن طبقات ابن سعد ١: ٦٠ (قسم أول).

(٦) في طبقات ابن سعد ١: ٦٠ (قسم أول): «ثم ذكر يعني الختمية».

(٧) في طبقات ابن سعد: «قد حملت خير أهل».

(٨) في الأصل: «أنه حدثه»، تصحيف.

فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين ، ثم خرج عابداً إلى
آمنة فتربها ، فدعته فأبى عليها ، وعمد إلى آمنة فدخل عليها ؛ فأصابها فحملت
بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مرت بأمراءه تلك فقال لها : هل لك ؟
قالت : لا . مرت بي وبين عينك غرة ، فدعوتك فأبيت ، ودخلت على آمنة
فذهبت بها .

قال ابن إسحاق ^(١) : وزعموا أن أمراءه تلك كانت تُحدث : أنه مر بها وبين عينه
مثل غرة الفرس ، قالت : فدعوته رجاء أن تكون تلك بي ، فأبى علي ، ودخل على
آمنة فأصابها ، فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أوسط قومه نسبا ، وأعظمهم
شرفاً من قبل أبيه وأمه . والله الفعال .

ذكر حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم

وما رآته ، وما قيل لها

حملت به صلى الله عليه وسلم أيام التشريق في شعب أبي طالب عند الجرة
الوسطى ، رواه أبو عمر بن عبد البر عن الزبير بن بكار ، وحكاه غيره أيضاً .

وقيل حملت به في دار وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب .

وروى محمد بن عمر بن واقد الأسلمي ^(٢) قال : حدثني علي بن يزيد ، بن عبد الله ، بن

وهب بن زمة عن أبيه ، عن عمته قالت : كنا نسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) في سيرة ابن هشام ١ : ١٦٥ : « فدعت إلى نفسها فأبى » .

(٢) في سيرة ابن هشام ١ : ١٦٥ : « غرة بيضاء ؛ فدعوتك فأبيت علي ، ودخلت » .

(٣) نقله ابن هشام ١ : ١٦٥ . (٤) في الاستيعاب ١ : ١٦٦ .

(٥) في الأصل : « وهب بن عبد مناف » تصحيف ، والتصويب عن الاستيعاب ١ : ١٦٦ .

(٦) رواه ابن سعد في الطبقات ١ : ٦٠ (قسم أول) ، وانظر الزرقاني ١ : ١٠٦ .

لَمَّا حَمَلَتْ بِهِ أَمْنَةُ بَنَتْ وَهَبَ كَانَتْ تَقُولُ: مَا شَعَرْتُ أَنِّي حَمَلْتُ بِهِ، وَلَا وَجَدْتُ لَهُ ثَقْلَةً كَمَا تَجِدُ النِّسَاءَ، إِلَّا أَنِّي قَدْ أَنْكَرْتُ رَفَعَ حَيْضَتِي، فَرُبَّمَا كَانَتْ تَرْفَعُنِي وَتَعُودُ؛ وَأَتَانِي آتٍ، وَأَنَا بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ فَقَالَ: هَلْ شَعَرْتَ أَنَّكَ حَمَلْتِ؟ فَكَأَنِّي أَقُولُ مَا أَدْرِي، فَقَالَ: إِنَّكَ قَدْ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَنَبِيِّهَا، وَذَلِكَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، قَالَتْ: فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا يَقْنُ عِنْدِي الْحَمْلُ، ثُمَّ أَهْمَلْتِي حَتَّى إِذَا دَنَتْ وَلَادَتْنِي أَتَانِي ذَلِكَ الْآتِي فَقَالَ: قَوْلِي: «أُعِيْذُهُ بِالوَاحِدِ الصَّمَدِ، مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ». قَالَتْ: فَكُنْتُ أَقُولُ ذَلِكَ.

وَفِي رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ أَنَّهُ قِيلَ لَهَا: إِنَّكَ قَدْ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَإِذَا وَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ فَقُولِي: «أُعِيْذُهُ بِالوَاحِدِ، مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ، ثُمَّ حَمِيهِ عِجْدًا».

وَفِي رِوَايَةِ أُخْرَى: أَمِرتُ أُمَّهُ وَهْيَ حَامِلٌ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُسَمِّيَهُ أَحْمَدَ. قَالَتْ أُمُّهُ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِنِسَائِي، فَقُلْنَ لِي: تُعَلِّقُ حَدِيدًا فِي عَصَدَيْكَ وَفِي عُنُقِكَ، قَالَتْ: فَفَعَلْتُ، فَلَمْ يَكُنْ يُتْرَكُ عَلَيَّ إِلَّا أَيَّامًا، فَأَجَدَهُ قَدْ قُطِعَ، فَكُنْتُ لَا أَتَعَلِّقُهُ.

وَعَنِ الرَّهْمِيِّ قَالَ: قَالَتْ أَمْنَةُ: لَقَدْ عَلِقْتُ بِهِ، فَمَا وَجَدْتُ لَهُ مَشَقَّةَ حَتَّى وَضَعْتُهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَرَأَتْ حِينَ حَمَلَتْ بِهِ أَنَّهُ تَخَرَّجَ مِنْهَا نُورٌ رَأَتْ بِهِ قُصُورَ بَصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ. قَدْ تَوَاتَرَتْ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ بِذَلِكَ.

(١) - الثَّغْلَةُ بفتح المثلثة والقاف: الثقل، عن الزرقاني ١: ١٠٦.

(٢) - فِي الْأَصْلِ: «دَنَا وَلَادَتْنِي» تصحيف، والمثبت عن الزرقاني ١: ١٠٦ وعيون الآثار ١: ٢٤.

(٣) - ثَقْلَةُ ابْنِ هِشَامٍ ١: ١٦٦. (٤) - أَنْظَرَ الزُّرْقَانِي ١: ١٠٨.

(٥) - سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ١: ١٦٦. (٦) - فِي الْأَصْلِ: «رَأَيْتُ»، تصحيف.

وحكى الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القُرطبي في كتاب «الأعلام»
له عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : وكان من دلائل حمل آمنة برسول الله
صلى الله عليه وسلم أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت : حمل
بمحمد ورب الكعبة ، وهو إمام الدنيا وسراج أهلها ؛ ولم تبق كاهنة في قريش
ولا في قبيلة من قبائل العرب إلا حُجبت عن صاحبها ؛ واترعر علم الكهنة منهم
ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا .

قال : وقال كعب الأحمار : وأصبحت يومئذ أصنام الدنيا كلها منكوسة
مضغوطة فيها شياطينها ، وأصبح عرش إبليس عدو الله منكوسا .

قال : وقال ابن عباس رضى الله عنهما : وأصبح كل ملك أخرس لا ينطق يومه
ذلك ، وفرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالإشارات ، وكذلك أهل البحار
[صار] يبشر بعضهم بعضا ، وله في كل شهر من شهوره نداء في الأرض ، ونداء
في السماء : أن أيسروا ، فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض ميمونا مباركا .
والله الموفق للفعال .

(١) انظر الزرقاني ١ : ١٠٨ .

(٢) في الزرقاني ١ : ١٠٨ : « وكنت الملوك حتى لم يقدروا في ذلك اليوم على التكلم » .

(٣) في الأصل : « ومرت وحش » تصحيف ، والتصويب عن الزرقاني ١ : ١٠٨ .

(٤) في الأصل : « وحش » تصحيف .

(٥) عن شرح الزرقاني على المواهب ١ : ١٠٨ .

(٦) في الزرقاني ١ : ١٠٨ : « من شهور حله » .

(٧) في الزرقاني ١ : ١٠٨ : « فقد آن أن يظهر أبو القاسم » .

ذكر وفاة عبد الله بن عبد المطلب

روى أبو عبد الله محمد بن سعد، بسند يرفعه إلى محمد بن كعب، وأيوب بن عبد الرحمن بن أبي صَصعة، قالوا : خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام إلى غَزَّة في غير من عِيرات قُرَيْش يَحْمِلُونَ تِجَارَات، ففَرَّغُوا مِنْ تِجَارَاتِهِمْ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا فَتَزَوَّا بِالْمَدِينَةِ وَعَبَدُ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ مَرِيضٌ فَقَالَ : أَنَا أَتَخَلَّفُ عِنْدَ أَخَوَالِي بَنِي عَدَى .
ابن النِّجَّار ، فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ مَرِيضًا شَهْرًا ، وَمَضَى أَصْحَابُهُ فَقَدِمُوا مَكَّةَ ، فَسَأَلَهُمْ عَبْدُ الْمُطَّلَبُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالُوا : خَلَفْنَاهُ عِنْدَ أَخَوَالِهِ وَهُوَ مَرِيضٌ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمُطَّلَبُ وَلَدَهُ الْحَارِثَ ،^(١) فَوَجَدَهُ قَدْ تَوَفَّى وَدُفِنَ فِي دَارِ النَّابِغَةِ ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَدَى .^(٢) بَنِ النَّجَّارِ ، فَرَجَعَ إِلَى أَبِيهِ فَأَخْبَرَهُ ، فَوَجَدَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمُطَّلَبُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتَهُ وَجَدًا شَدِيدًا ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ حَمْلٌ .

ولعبد الله يوم توفى خمس وعشرون سنة .

قال الواقدي : هذا هو أثبت الأقاويل ، والرواية في وفاة عبد الله وسنته عندنا .
وعن هشام بن السائب الكلبي عن أبيه ، وعن عوانة بن الحكم قال : توفى عبد الله بن عبد المطلب بعد ما أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية وعشرون شهرًا ، ويقال سبعة أشهر ، وقيل شهران .

قال محمد بن سعد : والأول أثبت . وقال السهيلي^(٣) : « وأكثر العلماء على أنه كان في المهد » ، قال : « ذكره الذولابي وغيره » . والله تعالى أعلم .^(٤)

(١) في ابن الأثير ٢ : ٣ : أن المبعوث كان الزبير لا الحارث . (٢) هذه إحدى روايتي الطبري ؛ وفي ابن الأثير ٢ : ٤ : « النابغة الجعدي » ؛ ورواية الطبري الأخرى عليها اقتصر الزرقاني ١ : ٢١٠ : « النابغة » بالبناء المنشاء ثم الموحدة بعد الألف ، ثم العين المهملة ؛ والنابغة رجل من بني عدى بن النجار . (٣) الروض الأنف ١ : ١٠٧ . (٤) الذولابي يفتح الدال وضما هو محمد بن أحمد ابن حماد بن سعيد الأنصاري أبو بشر . انظر الأنساب للسعفي ٢٣٣ ب .

قال الواقدي : وترك عبد الله بن عبد المطلب أم أُمَيْن ، وأسمها بركة ، وخمسة أجمالٍ أوارك ، يعني تأكل الأراك ، وقطعة غنم ؛ فوُثِرَ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . والله خير الوارثين .

ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وُلِدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة شرفها الله تعالى ؛ قال الزبير بن بكار :
 ولد صلى الله عليه وسلم في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف أخى الحجاج . قال
 القُرطبي رحمه الله في كتاب «الأعلام» له : إن الدار كانت في الرُّقَّاق المعروف بِرُقَّاقِ
 المولِد ، وكانت في مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم في يد عقيل بن أبي طالب
 ثم في أيدي ولده ، ثم اشتراها محمد بن يوسف التَّقَفِيّ من ولد عقيل ، فأدخل البيت
 في دار بناها وسمّاها البيضاء ، فكان البيت في الدار إلى أن حُتَّت الخيزران
 أم الهادي والرشيدي ، فأخرجت البيت وجعلته مسجداً يشرع في رُقَّاق المولد .

وكان مولده صلى الله عليه وسلم عام الفيل بعد قدوم أصحاب الفيل بنحو
 وخمسين ليلة ، في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، قيل لليلتين خلتا منه ، وقيل

(١) انظر البداية والنهاية ٢ : ٢٦١ ، وعيون الأثر ١ : ٢٦ .

(٢) في شرح الرقائى على المراهب ١ : ١٣٦ : « ... برُقَّاق المدك » بدال مهملة .

(٣) في شرح المراهب ١ : ١٣٦ : « فأدخل البيت الذي ولد فيه المصطفى في داره التي يقال لها

البيضاء . » وصحبت البيضاء لأنها بنيت بالجص وطلبت به . السيرة الحلبية ١ : ٦٢ .

(٤) هكذا في الكامل لابن الأثير ١ : ١٨٦ . وفي الروض الأضيق ١ : ١٠٧ . وفي الرقائى

١ : ١٣٦ : « وأما الدار التي لمحمد بن يوسف فقد يفتاز يديقه ، يعني زوجة هارون الرشيد مسجداً

لنجين حجت ، وهي عند الصفا » . وانظر شرح المقامات للثعالبي ٢ : ٢٤٤ . وفي السيرة الحلبية ١ : ٦٢ .

محاولة للتوفيق بين النصين . « ... بيت ... » .

(٥) هو قول حكام الديماطى وآخرون . وانظر الرقائى ١ : ١٣٠ .

أول اثنين منه من غير تعيين ، وقيل وُلِدَ في شهر رمضان لائتَى عشرة ليلةً خلت^(١) منه ، وهو العشرون من نيسان سنة ثمانمائة واثنين للإسكندر ذى القرنين .

والمشهور أنه ولد في شهر ربيع الأول ؛ فيقول القائل : كيف يمكن أن تكون حملت به في أيام التشريق ، وولِدَ في شهر ربيع الأول ، والمدة بينهما إما أربعة أشهر ، أو ستة عشر شهرا ، ولم يُنقل إلينا أنه صلى الله عليه وسلم وُلِدَ لأقل من تسعة أشهر ولا أكثر منها ؟ فالجواب أن الحج إذ ذاك لم يكن محصورا في ذى الحجة ، بل قد ثبت أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حج بالناس في السنة التاسعة من الهجرة ، ووافق الحج في ذى القعدة ، فلما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع في السنة العاشرة ، خطب فقال في خطبته : « ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم : ثلاثة متواليات ، ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » ، فيمكن أن يكون الحج لما حملت آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم وافق في جمادى الآخرة ؛ ولا يتمتع هذا والله أعلم .

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن آمنة بنت وهب قالت : لقد علقتُ به ، تعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما وجدتُ له مشقة حتى وضعته ؛

٢١
١٤

(١) في شرح الزرقاني على المواهب ١ : ١٣٠ - ١٣٢ ، تفصيل لهذه الأقوال ، مع نسبتها لقائلها . وانظر الروض الأنف ١ : ١٠٧ ، وعيون الأثر ١ : ٢٦ .

(٢) في الروض الأنف ٢ : ٣٥١ : « والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا » .

(٣) في لسان العرب (رجب) : « إنما قيل رجب مضر إضافة إليهم ، لأنهم كانوا أشد تعظيلا

له من غيرهم ، فكانهم اختصوا به » ، وفي الروض الأنف ٢ : ٣٥١ : « إنما قال رجب مضر ، لأن ربيعة كانت تحرم في رمضان وتسميه رجباً ، ... فين صلى الله عليه وسلم أنه رجب مضر ، لا رجب ربيعة ، وأنه الذي بين جمادى وشعبان » .

(١) فلما فصل متى خرج منه نور أضاء له ما بين المشرق إلى المغرب ، ثم وقع على الأرض على يديه ، ثم أخذ قبضة من تراب فقبضها ، ورفع رأسه إلى السماء .

وقال بعضهم : وقع جاثيا على ركبتيه رافعا رأسه إلى السماء ، وخرج معه نور أضاءت له قصور الشام وأسواقها ، حتى رأيت أعناق الإبل ببصري . وعن حسان ابن عطية : أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ولد وقع على كفيته وركبته شاخصا بصره إلى السماء .

قالت أمه : فولدته نظيفا والله كما يولد السخل ما به قدر . وقالت فاطمة بنت عبد الله أم عثمان بن [أبي] العاصي ، وكانت شهدت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضعته أمه آمنة وذلك ليلا ، قالت : فما شيء أنظر إليه من البيت إلا نور ، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول لتقعن علي .

وذكر الخطيب أبو بكر بن ثابت رحمه الله ، عن آمنة قالت : لما ولدت محمدا صلى الله عليه وسلم ثم خرج من بطني نظرت إليه ، فإذا هو ساجد لله عز وجل رافع يديه إلى السماء كالمتضرع المبتهل ، ثم رأيت نحاية بيضاء قد أقبلت تنزل من السماء حتى غشيت ، فغيبته عن عيني برهة ، فسمعت قائلا يقول : طوفوا بمحمد مشارق الأرض ومغاربها ، وأدخلوه البحار كلها ليعرف جميع الخلائق كلها باسمه

(١) انظر إسان العيون ١ : ٤٦ .

(٢) انظر الروض الأنف ١ : ١١١ — ١١٢ . والسيرة الحلية ١ : ٥٦ .

(٣) انظر السيرة الحلية ١ : ٥٦ .

(٤) في الأصل : « عثمان بن العاص » ، والمثبت عن عيون الأثر ١ : ٢٧ ، والسيرة الحلية

١ : ٥٨ ، وشرح المواهب ١ : ١١٦ .

(٥) في صحة هذا الحديث كلام فم . انظره في إسان العيون ١ : ٥٨ .

(٦) في السيرة الحلية ١ : ٥٤ ، والزرقاتي ١ : ١١٢ : « ساجد قد رفع أصبعه كالمتضرع » .

وصفته ، ويعرفوا بركته ، إنه حبيب لى ، لا يبقى شيء من الشرك إلا ذهب به .
 (١) قالت : ثم أنجلت عني في أسرع من طرفة عين ، فإذا أنا به مُدرَجٌ في نوب أبيض
 أشدَّ بياضا من اللبن ، وتحتَه حريرة خضراء قد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ
 الرُّطيب الأبيض ، وإذا قائلٌ يقول : قد قبض محمدٌ صلى الله عليه وسلم مفاتيح
 النُّصرة ، ومفاتيح الدنيا ، ومفاتيح النبوة .

وذكر الخطيب أيضا عنها في شأن المَوْلِد : قالت : رأيت سحابة أعظم من
 الأولى ولها نور ، أسمع فيها صهيل الخيل ، وخفقان الأجنحة ، وكلام الرجال ، حتى
 غَشِيَتْهُ ، قالت : وَغِيْبَتْ عني وجهه أطول وأكثر من المرة الأولى ، فسمعتُ منادياً
 ينادي : طوفوا بحمد جميع الأرضين ، وعلى موالد النبيين ، واعرضوه على كل روحاني
 من الجن ، والإنس ، والملائكة ، والطير ، والوحوش ؛ وأعطوه خلق آدم ، ومعرفة
 شيث ، وشجاعة نوح ، وخُلة إبراهيم ، ولسان إسماعيل ، ورضا إسحاق
 وفصاحة صالح ، وحكمة لوط ، وبُشرى يعقوب ، وجمال يوسف ، وشدة موسى
 وطاعة يونس ، وجهاد يوشع ، وصوت داود ، وحُبِّ دانيال ، ووقار إلياس
 وعصمة يحيى ، وزُهد عيسى ، وأغمسوه في جميع أخلاق النبيين عليه وعليهم السلام .
 (٢) ثم أنجلت عني في أسرع من طرفة العين ، فإذا به قد قبض على حريرة خضراء

(١) في الأصل : « قال » . (٢) في شرح الزرقاني ١ : ١١٣ : « ... رأيت سحابة عظيمة

لها نور » . (٣) تريد الملائكة المتشككين بصفة الرجال . وانظر الزرقاني ١ : ١١٣ .

(٤) في الزرقاني ١ : ١١٣ : « وغيب عني فسمعت منادياً » .

(٥) في الأصل : « وحكمة إبراهيم » تصحيف : والتصويب عن الزرقاني ١ : ١١٣ ، والإشارة

إلى الآية : « واتخذ الله إبراهيم خليلاً » .

(٦) في الزرقاني ١ : ١١٤ : « في أخلاق النبيين » .

(٧) رواية الزرقاني ١ : ١١٤ : « قالت ، ثم أنجل عني فإذا به » .

مطوية طيباً شديداً، ينبع من تلك الحرية ماءً معيناً ، وإذا قاتل يقول: ^(١) يَجِ نَجْ !
قبض محمد صلى الله عليه وسلم على الدنيا كلها ، لم يبق خلقٌ كثيرٌ من أهلها إلا دخل
في قبضته طائفاً بإذن الله . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن أبيه ، قال : ولد رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم مخنوناً مسروراً ، ^(٢) قال : وأعجب ذلك عبدُ المطلب ؛ وحطى
عنده ، فقال : ليكوننَّ لآبى هذا شأن .

وفي رواية : لما ولدت أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أرسلت إلى جده
عبد المطلب ، فجاء البشير وهو جالس في الحجر مع ولده ورجال من قومه ، فأخبره
أن أمة ولدت غلاماً ، فسُرَّ بذلك ، وقام هو ومن معه ، فدخل عليها ، فأخبرته بكل
ما رأت ، وما قيل لها فيه ، وما أمرت أن تُسميه . قال : فأخذه عبدُ المطلب
فأدخله الكعبة ، وقام عندها يدعو الله ، ويشكر ما أعطاه . قال الواقدي : وأخبرت
أن عبد المطلب قال يومئذ :

الحمد لله الذي أعطانى * هذا الغلام الطيب الأوردان

قد ساد في المهدي على الغلمان * أعيدته بالبيت ذي الأركان

حتى أراه بالغ البنان * أعيدته من شر ذي شان

* من حاسد مضطرب العنان *

وقال القرطبي : وقال أبو طالب : كنت تلك الليلة التي ولد فيها محمد في الكعبة
أصلح فيها ما تهدم منها ، فلما انتصف الليل ، إذا أنا بالبيت الحرام قد مال يحوانبه

(١) في شرح المواهب ١ : ١١٤ : « وإذا قاتل » .

(٢) رواية الزرقاني ١ : ١١٤ : « ثم يبق خلق من أهلها إلا » .

(٣) أى مقطوع السرة . عن الزرقاني ٢ : ١٣٤ .

الأربعة ، نخر ساجدا في مقام إبراهيم عليه السلام ، كالرُّجل الساجد ، ثم أَسْوَى قائما ، وأنا أسمع له تكبيرا عجيبا ينادى : الله أكبر ! الله ربُّ محمد المصطفى ! الآن طهرني ربِّي من أنجاس المشركين ، وحمية الجاهلية ! ونظرت إلى الأصنام كلها تتقيض كما يتقيض الثوب ، ونظرت إلى الصنم الأعظم « هُبَل » قد انكَب في الحجر ، وسمعت متناديا ينادى : ألا إن أمانة قد ولدت هذا ! وقد سَكَبَتْ عليها سحابُ الرحمة ، هذا طسُتُ الفردوس قد انزَل ليُفَسَل فيه الثانية .

٢٢
١٤

وعن حَسَّان بن ثابت الأنصاري ، قال : ^(١) والله إني لَغلامٌ بَفعة ابن سبع سنين أو ثمان ، أعْقِلُ كُلَّ ما سمِعت ، إذ سمعتُ يهوديا يصرُخ على أطمَةٍ يثرب : يا معشر يهود ! حتى إذا اجتمعوا إليه ، قالوا له : ويلك ! مالك ؟ قال : طلع الليلة نجمُ أحمد الذي ولد به . ^(٢)

ذكر أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكناه

وأسماءه صلى الله عليه وسلم كثيرة ، منها ما جاء بنص القرآن ، ومنها ما نقل إلينا من الكتب السالفة والصُّحُف المتزلة ، ومنها ما جاء في الأحاديث الصحيحة ومنها ما اشتهر على ألسنة الأئمة من الأئمة رضوان الله عليهم .

روى عن جبير بن مطعم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لي خمسة ^(٣) ^(٤)

(١) رواه البيهقي وأبو نعيم . وانظر الزرقاني ١ : ١٢٠ .

(٢) الأطمه : الحصن ، أنت على معنى البقعة .

(٣) في شرح المواهب ١ : ١٢٠ . « طلع نجم أحمد الذي ولد به في هذه الليلة » .

(٤) انظر شرح المواهب ٣ : ١١٥ .

(٥) هي رواية مالك في الموطأ ، والبخاري عن طريقه ، وفي رواية الأكثر : « إن لي خمسة ^(٦)

أسماء » . وانظر الزرقاني ٣ : ١١٥ .

أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماسح الذي يحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يُحْشَرُ الناس على قَدَمِي^(١) ، وأنا العاقب . قيل لأنه عَقِبَ غيره من الأنبياء . وروى عنه عليه السلام : « لي عشرة أسماء » ، فذكر الخمسة هذه ، قال : « وأنا رسول الرحمة ، ورسول الراحة ، ورسول الملاحم ، وأنا المَقْفَى ؛ قَفَّيت النبيين ، وأنا قَيِّمٌ » .

قال القاضي عياض : والقَيِّمُ : الجامع الكامل ، قال : كذا وجدته ولم أروه^(٢) وأرى صوابه : قُتِمَ^(٣) بالثاء ، وروى النقاش عنه عليه [الصلاة] والسلام « لي في القرآن سبعة أسماء : محمد ، وأحمد ، ويس ، وطه ، والمُدَّثِّرُ ، والمُزْمَلُ ، وعبدُ الله » . وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : أنه كان عليه السلام يسمي لنا نفسه أسماء ؛ فيقول : أنا محمد ، وأحمد ، والمَقْفَى ، والحاشر ، ونبيُّ التوبة ونبيُّ المَلْحَمَةِ ، ويروى المَرْحَمَةُ ، والرحمة ؛ ومعنى المَقْفَى : معنى العاقب .

وقد جاءت من ألقابه وأسمائه صلى الله عليه وسلم في القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه ، منها النور ؛ لقوله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ ، والسراج المنير ، والشاهد ، والمبشِّرُ والنذير ، وداعى الله ؛ قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾

(١) روى « قديمي » بكسر الميم ، وفتحها على الثانية ، ومعناه على الروایتين : يحشرون بعد الزمان الذي بعث فيه ؛ وفي رواية : يحشرون على عقبي . وانظر الزرقاني ٣ : ١١٦ .

(٢) في شرح المواهب ٣ : ١٤١ : أن « القيم » اسم آخر غير « قتم » ، ورد في كتب الأحاديث .

(٣) فسر الزرقاني ٣ : ١٢٠ نقلا عن القاضي عياض بأنه الجامع الخبير ، أو الجواد .

(٤) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي المتوفى سنة ٣٥١ . مرورك الحديث .

وانظر الزرقاني ٣ : ١١٨ .

(٥) عن شرح المواهب ٣ : ١١٨ ، حيث يروى هذا الحديث .

والبشير لقوله تعالى : (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) ، والمُنْذِر لقوله : (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مِّنْ يَحْشَاهَا) ، والمَذْكُر لقوله تعالى : (إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ) ، والشهيد لقوله : (وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) ، والخير لقوله تعالى : (الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا) قال القاضي بكر بن العلاء ^(١) : المأمور بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم ، والمسئول الخير هو النبي صلى الله عليه وسلم ؛ والحق المبين لقوله تعالى : (حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ) ، وقوله : (وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ) ، وقوله : (قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ) ، وقوله : (فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ) ، قيل : محمد وقيل : القرآن ، والرءوف الرحيم ؛ لقوله تعالى : (بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) ، والكريم ، والمكِين ، والأمين ؛ لقوله تعالى : (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٌ) ، والرسول ، والنبي الأُمِّي ؛ لقوله : (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ) ، والولي ؛ لقوله تعالى : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) ، والفاتح ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم ، في حديث الإسراء عن ربه تعالى : « وجعلتك فاتحًا وخاتمًا » ، وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم فاتحًا وخاتمًا ، وقدم الصدق ؛ قال الله تعالى : (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) ؛ قال قتادة والحسن وزيد بن أسلم : قَدَمُ صِدْقٍ هو محمد صلى الله عليه وسلم ؛ والعروة الوثقى قيل : محمد ، وقيل : القرآن ؛ والمهادي ، لقوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

(١) هو بكر بن محمد بن العلاء بن زياد القشيري أبو الفضل البصري ثم المصري المتوفى سنة ٣٤٤ .

ذكر ما جاء في تسميته صلى الله عليه وسلم محمداً وأحمد

ومن تسمى بمحمد قبله صلى الله عليه وسلم من العرب ، واشتقاق ذلك

أما اشتقاق هذه التسمية ، فمحمّد أممٌ علمٌ ، وهو منقول من صفة من قولهم : رجلٌ محمّدٌ ، وهو الكثير الخصال المحموده ، والمحمّد في لغة العرب : هو الذي يُحمّد حمداً بعد حمد مرةً بعد مرة . قال السهيلي ^(١) : « لم يكن محمّد حتى كان أحمد حمداً ربّه فتبناه وشرّفه ، فلذلك تقدّم اسم أحمد على [الاسم الذي هو] محمّد فذكره عيسى عليه السلام باسمه أحمد » .

وهو صلى الله عليه وسلم أول من سُمّي بأحمد ، ولم يُسمّ به أحد قبله من سائر الناس ، وفي هذا حكمة عظيمة باهرة ، لأن عيسى عليه السلام قال : ﴿ وَبَشِّرَ الرَّسُولَ بِأَن يَأْتِيَ بِمَدِينٍ أَسْمُهُ أَحْمَدٌ ﴾ ، فمنع الله تعالى بحكمته أن يُسمّى أحدٌ به ولا يُدعى به مدعوٌ قبله ، حتى لا يَدْخُلَ لَبْسٌ على ضعيف القلب .

وأما محمّد ، فإن الله تعالى حمى أن يُسمّى به أحدٌ من العرب ، ولا من غيرهم إلى أن شاع قبل وجوده وميلاده صلى الله عليه وسلم : أن يُبَيِّعَتِ أَسْمُهُ محمّد قد قُرب إِبَانُ مولده ، فسَمّى قوم من العرب أبناءهم .

قال أبو جعفر محمد بن حبيب : وهم سِتَّةٌ لاسابع لهم : محمّد بن سُفْيَان بن مُجَاشِع جَدُّ الْفَرَزْدَق الشاعر ، وهو أول من سُمّي محمّداً ، ومحمّد بن أَحِيحَةَ بن الْجُلَاح

(١) في الروض الأنف ١ : ١٠٦ . (٢) عن السهيلي ١ : ١٠٦ . (٣) هذا قول للقاظي عياض ، نقله عنه البغدادي في الخزانة ٢ : ٢٤ . (٤) انظر المحبر ص ١٣٠ .

(٥) في خزانة الأدب للبغدادي ٢ : ٢٤ : « وذكر عبدان المروزي أن محمداً بن أحيرة بن الجلاح أول من سمى محمداً في الجاهلية » . (٦) ذكر البلاذري منهم : محمداً بن عقبة بن أحيرة . وهو محمداً ابن أحيرة ، ينسب إلى أبيه مرة ، وإلى جده مرة أخرى . انظر الخزانة ٢ : ٢٤ ، والمحبر ص ١٣٠ .

الأوسى ، ومحمد بن حسان الجعفي ، ومحمد بن مسleme الأنصاري ، ومحمد بن براء
 البكري ، ومحمد بن خراعي السلمي ، وذكر فيهم أيضا محمد بن اليحمدي من الأزدي
 واليمن تقول : إنه أول من تسمى بمحمد . وذكر أبو الخطاب بن دحية فيهم :
 محمد بن عتارة اللبني الكاني ^(٢) ، ومحمد بن حرمان ^(٣) بن مالك التميمي المعمرى ^(٤) . وقال
 أبو بكر بن فورك : « لا يعرف في العرب من تسمى قبله بمحمد سوى محمد بن
 سفيان ، ومحمد بن أحيحة ، ومحمد بن حرمان ^(٥) ، وإن آباء هؤلاء الثلاثة ^(٦) وقدوا على
 بعض الملوك ، وكان عنده علم من الكتاب الأول ، فأخبرهم بمبعث النبي صلى الله
 عليه وسلم وبأسمه ، وكان كل واحد منهم قد خلف أمراة حاملا ، فطمع في ذلك ^(٧)
 فنذر كل واحد منهم إن ولد له ولد ذكر أن يسميه محمدا . »

(١) يقول ابن حجر : إن محمد بن مسلمة ولد بعد ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ، فمعه من بين
 هؤلاء خطأ . وقال زين الدين العراقي : العذ صحيح من حيث إن النبوة لم تكن ظهرت بعد . وانظر
 الخزانة الأدب ٢ : ٢٤ .

(٢) في الخبر ص ١٣٠ : « محمد بن بر بن عتارة » : وضبط البلاذري اسم أبيه فقال : محمد بن بر
 بتشديد الراء ليس بعدها ألف ابن طريف بن عتارة ، ويقال في نسبه العتاري . وقد غفل ابن دحية
 حيث عده فيهم محمد بن عتارة وهو هو ، نسب إلى جده الأعلى . انظر الخزانة ٢ : ٢٤ .

(٣) كذا في الخزانة ٢ : ٢٤ ، وفي الخبر ص ١٣٠ : « الحرمان بن مالك بن عمرو بن تميم » .

(٤) في الأصل : « التيمي » ؛ والتصويب من نص الخبر ص ١٣٠ .

(٥) في الخزانة ٢ : ٢٤ : « محمد بن حرمان بن أبي حرمان » واسمه ربيعة بن مالك الجعفي .

وفي الروض الأنف ١ : ١٠٦ : « محمد بن حرمان بن ربيعة » .

(٦) في الروض ١ : ١٠٦ نقلا عن ابن فورك : « وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا » .

(٧) في الروض الأنف ١ : ١٠٦ نقلا عن ابن فورك : « حاملا ، فنذر » .

وذكر ابن سعد فيهم: محمد الجُشمي^(١). وقال ابن الأثير: محمد بن عدي بن ربيعة بن سعد بن سواد بن جُشم بن سعد؛ عِدَّاه في أهل المدينة. وروى عبد الملك بن أبي سويد المقرئ عن جد أبيه خليفة، قال: سألت محمد بن عدي^(٢) كيف سماك أبوك محمدا؟ فضحك، ثم قال: أخبرني أبي عدي بن ربيعة، قال: خرجت أنا وسفيان بن جُحاشع، ويزيد بن ربيعة بن كنانة، بن حُرْقُوص ابن مازن، وأسامة بن مالك بن العنبر نريد ابن جَفنة، فلما قربنا منه نزلنا إلى شجرات وغدير، فأشرف علينا ديرانى فقال: إني لأسمع لغة ليست لغة أهل هذه البلاد فقلنا: نعم! نحن من مُضَرَ، قال: أى المُضَرِّين؟ قلنا: خِندِف، فقال: إنه يُبعث وشيكا نبي منكم، فخذوا نصيبكم منه تسعدوا، قلنا ما اسمه؟ قال: محمد فأتينا ابن جَفنة، فلما انصرفنا ولد لكل منا ابن فسماه محمدا.

وقال محمد بن سعد: «أخبرنا محمد بن علي، عن مسلمة، عن علقمة، عن قتادة بن السَّكَن، قال: كان في بني تميم محمد بن سُفيان بن جُحاشع، ومحمد الجُشمي في بني سواد، ومحمد الأسيدي، ومحمد الفقيمي، سمَّوهم طمعا في النبوة؛ ثم حذى الله تعالى كل من تسمَّى بمحمد أن يدعى النبوة، أو يدعى أحده، أو يظهر عليه سبب يُشكِّك أحدا في أمره، حتى تحقق ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم. والله أعلم بالصواب وإليه المرجع.

(١) أسد الغابة ٤: ٣٥٢. (٢) في خزانة الأدب للبغدادى ٢: ٢٤ عن ابن سعد: «عداه في أهل الكوفة». (٣) انظر خزانة الأدب ٢: ٢٤. (٤) في خزانة الأدب ٢: ٢٤: «يزيد بن عمرو بن ربيعة». (٥) في الخزانة أيضا: «ابن مالك بن حبيب ابن العنبر». (٦) في الخزانة ٢: ٢٤، ٢٥ قلا عن ابن سعد: «ابن سعد عن علي بن محمد عن مسلمة بن محارب عن قتادة». (٧) في شرح المواهب ٣: ١٦٠: «محمد بن الأسيدي»، قال: «وهو بضم الهذرة وفتح السين المهملة وكسر التحيّة الضليلة». (٨) انظر شرح المواهب ٣: ١٦٠.

« العظيم » ، وقع في أول سفر من التوراة عن إسماعيل : وسبلد عظيم
لأمة عظيمة .^(١)

ومن أسمائه فيها: «الموكل»^(٦)، و«المختار»^(٧)، و«مقيم السنة»^(٨)، و«المقدس»^(٩)، و«روح الحق»^(١٠)، وهو معنى البارقليط في الإنجيل؛ وقال ثعلب: البارقليط: الذي يفرق بين الحق والباطل.

(١) انظر شرح المواهب ٣ : ١٦٧ و ١٦٨ . (٢) في شرح المواهب للزرقاني ٣ : ١٧٢ : « ... وأما الجبار فسمي به في مزامير داود في قوله من مزمورة ٤٤ : تقلد سيفك الخ » ، وانظر الكتاب المقدس (مزامير ٤٥) . (٣) نسب هذا القول في شرح المواهب ٣ : ١٣٥ إلى القاضي عياض ، وابن دحية ، وعنه نقله . (٤) في شرح المواهب ٣ : ١٢٥ : « لإصلاحه للأمة » . (٥) في شرح المواهب ٣ : ١٢٥ : « ... وعظيم خطره » . (٦) أى التوراة ، وانظر شرح المواهب ٣ : ١٤٣ . (٧) في شرح المواهب ٣ : ١٤٦ : « مقيم السنة بعد الفترة كما هو نص الزبور ، ومعناه في التوراة » . (٨) في شرح المواهب ٣ : ١٤٦ : « سبحانه الله به في الكتب السابقة » . (٩) البارقليط ، بالموحدة والقصار قليط ، وبالقاف بدلها ، ورفع الراء والقاف بعدها لام مكسورة ، فحثة ساكنة ، فطاء مهملة ، ويسكون الراء مع فتح القاف بعدها اللام المكسورة ، وفتح الراء مع سكون القاف ، وبكر الراء ويسكون القاف ، قال في المقتضب : وهو الصحيح — وقع في إنجيل يوحنا ومعناه روح الحق . وفي النهاية لابن الأثير أن اسمه في الكتب السابقة بارقليط . انظر الزرقاني ٣ : ١٧٨ و ١٧٩ .

ومنها مآذ مآذ ؛ ومعناه طيب طيب ، وخطايا ، والخطام والخطام ؛ حكا
كعب الأحبار ، قال : فقلت فالخطام الذى حُتِمَ به الأنبياء ، والخطام أحسن الأنبياء
خَلَقًا وَخُلُقًا ، وَيُسَمَّى بالسريانية مشفج^(٢) ، والمنحمن^(٤) ، واسمه أيضا فى التوراة : أُحِيد^(٥) ،
وروى ذلك عن ابن سيرين رحمه الله .

ومن اسمائه ونعوته عليه السلام التى جرت على ألسنة أئمة الأمة

المصطفى ، والمجتبى ، والحبيب ، ورسول رب العالمين ، والشفيع المشفع
والمتقى ، والمصلح ، والطاهر ، والمهيمن ، والصادق ، والضَّحَّوك ، والقَتَّال^(٦) ،
وسيد ولد آدم ، وسيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وقائد الفِرِّ المَجْبَلِينَ ، وحبيب الله
وخليل الرحمن ، وصاحب الخوض المورود ، واللواء المعقود ، والشفاعة والمقام
المحمود ، وصاحب الوسيلة والفضيلة ، والدرجة الرفيعة ، وصاحب السَّاجِ والمِعْراج
والقَضِيب ، وراكب البراق والناقة والتَّجِيب ، وصاحب الحجة والسلطان ، والخطام
والعلامة والبرهان ، وصاحب الهِراوة والتعلين . صلى الله عليه وسلم .

(١) بجم مفتوحة ، فألف غير مبهوزة ، فذال معجمة منونة ، ثم ميم فألف فذال معجمة . وانظر الزرقانى
٣ : ١٤٠ و ١٦٩ و ١٩٠ . (٢) بفتح الحاء وسكون الميم ، وطاء مهملة مخففة ، وألفين بينهما
تحنية . وفى شرح الشفاء للشمى ؛ بفتح الحاء وفتح الميم . قال الهروى : معناه حامى الحرم . وانظر الزرقانى
٣ : ١٨٨ . (٣) بشين معجمة وفاء مشددة مفتوحة ، ثم حاء مهملة بوزن محمد ؛ ويرى بالقاف
بدل الفاء مفتوحة ومكسورة . انظر الزرقانى ٣ : ١٨٨ و ١٨٩ . (٤) بضم الميم الأولى وكسر
الثانية ، وقيل بفتحهما ، وسكون النون الأولى وفتح الحاء المهملة وتسديد النون الثانية بعد الألف ؛ ومعناه
كما فى الزرقانى ٣ : ١٨٨ روح القدس . (٥) قيل : يهزئة مضمومة ، وحاء مكسورة
فباء ساكنة بعدها دال ، وقيل بفتح الهزئة وسكون الحاء المهملة وفتح الهاء المتنة التحنية ، وقيل بفتح الهزئة
وسكون الياء . وفى تهذيب الأسماء واللغات للنوى ١ : ٢٢ : « أن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : وإنا
سميت أحيداً لأنى أحيى نار جهنم » ، وانظر الزرقانى ٣ : ١٨٨ .
(٦) قال ابن فارس : سمي به لحرصه على الجهاد ، وسارحته إلى القتال . وانظر الزرقانى ٣ : ١٤٠ .

قالوا : ومعنى صاحب القضيبي : السيف ، وقع ذلك مفسراً في الإنجيل ؛ قال : معه قضيبي من حديد يقابل به ، وأمنته كذلك ؛ وأما الهراوة التي وصفت بها ، فهي في اللغة العصا ، ولعلها القضيبي المشقوق الذي انتقل إلى الخلفاء ؛ وأما صاحب التاج ، فالمراد به العمامة ، ولم تكن حينئذ إلا للعرب .

وكانت كنيته المشهورة أبا القاسم ، وعن أنيس أنه لما ولد له إبراهيم ، جاءه جبريل فقال : السلام عليك يا أبا إبراهيم .

ذكر مراضع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإخوته من الرضاعة ، وما ظهر من معجزاته في زمن رضاعه وحال طفولته صلى الله عليه وسلم

- ١٠ قال محمد بن عمر بن واقد الأسلمي : أول من أرضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبية^(٤) ، وهي جارية أبي لهب ، أرضعته بلبن ابنها مسروح أيا ما قبل أن تقدم حليمة السعدية ، وكانت قد أرضعت قبله عمه حمزة بن عبد المطالب ، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد المخزومي ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلها وهو بمكة ، وكانت خديجة تكرمها وهي يومئذ مملوكة ، وطلبت إلى أبي لهب أن يتباعها منه لتعتقها فأبى أبو لهب ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أعتقها أبو لهب ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إليها

(١) انظر شرح المواهب للزرقاني ٣ : ١٨٤ . (٢) انظر شرح المواهب ٣ : ١٨٤ .

(٣) للرسول صلى الله عليه وسلم كنى آخر . انظرها في شرح المواهب ٣ : ١٥١ .

(٤) بضم المثلثة وفتح الواو ، وسكون التحتية . توفيت سنة سبع من الهجرة . وفي إسلامها خلاف

مذكور في شرح المواهب ١ : ١٣٧ . (٥) بفتح الميم وسكون السين المهملة ، وذكر في السيرة

الحلية ١ : ٨٥ ، أنه بضم الميم أيضاً ، وانظر شرح المواهب ١ : ١٣٧ .

بصلة وكسوة ، حتى جاء خبرها أنها قد ماتت سنة سبع عند مرجعه من خيبر ، فقال :
ما فعل ابنها . سروح ؟ قليل : مات قبلها ولم يبق من قرابتها أحد .

ثم أرضعته حليلة بنت أبي ذؤيب ، وأبو ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شحنة^(١) ،
ابن جابر بن رزام بن ناصرة بن فضة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن^(٢) ،
ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر^(٣) ، واسم أبيه^(٤)
الذي أرضعه : الحارث بن عبد العزى بن رفاعه بن ملان بن ناصرة ، ويقال^(٥)
هلال بن ناصرة بن فضة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن^(٦) .

وإخوته من الرضاعة منها : عبد الله بن الحارث ، وأنيصة بنت الحارث ، وحذافة^(٧)
بنت الحارث وهي الشفاء ، وكانت الشفاء تحضن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع أمها .

قال أبو عبد الله محمد بن إسحاق كانت حليلة بنت أبي ذؤيب تحدث أنها خرجت^(٨)
من بلدها مع زوجها وابن لها أرضعه في نسوة من بني سعد بن بكر تلتبس الرضعاء

(١) شحنة ، بكسر الشين المعجمة بضم ساكنة فنون مفتوحة للتأنيث ، ويروى « شحنة » بالسين المهملة .
وانظر شرح المواهب : ١ : ١٤٤ . (٢) كذا في سيرة ابن هشام : ١ : ١٦٩ ، وفي شرح المواهب : ١ :
١٤٤ : « بن ناصر » . (٣) بضم الفاء ، وفتح الصاد بوزن « سمية » في ضبط ابن دريد ، وفتح الفاء ،
وكسر الصاد في ضبط ابن سيده . وانظر تاج العروس (فص) . (٤) رواية ابن هشام : ١ : ١٦٩ :
« بن قيس بن عيلان » . (٥) في سيرة ابن هشام : ١ : ١٧٠ : « واسم أبيه الذي أرضعه
صلى الله عليه وسلم : الحارث » . (٦) كذا في سيرة ابن هشام : ١ : ١٧٠ ، وفي الأصل :
« ملال » تصحيف . (٧) بضم الحاء المهملة ، وفتح الذال المعجمة بعدها ألف مد ، ثم فاء . كما
في شرح السيرة لأبي ذر الخثني : ١ : ٥٥ قلا عن ابن عبد البر ، ويروى « جذامة » بالجرم ، و« خدامة »
بالحاء المعجمة . وانظر شرح المواهب : ١ : ١٤٦ . (٨) بفتح الشين المعجمة وسكون التحتية
المتناة ، ويقال لها أيضا : الشفاء . وانظر الزركلي : ١ : ١٤٦ .

(٩) نقله ابن هشام في السيرة : ١ : ١٧١ . وانظر شرح المواهب : ١ : ١٤١ .

قال الواقدي : إنهن كنَّ عشرا ، قالت : في سنة شهباء لم تُبق شيئا ، فخرجتُ على أتان^(١) .
 لي قراء معنا شارف لنا ، والله ما بُقيص بقطرة ، وما تنام لنا ليلتنا أجمع مع صبيتنا الذي^(٢)
 معي من بكانه من الجوع ، ما في ثديي ما يُغنيه ، وما في شارفنا ما يغذيه ، ولكنا نرجو^(٣)
 الغيث والفرج ، فخرجتُ على أتانى تلك ، فلقد أذمت بالركب حتى شق ذلك عليهم^(٤)
 ضعفا وعجفا حتى قديمنا مكة ، فما منا امرأة إلا وقد عُرض عليها رسول الله صلى الله^(٥)
 عليه وسلم فتأباه إذا قيل لها إنه يقيم ، وذلك أنا كنا نرجو المعروف من أبي الصبي ؛^(٦)
 فكنا نقول : يقيم ، ما عسى أن تصنع أمه وجده ؟ فما بقيت امرأة قديمت معي إلا أخذت^(٧)
 رضيعا غريبا ، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي : والله إنى لأكره أن أرجع من بين^(٨)
 صواحي ولم أخذ رضيعا ، والله لأذهبن إلى ذلك اليميم فلاخذنه ؛ قال : لا عليك^(٩)
 أن تفعل ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة . قلنا : فذهبتُ إليه فأخذته ، وما حملني^(١٠)
 على أخذه إلا أنى لم أجد غيره ؛ فلما أخذته رجعت به إلى رحلي ، فلما وضعتُه^(١١)
 في حجرى ، أقبل عليه ثدياى بما شاء الله من لبن ، فشرب حتى روى ، وشرب معه

- (١) شهباء : ذات جذب وخط ، وانظر السيرة الحلبية ١ : ٨٩ . (٢) في سيرة ابن هشام
 ١ : ١٧١ : « لم تبق لنا شيئا » . (٣) أتان قراء : لونها بياض فيه كدرة ، وفي السيرة الحلبية
 ١ : ٨٩ : قراء : شديدة البياض . (٤) الشارف : الناقة المسنة . (٥) ما تبض :
 ما ترشح بشئ . (٦) في السيرة لابن هشام ١ : ١٧١ ، وشرح المواهب ١ : ١٤٢ :
 « وما تنام ليلتنا أجمع من صبيتنا الذي معنا » . (٧) رواية ابن هشام ٢ : ١٧١ : « ولكنا
 كنا نرجو » . (٨) في السيرة الحلبية ١ : ٨٩ : أذمت بالذال المعجمة : أى جاءت بما
 تدم عليه ، وفي شرح السيرة للبخشي ١ : ٥٥ : « ومن رواه أذمت فعناه تأثرت بالركب أى تأثر الركب
 بسببها » . (٩) العجف : الخزاز . (١٠) رواية ابن هشام ١ : ١٧٢ : « إنا إنما كنا » .
 (١١) في شرح المواهب ١ : ١٤٣ : « صواحي ليس معي رضيع ، لأنطلقن إلى » .
 (١٢) في سيرة ابن هشام ١ : ١٧٢ ، وشرح المواهب ١ : ١٤٣ : « قالت » ، ولعل تذكير الفعل
 على إرادة معنى الشخص .

أخوه حتى رَوَى، ثم ناما، وما تكنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك فإذا بها حافل، فحلب منها ما شرب وشربت، حتى انتهينا رِيًّا وشَبَعًا، فبتنا بخير ليلة.

قالت : يقول صاحبي حين أصبحنا : تَعَلَّمِي والله يا حليلة لقد أخذتِ نسمةً

مباركة، قالت : قلت والله إني لأرجو ذلك، قالت : ثم خرجنا فركبتُ أنا

وحلَّته عليها ممي، فوالله لقطعتُ بالركب ما يقدر عليها شيء من حُرْمٍ،

حتى إن صواحي ليقلن لي : ويحك يا بنت أبي ذؤيب [ويحك] ! أربعي

علينا . أليست هذه أنا أنك التي كنتِ خرجتِ عليها ؟ فأقول لمن : بلي والله !

إنها لمي هي ، فيقلن : والله إن لها لسانًا . قالت : ثم قَدِمنا منازلنا من بلاد

بني سعد، وما أعلم أرضًا من أرض الله أجذبَ منها، فكانت غنمى تروح على حين

قَدِمنا به معنا شِباعًا لَبَنًا، فنحلب ونشرب، وما يحلبُ إنسان قطرة لبن وما يجدها

في ضَرع حتى كان الحاضرُ من قومنا يقولون لرُعِيانهم : ويلكم ! اسرحوا حيث

يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، قالت : فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخيرة

حتى مضت سناته وفصلته، وكان يشبُّ شبابًا لا يُشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى

كان غلامًا جَفْرًا، قالت : قَدِمنا به على أمه ونحن أحرصُ شيء على مكثه فينا

لما تكنا نرى من بركته، فكلَّمنا أمه . وقلت لها : لو تركتُ بَنِيَّ عندي حتى يغلظُ،

فلأني أخشى عليه وباءَ مكة، قالت : فلم تزل به حتى ردَّته معنا فرجعنا به

فإني أخشى عليه وباءَ مكة، قالت : فلم تزل به حتى ردَّته معنا فرجعنا به

(١) في الأصل : « ما لا يقدر على شيء » ، والمثبت عن سيرة ابن هشام ١ : ١٧٣ .

(٢) عن ابن هشام ١ : ١٧٣ . (٣) أربعي : انظري . وفي السيرة الحلبية ١ : ٩٠ :

أربعي : أعطاني علينا بالرفق وعدم الشدة في السير . (٤) في السيرة لابن هشام ١ : ١٧٣ ،

وشرح المواهب ١ : ١٤٥ : « ولا يجدها » . (٥) الحاضر : المقيم في المنزل . وانظر السيرة

الحلبية ١ : ٩٠ . (٦) الجفَر : الشديد الفليظ . (٧) في سيرة ابن هشام ١ : ١٧٣ :

« قالت : فلم تزل بها » .

- فوالله إنه بعد مَقَدَمنا بأشهر مع أخيه لَفِي بهم لنا خَلَف بيوتنا إذ أنانا أخوه
 يَشْتَدُّ^(٢) فقال لي ولأبيه : ذاك أخى القُرْبَى قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض
 فأضجعهما فشقاً بطنه ، فهما يَسُوطَانِه^(٣) ، قالت : نخرجت أنا وأبوه نحوَه^(٤) ، فوجدناه
 قائماً منتقماً وجهه^(٥) ، فالتزمته والتزمه أبوه ، فقلنا : مالك يا بنى ؟ قال :
 جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعاى فشقاً بطنى ، فالتمساً فيه شيئاً لا أدرى
 ما هو ؟ قالت : فرجعنا إلى خبائنا ، فقال لي أبوه : يا حليمة ، لقد خشيت أن يكون
 هذا الغلام قد أُصيب ، فالحقيقه بأهله قبل أن يظهر ذلك به ، قالت : فاحتملناه
 فقديمتا به على أمه ، فقالت : ما أقدمك يا ظر وقد كنت حريصةً عليه وعلى مكثه
 عندك ؟ فقلت : قد بلغ الله يا بنى ، وقضيت الذى على ، وتخوفت الأحداث عليه ،
 فأذيتُه عليك كما تحب^(٦) ، قالت : ما هذا شأنك فاصدقنى خبرك ! فلم تدعنى حتى
 أخبرتها ، قالت : أفتخوفت عليه الشيطان ؟ قلت نعم . قالت كلاً والله ! ما للشيطان
 عليه من سبيل ، وإن لبني لشأنا ، أفلا أخبرك خبره ؟ قلت : بلى ! قالت : رأيت
 حين حملت به أنه خرج منى نور أضاء له قصور بصرى من أرض الشام ، ثم
 حملت به ، فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه ، ووقع حين ولدته
 وإنه لواضع يديه بالأرض ، ورافع رأسه إلى السماء ، دعيه عنك وأنطلق راشدة .
 هكذا نقل ابن هشام فى سيرته عن ابن إسحاق .

- (١) بهم : الصغار من أولاد الضأن . (٢) اشتد فى عدوه : أسرع . (٣) فى السيرة
 الخلية ١ : ٩٣ : « يسوطانه : يدخلان يدهما فى طه » ، وفى شرح الخشبي ١ : ٥٦ : « يقال
 سلت اللين أو اللحم أو غيرها أسوطه : إذا ضربت بعضه ببعض ، واسم اللود الذى يضرب به السوط » .
 (٤) فى الأصل : « قال : نخرجت » ، والمثبت عن سيرة ابن هشام ١ : ١٧٤ .
 (٥) انتفع لونه : تغيرت جلده وجهه من خوف أو مرض ، وذهب دمه . (٦) فى سيرة ابن هشام
 ١ : ١٧٤ : « فأذيتك إليك » . (٧) فى الأصل : « أضاء له قصرى وبصرى من أرض الشام » ،
 والمثبت عن شرح المواهب ١ : ١٥٠ ، وفى سيرة ابن هشام ١ : ١٧٤ : « أضاء له قصور بصرى » .

وقال محمد بن سعد في كتابه المترجم بالطبقات عن الواقدي: كان عمره يوم شق بطنه أربع سنين، وإن حليمة أتت به أمه آمنة بنت وهب وأخبرتها خبره وقالت: إنا لا نرّده إلّا على جدّع أنفنا، ثم رجعت به أيضا، فكان عندها سنة أو نحوها، لا تدّعه يذهب مكانا بعيدا، ثم رأت غمامة تظّله، إذا وقف وقفت، وإذا سار سارت، فأفرّعها ذلك من أمره، فقديمت به إلى أمه لترّده وهو ابن خمس سنين، فأصلها في الناس، فالتّمسته فلم يجده، فأتت عبد المطلب فأخبرته، فالتّمسه فلم يجده، فقام عند الكعبة فقال:

لَا هُمْ رَدُّ رَاكِبِي مُحَمَّدًا * أُرُدُّهُ رَبِّي وَأَصْطَنِعَ عِنْدِي يَدَا
أَنْتَ الَّذِي جَعَلْتَهُ لِي عَضُدًا * لَا يَبْعُدُ الدَّهْرُ بِهِ فَيَبْعُدَا
* أَنْتَ الَّذِي سَمَّيْتَهُ مُحَمَّدًا *

قال ابن اسحاق: يزعمون أنه وجدته ورقّة بن نوفل بن أسد ورجل آخر من قريش، فأتيا به عبد المطلب، فقالا: هذا أبوك وجدناه بأعلى مكة، فأخذه عبد المطلب بفعله على عنقه وهو يطوف بالكعبة يعوّذه ويدعوله، ثم أرسل به إلى أمه آمنة. وعن خالد بن معدان الكلابي: أن نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له: يا رسول الله! أخبرنا عن نفسك، قال: نعم. أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشري عيسى ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام، وأسترضعت في بني سعد بن بكر، فبينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا، إذ أتاني رجلان

(١) كذا في سيرة ابن هشام ١: ١٧٦، وانظر السيرة الحلبية ١: ٩٤.

(٢) نقله ابن هشام ١: ١٧٦. (٣) ترجمته في تهذيب التهذيب ٣: ١١٨. وقد روى

هذا الخبر ابن هشام في السيرة ١: ١٧٥. (٤) انظر عيون الأثر ١: ٣٥.

(١) عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة تلجا، فأخذاني فشفا بطني، ثم أخرجنا قلبي فشفاه، فاستخرجنا منه علقة سوداء فطرحها، ثم غسلا بطني وقلبي بذلك الدج حتى أنفياه، ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بعشرة من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال : زنه بمائة من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال : زنه بألف من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم، فقال : دعه عنك، فلو وزنته بأمته لو زنتها .

(٢) قال محمد بن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم أن مما هاج أمه السعدية على رده إلى أمه، مع ما ذكرت لأمه مما أخبرتها عنه، أن نفرا من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه، فنظروا إليه وسالوها عنه وقلوبه ثم قالوا لها : لناخذن هذا الغلام فلنذهب به إلى ملكنا وبلدنا، فإن هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره، فلم تكذبنا به منهم .

معين التارخ لأهل التارخ

(٣) ونقل محمد بن سعد : أن أمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم لما دفعته لحليمة السعدية قالت لها : احفظي أبنی، وأخبرتها بما رأت، فمز بها اليهود فقالت : ألا تحذوني عن أبنی هذا؟ فإني حملته كذا، ووضعت كذا، ورأيت كذا، كما وصفت أمنة، فقال بعضهم لبعض : أقتلوه ! ثم قالوا : أينم هو؟ فقالت : لا . هذا أبوه وأنا أمه، فقالوا : لو كان يتيا لقتلناه، قالت : فذهبت به .

(٤) وحضنته صلى الله عليه وسلم أم أيمن [بركة] الحبشية حتى كبر، فأعتقها وزوجها زيد بن حارثة، فولدت له أسامة بن زيد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثا من أبيه . والله أعلم .

(١) كذا في عيون الأثر ١ : ٣٥ ، وفي سيرة ابن هشام ١ : ١٧٥ : « ثم أخذاني فشفا بطني واستخرجنا » . (٢) نقله ابن هشام في السيرة ١ : ١٧٧ . (٣) الطبقات ١ : ٧١ . (قسم أول) ، وانظر السيرة الحلبية ١ : ٩٠ . (٤) في السيرة الحلبية ١ : ٩٥ : « لها أمة » . (٥) في السيرة الحلبية ١ : ٩٥ : « يتيا قتلناه » . (٦) عن السيرة الحلبية ١ : ١٠٥ .

ذكر وفاة آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال الواقدي وغيره من أهل العلم : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه
 آمنة بنت وهب ، فلما بلغت سنه ست سنين خرجت به إلى أخواله بنى عدي بن
 النجار بالمدينة تزورهم به ، ومعه أم أيمن تحضنه ، وهم على بعيرين ، فزلت به في دار
 النابتة^(١) ، فأقامت به عندهم شهرا ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أمورا كانت
 في مقامه ذلك لما نظر إلى أطم بن عدي بن النجار عرفه وقال : كنت ألاعب أيسبة
 جارية من الأنصار على هذا الأطم ، وكنت مع غلمان من أخوالي ، ونظر إلى الدار
 فقال : ها هنا زلت بي أمي ، وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله ، وأحسنتم العوم في بر
 بنى عدي بن النجار ، وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إليه ، فقالت أم أيمن :
 فسمعت أحدهم يقول : هذا نبي هذه الأمة ، وهذه دار هجرته ، فوعيت ذلك
 كله من كلامه ، ثم رجعت به إلى مكة ، فلما كانوا بالأبواء^(٢) [توفيت آمنة بنت وهب
 فقبرها هناك ، فرجعت به أم أيمن على البعيرين اللذين قدموا عليهما إلى مكة ، وكانت
 تحضنه مع أمه ثم بعد أن ماتت ، فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) في عمرة
 الحديبية قال : "إن الله أذن لمحمد في زيارة قبر أمه" فأتاه صلى الله عليه وسلم فأصلحه
 وبكى عنده ، وبكى المسلمون لبكائه ، فقبل له ، فقال : أدركتني رحمتها فبكي^(٤) .
 والله الرحمن .

(١) في الأصل ، وطبقات ابن سعد : « النابتة » بالنون ، وفي شرح المواهب للزرقاني ١ : ١٦٣ :

« النابتة بفوقية فوحدة فهملة : رجل من بنى عدي بن النجار » .

(٢) في الزرقاني ١ : ١٤٦ : « ينظرون إلى » ، قالت أم .

(٣) الأبواء بفتح الهمزة : موضع بين مكة والمدينة ، وهو إلى المدينة أقرب . معجم البلدان ١ : ٩٢ .

(٤) ما بين المربعين عن الزرقاني ١ : ١٦٤ ، وطبقات ابن سعد ١ : ١٧٧ (قسم أول) .

(٥) في السيرة الحلبية ١ : ١٠٥ : « فقبل له في ذلك » .

ذكر كفالة عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال: ولما تُوَفِّيت أُمّه آمنَةُ قبضه إليه جدُّه عبدُ المطلب وصمَّه إليه ورقَّ عليه رِقَّة لم يرقِّها على ولده، وكان يقربُه منه ويدنيه، ويدخلُ عليه إذا خلا وإذا نام، ويجلس على فراشه، وكان يوضع لعبد المطلب فراشٌ في ظلِّ الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بني إجلال له، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلامٌ حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامُه ليؤخِّروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا أبنِي، فوالله إنَّ له لسانًا، ثم يُجلسه معه عليه، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع.

وقال قوم من بني مُدَلِّج^(١) لعبد المطلب: احتفظ به، فإنَّا لم نَرَقْدما أشبه بالقدم

التي في المقام منه؛ فقال عبد المطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء.

وسند كَرَّ إن شاء الله خبر سيف بن ذِي يَزَن مع عبد المطلب، وما بَشَّره من أمر النبي صلى الله عليه وسلم.

قالوا: وكان عبد المطلب لا يأكل طعامًا إلا قال: على أبنِي فيؤثِّي به إليه فلما بلغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثمانِي سنين، هلك عبدُ المطلب بنُ هاشم؛ ولما حضرته الوفاة أوصى أبنه أبا طالب بحفظه وكفاليته؛ [وكانت] وفاة عبد المطلب ابن هاشم لثمانٍ مضيْن من عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحون، وهو يومئذ

(١) بنو مدلاج: قبيلة من بكة، وهم القافة العارفون بالآثار والعلامات، وانظر السيرة الحلبية

٢٧
١٤

ابن اثنتين وثمانين سنة ، وقيل ابن مائة وعشر سنين ^(١) حكاه السهيلي ^(٢) ؛ قال : « وهو أول من خَضِبَ بالسَّوَادِ مِنَ الْعَرَبِ » .

قال ابن قتيبة ^(٣) : إِنَّهُ كَبِرَ وَعَمِيَ ، وَكَانَ يَرْفَعُ مِنْ مَائِدَتِهِ لِلطَّيْرِ وَالْوَحْشِ فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ ، وَيُقَالُ لَهُ الْفَيَاضُ لِحُودِهِ ، وَمُطْعِمُ طَيْرِ السَّمَاءِ . قال ابن الأثير ^(٤) : « وهو أول من تَحَنَّنَ بِحِرَاءِ ، فَكَانَ إِذَا دَخَلَ شَهْرَ رَمَضَانَ صَبَّحَ حِرَاءً وَأَطْعَمَ الْمَسَاكِينَ » .
وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَتَذْكُرُ مَوْتَ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ؟ قال : نعم .
أنا يومئذ ابن ثمانين سنين ، قالت أُمُّ أَيْمَنَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَوْمَئِذٍ يَبْكِي خَلْفَ سَرِيرِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ .

قال : وَلَمَّا هَلَكَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ وَلَّى زَمْزَمَ وَالسَّقَايَةَ عَلَيْهَا بَعْدَهُ أَبْنَةُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَحَدِثِ إِخْوَتِهِ سَنًا ، فَلَمْ تَزَلْ إِلَيْهِ حَتَّى قَامَ الْإِسْلَامُ وَهِيَ بِيَدِهِ ، فَأَقْرَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا مَضَى .

وعن عبد الله بن عباس وغيره ، قالوا : لَمَّا تَوَقَّى عَبْدُ الْمُطَّلَبِ قَبْضَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمَهُ أَبُوطَالِبٍ ، قَبِلَ بِوَصِيَّةٍ مِنْ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ، فَأَحْبَبَهُ حُبًّا شَدِيدًا ، وَكَانَ لَا يَفَارِقُهُ ، وَكَانَ يَخْصِمُهُ بِالطَّعَامِ ^(٥) ، وَكَانَ إِذَا أَكَلَ عِيَالُ أَبِي طَالِبٍ جَمِيعًا أَوْفَرَادًا ^(٦) .

(١) في عمر عبد المطلب أقوال أخرى تجدها في السيرة الحلبية ١ : ١١٢ ، وشرح المواهب ١ : ١٨٩ .
(٢) الذي حكاه السهيلي ١ : ٥٥ ، ونقله عنه الزرقاني ١ : ١٨٩ : أَنَّهُ عَاشَ مِائَةً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً .
فَعَلَّ هَذَا الْقَوْلَ سَقَطَ مِنْ نَصِّ التَّوْبَرِي .

(٣) في المعارف ص ٢٣

(٤) في الكامل ٢ : ٦٠

(٥) في السيرة الحلبية ١ : ١١٤ : « وَكَانَ يَخْصِمُهُ بِأَحْسَنِ الطَّعَامِ » .

(٦) هو قول حكاه الواقدي . ونقله الزرقاني ١ : ١٨٩ .

١٥

٢٠

لَمْ يَسْبِعُوا^(١)، وَإِذَا أَكَلَ مَعَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَعُوا؛ فَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَغْذِيَهُمْ^(٢) قَالَ: كَمَا أَنْتُمْ حَتَّى يَحْضُرَ آيُنِي؛ فَيَأْتِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَأْكُلُ مَعَهُمْ، فَيُفَضِّلُونَ مِنْ طَعَامِهِمْ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ لَمْ يَسْبِعُوا، يَقُولُ أَبُو طَالِبٍ: إِنَّكَ لِمُبَارَكٌ؛ وَكَانَ الصَّبِيَّانِ يُصْبِحُونَ رُمْضًا شُعْثًا، وَيُصْبِحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَهِنًا كَجِلَا^(٣).

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام

مع عمه أبي طالب، وخبر بحيرا الراهب

قالوا: لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم آتْنَتَيْ عَشْرَةِ سَنَةٍ وَعَشْرَةَ أَيَّامٍ، خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ فِي رَكْبٍ تَاجِرًا إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا تَبَيَّأَ لِلرَّحِيلِ تَعَلَّقَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَفَرَّقَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا خُرْجَ بِهِ، وَلَا يَفَارُقُنِي وَلَا أَفَارُقُهُ أَبَدًا، فَخَرَجَ بِهِ مَعَهُ، فَلَمَّا نَزَلَ الرَّكْبُ بُصِّرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وَبِهَا رَاهِبٌ يُقَالُ لَهُ بِحِيرَا فِي صَوْمَعَةٍ لَهُ، وَكَانَ إِلَيْهِ عِلْمُ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ، وَلَمْ يَزَلْ فِي تِلْكَ الصَّوْمَعَةِ رَاهِبًا إِلَيْهِ يَصِيرُ عَلَيْهِمْ عَنْ كِتَابٍ فِيهَا يَتَوَارَثُونَهُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَلَمَّا نَزَلُوا ذَلِكَ الْعَامَ يَحِيرَا وَكَانُوا كَثِيرًا مَا يَمْرُونَ بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ، وَهُوَ لَا يَكْلَمُهُمْ، فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا كَثِيرًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ، فِي الرَّكْبِ حِينَ أَقْبَلُوا، وَغَمَامَةٌ تَظْلُهُ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ،

(١) ذلك لأن أبا طالب كان مقلًا من المال . انظر السيرة الحلية ١ : ١١٤

(٢) في السيرة الحلية ١ : ١١٤ : « ... أَنْ يَغْذِيَهُمْ أَوْ يَشْبِعُهُمْ يَقُولُ لَهُمْ . »

(٣) في النهاية لابن الأثير ٣ : ١٧١ : « يُصْبِحُونَ رُمْضًا غَمَضًا رَمَضًا ، وَيُصْبِحُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَقِيلًا ، دَهِنًا كَجِلَا . » وانظر الزرقاني ١ : ١٨٩

(٤) انظر السيرة الحلية ١ : ١١٤

(٥) في السيرة الحلية ١ : ١١٨ : « حَتَّى كَانَ ذَلِكَ الْعَامَ صَنَعَ لَهُمْ . »

فلما نزلوا في ظل شجرة قريبا منه ، نظر إلى الغمامة وقد أظلت الشجرة ، وتهصرت^(١)
 أغصانها على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل^(٢) تحتها ، فلما رأى بحيرا ذلك
 نزل من صومعته ، وقد أمر بذلك الطعام فصنع ، ثم أرسل إلى القوم فقال : إني
 قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش ، فأنا أحب^(٣) أن تحضروا كلكم ، صغيركم
 وكبيركم ، وعبدكم وحرّمكم ، فقال له رجل منهم : يا بحيرا إن لك لسانا اليوم : قال
 له بحيرا : صدقت ، قد كان ما تقول فاجتمعوا إليه ، وتخلّف رسول الله صلى الله
 عليه وسلم من بين القوم لحدائثة سنّه في رحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر
 بحيرا في القوم لم ير الصّفة التي يعرف ، فقال : يا معشر قريش لا يتخلّف منكم
 أحد عن طعامي ، قالوا : ما يتخلّف عنك أحد ينبغي أن يأتيك إلا غلام ، وهو
 أحدث القوم سنّا يتخلّف في رحالهم ، قال : لا تفعلوا أدعوه فليحضر ، فقال رجل من
 قريش : والآلات والعزى إن كان للؤمّا بنا أن يتخلّف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن
 طعام من بيننا ، ثم قام فاحتضنه وأجلسه مع القوم ، فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا
 شديدا وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يحدها عنده من صفته ، حتى إذا فرغ
 القوم من طعامهم وتفرّقوا قام إليه بحيرا فقال له : يا غلام ، أسالك بحق الآلات
 والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ، فقال : لا تسألني بهما ! فوالله ما أبغضت
 شيئا قط بغضهما ، فقال له : فبإله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ! فقال : سألني

(١) تهصرت : تهدلت عليه .

(٢) في السيرة الحلبية ١ : ١١٨ : « وكان صلى الله عليه وسلم وجدهم قد سبقوه إلى في الشجرة ،

فلما جلس مال في الشجرة عليه » .

(٣) في السيرة الحلبية ١ : ١١٨ : « .. قريش ، وأحب أن تحضروا » .

(٤) في السيرة الحلبية ١ : ١١٩ : « ثم قام إليه فاحتضنه » ، وفي شرح المواهب ١ : ١٩٥ :

« فقال رجل من قريش ثم قام الحارث بن عبد المطلب فأقْبى به » .

عما بدا لك، بفعل يسأله عن أشياء من حاله في نومه، وهيبته، وأموره، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يُخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، ثم نظر إلى خاتم النبوة بين كتفيه، وكان مثل أثر المحجم، فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: إني؟ قال له بحيرا: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حُبلى به، قال: صدقت أرجع بابن أخيك إلى بلده فاحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت، لَيَبَغْنَهُ شَرًّا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأُسْرِعْ به إلى بلاده، فخرج أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام.

١٠. وَرُويَ أَنَّ زُرَيْرًا وَمَسَامَا وَدَرِيْسًا، وَهُمْ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْكُتَّابِ، قَدْ كَانُوا رَأَوْا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَا رَأَى بَحِيرًا فِي ذَلِكَ السَّفَرِ الَّذِي كَانَ فِيهِ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، فَأَرَادُوهُ، فَرَدَّهُمْ عَنْهُ بِحِيرًا، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ وَمَا يَجِدُونَ فِي الْكِتَابِ مِنْ ذِكْرِهِ وَصِفَتِهِ. وَأَنَّهُمْ إِنْ أَجْمَعُوا لَمَّا أَرَادُوا بِهِ لَا يَخْلُصُوا إِلَيْهِ، فَعَرَّفَهُمْ مَا قَالَ لَهُمْ فَتَرَكُوهُ وَأَنْصَرَفُوا عَنْهُ؛ قُلْ: قَسَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْنُؤُهُ اللَّهُ وَيَحْفَظُهُ وَيَحْوَطُهُ لِمَا يَرِيدُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَأَصْطَفَائِهِ إِنَّهُ خَيْرُ الْخَافِظِينَ. وَاللَّهُ الْمَعِينُ.

(١) في شرح المراهب ١: ١٩٦: «عن أشياء من حاله ونومه... الخ».

(٢) هذه رواية ابن هشام ١: ١٩٣ أيضا، وفي السيرة الحلبية ١: ١١٩: «ما هو ابنك».

(٣) في عيون الأثر ١: ٤٢، والسيرة الحلبية ١: ١١٩: «إلى بلاده، واحذر».

(٤) كذا في عيون الأثر ١: ٤٢. وفي السيرة الحلبية ١: ١١٩: «وأرادوا به سوا فردم».

عنه بحيرا».

(٥) في السيرة الحلبية ١: ١١٩: «يخلصوا إليه، فمنذ ذلك تركوه وانصرفوا عنه»، وفي سيرة

ابن هشام ١: ١٩٤: «ولم يزل بهم حتى عرفوا ما قال لهم، وصدقوا بما قال تركوه».

ذَكَرُ رَعِيَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْغَنَمَ ^(١)

عن عبد الله بن عُمير رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من نبي إلا قد رعى الغنم ، قالوا : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا . وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما بعث الله نبيا إلا راعى غنم " ، قال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا ، رعيتهما لأهل مكة بالقراريط . ^(٢)

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، قال : مرأوا على النبي صلى الله عليه وسلم بئر الأراك فقال : عليكم بما أسود منه ، فأتى كنت إذ أنا راعى الغنم ، قالوا : يا رسول الله ، رعيتهما ؟ قال : نعم . وما من نبي إلا قد رعاها . ^(٣)
وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه نحوه .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام ^(٤) : ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة ، وقيل ابن عشرين ، هاجت حرب الفجار ، فشبهها صلى الله عليه وسلم ، وكان يُنبَل على أعمامه أى يرد عليهم النبَل ^(٥) .

(١) رعيته : بفتح الراء بمعنى رعيه ، وانظر السيرة الحلبية ١ : ١٢٥ .

(٢) فى معنى « القراريط » فى هذا الحديث خلاف ؛ فىل : هى أجزاء من الدراهم والدنانير ؛ قال سويد بن سعيد : يعنى كل شاة بقيراط ؛ وقيل : القراريط موضع بمكة ، ولم يقصد فى الحديث القراريط من الذهب والفضة ؛ لأن العرب لم تكن تعرف القراريط بهذا المعنى . وانظر السيرة الحلبية ١ : ١٢٦ . (٣) السيرة ١ : ١٩٥ .

(٤) قال ابن هشام ١ : ١٩٨ ، قتل ابن إسحاق : « وإنما سمي يوم الفجار بما استحل هذان الحيان ، كناية وقيس عيلان ، فيه من المحارم » .

(٥) فى سيرة ابن هشام ١ : ١٩٨ : « ... كنت أنبل على أعمامى : أى أردت عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها » .

وقد تقدّم ذكر حرب الفجار في وقائع العرب ، وذلك في الباب الخامس من القسم الرابع من الفن الخامس من كتابنا هذا ؛ وهو في السفر الثالث عشر من هذه النسخة والله الموفق للصواب وإليه المرجع .

ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم حلف الفضول

قال محمد بن عمر بن واقد [بسند] يرفعه إلى حكيم بن حزام : كان حلف الفضول منصرف قريش من حرب الفجار ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن عشرين سنة ، وكان الفجار في شوال ، وهذا الحلف في ذي القعدة ، وكان أشرف حلف كان قط ، وأول من دعا إليه الزبير بن عبد المطلب ، فأجتمعت بنو هاشم وزهرة ، وبنو أمّد بن عبد العزى وبنو تيم في دار عبد الله بن جُدعان ، فصنع لهم طعاما ، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكون مع المظلوم حتى يؤدي إليه حقه "مأبل بحر صوفة" ، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول .

وقال ابن هشام : (٢) تعاقدوا وتعاهدوا على ألا يحدوا بمكة مظلوما من أهلها ، وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه ؛ وكانوا على من ظلمه حتى تُردّ عليه مظلمته .

وعن جُبَيْر بن مُطِيع ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أحبُّ أن لي بحليف حضرته في دار ابن جُدعان حمر النعم وأنى أغدّره ؛ هاشم وزهرة وتيم تحالفوا أن يكونوا مع المظلوم "مأبل بحر صوفة" ، ولو دُعيتُ به لأجبت ، وهو حلف الفضول .

(١) انظر السيرة الحلبية ١ : ١٢٩ (٢) السيرة ١ : ١٢١

(٣) أى أنى لا أحب الغدّره وإن أعطيت حمر النعم في ذلك .

(٤) يعنى لو قال قائل من المظلومين فى الإسلام : يآل حلف الفضول لأجبت .

قال الواقدي : ولا نعلم أحدا سبق بنى هاشم بهذا الحلف . وحكى أبو الفرج
 الأصمغاني^(١) في سبب تسمية هذا الحلف حلف الفضول : أن قوما من قريش قالوا
 في هذا الحلف : هذا والله فضل من الحلف ، فسمى حلف الفضول ؛ قال :
 وقال آخرون : تحالفوا على مثل حلف تحالف عليه قوم من جرهم^(٢) في هذا الأمر
 لا يقرون ظمنا بطن مكة إلا غيروه ؛ وأسماءهم : الفضل بن شراعة ، والفضل بن
 قضاة ، والفضل بن سماعه .

وروى أيضا بسنده إلى أبي إسحاق بن الفضل قال : إنما سُمِّيَ قريش هذا
 الحلف حلف الفضول لأن نَفَرًا من جرهم يقال لهم الفضل والفضل والفضيل تحالفوا
 على مثل ما تحالف عليه قريش ، قال : وقال الواقدي : والصحيح أن قوما من
 جرهم يقال لهم فضل وفضالة وفضل ومفضل تحالفوا على مثل هذا فلما تحالفت
 قريش بهذا الحلف سَمَّوه بذلك . والله الموفق للصواب .

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام

المرة الثانية في التجارة وحديث نسطور

قال : ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة قال له عمه
 أبو طالب : أنا رجل لا مال لي ، وقد أشتد الزمان علينا ، وهذه غير قومك قد

(١) الأغاني بولاق ١٦ : ٦٥

(٢) في السيرة الحلبية ١ : ١٣١ : « هم ثلاثة من جرهم كل واحد منهم يقال له الفضل ، وهم الفضل
 ابن فضالة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن الحارث » .

(٣) في الأغاني ١٦ : ٦٥ : « الأمر أن لا يقرروا » .

(٤) الأغاني ١٦ : ٦٧

(٥) الأغاني ١٦ : ٧٠

(٦) في الأغاني ١٦ : ٧٠ : « على مثل هذا في أيامهم ، فلما » .

(١) حَضَرَ خُرُوجُهَا إِلَى الشَّامِ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ تَبِعَتْ رِجَالًا مِنْ قَوْمِكَ فِي صِرَاطِهَا، فَلَوْ جِئْتَهَا فَعَرَضْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهَا لَأَسْرَعَتْ إِلَيْكَ، وَبَلَغَ خَدِيجَةُ ذَلِكَ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تَقُولُ: أَنَا أَعْطَيْكَ ضِعْفَ مَا أُعْطِيَ رِجَالًا مِنْ قَوْمِكَ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: هَذَا رِزْقُ سَاقِهِ اللَّهِ إِلَيْكَ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ مَيْسِرَةُ غُلَامٍ خَدِيجَةٍ، وَجَعَلَ عُمُومَتُهُ يُوضُونَ بِهِ أَهْلَ الْعِيرِ، فَسَارُوا حَتَّى قَدِمُوا بُصْرَى، فَتَزَلَّ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ، فَقَالَ تَسْطُورُ الرَّاهِبِ: مَا نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ قَطُّ إِلَّا نَبِيٌّ. ثُمَّ سَأَلَ مَيْسِرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَفِي عَيْنِهِ حُمْرَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ لَا تَقَارِفُهُ؛ قَالَ: هُوَ نَبِيٌّ، وَهُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ؛ ثُمَّ بَاعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَلْعَةً فَوْقَ يَنِينِهِ وَبَيْنَ رَجُلَيْنِ تَلَاحُجَّ، فَقَالَ لَهُ: أَحْلَفْ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا حَلَفْتُ بِهِمَا قَطُّ، وَإِنِّي لَأُمَرَأٌ فَأَعِزُّ عَنْهُمَا، فَقَالَ الرَّجُلُ الْقَوْلُ قَوْلُكَ، ثُمَّ قَالَ لِمَيْسِرَةَ: هَذَا وَاللَّهِ نَبِيٌّ تَجِدُهُ أَحْبَارَنَا مَنَعُونَا فِي كِتَابِهِمْ؛ وَكَانَ مَيْسِرَةُ إِذَا كَانَتْ الْحَابِرَةُ وَاشْتَدَّ الْحَزَنُ يَرَى مَلَكَيْنِ يُظِلَّانِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الشَّمْسِ، فَوَعَى ذَلِكَ كُلَّهُ، وَبَاعُوا تِجَارَتَهُمْ، وَرَحِحُوا ضِعْفَ مَا كَانُوا يَرَحِحُونَ؛ فَلَمَّا رَجَعُوا وَكَانُوا بِمَرِّ الظُّهْرَانِ قَالَ مَيْسِرَةُ: يَا مُحَمَّدُ! انْطَلِقْ إِلَى خَدِيجَةَ فَأَخْبِرْهَا

(١) جمع الجمع لعير.

(٢) بضم الموحدة: مدينة حوران فتحت صلحا سنة ١٣ هـ، وهي أول مدينة فتحت بالشام.

انظر الزرقاني ١: ١٩٤.

(٣) ففتح التون وسكون السين وضم الطاء وألف مقصورة: عن الزرقاني ١: ١٩٨.

(٤) كانت هذه الحرة في بياض عيه، وهي الشكلة، وجاء في وصفه أنه كان أشكل العينين.

(٥) رواية الزرقاني ١: ١٩٩، والسيرة الحلبية ١: ١٣٣: «هو هو»، وهو آخر الأنبياء.

(٦) في السيرة الحلبية ١: ١٣٤: «ثم قال الرجل لميسرة».

(٧) مر الظهران: واد بين مكة وعدقان، وهو الذي تسميه العامة بطن مر، وهو المعروف الآن

بروادي فاطمة. عن السيرة الحلبية ١: ١٣٥.

بما صنع الله على وجهك، فإنها تعرف [لك] ^(٢) ذلك، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في عليها ^(٣) لها، فرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره، ومالك يظلم عليه، فأرته نساءها، فعجبوا لذلك، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها فخبرها بما رجوا في وجههم ذلك، فسرت به، فلما دخل مبصرة عليها أخبرته بما رأت، فقال: قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام، وأخبرها بما قال تسطورا، وبما قال الآخر الذي حالقه في البيع ^(٤)، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجارها، فريحت ضعف ما كانت تبيع، وأضعفت له ما سئمت له. والله المعين.

ذكر تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد
قال الواقدي بسند يرفعه إلى نفيسة بنت منية ^(٥)، قالت: كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي امرأة حازمة جادة شريفة لبيبة، وهي يومئذ أوسط قريش نسبا، وأعظمهم شرفا، وأكثرهم مالا، وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك، قد طلبوها وبذلوا لها الأموال ^(٦)، فأرسلني ديسسا إلى محمد بعد أن رجع في غيرها من الشام، فقلت: يا محمد، ما يمنعك أن تتزوج؟ فقال: ما يبدي ما أتزوج به، قلت: فإن كُفيت ذلك، ودُعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاة ألا تجيب؟ قال: فمن هي؟ قلت خديجة، قال: وكيف لي بذلك؟

- (١) الوجه: الوجهة. (٢) عن طبقات ابن سعد ١: ٨١٢ (قسم أول).
(٣) العلية: القرعة. (٤) في الأصل: «بجربها»، والمثبت عن ابن سعد، والسيرة الحلية ١: ١٣٥، وفي شرح المواهب ١: ١٩٩: «وأخبرها». (٥) حالقه: استحلقه.
(٦) في الأصل: «بنت منية»، تصحيف. (٧) في السيرة الحلية ١: ١٣٧: «أوسط نساء قريش نسبا». (٨) في السيرة الحلية ١: ١٣٧: «وذكروا لها الأموال فلم تقبل». (٩) الديسيس: من تدسه ليأتيك بالأخبار.

(١) قلت على، فانا أفعل، فذهبت فأخبرتها، فأرسلت إليه: أن أنت لساعة كذا وكذا، وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها. وقيل: إنما أرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول: يا بن العم! إني قد رغبت فيك لقربتك مني، وشرفك في قومك، وسيطتك وأمانتك عندهم، وحسن خلقك وصدق حديثك؛ ثم عرضت نفسها عليه، فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لأعمامه، فخرج معه حمزة ابن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن أسد، وقيل: بل عمرو بن خويلد بن أسد، وقيل: بل عمرو بن أمية عمها، وكان شيخا كبيرا وهو الصحيح، فخطبها إليه. قيل: وحضر أبو طالب ورؤساء مضر، فخطب أبو طالب فقال:

” الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضئ معد، وعنصر مضر، وجعلنا حصنة بليته، وسواس حرمة، وجعل لنا بيتا محجوجا، وحرما آمنا، وجعلنا الحكم على الناس؛ ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله، لا يوزن به رجل إلا رجع به، فإن كان في المال قل فإن المال ظل زائل، وأمر حائل، ومحمد من قد عرقم قرابته؛ وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالى كذا، وهو والله بعد هذا نبا عظيم، وخطب جليل“، فترجها صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وعشرين سنة وشهرين وعشرة أيام، وخديجة يومئذ بنت ثمان وعشرين سنة، وقيل: بنت أربعين سنة، وأصدقها صلى الله عليه

(١) في السيرة الحلية ١: ١٣٧: «بذلك، فقلت بلى وأنا أفعل»:

(٢) سبطك: شرفك.

(٣) ضئضئ معد: أى معدته وأصله.

(٤) عنصر مضر: أى أصله.

(٥) في شرح المواهب ١: ٢٠١: «ومحمد من قد عرقم».

(٦) في السيرة الحلية ١: ١٣٩، وشرح المواهب ١: ٢٠٢: «عظيم، وخطر جليل».

وسلم ثلثي عشرة أوقية وثمناً ذهباً ، الأوقية أربعون ، والثلث عشرون ، فذلك خمسمائة درهم .

وروى ابن هشام ^(١) : أنه أصدقها صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة .

ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم هدم الكعبة وبناءها
قالوا : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم تحساً وثلاثين سنة شهيد هدم
الكعبة وبناءها ، وترأست قريش بحكمه فيها ، وكان سبب هدم الكعبة وبناءها
ما روى عن ابن عباس ، ومحمد بن جبير بن مطعم ، قالوا : كانت الجروف ^(٢) مطلة على
مكة ، وكان السيل يدخل من أعلاها حتى يدخل البيت فانصدع ، فحافوا أن
ينهدم ، وسرق منه حليته وغزال من ذهب كان عليه درجوه .

قال محمد بن إسحق ^(٣) : وكان كثر الكعبة في بئر في جوفها ، فوجد عند دؤيك
مولى لبني مليح بن عمرو من نخاعة . قال ابن هشام : فقطعت قريش يده ،
وزعمت قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دؤيك .

وكانت الكعبة فوق القامة ، فأرادوا رفعها وتسقيفها ، وكانوا يهيمون بذلك
ويهابون هدمها ، فلما سرق الكثر حملهم ذلك على هدمها وبناءها ، قال ^(٤) :
وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جذة لرجل من تجار الروم فتحطمت . قال
الواقدي : كان رأس أصحاب السفينة رجلاً رومياً اسمه باقوم ، فحجتها الريح إلى ^(٥) ^(٦)

(١) السيرة ١ : ٢٠١ . (٢) في الأصل وطبقات ابن سعد ١ : ٩٣ (قسم أول) : « الجروف
مطة » . (٣) نقله ابن هشام في السيرة ١ : ٢٠٥ ، وعبارته : « وذلك أن قريشاً سرقوا كثر الكعبة ،
وإنما كان يكون في بئر » الخ . (٤) القائل ابن إسحق ، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٥ .
(٥) باقوم ، بمجدة فآلف ففاف مضمومة فواو ساكنة فيم ؛ ويقال : باقول باللام ؛ وهو تجار
قبطي ، وقيل رومي . وانظر الزرقاني ١ : ٢٠٣ . (٦) نجتها : أى دفعها .

(١) الشَّعْبِيَّةُ ، وكانت مرفأ السفن قبل جُدَّة فتَحَطَّمت ؛ فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش فابتاعوا خَشَبَهَا ، وقدم معهم بأقوم الرومي .

(٢) قال ابن اسحق : فأعدوا الخشب لتسقيفها ، وكان بمكة رجل قِبَطِيّ نجار ، قَتَبَا لهم في أنفسهم بعض ما يُصَلِّحُهَا ، وكانت حِجَّةٌ تُخْرَجُ من بئر الكعبة التي كان يُطْرَحُ فيها ما يُهْدَى لها ، فتَشَرَّقَ كل يوم على جدار الكعبة ، ولا يدنو منها أحد إلا أَهْزَلَتْ (٤) أي رفعت رأسها وكَشَّتْ وفُتِحَتْ فَاها ، فكانوا يهابونها ؛ فِينَا هِي يَوْمًا تَتَشَرَّقُ بِعَثَ اللَّهُ طَائِرًا فَاحْتَطَفَهَا فَذَهَبَ بِهَا ، فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكون الله قد رضى ما أَرَدْنَا ؛ عِنْدَنَا حَامِلٌ رَفِيقٌ ، وَعِنْدَنَا خَشَبٌ ، وَقَدْ كَفَانَا اللَّهُ عِزٌّ وَجَلَّ الْحَيَّةُ .

(٦) فَلَمَّا أَجْعَلُوا أَمْرَهُمْ عَلَى هَدْمِهَا وَبِنَائِهَا ، قَامَ أَبُو وَهَبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَائِذِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ تَخْزُومٍ ، وَهُوَ خَالَ أَبِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَنَاولَ مِنَ الْكَعْبَةِ حِجْرًا ، فَوَثَبَ مِنْ يَدِهِ حَتَّى رَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، لَا تُدْخِلُوا فِي بِنَائِهَا مِنْ كَسْبِكُمْ إِلَّا طَيِّبًا ، لَا يَدْخُلُ فِيهَا مَهْرَبَقِيٌّ ، وَلَا يَبِيعُ رِبَاً ، وَلَا مَظْلَمَةٌ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ . وَيَقَالُ إِنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَخْزُومٍ هُوَ الَّذِي قَالَ هَذَا الْقَوْلَ .

قال الواقدي : فَأَمَرُوا بِجَمْعِ الْحِجَارَةِ ، وَبِنَاءِ الْكَعْبَةِ مِنْهَا ؛ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْقُلُ مَعَهُمْ ، وَكَانُوا يَقْضِعُونَ أَزْرَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ وَيَحْمِلُونَ الْحِجَارَةَ ، ففعل

(١) معجم البلدان ٥ : ٢٧٥ . (٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٥ .

(٣) تشرق : تبرز للشمس . عن الخشني ١ : ٦٣ .

(٤) في شرح الخشني على سيرة ابن هشام ١ : ٦٣ : « اهزالت : رفعت ذنبها » .

(٥) صوت باحتكاك بعض جلدها ببعض . عن الخشني ١ : ٦٣ .

(٦) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٥ : « أمرهم في » .

ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فليط به : أى سقط من قيام ، ونودى : عورتك ! فكان ذلك أول ما نودى ، فقال له أبو طالب : يابن أئى اجعل إزارك على رأسك ، فقال : ما أصابنى [ما أصابنى ^(١)] إلا من التعرى ، فما رؤيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم عورة بعد ذلك .

قال ابن إسحاق ^(٢) : ثم إن قریشاً جزأت الكعبة ^(٣) ، فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة ، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قریش انضموا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبني جحج وسهم ، وكان شق الحجر لبني عبد الدار ^(٤) ابن قصي وبني أسد بن عبد العزى وبني عدى بن كعب ، وهو الحطيم ^(٥) .

وقال الواقدي : وقع لبني عبد مناف وزهرة وجه البيت ، وهو ما بين الركن الأسود إلى ركن الحجر ، ووقع لبني أسد بن عبد العزى وبني عبد الدار ما بين ركن الحجر إلى ركن الحجر الآخر ، ووقع لبني مخزوم ما بين ركن الحجر إلى الركن اليماني ، ووقع لبني جحج وعدى وعامر بن لؤي ما بين الركن إلى الركن الأسود .

قال ابن إسحاق ^(٦) : ثم إن الناس هابوا هدمها ، وفروا منه ، فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدأكم في هدمها ، فأخذ المعول ، ثم قام عليها وهو يقول : اللهم لم ترع ^(٧) ،

١٥ (١) في الأصل : « ما أصابنى إلا في تعرى » ، والتكلم والتصويب عن الزرقاني ١ : ٢٠٦ ، والسيرة الخلية ١ : ١٤٣ . (٢) نقله ابن هشام ١ : ٢٠٧ ، والطبري ٢ : ٢٠٠ ، ٢٠١ . (٣) في الأصل والطبري ٢ : ٢٠٠ : « تجزأت » ، والمثبت عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٧ . (٤) الشق : الناحية . (٥) سمى حطيماً لأن الناس يزدحجون فيه حتى يحطم بعضهم بعضاً . وانظر شرح السيرة للفتنى ١ : ٦٣ . (٦) نقله ابن هشام . (٧) لم ترع : لم تفرع . ٢٠ قال السهيلي ١ : ١٣١ : « وحى كلمة يقال عند تسكين الروح والتأيس ، وإظهار اللين والبر في القول ، ولا روع في هذا الموضع فينقى ، ولكن الكلمة تقتضى إظهار قصد البر ، فلذلك تكلموا بها » .

ويقال : لم نَزِغْ^(١) ، اللهم إنا لا نريد إلا الخير؛ ثم هدم من ناحية الركنين ، فتربص الناس به تلك الليلة^(٢) ، وقالوا : ننظر ، فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً ، ورددناها كما كانت ، وإن لم يُصبه شيء فقد رضى الله ما صنعنا فهدم ، فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله ، فهدم وهدم الناس معه حتى انتهى الهدم بهم إلى أساس إبراهيم عليه السلام ، فأفصوا إلى حجارة خُضِرَ كَالْأَسِنَّةِ^(٣) أَخَذَ بَعْضُهَا بَعْضاً ، فأدخل رجل من قريش عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما ، فلما تحرك الحجر تنقّضت مكة^(٤) بأسرها ، فاتهبوا عن ذلك الأساس .

قال : ثم إن القبائل جمعت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حدة ، وبنوا حتى بلغ البنيان موضع الركن^(٥) . والله المستعان .

١٠ ذكر اختلاف قريش في رفع الركن وتراضيه

بالنبي صلى الله عليه وسلم وخبر التَّحَكُّمِ النَّجَرِيِّ

قال ابن إسحاق : ولما بلغ البنيان إلى موضع الركن اختصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوزوا وتخالفوا واعتدوا للقتال^(٦) ، ففتربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً ، ثم تعافدوا هم وبنو عدى بن كعب

- ١٥ (١) لم نَزِغْ : لم نعل من دينك ، ولا خرجنا عنه ، وانظر الحاشي ١ : ٦٣ . (٢) عن الطبري ٢ : ٢٠١ . (٣) جمع سنان ، شبهها بأسنة الرماح في الخضر ، وروى : « كالأسنة » . وانظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٧ ، وشرح المواهب ١ : ٢٠٤ ، والروض الأنف ١ : ١٣٢ .
- (٤) تنقضت : اهتزت ، ورواية الطبري ٢ : ٢٠١ : « انتقضت » .
- (٥) القائل ابن إسحاق ، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٩ ، والطبري ٢ : ٢٠١ .
- ٢٠ (٦) يريد الحجر الأسود لأنه مبنى بالركن فسمى ركناً ، وفي تاريخ الطبري ٢ : ٢٠١ : « حتى إذا بلغ البنيان موضع الركن » . (٧) سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٩ . (٨) في سيرة ابن هشام ، والطبري ٢ : ٢٠١ : « حتى تحاوزوا [انحاز كل إلى قبيلة] ، وتخالفوا واعتدوا للقتال » .

ابن لؤي على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم ، فُسِّمُوا لَعَقَةَ الدَّمِ ؛ فَكَشَتْ
قُرَيْشٌ عَلَى ذَلِكَ أَرْبَعَ لَيَالٍ أَوْ خَمْسًا ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ فَتَشَاوَرُوا وَتَنَاصَفُوا ،
فَقَالَ أَبُو أُمَيَّةُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ خَزْزُومَ ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ أَسَنُّ قُرَيْشٍ
كُلَّهَا : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ فِيمَا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ أَوَّلَ دَاخِلٍ يَدْخُلُ ؛ فَدَخَلَ ^(١)
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : هَذَا الْإِمِينُ ، هَذَا مَجْدُ
رَضِينَا بِهِ ؛ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرَهُمُ الْخَبْرَ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلُمُّوا إِلَيَّ
ثَوْبًا فَأَتِي بِهِ ، وَقِيلَ : بَلْ بَسَطَ رِداءَهُ فِي الْأَرْضِ ، وَأَخَذَ الرُّكْنَ فَوَضَعَهُ فِيهِ بِيَدِهِ ،
ثُمَّ قَالَ : لَيَالٍ مِنْ كُلِّ رُبْعٍ مِنْ أَرْبَاعِ قُرَيْشٍ رَجُلٌ ، فَكَانَ مِنْ رُبْعِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ^(٢)
عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَفِي الرُّبْعِ الثَّانِي أَبُو زَمْعَةَ ، وَالرُّبْعِ الثَّلَاثِ أَبُو حَذِيفَةَ بْنُ الْمُغِيرَةِ ،
وَالرُّبْعِ الرَّابِعِ قَيْسُ بْنُ عَدِي .

هَكَذَا قَبِلَ الْوَاقِدِيُّ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لِيَأْخُذَ كُلُّ
رَجُلٍ مِنْكُمْ بِزَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا التُّوبِ ثُمَّ أَرْفَعُوهُ جَمِيعًا فَفْعَلُوا ، ثُمَّ وَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ فِي مَوْضِعِهِ ، فَذَهَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ لِيُتَاوَلَ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجْرًا يَسْتَدُّ بِهِ الرُّكْنَ ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : لَا .
وَنَحَاهُ ، وَنَاولَ [الْعَبَّاسُ] رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجْرًا ، فَشَدَّ بِهِ الرُّكْنَ ، فَفَضَّضَ ^(٣)
النَّجْدِيُّ حِينَئِذٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُ لَيْسَ يَبْنَى مَعْنَى فِي الْبَيْتِ
إِلَّا مَنًا ؛ فَقَالَ النَّجْدِيُّ : يَا عَجَبًا لِقَوْمِ أَهْلِ شَرَفٍ ، وَعُقُولٍ ، وَسِنٍّ ، وَأَمْوَالٍ ،
عَمِدُوا إِلَى أَصْغَرِهِمْ سِنًّا ، وَأَقْلَهُمْ مَالًا ، فَأَرَأَيْتُمْ عَلَيْهِمْ فِي مَكْرَمَتِهِمْ وَجُودِهِمْ كَأَنَّهُمْ

(١) فِي سِيرَةِ ابْنِ حِشَامٍ ١ : ٢٠٩ : « ... فِيهِ أَوَّلٌ مِنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ هَذَا الْمَسْجِدِ يَقْضِي بَيْنَكُمْ
فِيهِ فَعْمَلُوا ، فَكَانَ أَوَّلُ دَاخِلٍ » ، وَانْظُرِ الْعَابِرِيُّ ٢ : ٢٠١ .

(٢) فِي الْأَصْلِ وَطَبَقَاتُ ابْنِ سَدٍّ ١ : ٩٤ (قِسْمُ أَوَّلٍ) : « لِيَأْتِي » تَصْحِيفٌ .

(٣) عَنْ طَبَقَاتِ ابْنِ سَدٍّ ١ : ٩٤ (قِسْمُ أَوَّلٍ) .

خَدَمَ لَهُ ، أَمَا وَاللَّهِ لِيُفَرِّقَهُمْ شَيْعَا ، وَلِيَقْسِمَنَّ بَيْنَهُمْ حُظُوظًا وَجُدُودًا . وَيَقَالُ إِنَّ النَّجْدِيَّ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ . فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ :^(١)

إِن لَنَا أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ فِي الْحَكَمِ وَالْعَدْلِ الَّذِي لَانْكِرَهُ
وَقَدْ جِهَدْنَا جِهْدَهُ لِنَعْمُرَهُ وَقَدْ عَمَرْنَا خَيْرَهُ وَأَكْثَرَهُ^(٢)

* فَإِنْ يَكُنْ حَقًّا فَقَيْنَا أَوْفَرَهُ *

قَالَ : ثُمَّ بَنُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى مَوْضِعِ الْخَشَبِ ، وَكَانَ خَمْسَةَ عَشَرَ جَائِزًا سَقَفُوا الْبَيْتَ عَلَيْهِ ، وَبَنَوْهُ عَلَى سِتَّةِ أَعْمِدَةٍ ، وَأَخْرَجُوا الْحَجْرَ مِنَ الْبَيْتِ ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ قَوْمَكَ اسْتَغْصَرُوا فِي بَنِيَانِ الْكِبَةِ ، وَلَوْلَا حَدَاثَةُ عَهْدِهِم بِالشَّرْكِ أَعَدْتُ فِيهِ مَا تَرَكُوا مِنْهُ ، فَإِنْ بَدَأَ الْقَوْمُكَ مِنْ بَعْدِي أَنْ يَبْنُوهُ ، فَهَلُمَّ أُرِيكُمْ مَا تَرَكُوا مِنْهُ ، فَأَرَاهَا قَرِيبًا مِنْ سَبْعَةِ أَذْرَعٍ فِي الْحَجَرِ ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَجَلَعْتُ لَهَا تَابِزِينَ شَرْقِيًّا وَغَرْبِيًّا ، أَنْتَدِرِينَ لَمْ كَانَ قَوْمُكَ رَفَعُوا بَابَهَا ؟ قَالَتْ : فَقُلْتُ : لَا أَذْرَى . قَالَ : تَعَزَّزْنَا أَنْ لَا يَدْخُلَهَا إِلَّا مَنْ أَرَادُوا .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَكَانَتِ الْكِبَةُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِي عَشْرَةَ ذِرَاعًا ، وَكَانَتْ تُكَبَّى الْقِبَاطِيُّ^(٣) ثُمَّ كُسِيتِ الْبُرُودُ ، وَأَوَّلُ مَنْ كَسَاهَا الدِّيْبَاجُ الْحِجَابُ^(٤) ابْنُ يُوسُفَ .

(١) فِي الْأَصْلِ : «لِيُفَرِّقَهُمْ سَبَقًا» وَلِيَقْسِمَنَّ بَيْنَهُمْ حُظُوظًا وَجُدُودًا . وَانْظُرِ السِّيرَةَ الْخَلِصَةَ : ١٤٥ ، وَطَبَقَاتُ ابْنِ سَلَمَةَ : ١ : ٩٤ (قَسَمَ أَوَّلًا) . (٢) انْظُرِ الرُّؤُوسَ الْأَنْفَ : ١ : ١٣٢ . (٣) فِي طَبَقَاتِ ابْنِ سَلَمَةَ : «وَأَكْبَرَهُ» . (٤) الْجَائِزُ : هُوَ الْخَشَبَةُ الَّتِي تَوْضَعُ عَلَيْهَا أَطْرَافُ الْمَوَارِضِ فِي سَقْفِ الْبَيْتِ . وَفِي الْأَصْلِ : «حَابِرًا» تَصْغِيرُ . (٥) فِي الْأَصْلِ : «وَأَسْتَغْصَرُوا مِنْهُ» ، وَانْظُرِ صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ : ١ : ١٤٦ ، (٦) فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : ٢ : ١٤٧ : «قَالَ بَرِيرٌ : خَفَرْتُ مِنَ الْحَجَرِ أَذْرَعًا وَنَحْوَهَا» . (٧) فِي السِّيرَةِ : ١ : ٢١١ . (٨) الْقِبَاطِيُّ : ثِيَابٌ بَيْضُ كَانَتْ تَصْنَعُ بِمِصْرَ . (٩) الْبُرُودُ : ثِيَابٌ بَيْضَةٌ . (١٠) فِي الرُّؤُوسِ الْأَنْفَ : ١ : ١٣ . أَنْ ابْنَ الزُّبَيْرِ كَسَاهَا الدِّيْبَاجَ قَبْلَهُ ، وَكَانَ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ بَنَ كَلَابَ مِنْ كَسَاهَا الدِّيْبَاجَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ .

وحيث اتبينا إلى هذه الغاية من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فلنذكر من بشره .

ذكر المبشرات برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مولده ومبعثه وبعد ذلك

جاءت البشائر برسول الله صلى الله عليه وسلم في كتب الله تعالى المنزل على
أنبيائه صلوات الله عليهم ، وفيما قيل إلينا من كلامهم ، ووجد بخطهم ، وبشره
أخبار يهود ، وعلماء النصارى ، عما انتهى إليهم من العلوم التي تلقوها عن الأنبياء
صلوات الله عليهم ، ونقلوها من صحفهم ، ومجئيات كتبهم ، وذخائر أسرارهم ، حتى
اعترف قوم بنوته صلى الله عليه وسلم قبل مولده وظهوره بما شاء الله من السين ،
وأوصوا به من بعدهم ؛ (فَمَنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ) ، وبشره
أيضا قبل مبعثه كهان العرب ، عما كان يأتيهم من أخبار السماء على لسان شياطينهم
الذين كانوا يسترقون السَّمْعَ ومُنِعُوا بالشُّبْهِ ، كما أخبرنا الله تعالى في قوله : (وَإِنَّا
كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَادًا رَصِدًا) ، ونطق الجان من
أجواف الأصنام بالبشارة به ، فكان ذلك سببا لإسلام من سمع أصواتها من سبقت
له من الله الحسنى ، وهداه وأرشده إلى اتباع الحق ، والإيمان برسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وبما جاء به من عند الله ، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في مواضعه .

فأما ما جاءت به الكتب المنزل من الله تعالى مما يدل على نبوة سيدنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقد جاء ذلك في القرآن العزيز ، وفي التوراة ، والإنجيل ،
وزبور داود ، وكتب الأنبياء : شعيا ، وشمعون ، وحزقييل عليهم السلام .

(١) في الأصل : « وما نقل »

فأما ما جاء في القرآن العزيز فقد قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ . قال أهل التفسير : أخذ الله الميثاق بالوحي ، فلم يبعث نبيًا إلا ذكر له مجدا ونعته ، وأخذ عليه ميثاقه : إن أدركه ليؤمنن به ، وقيل : أن يبينه لقومه ، ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم ، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم .

- ١٠ وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أنه قال : لم يبعث الله نبيًا من آدم فمن بعده ، إلا أخذ عليهم اليهود في عهد صلى الله عليه وسلم : لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولننصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه . ونحوه عن السدي وقناة .
- وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ . روى عن قتادة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كنت أول الأنبياء في الخلق ، وآخرهم في البعث . قال القاضي عياض : فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره ، صلى الله عليهم أجمعين .
- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشري عيسى » الحديث . يشير بدعوة إبراهيم عليه السلام إلى قوله تعالى إخبارا عنه : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

وأما ما جاء في كتب الله السالفة ، فقد علمنا قطعاً أن أهل الكتاب
بدلوا في كتب الله تعالى المنزلة على أنبيائهم ، وحرفوا كلماتها عن مواضعه ،
وحدفوا منها أشياء صريح ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقياً منهم
وحسداً ومُحَدَثاً ونكالا وافترأ على الله تعالى . هذا لا مِرْيَةَ عندنا فيه
ولا خلاف ، وقد اتفقوا على أشياء في كتبهم وترجموا عنها بالعربية ، تدل
على نبوة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نحن نذكرها إن شاء الله ،
وكتبوا فيها ما أخبر به من أسلم من أحبار يهود وغيرهم ، وعُرض ذلك
على من استمر على كفره ، فلم يسعه إنكاره بل أقرب به ، على ما نذكر إن شاء الله
تعالى في مواضعه .

فأما ما اتفقوا عليه بما جاء في التوراة وترجموه بالعربية ورضوا ترجمته
فن ذلك قوله : « جاء الله من طور سيناء ، وأشرق لنا من ساعير ، واستعلن
من جبال فاران » . وفي ترجمة أخرى كذلك : « تجلى الله من طور سيناء ، وأشرق
من ساعير ، واستعلن من جبال فاران » . قال العلماء : وفي هذا تصريح بنبوة
محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن الطور هو الجبل الذي اصطفى الله تعالى موسى
عليه بتكليمه ، وساعير : جبل بالشام منه ظهرت نبوة عيسى بن مريم ، والقرب
منه قرية الناصرة التي ولد فيها ، وفاران : هي مكة شرفها الله تعالى .

(١) في معجم البلدان ٦ : ٢٢٣ : « ... وفي التوراة : جاء الله من سيناء ، وأشرق من
ساعير ، واستعلن من فاران » ، فجاء من سيناء ، تكليمه لموسى ، وإشراؤه من ساعير (وهي جبال
فلسطين معجم ٥ : ١٠) : لإزالته الإنجيل على عيسى ، واستعلانه من جبال فاران : لإزالته القرآن على
محمد صلى الله عليه وسلم . وفاران : جبال مكة .

(٢) في الأصل : « الطور وهو » . وانظر « خير البشر » لابن ظفر ص ٩ .

قال الشيخ حجة الدين أبو هاشم محمد بن ظفر في كتابه المترجم بخير البشر: ^(١)
لا يخالف في هذا أحد من أهل الكتاب . قال : « وأما قوله : جاء الله من
طور سيناء فإن مجيء الله هو مجيء كتابه وأمره كما قال الله تعالى : ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ ^(٢)
حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ ؛ أى أتاهاهم أمره . وقوله : « وأشرق لنا من ساعير » كتابه ^(٣)
ظهور أمره وكلامه ، قال : وكذلك قوله : « واستعلن من جبال فاران » ، أى ظهر ^(٤)
أمره ، وكتاباه ، وتوجيهه ، وحجده ، وما شرعه رسولُه من ذكره بالأذان والتلبية ^(٥)
وغير ذلك ؛ قال ابن ظفر : « وقرأت في ترجمة للتوراة خطابا لموسى عليه السلام ،
والمراد به الذين اختارهم لميقات ربه فأخذتهم الرجفة خصوصا ، ثم سائر بني إسرائيل ^(٦)
عموما : والله ربك يقيم نبيا من إخوانك ، فأستمع له كالذى سمعت ربك في حوربت
يوم الاجتماع حين قلت : لا أعود أسمع صوت الله ربى لئلا أموت ، فقال الله لى : ^(٧)
نعم ما قالوا ، وسأقيم لهم نبيا مثلك من إخوانهم ، وأجعل كلامى في فم ، فيقول لهم :
كل شئ أمره به ، وأما رجل لم يطع من تكلم باسمى فإني أنتقم منه . ^(٨)

وفي هذا أدلة على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ، منها قوله : « من إخوانهم » ،
وموسى وقومه من بني إسماعيل ، وإخوانهم بنو إسماعيل ، ولو كان الموعود من ^(٩)

- ١٥ (١) في الأصل : « هشام » تصحيف . (٢) ص ٩ .
(٣) في خير البشر : « سيناء ، فجى » . (٤) في الأصل : « ظهور أنوار كلامه »
والثبت عن ابن ظفر . (٥) في خير البشر (ورقة ه أمن النسخة المخطوطة) : « وما شرعه رسولُه
من الآداب والتلبية » . (٦) في خير البشر ص ١٠ وانظر الزرقاني ٦ : ٢٠٠ . (٧) في خير البشر
ص ١٠ من المطبوعة : « قلت لا أسمع صوت الله » ، وفي المخطوطة (ق ه ب) : « أسمع كلام الله ربى » .
٢٠ (٨) في المخطوطة من خير البشر (ق ه ب) : « فقال الله لى : نعم ، نعم » .
(٩) في خير البشر (ق ه ب) : « وفي هذا الكلام أدلة » .
(١٠) في خير البشر (ق ه ب) : « ولو كان هذا النبي الموعود » .

بنى إسماعق ، لكان من أنفسهم ، لا من إخوانهم ، كما قال تعالى إخباراً عن إبراهيم في دعوته : (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ) ، وكما قال تعالى : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) ؛ ومنها قوله : « نيليا مثلك » ، وقد قال في التوراة : « لا يقوم في بني إسرائيل أحدٌ مثل موسى » ، وفي ترجمة أخرى : « مثل موسى لا يقوم في بني إسرائيل أبداً » ؛ ومنها قوله : « أجعلُ كلامي في فم » ، فهو واضح أن المقصود به محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن معناه : أوحى إليه بكلامي فينطق به ؛ وقوله : « أيما رجلٍ لم يُطع من تكلم باسمي فإني أنتقم منه » دليل على كذب اليهود في قولهم : إن الله أمرنا بمعصية كل نبي دعا إلى دين سُمي نَسَخًا لبعض ما شرعه موسى صلى الله عليه وسلم . والله تعالى أعلم .

وأما ما اتفقوا عليه ، ورضوا ترجمته مما في الإنجيل فن ذلك ما ترجموه في الإنجيل : أن عيسى عليه السلام قال : « إن أُحِبَّتُمُونِي فَأَحْفَظُوا وَصِيَّتِي ، وأنا أطلب إلى أبي فيعطيكُم بَارْقَلِيطَ آخر يكون معكم الدهر كله ، فهذا تصريح بأن الله سيبعث إليهم من يقوم مقامه ، وينوب عنه في تبليغ رسالات ربه ، وسياسة خلقه منابه ، وتكون شريعته باقيةً مخلدة أبداً » ، ولم يأت بذلك بعد عيسى إلا محمد صلى الله عليه وسلم .

ومنه ما ترجموه : « إن هذا الكلام الذي سمعتموه ليس هو لي ، بل للأب الذي أرسلني ، تكلمكم بهذا وأنا معكم ، فاما البَارْقَلِيطُ : روح القدس الذي يُرْسِلُ أبي باسمي ، فهو يعلمكم كل شيء ، ويُدِّكُرُكم جميعاً ما أقول لكم » .

قال ابن ظفر : قولهم : « أبي » : فهذه اللفظة عندنا مبدلة محرقة ، وليست مُتَكْرَمة الاستعمال عند أهل الكنائس إشارة إلى الرب سبحانه ، لأنها عندهم لفظة

تعظيم يخاطب بها المتعلم معلّمه الذى يستمد العلم منه ؛ قال : ومن المشهور مخاطبة النصارى عظماء دينهم بالأباء الروحانية ؛ قال : وأما قوله : « يرسله أبى باسمى » فهو إشارة إلى شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالصدق والرسالة ، وما تضمنه القرآن من مدحه وتنزيهه عما افتراه اليهود فى أمره .

وما ترجموه ورَضُوا ترجمته قولهم : إنه قال : « إِذْ قَالَ الْبَارْقَلِيطُ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ عِنْدِ أَبِي ، رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي يُخْرِجُ مِنَ الْأَبِّ ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي ، وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ لِي أَيْضًا لِكَيْنُونَكُمْ مَعِيَ مِنْ أَوَّلِ أَمْرِي » .

قال : قوله « رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي يُخْرِجُ مِنَ الْأَبِّ » كنايةٌ عن كلام الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ .

وقوله : « يَشْهَدُ لِي » تصرّح بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ لم يشهد للشيخ عليه السلام بالنبوة ، والتزاهة عما افترى عليه ، وبأنه رُوحُ الله وكلمته وصفية ورسوله ، كتابٌ سوى القرآن ، ولم تزل الأمم تكذب المتبعين للشيخ ، واليهود يفترون العظام من البهتان ، حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فشهد للشيخ بما شهد به حواريوه الذين كانوا معه من أول أمره ، والمهتدون من أمته .

قال : وما رَضُوهُ من الترجمة أيضاً عن الإنجيل قوله فيه : « إِنْ أَنْطَلَقَ خَيْرَ لَكُمْ ، لِأَنِّي إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَمْ يَأْتِكُمُ الْبَارْقَلِيطُ ، فَإِذَا أَنْطَلَقْتُ أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ، فَإِذَا جَاءَ فَتَدَّ أَهْلَ الْعِلْمِ » . قال : فهذا ظاهر ، وقوله : « أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ » إن كان سالماً من التحريف ، فعناه مثل معنى قوله : « إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَمْ يَأْتِكُمْ » ، وقوله : « فَتَدَّ » وصفٌ صريح للنبي صلى الله عليه وسلم ، فهو الذى فد علماء اليهود والنصارى فيما أطبقوا عليه من أن المسيح قُتِلَ وصُلب بعد أن عُدِّبَ ، وما انفرد

به علماء اليهود من بُهتانهم في الطعن على المسيح ، وما انفرد به علماء النَّصَارَى من الدعوة إلى ألوهية المسيح ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم فند جميعهم . والتَّفنيد : التَّخْطِئَةُ وتَقْيِيحُ القول والرأى .

قال ابن ظفر : وقرأت في ترجمة أخرى للإنجيل : أنه قال : « الْبَارَقْلِيْطُ لَا يَجِيْزُكُمْ مَا لَمْ أَذْهَبْ ، فَإِذَا جَاءَ وَبُخَّ الْعَالَمَ عَلَى الْخَطِيئَةِ ، وَلَا يَقُولُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ ، وَلَكِنَّهُ مَا يَسْمَعُ يَكَلِّمُهُمْ بِهِ ، وَيَسْوُسُهُمْ بِالْحَقِّ ، وَيُخْبِرُهُم بِالْحَوَادِثِ وَالْغُيُوبِ » . ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي وبخ العلماء من أهل الكتاب على كتمان الحق ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، وبيع الذين بالثمن البَخْس من عَرَضِ الدُّنْيَا ، وهو الذي أخبر بالحوادث والغيوب .

وقال ابن ظفر : والذي صح عندي في معنى الْبَارَقْلِيْطُ : أنه الحكيم الذي يَعْرِفُ السِّرَّ ، وقد تقدّم ما يدلّ على أنه الرسول .

وأما ما جاء في زبور داود عليه السلام مما ترجمه أهل الكتاب ، فن ذلك قوله : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَاعِلَ السُّنَّةِ يَحْيَا ، يَعْلَمُ النَّاسَ أَنَّهُ بَشَرٌ » ؛ ويفهم من هذا : أن داود عليه السلام أطلعه الله تعالى على ما سيقوله النَّصَارَى في المسيح إذا أرسله ، من أنه إلهٌ معبود ، فدعا الله سبحانه بأن يبعث محمداً صلى الله عليه وسلم فيعلمهم أن المسيح بشر .

وفيه أيضاً مما ترجموه : « أَنَّهُ فَاضَتْ الرَّحْمَةُ عَلَى شَفَتَيْكَ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَبَارَكَ عَلَيْكَ ، إِلَى الْأَبَدِ ، فَقَلَدَ السَّيْفُ ، فَإِنْ بَهَاكَ وَحَدَّكَ الْغَالِبُ ، وَارْكَبَ كَلِمَةَ الْحَقِّ ، فَإِنْ نَامُوسُكَ وَشَرَائِعُكَ مَقْرُونَةٌ بِهَيْبَةِ يَمِينِكَ ؛ وَالْأُمَمُ يَخْرُونَ تَحْتَكَ » ؛ قال : فالذي قُرئت شريعته بهيبة يمينه ، وخرت الأمم تحته ، هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنها، وذكر رجلا فقال : « فإذا قام جاز من البحر إلى البحر، ومن عند الأنهار إلى مُنْقَطَعِ البرِّ، وخرَّ أهل الجزائر قدماه على وجوههم وركبهم، ولحس أعداؤه التراب لهيبته، وجاءته الملوك بالقرايين، ودانت له الأمم بالطاعة؛ لأنه يخلص الضعيف المغلوب البائس من هو أقوى منه، ويقوى الضعيف الذى لا ناصر له، ويرحم المساكين، ويصلِّ ويباركُ عليه فى كلِّ وقت، ويدوم ذكره إلى الأبد » .

فهذا فى غاية الظهور أن المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما ما ترجموه من كتاب شعيا عليه السلام ورَضُوا ترجمته فقولُه :
 « عبدى الذى سُرَّت به نفسى أنزل عليه وحى ، فُظِهِّرَ فى الأُثم على ،
 ويوصيهم بالوصايا ، لا يضحك ، ولا يُسمع صوته فى الأسواق ؛ يفتح العيون
 النور، والآذان الصَّم ، ويحيى القلوب الغُلف ؛ وما أُعطيَه لا أُعطى أحدا ، مُشَقَّحٌ
 يحمَد الله حمدا جديدا ، يأتى من أقصى الأرض ، تفرح البرية وسكانها يهللون الله
 على كلِّ شرف، ويكررونه على كل رابية ، ولا يضعف ولا يغلب ، ولا يميل إلى الهوى
 ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبِ الضعيفة ، بل يقوى الصديقين ، وهو ركن
 المتواضعين ، وهو نور الله الذى لا يطفأ ، أثرُ سلطانه على كنفه » .

(١) فى خير البشر لابن ظفر ص ١٩ : « فقال فإذا جاز من البحر » .

(٢) ويقال أيضا : « سعيًا » ، بين مهمله ، و « أشعياء » . وانظر السيرة الحلية ١ : ٢١٣ ،

٢١٨ ، ونجاح العروس ١٠ : ١٨٨ . (٣) فى الأصل : « قوله » .

(٤) فى السيرة الحلية ١ : ٢١٩ : « . . . ولا يسمع صوته فى الأصوات لأن ضحكه كان النبم » .

(٥) فى السيرة الحلية ١ : ٢١٩ : « . . . وما أُعطيَه لا أُعطى أحدا » .

(٦) فى السيرة الحلية ١ : ٢١٩ : مشقح بالشين المعجمة والحاء المهملة : أى زاهى » وانظر

الزرقانى ٦ : ١٨٩ .

قال ابن ظفر^(١) : هذه ترجمة السريانيين ، وعبر العبرانيين عنه بأن قالوا : « على كنفه علامة النبوة » ؛ فهذا كله صريح في الإشارة به صلى الله عليه وسلم ، مع ما فيه من ذكر قيام دولة العرب بقوله : « تفرح البرية وسكانها » ؛ وأما قوله : [مُشَقَّح] فهو محمد ، لأن الشَّقْح بلغتهم الحمد .

ومما ترجموه منه أن شعياً عليه السلام قال : « قم نَظَّاراً فانظر ما ترى ، فأخبر به ، فقلت : أرى راكبين مقبلين ، أحدهما على حمار ، والآخر على جمل ، يقول أحدهما لصاحبه : سقطت بابل وأصنامها » فهذه بشارة صريحة بمحمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه راكب الجمل لا محالة ، ولأن مُلْك بابل إنما ذهب بنبوته صلى الله عليه وسلم وعلى يد أصحابه ، على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

قال : « وقد كان على باب من أبواب الإسكندرية صورة جمل من نحاس ، عليه راكب من نحاس . في هيئة العسب مؤتزراً مُرْتِد ، عليه عمامة ، وفي رجله نعلان ، كل ذلك من نحاس ؛ وكانوا إذا تظالموا يقول المظلوم للظالم : أعطني حتى قبل أن يخرج هذا فَيَأْخُذَ لي بحقي منك ، شئت أو أبيت ، ولم يزل الصنم على ذلك حتى آفتح عمرو بن العاص أرض مصر ، فغيَّبوا الصنم .

ومنه : « أَيَّتْهَا العافر ! افرح وأهترى وانطلق بالتسبيح ، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي » . قال : فالعافر مكة ، لأنها بوا غير ذي زرع ، أو لأن الله لم يبعث

(١) كذا في خير البشر ص ١٤ ، وانظر السيرة الحلبية ١ : ٢١٩ .

(٢) في الأصل : « وأما قوله فهو محمد » ، والنسكة عن خير البشر لابن ظفر ، وانظر السيرة

الحلبية ١ : ٢١٩ .

(٣) ورد هذا الخبر في السيرة الحلبية ١ : ٢١٨ بصورة تختلف عما هنا .

(٤) القائل ابن ظفر في خير البشر ص ١٧

بها نبيا في ذلك الزمن دون غيرها، فهي عاقر، وقوله : « انطلقى بالسبيح » إشارة إلى عمارتها بأهل ذكر الله ، وقوله : « يكون أهلك أكثر من أهل » ، قال : إن سلم من التحريف وسوء العبارة « فَنَ » زائدة، والمعنى أن المسلمين يكونون أكثر أهل طاعة الله وتوحيده ^(١) ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته أكثر أهل الجنة، والآل والأهل يُكتَبُ بهما عن [الجماعة] الخاصة، قال عبد المطلب بن هاشم :
نحن آل الله في بلدتنا لم نزل آلا على عهد إرم ^(٢)
ولما روجع أبو بكر الصديق رضي الله عنه في استخلافه عمر بن الخطاب وقيل له : ماذا تقول لربك وقد استخلفت علينا فظا غليظا ؟ فقال : أقول تركتُ على أهلك خير أهلك . والله الفعال .

- ١٠ ومن كتاب شمعون عليه السلام مما ترجموه ورَضُوا ترجمته قوله : « جاء الله بالبينات من جبال فاران، وامتلات السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته » ، وقد تقدم أن جبال فاران هي جبال مكة شرفها الله، ومجىء الله هو مجىء كتابه .
ومن كتاب حزقيل عليه السلام مما ترجموه من قصة ذكر فيها ظهور اليهود وعزتهم ، وكفرانهم للنعم ، فشبههم فيها بالكُرمة حيث قال : « لم تلبث تلك الكرمة أن قُلِعَتْ بالسحطة، ورُمى بها على الأرض، فأحرقت السماء أثرها، فعند ذلك غرس غرس في البدو ، وفي الأرض المهملّة العَطَشى ، فخرجت من أغصانه الفاضلة نارا فأكلت تلك الكرمة حتى لم يوجد فيها قضيب » .

- (١) في خير البشر : « يكونون أكثر طاعة لله وتوحيده له » . (٢) في الأصل : « بها عن الخاصة » ، والتكلمة عن خير البشر . (٣) في الأصل ، وخير البشر ص ٩ : « إلا » .
(٤) لا يزال المؤلف ينقل عن ابن ظفر : والزواية عنده : « جاء الله بالبيان » .
(٥) في الأصل : « بالكُرمة ثم قل » . وانثبت عن خير البشر .
(٦) في خير البشر : « أن قطعت » .

قال : فلا شك أن أرض البدو المهيمنة العطشى هي أرض العرب ، وغرسُ
الله الذي غرسه فيها هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد أنزى الله به اليهود
والله أعلم .

٣٦
١٤

ومما نقل من كلام خيِّق ، وهو الذي زعمت اليهود أنه ادَّعى النبوة في عهد
بُحْتَنَصْر ، وحكوا عنه أنه قال : « إذا جاءت الأمة الآخرة يسَّج بهم صاحبُ الجمل
— أو قال : راكبُ الجمل — تسبيحا جديدا في الكائس الجدد ، فافرحوا ، وسيروا
إلى صهيون بقلوب آمنة ، وأصوات عالية ، بالتسبيحة الجديدة التي أعطاكم الله
في الأيام الآخرة ، أمة جديدة بأيديهم سيوف ذوات شُفرتين ، فينتقمون من الأمم
الكافرة في جميع الأقطار » . ولا شك أن راكب الجمل أو صاحب الجمل من الأنبياء
هو محمد صلى الله عليه وسلم ، والأمة الجديدة هي العرب ، والكائس الجدد هي
المساجد ، وصهيون : مكة ، والتسبيحة الجديدة : « لِيَكُ اللَّهُمَّ لِيَكُ » .

ونقل أيضا عن خيِّق هذا أنه قال : « جاء الله من اليمن ، وظهر القدس على
جبال فاران ، وامتلات الأرض من تميم أحمد ، وملك يمينه رقاب الأمم ،
وأضاءت الأرض لنوره ، وحُجَّت خيلُه في البحر » . والله أعلم .

ومما وجد بخط موسى بن عمران عليه السلام ما روى معمر عن الزهري أنه
قال : أشخصني هشام بن عبد الملك إلى الشام ، فلما كنتُ بالبقاء وجدتُ حجرا
مكتوبا عليه بالخط العبراني ، فطلبتُ مَنْ يقرؤه ، فأُرشدت إلى شيخ ، فانطلقتُ
به إلى الحجر ، فقرأه وضحك ، فقلت : ممّ تضحك ؟ قال : أمر عجيب ، مكتوب على
هذا الحجر : باسمك اللهم جاء الحق من ربك ، لسان عربي مبين ؛ لا إله إلا الله
محمد رسول الله . وكتبه موسى بن عمران بخط يده .

وإنما ألحقنا هذا الخبر بما قبله لأن موسى صلى الله عليه وسلم إنما يكتب بخطه ما تلقاه عن الله تعالى ، أو عن كُتبه المُنزلة ؛ وهذا الذي أوردناه مما جاء في كتب الله السالفة هو الذي أبداه أهل الكتاب وأثبتوه ، وترجموه ورضوا ترجمته في تحريفهم وتبديلهم .

وأما ما كتبه أهل الكتاب مما فيه صريح ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ودُلِّنا عليه وأخبرنا به من أسلم منهم ممن جاز لنا أن نروى عنه ونَقْبَلُ روايته ؛ مثل وهب ، وكعب الأحبار ، وأبي ثعلبة بن أبي مالك .

فأما ما جاء عن وهب بن منبه . فإنه رُوي عنه أنه قال : قرأت في بعض كتب الله المنزلة على نبي من بني إسرائيل : « أن قم في قومك ، فقل باسماء اسمي ، ويا أرض أنصتي ؛ لأن الله يريد أن يقصَّ شأن بني إسرائيل : أني ربِّيهم ينعمتي ، وأتوهم بكرامتي ، واحترتهم لنفسي ، وأني وجدتُ بني إسرائيل كالغَمِّ الشاردة التي لا راعي لها ، فرددتُ شاردتها ، وجمعتُ ضالَّتها ، وداويتُ مريضها ، وجبرتُ كسيرها ، وحفظتُ سمينها ؛ فلما فعلتُ بها ذلك بطرت ، فتناطحت بكأشها ، فقتل بعضها بعضا . فويل لهذه الأمة الخاطئة ، وويل لهؤلاء القوم الظالمين ؛ إني قضيت يوم خلقتُ السموات والأرض قضاء حتما ، وجعلتُ له أجلا مؤجلا لا بد منه ، فإن كانوا يعلمون الغيب فليخبروك متى حتمته ، وفي أي زمان يكون ذلك ، فإني مظهره على الدين كله ، فليخبروك متى يكون هذا ، ومن القيم به ، ومن أعوانه وأنصاره ، إن كانوا يعلمون الغيب فإني باعثُ بذلك رسولا من الأُمَمِ ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صحَّاب في الأسواق ، ولا قوال بالهَجَر والخنى ، أسدده

(١) في الأصل : « به ابن أسلم » تصحيف .

(٢) في الأصل : « وأما » .

بكل جميل ، وأَهَبَ له كُلَّ خُلُقٍ كريم ، وأَجْعَلَ السَّكِينَةَ على لسانه ، والتَقْدِيرَ ضَمِيرَهُ ، والحِكْمَةَ منطقَهُ ، والصدقَ والوفاء طبيعته ، والعفوَ والمعروفَ خُلُقَهُ والحقَّ شريعته ، والعدلَ سيزته ، والإسلامَ ملتَهُ ، أرفعَ به من الوضيعة ، وأغنيَ به من العَيْسَةِ ، وأَهْدِيَ به من الضلالة ، وأَوْثَقَ به بين قلوب متفرقة ، وأَهْوَأَ مختلفة ، وأَجْعَلَ أُمَّتَهُ خَيْرَ الْأُمَمِ ^(١) إِيْمَانًا بِي وتوحيدًا لِي ، وإِخْلَاصًا بِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولِي ، ^(٢) أَلْهِمَّهُمُ التَّسْبِيحَ والتَّحْمِيدَ والتَّجْهِيْدَ لِي فِي صَلَوَاتِهِمْ وَمَسَاجِدِهِمْ وَمُنْقَلَبِهِمْ وَمُثَوَاهُمْ ، يُخْرَجُونَ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ آتِبَاءَ مَرْضَاتِي يِقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِي صُفُوفًا ، وَيَصَلُّونَ لِي ^(٣) قِيَامًا وَرُكُوعًا وَسُجُودًا ، يَكْبُرُونَنِي عَلَى كُلِّ شَرَفٍ ، رَهْبَانًا بِاللَّيْلِ ، أَسْبَدَ بِالنَّهَارِ ؛ ذَلِكَ فَضْلِي أَوْتِيَهُ مِنْ أَشَاءَ ، وَأَنَا ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

٣٧

١٤

ومنه ما روى عنه أنه قال : قرأت في بعض الكتب القديمة : « قال الله تبارك وتعالى : وعزّزني وجَلّالي لأُنْزِلَ على جبال العرب نورًا يملأ ما بين المشرق والمغرب ، ولأُخْرِجَنَّ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ نَبِيًّا عَرَبِيًّا أُمِّيًّا يُؤْمِنُ بِهِ عِدَدُ نَجُومِ السَّمَاءِ وَنَبَاتِ الْأَرْضِ ، كُلُّهُمْ يُؤْمِنُ بِي رَبًّا ، وَبِهِ رَسُولًا ، وَيَكْفُرُونَ بِمِلَالِ آبَائِهِمْ ، وَيَفْزَوْنَ مِنْهَا . قال موسى : سُبْحَانَكَ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ ! لقد كَرَّمْتَ هَذَا النَّبِيَّ وَشَرَّفْتَهُ ، قال الله عز وجل : يَا مُوسَى إِنِّي أَنْتَقِمُ مِنْ عَدُوِّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأُظْهِرُ دَعْوَتَهُ عَلَى كُلِّ دَعْوَةٍ ، وَسُلْطَانَهُ وَمَنْ مَعَهُ عَلَى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَأُخْرِجُ لَهُمْ مِنْ كُنُوزِ الْأَرْضِ ، وَأُذِلُّ مَنْ خَالَفَ شَرِيعَتَهُ ؛ يَا مُوسَى : بِالْعَدْلِ رَبِّيْتَهُ ، وَبِالْقِسْطِ أَخْرَجْتُهُ ؛

(١) في خير البشر لابن ظفر : « . . . وتوحيدًا بِي ، وإِخْلَاصًا لِمَا جَاءَ بِهِ . »

(٢) في الأصل : « والتَّجْهِيْدَ فِي صَلَوَاتِهِمْ » . والمثبت عن خير البشر .

(٣) في الأصل : « وَيَصَلُّونَ قِيَامًا » ، والتهكئة عن ابن ظفر حيث النقل عنه .

(٤) في خير البشر : « ومن أتبعه » . (٥) في خير البشر : « بِالْعَدْلِ رَبِّيْتَهُ » .

وعِزَّتِي لَأَسْتَفِذَّنَّ بِهِ أُمَّامِنَ النَّارِ ، فَتَحَتُ الدُّنْيَا بِإِبْرَاهِيمَ ، وَخَتَمْتُهَا بِمُحَمَّدٍ ،
 مِثْلَ كِتَابِهِ الَّذِي يُحْيِي بِهِ ، فَأَعْقَلُوهُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِثْلَ السَّقَاءِ الْمَلُوءِ لِنَا يُخْتَصُّ
 فَيُخْرَجُ زُبْدًا ، بِكِتَابِهِ أَخِيَمَ الْكِتَابِ ، وَبِشَرِيعَتِهِ أَخِيَمَ الشَّرَائِعِ ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ وَلَمْ يُؤْمِنْ
 بِهِ وَلَمْ يَدْخُلْ فِي شَرِيعَتِهِ فَهُوَ مِنَ اللَّهِ بَرِيءٌ ، أَجْعَلْ أَمْنَهُ يَنْتَوْنَ فِي مِشَارِقِ الْأَرْضِ
 وَمَغَارِبِهَا مَسَاجِدَ ، إِذَا ذُكِرَ اسْمِي فِيهَا ذَكَرَ أَمَمَ ذَلِكَ النَّبِيِّ مَعِيَ ، لَا يَزُولُ ذِكْرُهُ
 مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تَزُولَ .

وَأَمَّا مَا جَاءَ عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ
 الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : يَا كَعْبُ ، أَدْرَكَتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ
 عَلِمْتَ أَنَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ فِي أَيَّامِهِ فَلَمْ تَسَلَمْ عَلَى يَدِهِ ، ثُمَّ أَدْرَكَتَ
 أَبَا بَكْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي فَلَمْ تَسَلَمْ عَلَى يَدِهِ ، ثُمَّ أَسَلَمْتَ فِي أَيَّامِي ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ ، فَإِنِّي كُنْتُ أَتَيْتُ حَتَّى أَنْظُرَ كَيْفَ الْأَمْرِ ؟ فَوَجَدْتَهُ
 كَالَّذِي هُوَ فِي التَّوْرَةِ . قَالَ عُمَرُ : كَيْفَ هُوَ فِيهَا ؟ قَالَ : رَأَيْتُ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ
 سَيِّدَ الْخَلْقِ ، وَالصَّفْوَةَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ ، يَظْهَرُ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ مِنْ مَنَابِتِ
 الْقَرْظِ مِنَ الْوَادِي الْمَقْدَسِ ، فَيُظْهَرُ التَّوْحِيدُ وَالْحَقُّ ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى طَبِيبَةٍ ،
 فَتَكُونُ حُرُوبُهُ وَأَيَّامُهُ بِهَا ، ثُمَّ يُقْبَضُ فِيهَا ، وَيُدْفَنُ بِهَا . قَالَ عُمَرُ : ثُمَّ مَاذَا
 يَا كَعْبُ ؟ قَالَ كَعْبُ : ثُمَّ بَلَغَ بَعْدَهُ الشَّيْخُ الصَّالِحُ . قَالَ عُمَرُ : ثُمَّ مَاذَا ؟
 قَالَ كَعْبُ : ثُمَّ يَمُوتُ مَتْبَعًا . قَالَ عُمَرُ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ كَعْبُ : ثُمَّ بَلَغَ بَعْدَهُ
 الْقَرْنُ الْحَدِيدُ — وَفِي لَفْظٍ : مَدْرَعٌ مِنْ حَدِيدٍ — قَالَ عُمَرُ : وَأَدْفَرَاهُ^(١) ثُمَّ مَاذَا ؟
 قَالَ كَعْبُ : ثُمَّ يُقْتَلُ شَهِيدًا ، قَالَ عُمَرُ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ كَعْبُ : ثُمَّ بَلَغَ صَاحِبُ

(١) الدَّفْرُ بِالْذَّالِ الْمُهْمَلَةِ : النَّتْنُ ، وَقَصْدُ عُمَرَ التَّرَاضُ : فَذَكَرَ رَاحَةَ الْحَدِيدِ وَأَعْرَضَ عَنْ صِفَاتِهِ

الْحَسَنَةِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْقَطْعِ .

الحبباء والكرم ، قال عمر : ثم ماذا ؟ قال كعب : ثم يُقتل مظلوما ، قال عمر :
ثم ماذا ؟ قال كعب : ثم يلى صاحب المحجة البيضاء ، والعدل والسواء ، صاحب
الشرف التام ، والعلم الجلام ، قال عمر : ثم ماذا ؟ قال كعب : ثم يموت شهيدا
سعيدا ، قال عمر : ثم ماذا ؟ قال كعب : ثم ينتقل الأمر إلى الشام ، قال عمر :
حسبك يا كعب .

ومما جاء عنه ما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : أن رجلا جاء
إلى كعب الأخبار من بلاد اليمن فقال له : إن فلانا الخبر اليهودى أرسلنى إليك
برسالة ، قال كعب : هاتها ! فقال : إنه يقول لك : ألم تكن فينا سيّدا شريفا
مطاعا ؟ فما الذى أخرجك من دينك إلى أمة مجد^(٢) ؟ فقال له كعب : أترأى
راجعا ؟ قال : نعم ، قال : فإن رجعت إليه فخذ بطرف ثوبه لئلا يفر منك
وقل له : يقول لك كعب : أسألك بالذى رد موسى إلى أمته ، وأسألك بالذى
فلق البحر لموسى ، وأسألك بالذى ألقى الألواح إلى موسى بن عمران فيها علم^(٣)
كل شيء ، أأنت تجد فى كتاب الله أن أمة مجد ثلاثة أملاك ، فلك يدخلون
الجنة بغير حساب ، وثلاث يدخلون الجنة برحمة الله ، وثلاث يحاسبون حسابا يسيرا
ثم يدخلون الجنة ، فإنه سيقول لك : نعم . قل له : يقول لك كعب : اجعلنى
فى أىّ هذه الثلاثة شئت .

ومنه ما رواه عطاء بن يسار وأبو صالح عنه أنه قال : أجد فى التوراة :
أحمد عبدى المختار ، لا فظ ، ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا تجيز

(١) كذا فى خير البشر ص ٢٧ . والمعروف : « الجح » . (٢) فى خير البشر ص ٢٨ :

« أمة أحد » . (٣) فى خير البشر ص ٢٥ : « فرق البحر لموسى » . (٤) فى خير

البشر ص ٢٨ : « أبو صالح عن كعب الأخبار » .

بالسيئة السيئة ، ولكن يَغْفِرْ وَيَصْفَحْ وَيَغْفِرْ ، أَمْتَهُ الْجَادُونَ ؛ يَمْحَدُونَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَيَسْبَحُونَهُ فِي كُلِّ مَزَلَةٍ ، وَيَكْبَرُونَهُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ ، يَأْتِرُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ ، وَيَصْنُونُونَ أَطْرَافَهُمْ ^(١) ، وَهُمْ رُعَاةُ الشَّمْسِ ، وَمُؤَذِّنُهُمْ يَنَادِي فِي جَوِّ السَّمَاءِ ، وَصَفْوَتُهُمْ فِي الصَّلَاةِ سَوَاءٌ ؛ رَهَبَانٌ بِاللَّيْلِ ، أَسَدٌ بِالنَّهَارِ ، لَهُمْ بِاللَّيْلِ دَوِيُّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ ، يَصَلُّونَ الصَّلَاةَ حَيْثُمَا أَدْرَكَتْهُمْ مِنَ الْأَرْضِ ؛ مَوْلَدُهُ مَكَّةُ ، مُهَاجِرُهُ طَابَةُ ، وَلَنْ يَقْبُضَهُ اللَّهُ حَتَّى يَقِيمَ بِهِ الْإِمَّةَ الْعَوْجَاءُ بَأَن يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَيَفْتَحَ اللَّهُ بِهِ أَعْيُنًا عَمْيًا ، وَأَذَانًا صُمًّا ، وَقُلُوبًا غُلْفًا .

٣٨
١٤

ومنه ما روى أن معاوية بن أبي سفيان قال لكعب : دُلَّنِي عَلَى أَعْلَمِ النَّاسِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى لِأَسْمَعَ كَلَامِكَ مَعَهُ ، فَذَكَرَ لَهُ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ بِالْيَمَنِ ، فَأَخْبَصَهُ إِلَيْهِ ، فَجَمَعَ مَعَاوِيَةَ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ لَهُ كَعْبُ : أَسَأَلُكَ بِالَّذِي فَرَّقَ الْبَحْرَ لِمُوسَى أَنْتَجِدَ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُتَزَّلَ أَنَّ مُوسَى نَظَرَ فِي التَّوْرَةِ فَقَالَ : يَا رَبِّ إِنِّي أَجِدُ أُمَّةً مَرْحُومَةً ، وَهِيَ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، يَا مَرْيَمُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ ^(٢) ، وَيُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ الْآخِرِ ^(٣) ، وَيَقَاتِلُونَ أَهْلَ الضَّلَالَةِ ، حَتَّى يَقَاتِلُوا الْإِعْصَارَ الْكَذَّابَ ، فَأَجْعَلُهُمْ يَا رَبِّ أُمَّتِي ، قَالَ : هُمْ أُمَّةٌ أَحْمَدُ ؟ قَالَ الْحَبَرُ : نَعَمْ أَجَدُ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ : كَعْبُ الْحَبَرِ : أَنْشَدَكَ اللَّهُ الَّذِي فَرَّقَ الْبَحْرَ لِمُوسَى ، أَنْتَجِدَ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُتَزَّلَ أَنَّ مُوسَى نَظَرَ فِي التَّوْرَةِ فَقَالَ : رَبِّ إِنِّي أَجِدُ أُمَّةً إِذَا أَشْرَفَ أَحَدُهُمْ عَلَى شَرَفٍ كَبِيرٍ ، وَإِذَا هَبَطَ وَادِيًا حَدَّ اللَّهُ ، الصَّعِيدَ

(١) في شرح المواهب : ٣٦١ : « يَشْدُونَ أَوْسَاطَهُمْ ، وَيَطْهَرُونَ أَطْرَافَهُمْ » ، وَرَشْدُ الْوَسْطِ عِبَارَةٌ عَنِ الْجَهْدِ فِي الْعِبَادَةِ ، وَتَطْهِيرُ الْأَطْرَافِ كِتَابَةٌ عَنِ الْوَضْوِ .

(٢) قيل : الْكِتَابُ الْأَوَّلُ هُوَ التَّوْرَةُ ، وَقِيلَ : الْمُرَادُ جِنْسُ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ . انْظُرِ السِّيرَةَ الْخَلِيلِيَّةَ

٢١٧ : ١٤ .

(٣) هُوَ الْقُرْآنُ . انْظُرِ السِّيرَةَ الْخَلِيلِيَّةَ ٢١٧ : ١٤ .

لهم ظهور ، يتطهرون به من الجنابة كظهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء ، حيث كانوا فلهم مسجد ، غُرِّمَ حُجَّالُونَ مِنَ الْوُضوءِ ، فاجعلهم أمتي . قال : هم أمة أحمد ؟ فقال الخبر : نعم أجد ذلك ؛ قال : أنشدك الله الذي فرق البحر لموسى ، أتجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال : رب إني أجد أمة إذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ مِثْلُهَا ، وإذا عملها أضعفت له عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم تُكْتَبْ عَلَيْهِ ، فإذا عملها كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، فاجعلهم أمتي ، قال : هم أمة أحمد ؟ قال الخبر : نعم ، أجد ذلك ؛ قال كعب : أنشدك الله الذي فرق البحر لموسى ، أتجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال : يا رب إني أجد أمة يا كلون كفاراتهم وصدقاتهم ، لأنهم يطعمونها مساكينهم ولا يحرقونها كما كان غيرهم من الأمم يفعل ؟ . وجاء في حديث آخر غير هذا مما هو منسوب إلى كتب الله السالفة : « يا كلون قراينهم في بطونهم ^(١) » . والمراد الضحايا .

ومنه ما روى عنه أنه قال : كان لأبي سفر من التوراة يجعله في تابوت ويحتم عليه ، فلما مات أبي فتحته ، فإذا فيه : إن نيا يخرج في آخر الزمان هو خير الأنبياء ، وأتمه خير الأمم ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله ، يكبرون الله على كل شرف ، ويصدقون في الصلاة كصفوفهم في القتال ، قلوبهم مصاحفهم ، يأتون يوم القيامة غُرًّا مُحَجَّلِينَ ، اسمه أحد ، وأتمه الحادون ، يحدون الله على كل شدة رخاء ، مولده مكة ، ودار هجرته طابة ، لا يلقون عدوا إلا وبين أيديهم

(١) في خبر البشر : « قراينهم » .

(٢) في خبر البشر : « قراينهم » .

(٣) في الأصل : « آخر الأنبياء » .

ملائكة معهم رِماح ، تَحْتَنُّ^(١) الله عليهم كَتَحَنُّ الطير على فراخها ، يدخلون الجنة ؛
يَأْتِي ثَلَاثُ مِنْهُمْ يدخلون الجنة بغير حساب ، ثم يَأْتِي ثَلَاثُ مِنْهُمْ بذنوب وخطايا ،
فَيُغْفَرُ لَهُمْ ، وَيَأْتِي ثَلَاثُ بذنوب وخطايا عظام ، فيقول الله : اذهبوا بهم فزنوهم^(٢)
وانظروا إلى أعمالهم ، فَيَزِنُونَهُمْ^(٣) ويقولون : ربنا ! وجدناهم قد أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ ،
ووجدنا أعمالهم من الذنوب أمثال الجبال ، غير أنهم كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله ،
فيقول الله : وَعِزَّتِي لا أَجْمَلُ مَنْ أَخْلَصَ لِي الشَّهَادَةَ كَنَ كَفَرَنِي ؛ قال كعب :
فأنا أرجو أن أكون من هذه الثلاثة إن شاء الله تعالى .

ومنه ما روى أن رجلين جلسا يتحدثان وكعبُ الأخبار قريبٌ منهما ، فقال
أحدهما : رأيت فيما يرى النائم كأن الناس حُشِرُوا ، فرأيت النبيين كلَّهم لهم نوران
نوران ، ورأيت لأشياءهم نورًا نورًا ، ورأيتُ محمدًا صلى الله عليه وسلم وما من
شجرة في رأسه ولا جسده إلا وفيها نور ، ورأيت أتباعه ولهم نوران نوران ، فقال
له كعب : اتق الله تعالى يا عبد الله ! وانظر ما تتحدث به ، فقال الرجل : إنما
هي رؤيا منام أَخْبَرْتُ بها على ما أَرَيْتُهَا ، فقال كعب : والذي بعث محمدًا بالحق
صلى الله عليه وسلم ، وأنزل التوراة على موسى بن عمران ، إن هذا لفي كتاب الله
المنزل على موسى بن عمران كما ذكرت .

وأما ما جاء عن أبي ثعلبة وهو أبو مالك ، وكان من أخبار يهود ، فقد روى
الواقدي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له : يا أبا مالك ! أخبرني

(١) في الأصل : « كَتَحَنُّ » . (٢) في خير البشر : « تأتي ثلثة منهم فيدخلون » .

(٣) في خير البشر : « تأتي ثلثة » . (٤) في الأصل : « فيزنوهم » تصحيف .

(٥) في خير البشر : « لأتباعهم » . (٦) في خير البشر : « ما تتحدث » .

(٧) انظر خير البشر لابن ظفر ص ١٠ .

(١) بصَفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَةِ، فَقَالَ : إِنْ صَفَّتَهُ فِي تَوْرَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّتِي لَمْ تُبَدَّلْ وَلَمْ تُغَيَّرْ أَحَدٌ، مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، وَهُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ ؛ وَهُوَ النَّبِيُّ الْعَرَبِيُّ ، يَأْتِي بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ الْحَنِيفِ، يَأْتِرُ عَلَى وَسْطِهِ ، وَيَفْسِلُ أَطْرَافَهُ، فِي عَيْنِهِ حُمْرَةٌ ، وَبَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النَّبُوَّةِ ، لَيْسَ بِالْقَصِيرِ وَلَا بِالطَّوِيلِ ، يَلْبَسُ الشَّمْلَةَ ، وَيَجْتَرِي بِاللُّغَةِ وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ ، وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ، سَيْفُهُ عَلَى عَاتِقِهِ ، لَا يَبَالِي مَنْ لَقِيَ مِنَ النَّاسِ ، مَعَهُ صَلَاةٌ لَوْ كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ مَا أَهْلِكُوا بِالطُّوفَانِ ، وَلَوْ كَانَتْ فِي قَوْمِ عَادٍ مَا أَهْلِكُوا بِالرَّيْحِ ، وَلَوْ كَانَتْ فِي ثَمُودَ مَا أَهْلِكُوا بِالصَّيْحَةِ ، مَوْلَدُهُ مَكَّةَ ، وَمَنْشَوُهُ وَبَدَأُ نَبَوْتِهِ بِهَا ، وَدَارُ هِجْرَتِهِ يَثْرِبُ بَيْنَ لَابَتَيْ حَرَّةٍ وَنَخْلٍ وَسَبْخَةٍ ، وَهُوَ أُمِّيٌّ لَا يَكْتُبُ وَلَا يَقْرَأُ الْمَكْتُوبَ ، وَهُوَ الْحَمْدُ يَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَرِخَاءٍ ، سُلْطَانُهُ بِالْشَّامِ ، وَصَاحِبُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جِبْرِيلُ ، يَلْقَى مِنْ قَوْمِهِ أَدَى شَدِيدًا ، ثُمَّ يُدَالُ عَلَيْهِمْ فَيَحْصُدُهُمْ حَصْدًا ، تَكُونُ لَهُ وَقَعَاتُ بَيْتْرِبَ ، مِنْهَا لَهُ وَمِنْهَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ لَهُ الْعَاقِبَةُ ، مَعَهُ قِسُومٌ هُمْ إِلَى الْمَوْتِ أَسْرَعُ مِنَ الْمَاءِ مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ إِلَى أَسْفَلِهِ ، صَدُورُهُمْ أَنَاجِيْلُهُمْ ، وَقُرْبَانُهُمْ دِمَاؤُهُمْ ، لُبُوثُ النَّهَارِ رَهْبَانُ اللَّيْلِ ، يُرْعَبُ عَدُوُّهُ مِنْهُ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، يَبَاشِرُ الْقِتَالَ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُجْرَحَ وَيُكَلِّمَ ، لَا شُرْطَةَ مَعَهُ وَلَا حَرَسَ ، اللَّهُ يَحْرُسُهُ .

وَكَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ أَيْضًا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَخَيْرِيقُ (٣) وَوَسَدُكْرُ أَخْبَارُهُمَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى عِنْدَ ذِكْرِ إِسْلَامِهِمَا بَعْدَ الْهِجْرَةِ عَلَى مَا تَقَفَ عَلَيْهِ هُنَاكَ .

هَذِهِ رَوَايَةٌ مِنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ .

(١) فِي خَيْرِ الْبَشَرِ ص ١٠ : « بَنِي هَارُونَ » .

(٢) فِي خَيْرِ الْبَشَرِ : « وَجَارِبُ عَلَى الْبَغْلَةِ ، وَرَكِبَ الْجَمَلِ » .

(٣) بِتَحْقِيقِ اللَّامِ كَمَا فِي الرُّوضِ الْأَنْفَ ٢ : ٢٥ ، وَانْظُرْ شَرْحَ الشُّفَا لِلخَفَاجِيِّ ٣ : ٢٦٤ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « خَيْرِيقُ » تَصْحِيفٌ ، وَالتَّصْحِيفُ عَنْ سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ٢ : ١٦٤ ، وَانْظُرْ

الرُّوضِ الْأَنْفَ ٢ : ٢٦ ، وَتَسْمِيَةُ الرِّيَاضِ ٣ : ٢٦٥ .

وأما من بشر به صلى الله عليه وسلم من أهل الكآبين ممن لم يسلم ظاهرا، ولا علم لهم لإسلام، ومن أقر بنبوته صلى الله عليه وسلم ولم يُدر له مكان .

فمن هؤلاء من بشر به وأخبر بنبوته قبل مولده^(١) ، ومنهم من ذكر ذلك حال مولده لقرائن كان يروى وقوعها تدل على مولده فوقع^٥ ؛ ومنهم من بشر به في حال طفولته ، ومنهم من بشر به قبل مبعثه ، ومنهم من ذكر صفته بعد مبعثه ورؤيته له ، وذكر قومه بها وحقق عندهم أنه هو ، ودليل كل منهم ما كان يحده عنده من أخباره في الكتب السالفة التي تلقاها عن أسلافه ، ومنهم من أظهر صحفا كانت عنده فيها صريح ذكره وصفته ، ومنهم من أظهر تمثال صورته ، وصور بعض أصحابه وهبتهم ، وكان ذلك مصورا في بيوت في بيوتهم على ما تذكر ذلك^(٢) مسجها إن شاء الله .

فأما من بشر به وأخبر بنبوته وصفته صلى الله عليه وسلم قبل مولده ؛ فمن ذلك ما حكاه ابن إسحاق في خبر^(٣) تبع الأول ، قال : وكان من الخمسة الذين كانت لهم الدنيا بأسرها ، وكان له وزراء ، واختار منهم واحدا ، وأخرجه معه ، وكان يسمى عماريشا ، وأخذته لينظر في مملكته ، وخرج معه مائة ألف من الفرسان ، وثلاثة وثلاثون ألفا ، ومائة ألف وثلاثة عشر ألفا من الرجال ، وكان إذا أتى بلدة يختار منها عشرة رجال من حكمائها ، حتى جاء إلى مكة ، فكان معه مائة ألف رجل من العلماء والحكماء الذين اختارهم من البلدان ، فلم يهبه أهل مكة

(١) في الأصل : « من » .

(٢) في الأصل : « سيا » .

(٣) وردت هذه البشري في مرآت الأوراق ص ١١٠ .

(٤) في مرآت الأوراق هنا وفيما يأتي : « عماريا » .

ولم يعظّموه ، فنضب لذلك ، ثم دعا وزيره عماريا^(١) وقال : كيف شأن أهل هذه البلدة ؟ فإنهم لم يهابوني ، ولم يخافوا عسكري ، فقال : أيها الملك إنهم قوم عَرَبٌ جاهلون لا يعرفون شيئا ، وإن لهم بيتا يقال له كعبسة ، وهم مُعْجَبُونَ بهذا البيت ، وهم قوم يعبدون الطواغيت ، ويسجدون للأصنام . فقال الملك : وهم مُعْجَبُونَ بهذا البيت ؟ قال : نعم ، فنزل بعسكره ببطحاء مكة ، وفكر في نفسه دون الوزير ، وعزم على هدم الكعبة ، وتسميتها خربة ، وأن يقتل رجالهم ، ويسبي نساءهم ، فأخذه الله بالصداع ، وتفجّر من عينيه وأذنيه ومَنْخَرَيْهِ وفمه ماء مِثْنَيْنِ ، فلم يَصِدِرْ عنه أحد طرفة عين من تن الریح ، فاستيقظ لذلك وقال لوزيره : اجمع العلماء والحكماء والأطباء وشاورهم في أمري ، فاجتمع عنده الأطباء والعلماء والحكماء ، فلم يقدروا على المُقامِ عنده ، ولم يمكنهم مداواته ، فقال : إني جمعت الأطباء والعلماء والحكماء من جميع البلدان ، وقد وقعت في هذه الحادثة ولم يقدروا على مُداواتي ، فقالوا بأجمعهم : إنا نَقْدِرُ على مُداواة ما يعرض من أمور الأرض ، وهذا شيء من السماء لا نستطيع رد أمر السماء ، ثم اشتد أمره ، وتفترق الناس عنه ، ولم يزل أمره في شدة حتى أقبل الليل ، فجاء أحد العلماء إلى الوزير وقال : إن يبنى وبينك سرا ، وهو إن كان الملك يَصْدُقُنِي في حديثه عاجلته ، فاستبشر الوزير بذلك وأخذ بيده ، وحمله إلى الملك ، وأخبره بما قال الحكيم ، وما اتهمه من صدق الملك ، حتى يعالج علته ، فاستبشر الملك بذلك ، وأذن له في الدُخُول ، فلما دخل قال : أريد الخُلُوة ، فأُخِي له المكان ، فقال : نويت لهذا البيت سوءا ؟ قال : نعم ؛ إني نويتُ خرابه ، وقتل

(١) في ثمرات الأوراق : « عماريا » وقال كيف شاهدت هذه البلدة .

(٢) في الأصل : « عريون » ، والنصوب عن ثمرات الأوراق .

رجالهم ، وسبى ذراريتهم ، فقال له : إنا وجعلك وما بُليت به من هذا . اعلم أن صاحب هذا البيت قوى يعلم الأسرار ، فبادر وأخرج من قلبك ما هممت به من أذى هذا البيت ولك تحير الدنيا والآخرة ، قال الملك : أفعل ، قد أخرجت من قلبي جميع المكروهات ، ونويت جميع الخيرات ، فلم يخرج العالم من عنده حتى برئ من عِلته ، وعافاه الله بقدرته ، فأمن بالله من ساعته ، وخرج من منزله صحيحا على دين إبراهيم عليه السلام ، وخلع على الكعبة سبعة أثواب ، وهو أول من كسا الكعبة ، ودعا أهل مكة ، وأمرهم بحفظ الكعبة ، وخرج إلى يثرب ، وهى يومئذ بُقعة فيها عين ماء ليس فيها يَدٌ مبنية ولا بناء ، فترل على رأس العين هو وعسكره وجميع العلماء الذين كانوا معه ، ومعهم رئيسهم عماريشا الذى كان يرى برأيه .

ثم إن العلماء والحكماء اجتمعوا ، وكانوا أربعة آلاف ، فأنخرجوا من بينهم أربعائة هم أعلمهم ، وبأيع كل واحد منهم صاحبه أن لا يخرجوا من ذلك المقام وإن ضربهم الملك أو قتلهم ، فلما علم الملك ما قد عزموا عليه ، قال للوزير : ما شأنهم يمتنعون عن الخروج معي ، وأنا محتاج إليهم ؟ وأى حكمة فى نزولهم فى هذا المكان ، واختيارهم إياه على سائر النواحي ، فلما أتاها الوزير وسألهم عما عزموا عليه ، واختيارهم المقام بهذه البُقعة ، قالوا له : أيها الوزير ! إن شرف ذلك البيت ، وشرف هذه البُقعة التى نحن فيها يشرف رجل يبعث فى آخر الزمان ، يقال له مجد ووصفه ، ثم قالوا : طوبى لمن أدركه وآمن به ، وقد كنا على رجاء أن نُدركه أو يُدركه أولادنا ، فلما سمع الوزير مقالتهم هم بالمقام معهم ، فلما جاء وقت الرحيل أمرهم الملك أن يتحلوا ، فقالوا : لا نفعل ، وقد أعلمنا الوزير بحكمة مقامنا ، فدعا الوزير فأخبره بما سمع منهم ، فتفكر الملك وهم أن يقيم معهم سنة رجاء أن يدرك مجدا صلى الله عليه وسلم ، فأقام وأمر الناس أن يبنوا أربعائة دار ، لكل رجل من العلماء

دار ، واشترى لكل واحد منهم جارية وأعتقها وزوجها برجل منهم ، وأعطى كل واحد منهم عطاءً جزيلًا ، وأمرهم أن يُقيموا في ذلك الموضع إلى أن يجيء زمانُ النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم كتب كتابًا وختمه بخاتم من ذهب ، ودفعه إلى العالم الكبير ، وأمره أن يدفع الكتاب إلى محمد صلى الله عليه وسلم إن أدركه ، وإلا أوصى به أولاده بمثل ما أوصاه به ، وكذلك أولاده حتى ينتهي أمره إلى محمد صلى الله عليه وسلم . وكان في الكتاب : أما بعد فإني آمنتُ بك وبكتابك الذي أنزل عليك ، وأنا على دينك وسُنتك ، وآمنتُ بربك ورب كل شيء ، وآمنتُ بكل ما جاء من ربك من شرائع الإيمان والإسلام ، فإن أدركتُ فيها ونِعمت ، وإن لم أدركك فاشفع لي ، ولا تنسني يومَ القيامة ، فإني من أمتك الأولين ؛ وتابعيك قبل مجيئك ، وأنا على ملتك وملة أبيك إبراهيم عليه السلام . ثم ختم الكتاب ونقش عليه : (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ) وكتب على عنوانه إلى محمد بن عبدالله نبي الله ورسوله ، وخاتم النبيين ، ورسول رب العالمين ، صلى الله عليه وسلم ، من تُبَّع الأول خير بن خير ابن وردع أمانة لله في يد من وقع اليه إلى أن يوصله إلى صاحبه ، ودفع الكتاب إلى الرجل العالم الذي أبراه من علقته . وصار تُبَّع من يثرب حتى مات بقلسان من بلاد الهند .

وكان من اليوم الذي مات فيه تُبَّع إلى اليوم الذي لم يبعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم ألف سنة لا تزيد ولا تنقص ، وكان الأنصار الذين نصرُوا النبي صلى الله عليه وسلم من أولاد أولئك العلماء والحُكَّاء ، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، سأله أهل القبائل أن يَزال عليهم على ما نذكرك ذلك إن شاء الله تعالى ؛ فكانوا يتعلقون بناقته وهو يقول : خلَّوْا الناقة فإنها مأمورة ، حتى جاءت إلى دار أبي أيوب ، وكان من أولاد العالم الذي أبرأ تُبَّعاً برأيه .

(١) في ثمرات الأوراق : « وقد باينتك » . (٢) كذا في الأصل .

قال ابن إسحاق: واستشار الأنصارُ عبدَ الرحمن بنَ عوف في إيصال الكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر خبره قبلَ هجرته، فأشار عبد الرحمن أن يدفعوه إلى رجل ثقة، فاخترُوا رجلاً يقال له أبو ليلى وكان من الأنصار، فدفعوا الكتاب إليه وأوصوه بحفظه، فأخذ الكتاب وخرج من المدينة على طريق مكة، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في قبيلة من بني سليم، فعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعاه وقال: أنت أبو ليلى؟ فقال: نعم، قال: معك كتاب تُبْع الأول؟ قال: نعم، فبقى الرجل متفكراً، وقال في نفسه: إن هذا من العجائب، ثم قال له أبو ليلى: من أنت، فإنني لست أعرفك؟ إن في وجهك أثر السحر، وتوهم أنه ساحر، فقال له: بل أنا عبد رسول الله، هات الكتاب، فأخرجه ودفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم ودفعه إلى عليّ كرم الله وجهه، فقرأه عليه، فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم كلام تُبْع قال: مرحباً بالأخ الصالح ثلاث مرات، ثم أمر أبا ليلى بالرجوع إلى المدينة، فرجع وبشر القوم بقدوم النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك ما روى أن أبا كرب تبارك بن أسعد ملك اليمن أحد التابعين^(١) لما قصد بلاد الشرق، جعل طريقه على يثرب، فلم يهيج أهلها، وخلف بين أظهرهم ابنه له، فقتل غيلةً، فقديماً وهو يُجمع لإحراها واستئصال أهلها وقطع نخيلها، فجتمع له أهل المدينة ورئيسهم يومئذ عمرو بن طلحة أحد بني النجار، وهو عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن النجار، وطه أمة، وهي بنت عامر بن زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة^(٢).

(١) انظر الكامل لابن الأثير في « ذكر حوادث العرب أيام قباذ ».

(٢) في النجاشي ص ٢٩٤، وسيرة ابن هشام ١ : ٢١ : « المشرق ».

(٣) انظر سيرة ابن هشام ١ : ٢١ .

قال محمد بن إسحاق ^(١) :

وكان رجل من بني عدى بن النجار ويقال له أحر، عدا على رجل من أصحاب
تبع حين نزل بهم فقتله ، وذلك أنه وجد في عدي له يحدّه ، فضربه بمنجله فقتله ،
وقال : إنما التمر لمن أبره ، فزاد ذلك تبعاً حقاً عليهم فاقتتلوا ، فكان أهل المدينة ،
وهم هذا الحى من الأنصار يقاتلونه بالنهار ويقرّونه بالليل ، فيعجبه ذلك منهم
ويقول : والله إن قومنا لكرام . وفي ذلك يقول حسان بن ثابت من قصيدة
لم يذكر فيها قومه :

قَرَوْا تَبَعًا بِيضَ الْمَوَاضِي صَحَاةً وَكُومَ عِشَارٍ بِالْعِشِيَّاتِ نَهَضَ

قال فيينا تبع على ذلك من حربهم إذ جاءه خبر أن من أبحار يهود من بني قريظة
عالمان راسخان ، حين سمعا بما يريد من إهلاك يثرب وأهلها ، فقالا له : أيها
الملك ، لا تفعل ، فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها ، ولم تأمن عليك
عاجل العقوبة ، فقال لهما : ولم ذلك ؟ قال : هي مهاجر نبي يخرج من هذا الحرم
من قريش آخر الزمان ، تكون داره وقراره . فرأى تبع أن لها علما ، فأنصرف عن
المدينة وأتبعهما على دينهما .

ومن ذلك خبر سلمان الفارسي وقصته في سبب إسلامه وهجرته إلى المدينة .
روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، قال : حدثني سلمان الفارسي
من فيه ، قال : كنت رجلا فارسيا من أهل أصفهان ، من أهل قرية يقال لها جى ،

(١) نقله ابن هشام في السيرة ١ : ٢١ ، وانظر الخميس للديار بكرى ١ : ٢٧ .

(٢) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٢ : « فيينا تبع على ذلك من قاتلم » .

(٣) طر البداية والنهاية ٢ : ٣١٠ ، سيرة ابن هشام ١ : ٢٢٨ .

وكان أبى ديمقان^(١) قريبه ، وكنت أحب خلق الله إليه ، ثم لم يزل به حبه إياى حتى حبسنى في بيته كما تحبس الجارية ، واجتهدت في المحوسبية حتى كنت قطن النار^(٢) الذى يوقدها لا يتركها تجبو ساعة ، قال : وكان لأبى ضيعة عظيمة ، فشغل في بنيان له يوما ، فقال يابنى : إنى قد شغلت في بنيانى هذا اليوم عن ضيعتى ، فاذهب إليها ، فأمرنى فيها ببعض ما يريد ثم قال : ولا تحبس عنى ، فإنك إن احتبست عنى كنت أهم إلى من ضيعتى وشغلتى عن كل شىء من أمرى ، قال : فخرجت أريد ضيعة التى بعنى إليها ، فررت بكيسة من كنائس النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون ، وكنت لا أدرى ما أمر الناس بحبس أبى إياى في بيته ، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون ، فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ، ورغبت في أمرهم وقلت : هذا والله خير من الدين الذى نحن عليه ، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس ، وتركت ضيعة أبى فلم آتيا ، ثم قلت لهم : أين أصل هذا الدين ؟ قالوا : بالشام ، فرجعت إلى أبى وقد بعث في طلبى ، وشغلته عن عمله كله ، فلما جئته قال : أى بُنى ! أين كنت ؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت ؟ قلت : يا أبت ! مررت بأناس يصلون في كنيسة لهم ، فأعجبني ما رأيته من دينهم ، فوالله ما زلت من عندهم حتى غربت الشمس ، قال : أى بُنى ! ليس في ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه ، قلت له : كلا والله ! إنه خير من ديننا ، قال : تخافنى بفعل رجل قبيحاً ثم حبسنى في بيته ، فبعثت إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام تجار فأخبرونى بهم ، قال : فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبرونى بهم ، فقلت : إذا قضا حوائجهم ، وأرادوا الرجعة

(١) الدهقان رئيس الإقليم ، أو مقدم القرية أو زعيم فلاحى العجم (تاج — دهقان)

(٢) قطن النار : خادما (٣) في السيرة ١ : ٢٢٩ : « الحبس »

إلى بلادهم ، فأذِنُونِي بِهِمْ ، فلما أَرَادُوا الرِّجْعَةَ أَخْبَرُونِي بِهِمْ ، فَأَلْقَيْتُ الْحَدِيدَ
 مِنْ رِجْلِي ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ ، فَلَمَّا قَدِمْتُهَا قُلْتُ : مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ
 هَذَا الدِّينِ عِلْمًا ؟ قَالُوا الْأُسْقُفُ فِي الْكَنِيسَةِ ، يَحْتَنُّهُ فَقُلْتُ : إِنِّي رَغِبْتُ فِي هَذَا
 الدِّينِ ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ وَأَخْدَمَكَ وَكُنَيْسَتَكَ ، وَأَتَعَلَّمَ مِنْكَ ، وَأَصِلِّي
 مَعَكَ ، قَالَ : آدْخُلْ ، فَدَخَلْتُ مَعَهُ ، فَكَانَ رَجُلًا سُوءَ ، يَأْمُرُهُم بِالصَّدَقَةِ
 وَيُرْغِبُهُمْ فِيهَا ، فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْهَا اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ ، حَتَّى
 جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ ، قَالَ : وَأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شَدِيدًا لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ ،
 ثُمَّ مَاتَ وَاجْتَمَعَتْ لَهُ النَّصَارَى لِيَدْفِنُوهُ فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنَّ هَذَا رَجُلٌ سُوءٌ ، يَأْمُرُكُمْ
 بِالصَّدَقَةِ وَيُرْغِبُكُمْ فِيهَا ، فَإِذَا جُمِعَ بِهِمَا اكْتَنَزَتْهُمَا لِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا
 شَيْئًا ، فَقَالُوا لِي : وَمَا عَلِمُكَ بِذَلِكَ ؟ قُلْتُ : أَنَا أَدْلَيْكُمْ عَلَى كَتَرِهِ ، قَالُوا : فَدَلَّنَا
 عَلَيْهِ ، فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ ، فَاسْتَخْرَجُوا سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا ، فَلَمَّا رَأَوْهَا
 قَالُوا : وَاللَّهِ لَا نَدْفِنُهُ أَبَدًا ، فَصَلَبُوهُ وَرَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ ، وَجَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ يَفْعَلُوه
 مِثْلَهُ . قَالَ : يَقُولُ سَلْمَانُ : فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا لَا يَصِلِي الْخَمْسَ أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ ،
 وَأَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا أَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ ، وَلَا أَدَابَ لَيْلًا وَنَهَارًا مِنْهُ ، قَالَ : فَأَحْبَبْتُهُ
 حَبًّا لَمْ أَحِبَّهُ شَيْئًا قَبْلَهُ ، فَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا ، ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ فَقُلْتُ لَهُ : يَا فُلَانُ
 إِنِّي قَدْ كُنْتُ مَعَكَ وَأَحْبَبْتُكَ حَبًّا لَمْ أَحِبَّهُ شَيْئًا قَبْلَكَ ، وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ
 أَمْرِ اللَّهِ ، فَإِلَى مَنْ تُوَصِّي بِي وَبِمِ تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ : إِلَى بَنِيَّ ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ
 أَحَدًا عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ ، لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ ، وَبَدَلُوا وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ ،
 إِلَّا رَجُلًا بِالْمَوْصِلِ ، وَهُوَ فُلَانُ ، وَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ ، فَالْحَقُّ بِهِ . قَالَ : فَلَمَّا
 مَاتَ وَغُيِّبَ لَحَقْتُ بِصَاحِبِ الْمَوْصِلِ فَقُلْتُ لَهُ : يَا فُلَانُ إِنْ فُلَانًا أَوْصَانِي عِنْدَ
 مَوْتِهِ أَنْ أَلْحَقَ بِكَ ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَى أَمْرِهِ ، فَقَالَ لِي : أَقِمْ عِنْدِي ، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ

- (١) فوجدته خير رجل على أرض صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاة قلت له : يا فلان إن فلانا أوصى بي إليك ، وأمرني بالثقوق بك ، وقد حضر بك من أمر الله ما ترى ، فإلى من توصى بي وبم تأمرني ؟ قال : يا بُنَيَّ والله ما أعلم رجلا على مثل ما تكلم عليه إلا رجلا بنصيبين ، وهو فلان ، فالحق به ، فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين ، فأخبرته خبري ، وما أمرني به صاحبي ، فقال : أقيم عندي ، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه ، فأقمت مع خير رجل ، فوالله ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حضر قلت له : يا فلان إن فلانا كان أوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصى بي وبم تأمرني ؟ قال يا بُنَيَّ والله ما أعلمه بقي أحد على أمرنا ، فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية ، فأخبرته خبري ، فقال : أقيم عندي ، فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم ، قال : واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة ، قال : ثم نزل به أمر الله ، فلما حضر قلت له : يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصى بي وبم تأمرني ؟ قال : يا بُنَيَّ والله ما أعلمه أصبح أحد على مثل ما تكلم عليه من الناس آمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظلم زمان بُنَيَّ هو مبعوثٌ يدين إبراهيم عليه السلام ، يخرج بأرض العرب ، مهاجرة إلى أرض بين حرتين بينهما نخيل ، به علامات لا تخفى ، يأكل الحديدي ولا يأكل الصدقة ، بين كنفه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل ، قال : ثم مات وغيب ، ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث ، ثم مررت بي ففر من كلب تجار فقلت لهم ، احملوني إلى أرض العرب ، وأعطيكم بقراتي هذه ،

(١) في السيرة لابن هشام ١ : ٢٣١ : « على أمر » .

وَعُنَيْتِي هَذِهِ ، قَالُوا : نَعَمْ . وَأَعْطَيْتُهُمُوهَا وَحَمَلُونِي مَعَهُمْ ، حَتَّى [إِذَا] بَلَغُوا وَادِي الْقَرْيَ ظَالِمُونِي فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ يَهُودِيٍّ عَبْدًا ، فَكُنْتُ عِنْدَهُ ، وَرَأَيْتُ النَّخْلَ ؛ وَرَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ الْبَلَدُ الَّذِي وَصَّفَ لِي صَاحِبِي ، وَلَمْ يَحْسَقْ فِي نَفْسِي ؛ فَبَيْنَا أَنَا عِنْدَهُ ، إِذْ قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَأَبْتَاغَنِي مِنْهُ ، فَحَمَلَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي ، فَأَقْبَتُ بِهَا . وَبُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ ، لَا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرِي مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرَّقِّ ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَقِيْتُ رَأْسَ عَذْقٍ لِسَيِّدِي أَعْمَلُ لَهُ فِيهِ بَعْضَ الْعَمَلِ ، وَسَيِّدِي جَالِسٌ تَحْتِي إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ ، حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ : يَا فُلَانُ ، قَاتَلَ اللَّهُ بَنِي قَيْلَةَ ^(١) ، لَأَنَّهُمْ وَاللَّهِ الْآنَ لَجُتْمَعُونَ بِقُبَاءَ ^(٢) ، عَلَى رَجُلٍ قَدِيمٍ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، قَالَ : فَلَمَّا سَمِعْتُهُ أَخَذْتَنِي الْعُرْوَاءُ ^(٣) حَتَّى ظَنَنْتُ أَنِّي سَاقِطٌ عَلَى سَيِّدِي ، فَتَزَلْتُ عَنِ النَّخْلَةِ بِفَعْلَتِي أَقُولُ لِابْنِ عَمِّهِ ذَلِكَ : مَاذَا تَقُولُ ؟ فَغَضِبَ سَيِّدِي وَلَكِنِّي لَكَمَّةٌ شَدِيدَةٌ ، ثُمَّ قَالَ : مَا لَكَ وَلِهَذَا ؟ أَقِيلُ عَلَى عَمَلِكَ ، فَقُلْتُ لَا شَيْءَ إِلَّا مَا أَرَدْتُ أَنْ أُسْتَنْتَبَهَ عَمَّا قَالَ . قَالَ سَلَمَانُ : وَكَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُهُ ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ ثُمَّ ذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِقُبَاءَ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ ، وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذَوُوا حَاجَةٍ ، وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ ، فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ ، قَالَ : فَقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : كُلُوا ! وَأَمْسَكَ يَدَهُ

(١) يريد الأوس والخزرج ؛ لأن قبيلة بنت كامل أم الأوس والخزرج . وانظر سيرة ابن هشام . ٢٣٢ : ١

(٢) قباء بالضم : قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة .

(٣) العرواء : الزعدة والانتفاض من الحُمى والبرد .

(٤) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٣٣ : « أَنِّي سَاقِطٌ » .

فلم يأكل . قال : قلت في نفسي : هذه واحدة ، ثم انصرفت عنه بجمعت شيئا ،
وتحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ثم جئته به ، فقلت :
إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية أكرمتك بها ، قال : فأكل منها ،
وأمر أصحابه فأكلوا معه ، قال : قلت في نفسي : هاتان ثنتان . قال : ثم جئت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يبيع الفرق^(١) قد تبع جنازة رجل من أصحابه ،
على شملتان لي ، وهو جالس في أصحابه ، فسلمت عليه ثم استدّرت أنظر إلى
ظهره ، هل أرى الخاتم الذي وُصف لي ، فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم
استدبرته ، عَرَفَ أَنِّي اسْتَنْتَيْتُ مِنْ شَيْءٍ وَصَفَ لِي ، فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ
فَنظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ فَأَكْبَيْتُ عَلَيْهِ أُقْبِلُهُ وَأَبْكِي ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : تحوّل ! فتحوّلتُ بجلستُ بين يديه ، فقَصَصْتُ عليه حديثي كما حدثتك
يا بن عباس ، فَأَعْجَبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابَهُ .

ثم شغل سلمان الرّق حتى فاتته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرٌ واحد .
قال سلمان : ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : كاتب يا سلمان ، فكاتبْتُ
صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحياها له بالفقير ، يعني الآبار الصغار ، وأربعين أوقية ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : أعينوا أخاكم ، فأعانوني بالنخل ؛
الرجل ثلاثين ودية^(٢) ، والرجل بعشرين ودية ، والرجل بخمس عشرة ودية ، والرجل
بعشر ؛ يُعِينُ الرَّجُلُ بِقَدَرِ مَا عِنْدَهُ ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثُمِائَةِ وِدْيَةٍ ، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : أذهب يا سلمان فققر لها ، فإذا فرغت فاتني ، أكن أنا

(١) ببيع الفرق : مقبرة أهل المدينة .

(٢) الودى : صغار النخل واحدها ودية .

(٣) فقرها : أى احفرها .

أَصْعَمَهَا بِيَدِي . قَالَ : فَقَقَرْتُ ، وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي حَتَّى إِذَا فَرِغْتُ جِثَّتْهُ فَأَخْبَرْتُهُ ،
 نَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعِيَ إِلَيْهَا ، فَجَعَلْنَا نَقْرَبُ إِلَيْهِ الْوَدَى ، وَيَضَعُهُ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ حَتَّى إِذَا قَرَعْنَا ، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلَمَانَ بِيَدِهِ
 مَا مَاتَ مِنْهَا وَدِيَّةً وَاحِدَةً ، فَأَدَيْتُ النَّخْلَ ، وَبَقِيَ عَلَى الْمَالِ ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَعَادِنِ ، فَقَالَ : مَا فَعَلَ
 الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتِّبُ ؟ قَالَ : فَدْعَيْتُ ، فَقَالَ : خَذْ هَذِهِ فَأَدِّهَا مِمَّا عَلَيْكَ يَا سَلَمَانُ ،
 قَالَ : وَقَلْبُ وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّا عَلَيَّ ؟ فَقَالَ : خُذْهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤَدِّي
 بِهَا عَنْكَ ، وَفِي رَوَايَةٍ : فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَلَّبَهَا عَلَى لِسَانِهِ ثُمَّ قَالَ :
 خُذْهَا فَأَوْفِقْهُمْ مِنْهَا . قَالَ : فَأَخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا — وَالَّذِي نَفْسُ سَلَمَانَ بِيَدِهِ —
 أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً ، فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ مِنْهَا ، وَعَتَقَ سَلَمَانٌ . فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَنْدَقَ حُرًّا ، ثُمَّ لَمْ يُقَتْنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بِسَنَدٍ رَفَعَهُ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، أَنَّهُ قَالَ : حَدَّثْتُ
 عَنْ سَلَمَانَ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَخْبَرَهُ : إِنْ صَاحِبُ
 عَمُورِيَّةَ قَالَ لَهُ : أَنْتَ كَذَّاءٌ وَكَذَا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، فَإِنْ بَا رَجُلًا بَيْنَ غَيْضَتَيْنِ يَخْرُجُ
 فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْ هَذِهِ الْغَيْضَةِ إِلَى هَذِهِ الْغَيْضَةِ يَمْتَرِضُهُ ذَوَوُ الْأَسْقَامِ ، فَلَا يَدْعُو
 لِأَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا شَفِي ، أَسْأَلُهُ عَنْ هَذَا الدِّينِ الَّذِي تَبْتَغِي ، فَهُوَ يُخْبِرُكَ عَنْهُ ، قَالَ سَلَمَانُ :
 نَخْرَجْتُ حَتَّى جِثْتُ حَيْثُ وَصَفَ لِي ، فَوَجَدْتُ النَّاسَ قَدْ اجْتَمَعُوا بِمَرْضَاهُمْ هُنَاكَ ،

(١) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ١ : ٢٣٥ : « حَتَّى فَرَعْنَا » .

(٢) قَتْلُهُ ابْنَ هِشَامٍ ١ : ٢٣٦ .

(٣) الْغَيْضَةُ : الشَّجَرُ الْمُتَفَتِّحُ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « مِنْ هَذِهِ الْغَيْضَةِ مُسْتَجِيرًا دَوَاءَ الْأَسْقَامِ » ، وَالْمَبْتُغَى عَنْ سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ

حتى يخرج لهم تلك الليلة مستجيزا من إحدى القيصتين إلى الأخرى، فنشبه الناس
بمريضهم لا يدعو لمريض إلا شفي، وغلّبوني عليه، فلم أخلص إليه حتى دخل
القيصة التي يريد أن يدخل إلى منكبها، قال: فتناولته، فقال: من هذا؟ والتفت
إلى، قلت يرحمك الله أخبرني عن الحنيفة دين إبراهيم، قال: إنك تسألني عن
شيء ما يسأل عنه الناس اليوم، وقد أظّل زمانُ نبيّ يبعث بهذا الدين من أهل
الحرم، فآتيه، فهو يملكك عليه، ثم دخل. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن كنت صدقني يا سلمان، لقد لقيت عيسى ابن مريم.^(٤)

وقد روي حديثُ إسلام سلمان على غير هذا الوجه، إلا أنه غير متّاف له فيما
هو مختصّ برسول الله صلى الله عليه وسلم. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب
وإليه المرجع.

وأما من بشر به عند مولده صلى الله عليه وسلم للقرائن التي كان يتوقع وقوعها
تدل على مولده، فوفقت.

فمن ذلك ما روي أن يهوديا قال لعبد المطلب جدّ رسول الله صلى الله عليه
وسلم: يا سيد البطحاء إن المولود الذي كنت حدثتكم عنه قد ولد البارحة، فقال
عبد المطلب: لقد ولد لي البارحة غلام، قال اليهودي: ما سميت به؟ قال: سميت به
مهدّا، قال اليهودي: هذه ثلاث يشهدن على بنبوته؛ إحداهن: أن نجه طلع البارحة،
والثانية: أن اسمه مهد، والثالثة: أنه يولد في صباية قومه، وأنت يا عبد المطلب صبايتهم.^(٥)

(١) رواية ابن هشام ١: ٢٣٦، والبداية ٢: ٢١٤: «إلا منكب». (٢) ابن هشام ١:

٢٣٦: «قلت». (٣) في سيرة ابن هشام ١: ٢٣٦، والبداية ٢: ٣١٤: «ثلاث صدقني».

(٤) لم في هذا الحديث كلام تجده في البداية لابن كثير ٢: ٣١٤. (٥) في الأصل:

«صبايتهم» ح صباية القوم: خالصهم وخيارهم. وهي حاشية أدخلت بالمتن فيما أظن.

ومنه ما روى أن حسان بن ثابت قال : والله إني لعلى أطمى فارع فى السحر
 إذ سمعت صوتا لم أسمع قط صوتا أفقد منه ، وإذا هو صوت يهودى على أطم من
 أطام اليهود معه شُعلة نار ، فاجتمع الناس إليه وأنكروا صُراخه فقالوا : مالك
 وبلك ! قال حسان : فسمعتُه يقول : هذا كوكبٌ أحمر قد طلع ، وهو كوكب
 لا يطلعُ إلّا بالنبوة ، ولم يبق من الأنبياء إلا أحمد ، قال حسان : بفعل الناس
 يضحكون منه ويعجبون لما أتى به ، قال : وكان أبو قيس أحد بني عدى بن
 النجار قد ترهب ولبس المسوح ، فقبل له يا أبا قيس ! أنظر ما قال هذا اليهودى !
 قال : صدق وإن انتظر أحمد هو الذى صنع به ما صنع ، ولعلّ أن أدركه فأومن
 به ، فلما بلغه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم بمكة آمن به ، وقدم النبي صلى الله عليه
 وسلم المدينة وقد نالت السن من أبى قيس .

وقد أشرنا إلى خبر حسان هذا عند ذكرنا لمولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وسلم . والأخبار فى هذا الباب كثيرة ، فلا نطول بسردها .

وأما من بشر به صلى الله عليه بعد مولده فى حال طفولته وحدائه سنة .

فمن ذلك خبر سيف بن ذى يزن ، وقصته مع عبد المطلب ، وكان من خبره
 ما رواه الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى رحمه الله فى كتابه المترجم بدلائل
 النبوة قال : أخبرنا أبو سهل محمد بن نصرويه بن أحمد المروزى بنيسابور ، قال :
 حدثنا أبو عبد الله محمد بن صالح المعافى ، قال : حدثنا أبو يزن الحميرى إبراهيم
 ابن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عفير بن زُرعة بن سيف بن ذى يزن ، قال :

(١) الأطم : حصن منى بحجارة ، أو كل بيت مربع سطح .

(٢) فى خير البشر ص ٥٥ : « أقدمه » .

(٣) فى الأصل : « وإذا صوت يهودى » ، والمثبت عن ابن ظفر ص ٥٥ .

حدثني عمي أحمد بن حبيش بن عبد العزيز ، قال : حدثني أبي عفير ، قال :
حدثني أبي ززعة بن سيف بن ذى يزن ، قال : لما ظهر سيف بن ذى يزن
على الحبشة ، وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بستين سنة وفود
العرب وأشرافها وشعراؤها لتهنئته ، وتذكروا ما كان من بلائه وطلبه بنار قومه ،
وأناه وقد قريش ، منهم : عبد المطلب بن هاشم ، وأمّية بن عبد شمس ، وعبد الله
ابن جدعان ، وأسد بن عبد العزى ، ووهب بن عبد مناف ، وقصى بن عبد الدار ،
فدخل عليه آذنه وهو فى قصر يقال له عُمدان ، والملك مُضْعَجُ البعير ، وعليه
بردان أخضران ، مُرتد أحدهما مَرَّراً بالآخر ، سيفه بين يديه ، وعن يمينه وشماله
الملوك ، فأخبر بمكانهم فأذن لهم ، فدخلوا عليه ، فدنا منه عبد المطلب فاستأذنه
فى الكلام ، فقال : إن كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك فقد أذنا لك ، فقال :
١٠ إن الله عز وجل أحلك أيها الملك محلاً رفيعاً شامخاً منيعاً ، وأنتك نباتا طابت
أرومته ، وعظمت جُرتومته ، وثبت أصله ، وبسق قرعته ، فى أطيب موضع
وأكرم معدن ، وأنت - أبيت اللعن - ملك العرب الذى عليه الاعتماد ،
ومعقلها الذى تلجأ إليه العباد ، سلفك خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف ، فلن
١٥ يهلك ذكرك من أنت خلقه^(١) ، ولن يحل ذكر من أنت سلفه ، نحن أهل حرم الله
وسدنة بيت الله ، أشخصنا إليك الذى أبهجنا من كشفك الكرب الذى فدحنا ،
فنحن وقد التهنئة ، لا وقد المريضة .

قال له الملك : من أنت أيها المتكلم ؟ فقال : أنا عبد المطلب بن هاشم ،
قال : ابن أخينا ؟ قال : نعم . قال : آذنه ، ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال :

(١) فى دلائل النبوة للبيهق (ق ٩٥ و) : « ولن يحل من » .

(٢) فى دلائل النبوة للبيهق : « الملك ومن » .

مرحباً وأهلاً [وأرسلها مثلاً] ، وكان أول من تكلم بها ، وناقاةً ورحلاً ،
 ومُستَنَاحاً سهلاً ، ومَلِكاً رَجُلًا ، يُعْطَى عَطَاءً جَزَلاً ، قد نَمِيعُ الْمَلِكُ مَقَاتِكُمْ ،
 وعَرَفَ قَرَابَتَكُمْ ، وقِيلَ وَسَيَلْتُمْ ، فأنتم أهل الليل والنهار ، ولكم الكرامة ما أقمتم ،
 والحياة إذا ظعنتم ، ثم أنهضوا إلى دار الضيافة والوفود ، وأجريت عليهم الأتزال ^(١) ،
 فأقاموا بذلك شهراً لا يصلون إليه ، ولا يؤذن لهم في الانصراف ، ثم انتبه لهم انتباهةً
 فأرسل إلى عبد المطلب فأدناه ثم قال له : يا عبد المطلب ، إني مُفِضُ إِلَيْكَ مِنْ سِرِّ
 عَلِيٍّ أَمْرًا لو غُرِكَ بِكَوْنٍ لَمْ أُنْجِ بِهِ ، ولكنتي رأيتك معديته ، فأطلعتك عليه ، فليكن ^(٢)
 عندك مُجَبَّأً حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ ، إني أجد في الكتاب المكنون ، والعلم
 المخزون الذي أذخرناه لأنفسنا ، واحتجناه دون غيرنا ، خبراً عظيماً وخطراً جسيماً ،
 فيه شرف الحياة ، وفضيلة الوفاة للناس عامة ، ولرطك كافة ، ولك خاصة ، فقال له ^(٣)
 عبد المطلب : مثلك أيها الملك سرّ وبرّ ، فما هذا فذاك أهل الوبر زُمرًا بعد زُمرٍ ؟
 قال : إذا ولد بتهامة ، غلام بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ، ولكم به الرعاة ،
 إلى يوم القيامة . قال عبد المطلب : أيها الملك ، لقد أبْتُ بِنَجْرٍ مَا آبَ بِمِثْلِهِ وَافِدِ
 قَوْمٍ ، ولولا هيبةُ الملك وإجلاله وإعظامه ، لسألته من بشارته إياي ما أزداد به ^(٤)
 سرورا . قال له الملك : هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد ، اسمه محمد ، يموت أبوه
 وأمه ، ويكفله جده وعمه ، قد ولدناه مرارا ، والله باعته جهارا ، وجاعل له منا

(١) عن دلائل النبوة للبيهقي . (٢) الرجل بكسر الراء وفتح الباء : الكثير العطاء .
 (٣) الأتزال جمع نزل ، وهو قرى الضيف وإكرامه . (٤) في دلائل النبوة للبيهقي :
 « أطلعتك طامه » . (٥) في دلائل النبوة للبيهقي : « نجيا » . (٦) في الأصل :
 « واحتجينا » . والمثبت عن البداية ١ : ٣٢٩ . (٧) في الأصل : « وأن يطل » . تصحيف .
 (٨) في دلائل النبوة للبيهقي : « فاهو » . (٩) في البداية ١ : ٣٢٩ : « غلام به
 علامة ، بين كتفيه » . (١٠) في الأصل : « من سازه » .

أنصاراً يُعزُّبهم أوليائه، ويُذِلُّ بهم أعداءه، ويضرب بهم الناس عن عرض،
ويستفتح بهم كرائم الأرض، يعبد الرحمن، ويدخض أويذر الشيطان، وتحد
النيران وتكسر الأوثان، قوله فصل، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله،
وينهى عن المنكر ويبيطله. قال له عبد المطلب: عز جدك، ودام ملكك، وعلا
كعبك، فهل الملك سارني بإفصاح؟ فقد أوضح لي بعض الإيضاح، قال له سيف
[ابن ذي يزن^(٢)] : واليت ذي الحجب، والعلامات على النصب، إنك لجسده
يا عبد المطلب غير كذب، قال : نخر عبد المطلب ماجداً، فقال له سيف ارفع
رأسك، تلج صدرك، وعلا كعبك^(٤)، فهل أحسست بشيء مما ذكرت؟ قال :
نعم أيها الملك، إنه كان لي ابن وكنت به معجباً، وعليه رفيقا، ولاني زوجته كريمة^(٥)
من كرائم قومي أمانة بنت وهب بن عبد مناف، بغاءت بغلام وسميته محمداً، مات أبوه
وأمه، وكفلته أنا وعمه. قال له ابن ذي يزن : إن الذي قلت لك كما قلت، فاحتفظ
بابنك واحذر عليه اليهود، فإنهم أعداء، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً، وأطو
ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك، فإني لست آمن أن تداخلهم النفاسة،
من أن تكون لكم الرياسة، فينصبون له الحبائل، ويبغون له الغوائل، وهم فاعلون^(٧)
ذلك أو أبناؤهم من غير شك، ولولا أني أعلم أن الموت محتاج قبل مبعثه، لمرت^(٨)

٤٦
١٤

(١) في البداية ٢ : ٣٢٩ : « ويستفتح بهم » .

(٢) عن دلائل النبوة للبيهقي ، وفي البداية ١ : ٣٣٠ : « فقال ابن ذي يزن » .

(٣) في البداية ، ودلائل النبوة للبيهقي : « على النقب » .

(٤) في البداية ١ : ٣٣٠ : « وعلا أمرك » .

(٥) البداية : « كرائم قومه » . (٦) في الأصل : « فاحتفظ من ابنك » .

(٧) في الأصل : « وينمون له » ، تصحيف .

(٨) في الأصل : « وأبناؤهم عن شك » .

بغضلى ورجلى حتى أجيء، يثرب دار ملكه^(١)، فإني أجد في الكتاب الناطق، والعلم السابق، أن يثرب استحكام أمره، وأهل نصرته، وموضع قبره، ولولا أني أقيه الآفات، وأحذر عليه العاهات، لأطيتُ على — حدائنه سنه — أمره، ولأوطأتُ على أسنان العرب كعبه^(٢)، ولكن سأصرفُ ذلك إليك من غير تقصيرٍ بمن معك، ثم دعا بالقوم، وأمر لكل رجل منهم بعشرة أعيد سود، وعشر إماء سود، وحلتين من حلل البرود، وخمسة أرطال ذهب، وعشرة أرطال فضة، ومائة من الإبل، وكريش مملوء عنبرا، ولعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك، وقال [له]^(٣) : إذا حال الحول فأني بجزيره، قال : فأت سيف بن ذي يزن قبل أن يحول عليه الحول، وكان عبد المطلب كثيرا ما يقول : يا معشر قريش، لا يغبطني رجلٌ منكم يميز عطاء الملك، وإن كثُر، فإنه إلى نقاد، ولكن يغبطني بما سقى لي ولعقبى ذكروه وغره، فإذا قيل وما هو؟ قال : سيعلم ما أقول ولو بعد حين .

قال البيهقي وقد روى هذا الحديث أيضا عن الكلبي أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما .

ومن ذلك رؤيا رقيقة بنت أبي صيفي وقصة استسقاء عبد المطلب بن هاشم وكان من خبرها ما رواه أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي رحمه الله بسند عن محرمة بن نوفل عن أمه رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم، وكانت لدة عبد المطلب، قالت : تتابع علي قريش سنون ألحلت الضرع، وأرقت العظم، قالت :

(١) في دلائل النبوة للبيهقي : « حتى أصير يثرب دار ملكي » . وفي الأصل : « حتى أجيئ يثرب » .

(٢) في البداية ١ : ٣٣٠ : « ولأوطأت أسنان العرب عقبه » .

(٣) عن البداية ١ : ٣٣٠ . (٤) في دلائل النبوة (ورقة ٩٧ ر) .

(٥) في دلائل النبوة : « ألحلت الجلد » . (٦) في الأصل : « العظم فينا » .

فبينما أنا نائمة اللهم أو مَهْمَةٌ إذا هاتف بصرخ بصوت صَحِيلٍ صَبَّتَ يقول : معشر قريش ، إن هذا النبي المبعوث منكم قد أظلمكم أيامه ، وهذا إبان نجومه ، وفي رواية عنها : مبعوث منكم ، وهذا إبان تخرجه ^(١) بَحْجَمًا بالخير والخصب ، وفي رواية بالحيا والخصب ، ألا فانظروا رجلا منكم وسيطا عظاما جُساما أبيض بَضًّا ، أو طَفَّ الأهداب ، سهل الخدين ، أشم العينين ، له نخر يكظم عليه ، وسنة تهدي إليه ، ألا فليخلُص هو وولده وليهبط إليه من كل بطن رجل فليشئوا من الماء ، وليمسوا من الطيب ، ثم ليستلموا الركن . وفي رواية وليطوفوا بالبيت سبعًا ، ثم ليرتقوا أبا قُبَيْسٍ فليستسقي الرجل ، وليؤمِّن القوم [ألا وفيهم الطاهر والطيب لذاته ، ألا يُعْتَمِمْ ^(٢) / عَشْتَم] ، قالت : فأصبحتُ — عليم الله — مذعورة قد اقشعرَّ جلدي ، وولَّه عَقْلِي ، واقتصصتُ رؤيَايَ ، فوالحرمة والحرَم ما بقى أبطيحُ إلا قال : هذا شَيْبَةُ الحمد ، هذا شَيْبَةُ ، وتأتى إليه رجالات قُريش ، وهبط إليه من كل بطن رجل ، فشئوا وطَّيَّبُوا ، واستلموا وطاقوا ، ثم ارتقوا أبا قُبَيْسٍ ، وطفقوا جنابيه ما يبلغ سَعِيمٌ مَهَلَةً ، حتى إذا استوى بذروة الجبل ، قام عبد المطلب ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام قد أفعَ أو كَرِب ، فقال عبد المطلب : اللهم سادَّ الخَلَّةَ ، وكاشف الكُربة ، أنت مُعَلِّم ، وفي رواية عالم غير مُعَلِّم ومسئول غير مُبْخَل ، وهذه عِيْدَاؤُكَ واماؤُكَ عذرات حرمك يشكون إليك سَتَّتَهُمْ أَذْهَبَ الخُفَّ والظلف ، اللهم فامطرن غَيْثًا مُغْدِقًا مَرِيحًا ، فوالكعبة مارأموها حتى تفجَّرت السماء بمانها ، واكتض

(١) في دلائل النبوة : « وليلف إليه » . (٢) الشن : الصب المتقطع . وفي رواية للبيهقي أيضا :

« فليشربوا من الماء » . (٣) عن دلائل النبوة للبيهقي ورقة ٩٦ ظ . (٤) في الأصل :

« الحمد وتأتى » . (٥) في الأصل : « فشئوا ومشوا » . (٦) في الأصل :

« بعد حرمك » ، والثبت عن البيهقي . (٧) في دلائل النبوة للبيهقي : « سَتَّتَهُمْ أَلَّ قد أخلت » .

(٨) كذا في الأصل ، وفي حاشية دلائل النبوة للبيهقي ورقة ٩٦ ظ : « وكظ » .

الوادي بَحْيِجِه ، فسمعتُ شيخانَ قريشَ وجِلَّتْها : عبدَ الله بن جُدعان ، وحَرْبَ ابن أمية ، وهشامَ بن المغيرة ، يقولون لعبد المطلب : هنيئًا لك أبا البطحاء أي عاش بك أهل البطحاء ، وفي ذلك تقول رُقِيَّة :

بشيرةَ الحمدِ أسقى الله بلدنَا * لما فقدنا الحيا واجلودَ المطرِ
بغادَ بالماءِ جَوْنِيَّ له سَيْل * دانٍ فعاشت به الأنعام والشجرُ ^(٢)
مَنَّا من الله بالميمون طائرُهُ * وخيرٍ من بُشْرَتِ يومًا به مُضرُ ^(٣)
مباركَ الأمرِ يُستسقى الغامُ به * ما في الأنام له عدل ولا خطَرُ ^(٤)

وأما من بشر به صلى الله عليه وسلم قبيل مبعثه ، فمن ذلك خبر اليهودي الذي هو من بني عبد الأشهل . وكان من خبره ما رواه أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي بسنده عن سلمة بن سلامة بن وقش ، قال : كان بين أبياتنا يهودي ، فخرج على نادى قومه بني عبد الأشهل ذات غداة ، فذكر البعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان ، فقال ذلك لأصحابه وثي لا يرون أن بعثًا كائن بعد الموت ، وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ويحك يا فلان ، وهذا كائن ؟ إن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ، يُجزون من أعمالهم ؟ قال : نعم ، والذي يحلف به ، لوددت أن حظي من تلك النار أن توقدوا أعظم تنوير في داركم فتحمونته ، ثم تقذفوني فيه ، ثم تطيقوا علي ، وأني أنجو من النار غدا فقبل له يا فلان ، فما علامة ذلك ؟ قال : نبي يُبعث من ناحية هذه البلاد ، وأشار بيده نحو مكة

(١) في الأصل : « شيخان من » ، والمثبت عن البيهقي (ورقة ٩٦ ظ) .

(٢) رواية البيهقي (ق ٩٧ و) : « وقد قدنا » .

(٣) رواية البيهقي : « به الأعمار » .

(٤) رواية البيهقي : « سيل من » .

والذين . قالوا : فتي تراه ؟ فرمى بطرفه ، فرآني وأنا مضطجع بفناء باب أهلي ، وأنا أحدث القوم [فقال] : إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإنه لحى بين أظهرهم فأمتنا به وصدقناه ، وكفربه بغيا وحسدا ، فقلنا له : يا فلان ، ألسنت الذي قلت ما قلت وأخبرتنا ؟ فقال : بلى . ولكن لا أومن به .

ومنه خبر إسلام أسيد وثعلبة ابني سعية وراشد بن عبيد .

روى البيهقي رحمه الله عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن شيخ من بني قريظة ، قال : هل تدرون عم كان إسلام أسيد وثعلبة ابني سعية ، وأسيد بن عبيد ، قمر من بني هذيل لم يكونوا من بني قريظة ، ولا النضير ، كانوا فوق ذلك ؟ فقلت : لا . قال : فإنه قدم علينا رجل من الشام من يهود يقال ابن الهيثان ، وكنيته أبو عمير ، كذا ذكره الواقدي ، فأقام عندنا ، والله ما رأينا رجلا قط لا يوصل الخمس خيرا منه ، فقدم علينا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين ، فكنا إذا أخطأنا وقلنا علينا المطر نقول : يا ابن الهيثان ، اخرج فاستسقي لنا ، فيقول : لا والله ، حتى تقدموا أمامم فخرجكم صدقة ، فنقول : كم ؟ فيقول : صاع من تمر أو مدين من شعير

(١) أسيد بفتح الهمة وكسر السين المهملة كما في الروض الأنف .

(٢) روى حديث إسلامهما ابن هشام في السيرة ١ : ٢٢٦ بالسند نفسه ، وابن كثير في البداية ٢ : ٣٠٩ وانظر خير البشر ص ٣٥ وما بعدها

(٣) في الأصل : « وراشد بن عبيد » تصحيف . والتصويب عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٦ .

(٤) هذيل بفتح الهاء والدال أيضا ، وقيل يسكون الدال . انظر السيرة الحلبية ١ : ١٨٥ .

(٥) في تاريخ الطبري : « وهم قمر من بني هذيل ليسوا من بني قريظة ولا النضير ، تسبهم فوق ذلك ،

هم بنوع القوم » . وفي سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٧ « هذيل إخوة بني قريظة ، كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا سادتهم في الإسلام » .

(٦) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٢٧ ، والسيرة الحلبية ١ : ١٨٥ « صاعا من تمر » .

فُخْرِجَهِ، ^(١) ثم يخرج إلى ظاهر حَرَّتَا ونحن معه، فيستسقي، فوالله ما يقوم من مجلسه حتى يمر السحاب؛ ^(٢) قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين، ولا ثلاثة، فحضرته الوفاة، واجتمعنا إليه، فقال: يا معشر يهود، ما ترونه أخرجني من أرض النجر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قالوا: أنت أعلم، قال: إنه إنما أخرجني [أني] ^(٣) أتوقع خروج نبي قد أظّل زمانه، هذه البلاد مهاجرة، [وكنت أرجو أن يبعث] ^(٤) فأتبعه، [وقد أظلم زمانه] ^(٥) فلا تُسبِقُنَّ إليه إذا خرج يا معشر يهود، فإنه يبعث بسفك الدماء، وسي الداراي والفساء ممن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه. ثم مات؛ فلما كانت الليلة التي قُبِحت فيها قُرَيْظَةُ قال أولئك الثلاثة الفتية، وكانوا شبّاباً أحداثاً: يا معشر يهود: والله إنه للنبي الذي ذكر لكم ابن الهَيَّان، فقالوا: ما هو به، قالوا: بلى والله! إنها لصِفته، ^(٥) ثم نزلوا فأسلموا، وخلّوا أموالهم وأولادهم وأهاليهم؛ فلما فتح رسول الله الحصن ردّ ذلك عليهم.

ومنه ما روى أن عبد الله بن مسعود كان يحدث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، قال: ^(٧) خرجت إلى اليمن في تجارة قبل أن يُبعث النبي صلى الله عليه وسلم، فتزلت على شيخ من الأزد عالم، قد قرأ الكتب وحوى علماً كثيراً، وأتى عليه من

(١) في سيرة ابن هشام، والسيرة الحلبية: «فخرجها ثم يخرج بنا... فيستسقي».

(٢) في سيرة ابن هشام، والسيرة الحلبية: «حتى يمر السحاب، وفسق».

(٣) في السيرة الحلبية ١: ١٨٥: «من أهل النجر»، بالتحريك، وبإسكان الميم، وهو الشجر الملتف.

(٤) عن سيرة ابن هشام ١: ٢٢٧.

(٥) في سيرة ابن هشام ١: ٢٢٨: «والله إنه لم يصفه».

(٦) انظر خير البشر لابن ظفر ص ٥٨ — ٥٩، والسيرة الحلبية ١: ٢٧٤.

(٧) رواية ابن ظفر ص ٥٨: «عه أنه قال».

السن ثلاثمائة وتسعون سنة، فلما تأملني قال: أحسبك تيمًا ققلت: نعم، أنا من تيم^(١)
 ابن مرة، أنا عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة،^(٢)
 قال: بقيت لي فيك واحدة، قلت: ماهي؟ قال: اكشف لي عن بطنك، قلت:
 لا أفعل أو تخبرني لم ذلك، فقال: إني لأجد في العلم الصحيح الصادق أن تيمًا
 يبعث بالحرم يصادونه على أمره قتي وكهل، فأما الفتى نفواض غمرات، وكشاف
 معضلات، وأما الكهل فأبيض نحيف، على بطنه شامة، وعلى فخذه اليسرى
 علامة، ولا عليك أن تربي ماخني على، قال أبو بكر رضى الله عنه: فكشفت^(٣)
 له عن بطني، فرأى شامة سوداء فوق سرتي، فقال: هو أنت ورب الكعبة،
 وإني متقدم إليك في أمر فاحذره، قلت: وما هو؟ قال إياك والميل عن الهدى
 وتمسك بالطريقة المثلى، وخف الله عز وجل فيما أعطاك وخولك.

قال أبو بكر رضى الله عنه: ففضبت باليمن أربي، ثم أتيت الشيخ لأودعه،
 فقال: أحامل أنت مني أبناء إلى ذلك النبي؟ قلت: نعم، فأنشأ يقول:

(١) ابن ظفر: «من السن ثلاثة وتسعون».

(٢) في خير البشر لابن ظفر: «أحسبك حرميا»، فقال أبو بكر: ققلت: «وفي السيرة الحلية

١ : ٢٧٥ : «أحسبك حرميا، أحسبك قرشيا، أحسبك تيميا». وانظر الزرقاني ١ : ٢٤٠ .

(٣) في خير البشر: «بن سعيد».

(٤) في الأصل: «لقت»، تصحيف - والتصويب عن خير البشر، والسيرة الحلية ١ : ٢٧٥ .

(٥) في خير البشر: «فلا عليك».

(٦) في خير البشر والسيرة الحلية ١ : ٢٧٥ وشرح المواهب ١ : ٢٤٠ : «أنت هو».

(٧) كذا في السيرة الحلية ١ : ٢٧٥، ورواية ابن ظفر في خير البشر: «الشيخ أودعه».

(٨) في خير البشر، وشرح المواهب ١ : ٢٤٠ : «أحامل أنت مني أبيانا إلى ذلك النبي،

قلت»، وفي السيرة الحلية: «أحافظ على أبيانا في الشعر قلها في ذلك النبي، قلت نعم».

(١) ألم تر أني قد سمعت معاشري * ونفسي وقد أصبحت في الحى راھنا
 (٢) حيث وفي الأيام للراء عبرة * ثلاث مئين ثم تسعين آمنا
 (٣) وصاحب أجباً أناروا بعلهم * غياھب جهل ما ترى فيه طائنا
 (٤) وكم راھب فوق عنشيل قائم * لقيت وما غادرت في البحث كاهنا
 (٥) وكلهم لما تعطشت قال لي * بأن نبياً سوف تلقاه دائنا
 (٦) بمكة والأوثان فيها عزيزة * فيركسها حتى تراها كوامنا
 (٧) فما زلت أدعو الله في كل حاضر * حلفت به سراً وجهراً معانا
 (٨) وقد نمدت مني شرارة قوتي * وألقيت شيحاً لا أطيع الشواجنا
 (٩) وأنت ورب البيت تلقى محمداً * بعامك هذا قد أقام البراهنا
 (١٠) فخي رسول الله عني فإنني * على دينه أحياء وإن كنت واهنا
 (١١) فياليتني أدركته في شيبتي * فكنت له عبداً وإلا المجاهنا
 (١٢) عليه سلام الله ما ذر شارق * تألق هنافا من النور هافنا

- (١) في خير البشر ص ٦٢ : « الراهن : المقيم الثابت » . (٢) رواية ابن ظفر : « ثلاث مئين ثم تسعين » . (٣) في مخطوط خير البشر ١٤ ط : « وصافيت » . (٤) الطائين : العارف بالشيء . (٥) كذا في الأصل . (٦) في مخطوطة خير البشر : « كائنا » . (٧) في الأصل : « ... والأوثان منها ... كواھنا » . (٨) الشواجن : الطرق المتداخلة المتخالفة ؛ أي لا أطيع السير في هذه الأرض ، عن ابن ظفر . (٩) الواهن : الضعيف . (١٠) المجاهن : الخادم . (١١) كذا . وفي خير البشر ص ٦٢ : « وقوله : هافنا هو الضعيف » . ولم أجد في معاجم اللغة ما يؤيد ، ولعلها : « آفنا » .

قال أبو بكر رضى الله عنه : لَحِظْتُ وَصِيَّتَهُ وَشِعْرَهُ وَقَدِمْتُ مَكَّةَ ، لِمَا نِى
 شَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ،
 وَرِجَالُ قُرَيْشٍ مُسَلِّمِينَ عَلَىَّ ، قُلْتُ : هَلْ حَدَّثَ أَمْرٌ ؟ فَقَالُوا : حَدَّثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ ،
 هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَحَى أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ ، وَلَوْلَا أَنْتَ مَا أَنْتَظَرْنَا بِهِ ،
 فَإِذَا جِئْتَ فَأَنْتَ الْبَغِيَّةُ وَالنُّهْيَةُ ^(١) ، قَالَ : فَأَظْهَرْتُ لَهُمْ تَعَجُّبًا وَصَرَفْتُهُمْ عَلَى أَحْسَنِ
 شَيْءٍ ، وَذَهَبْتُ أَسْأَلُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقِيلَ لِي : هُوَ فِي مَتَرٍ
 خَدِجَةٍ ، فَقَرَعْتُ الْبَابَ عَلَيْهِ فَخَرَجَ إِلَيَّ فَقُلْتُ : يَا مُحَمَّدُ ، فَقَدْتُ مِنْ نَادِي قَوْمِكَ
 فَاتَّهَمُوكَ بِالْبَغِيَّةِ وَتَرَكْتَ دِينَ آبَائِكَ ، فَقَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ وَإِلَى النَّاسِ
 كُلِّهِمْ [فَأَمِنَ بِاللَّهِ] ، قُلْتُ وَمَا آيَتُكَ ؟ قَالَ : الشَّيْخُ الَّذِي لَقِيْتَهُ بِالْبَيْتِ ، قُلْتُ : وَكَمْ
 مِنْ شَيْخٍ قَدْ لَقَيْتَ ، وَبَعْتُ مِنْهُ وَاشْتَرَيْتَ ، وَأَخَذْتُ وَأَعْطَيْتُ ! قَالَ : الشَّيْخُ الَّذِي
 أَخْبَرَكَ عَنِّي ، وَأَفَادَكَ الْأَبْيَاتَ ، قُلْتُ : مَنْ أَخْبَرَكَ بِهَذَا يَا حَبِيبِي ؟ قَالَ : الْمَلِكُ
 الْعَظِيمُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي الْأَنْبِيَاءَ قَبْلِي ، قُلْتُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ
 رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَانْصَرَفْتُ وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ سُرُورًا مِنْ
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِسْلَامِي .

- ١٥ وأما من ذكر صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه ورؤيته له ، وذكر
 قومه بها ، وَحَقَّقَ عَنْدهُمْ أَنَّهُ هُوَ ، لِمَا كَانَ يَجِدُ عَنْدهُ مِنَ الْعِلْمِ بِصِفَتِهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٤٩
١٤

(١) في خير البشر : « قالوا حدث » .

(٢) في السيرة الحلبية ١ : ٢٧٥ : « فأنت البغيَّة والكفاية » .

(٣) في الأصل : « فصرفتهم في حسن من » ، والمثبت عن السيرة الحلبية ١ : ٢٧٥ ، وانظر
 شرح المواهب ١ : ٢٤٠ .

(٤) عن السيرة الحلبية ١ : ٢٧٥ ، وخير البشر (ورقة ١٥ ظ) وشرح المواهب ١ : ٢٤٠ .

فمن ذلك ما روى أن صفية بنت حيي بن أخطب قالت : كنت أحب الناس إلى أبي ، وكان عمي أشد حبا لي ، فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم بقباء ، ثم رجعا من عنده ثقلين لا يلتفتان نحوه ، ولا ينظران إلى ، فسمعتُ عمي يقول لأبي : هل تعرفه ؟ قال : نعم . قال فإذا عندك فيه ؟ قال : عداوته إلى آخر الدهر ، قال عمي لأبي : أنشدك الله أن تطيعني يا بني في هذا ، ثم أعصني فيما سواه ، فلم تبعه ، فقال أبي : لا ، والله لا أراك له عدوا ، فقال عمي : إنك تهلكك ، وتهلك نفسك ، إن هذا نبي السيف ، وجعل عمي يكتمه وهو يابى إلا كلامه الأول ، قالت صفية : فلما كان الليل ، وجدت نسوة من بني النضير جالسات يقرن : والله ما أحسن حيي ابن أخطب بخلاف أخيه ، إنا لنعلم أن هذا نبي مذكور في الكتب ، وقالت تجوز منه : سمعتُ أبي يقول لإخوتي : إن نبيا من العرب يقال له أحمد ، مولده بمكة ، ودار هجرته يثرب ، وهو خير الأنبياء ، فإن خرج وأتم أحياء ، فاتبعوه ، قالت صفية : وإذا هن كلهن يزرين على أبي ، ويتعتبن عليه فعلة .

ومنه ما قاله كعب بن عمرو لبني قريظة عند حصارهم . وسند كذا إن شاء الله في الغزوات ، وقد تقدم خبر بحيرا ، وتسطور ، فلا فائدة في إعادته هنا .

وأما من أظهر صُحفا كانت عنده فيها صريح ذكره صلى الله عليه وسلم ، فمن ذلك ما روى أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم بورقة ورثها عن أبيه عن جدّه ، وذكر أن سلفه كانوا يتوارثونها على وجه الدهر ، فإذا فيها : « اسمُ الله وقوله الحق ، وقول الظالمين في تبار ، هذا ذكر لامة تأتي في آخر الزمان ، يأترون على أوساطهم ، وينسلون أطرافهم ، ويخوضون البحر إلى أعدائهم ، فيهم صلاة

لو كانت في قوم نوح ما هلكوا في الطوفان ؛ أو في ثمود ما أهلكوا بالصيحة » ،
قال : فقرئت الورقة على الناس ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظها .

ومنه ما روى أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه نزل بالبليح ^(١) إلى جانب دير ،
فأتاه قِيمُ الدير فقال يا أمير المؤمنين : إني ورثت عن آبائي كتاباً قديماً كتبه أصحاب
المسيح عليه السلام ؛ فإن شئت قرأته عليك ؛ قال : نعم ، هات كتابك ؛ فجاء بكتاب
فإذا فيه : الحمد لله الذى قضى ما قضى ؛ وسطر ما سطر ، إنه باعث في الأئمين
رسولاً يعلمهم الكتاب والحكمة ، ويدلهم على سبيل الجنة ، لا فظ ولا غليظ ،
ولا صحاب في الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أمته
الحمادون لله في كل هبوط ونشير وصعود ، تذلل الستهم بالتكبير والتهليل ، يُنصر
دينهم على كل ناواه .

ومنه ما روى أن أبا ذؤيب الزاهد قال : دخلت في سباحتي ديرا فقلت
للمراهب القِيم عليه : أعندك فائدة ؟ قال : نعم . لك يا عربى ، قالت : هاتها !
قال : فخرج لى ورقة فيها أربعة أسطر ، فذكر أنها من الكتب المنزلة ؛
ففى السطر الأول منها : يقول الجبار تبارك وتعالى : أنا الله لا إله إلا أنا وحدى
لا شريك لى ؛ والسطر الثانى : محمد المختار عبدى ورسولى ؛ والسطر الثالث :
أمته الحمادون ، أمته الحمادون ، أمته الحمادون ؛ والسطر الرابع : رعاة الشمس ،
رعاة الشمس ، رعاة الشمس .

وأما من أظهر تمثل صورته صلى الله عليه وسلم وصور بعض أصحابه رضى الله
عنهم ، وذلك مصور عندهم في بيوت في بيعهم .

فمن ذلك ما روى عن دحية بن خليفة الكلبي رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر أنه قال : لقيت قيصر بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بدمشق ، فأدخلت عليه خاليا ، فناولته الكتاب فقبل خاتمه وقضه وقرأه ، ثم وضعه على وسادة أمامه ، ثم دعا بطارقته وزعماء دينه فقام فيهم على وسائد بنيت له ، ثم خطبهم فقال : هذا كتاب النبي الذي بشر به عيسى المسيح ، وأخبر أنه من ولد إسماعيل ، قال : فتخروا تحرة عظيمة ، وحاصوا فأومى إليهم بيده أن اسكتوا ، ثم قال : إنما جربكم لأرى غضبك لدينكم ، ونصركم له ، وصرفهم ، ثم استدعاني من الغد فأخاني ، وأنسى بحديثه ، وأدخلني بيتا عظيما فيه ثلاثمائة وثلاثة عشر صورة ، فإذا هي صور الأنبياء المرسلين صلى الله عليهم وسلم فقال : انظر من صاحبك من هؤلاء ، فنظرت فإذا صورة النبي صلى الله عليه وسلم كأنما ينطق ، فقلت : هو هذا ، فقال : صدقت ، ثم أراى صورة عن يمينه فقال : من هذا ؟ قلت : هذه صورة رجل من قومه أسمه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، فأشار إلى صورة أخرى عن يساره ، فقلت : هذه صورة رجل من قومه يقال له عمر رضى الله عنه ، فقال : إنا نجد في الكتاب أن بصاحبيه هذين يُيم الله أمره . قال دحية : فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته ، قال : صدق ، بأبي بكر وعمر يُيم الله هذا الأمر بعدى . والله الموفق .

ومنه ما روى عن حكيم بن حزام قال : دخلت الشام للتجارة قبل أن أسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فأرسل قيصر إلينا ، بفخشاء ومعنا أمية بن

(١) في الأصل : «وصرفه» . (٢) في الأصل : «صلى الله عليه» . (٣) حديث حكيم هذا مرئى في السيرة الحلبية ١ : ١٨٦ . (٤) في السيرة الحلبية ١ : ١٨٦ : «الشام لتجارة» . (٥) في السيرة الحلبية ١ : ١٨٦ : «فأرسل إلينا ملك الروم» .

أبي الصلت التقيّ ، فقال : من أى العرب أتم ؟ وما قرابتكم من هذا الرجل الذى يزعم أنه نبي ؟ فقال حكيم : قلت أنا ابن عمه ، يجمعنى وإياه الأب الخامس ، فقال : هل أتم صادقى فيما أريكوه وأسألكم عنه ؟ قلنا : نعم ، تصدقك أيها الملك ، فقال : أتم ممن أتبعه أو ممن ردّ عليه ؟ قلنا : ممن ردّ عليه ما جاء به وعاداه ، ولكنا تصدقك مع هذا ، قال : أحلفوا لى بالهتكم لتصدقننى فى جميع ما أسألكم عنه وأعرضه عليكم ، خلفنا له وأعطيناه من المواثيق ما أراضاه ، فسألنا عن أشياء مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بها ، ثم نهض واستنهضنا معه ، فأتى كنيسة فى قصره ، فأمر بفتحها ودخل ونحن معه ، وجاء إلى ستر وأمر بكشفه فإذا صورة رجل ، قال : أتعرفون من هذه صورته ؟ قلنا : لا . قال : هذه صورة آدم ، ثم تلبّع أبواباً يفتحها ويكشف عن صور الأنبياء واحدا بعد واحد ، ويقول : هذا صاحبكم ؟ فنقول : لا . حتى فتح باباً وكشف لنا سترًا عن صورة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : نعم ، هذه صورة صاحبنا ، فقال : أتدرون منذ كم صوّرت ؟ قلنا : لا . قال : منذ أكثر من ألف سنة ، فإن صاحبكم نبيّ مرسل فأتبعوه ، ولوددت أنى عنده فأشرب ما يغسل من قدميه .

وقد ورد فى الصحيحين خبر قيصر مع أبي سفيان لما سأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

(١) فى السيرة الحلبية ١ : ١٨٦ : « أما هذا صاحبكم » .

(٢) فى السيرة الحلبية : « وإن صاحبكم لنبى » .

(٣) فى الأصل : « قدميه » .

(٤) صحيح البخارى ١ : ٤٨ : ٤٥ .

ومنه ما روى عن جُبَيْر بن مُطْعِم^(١) أنه قال : لما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم : خرجتُ تاجراً إلى الشام ، فأرسل إلى عظيم الأساقفة فأتيته فقال : هل تعرف هذا الرجل الذي ظهر بمكة ، يزعم أنه نبي ؟ قال : فقلت هو ابن عمي ، فأخذ بيدي وأدخلني بيتاً فيه تماثيل وقال : انظر ترى صورته ههنا ؟ فنظرت فلم أَر شيئاً فأخرجني من ذلك البيت ، وأدخلني بيتاً أكبر منه فيه مثلها ، وقال : انظر هل تراه ههنا ، فنظرت فإذا صورة النبي صلى الله عليه وسلم ، وإذا صورة أبي بكر وهو آخذٌ بعقب النبي صلى الله عليه وسلم ، وإذا صورة عمر وهو آخذٌ بعقب أبي بكر ، فقال : هل رأيته ؟ فقلت : نعم هوذا ، قال : أتعرف الذي أخذ بعقبه ؟ قلت : نعم ، هو ابن أبي حنيفة ، قال : وهل تعرف الذي هو آخذٌ بعقبه ؟ قلت : نعم ، هذا عمر بن الخطاب ابن عُمَا ، فقال : أشهد أنه رسول الله ، وأن هذا هو الخليفة من بعده ، وأن هذا هو الخليفة من بعد هذا .

وهذا باب متسع لو استقصيناه لطال ، ولو سطرنا ما وقفنا عليه منه لا نبسط هذه السيرة ، وخرجت عن حدِّ الاختصار ، وفيما أوردناه كفاية .
فلنذكر بشائر كُفَّان العرب والله أعلم .

وأما من بشَّره صلى الله عليه وسلم من كُفَّان العرب فقد قدمنا في الباب الثالث من القسم الثاني من الفن الثاني من كتابنا هذا أخبار الكهنة ، وذكرنا طريفاً من إخبارهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما تستثنيه في هذا الموضع ، ونذكر ما عدها ، ولا يشترط الاستيعاب لتعذرده ، ولا إثبات جميع ما وقفنا عليه أيضاً من ذلك لأنه يُوجب البسط والإطالة ، بل نذكر من ذلك ما نقف إن شاء الله تعالى عليه مما فيه الكفاية ، وإن كانت نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم أظهر

(١) نقله في السيرة الحلبية مختصراً ١ : ١٨٦ .

وأشهر وأقطع من أن يُحتاج فيها إلى ذكر ما ذكرناه ، وما نذكره ، وإنما نُورد ما أوردناه ليقف عليه من لم يتتبع أحواله صلى الله عليه وسلم ، ولا طالع سيره ، وليعلم أن أمره صلى الله عليه وسلم لم يفجأ الناس ، بل جاءهم على بينة واستبصار ، وآثار وأخبار ، ومعجزات ظهرت ، نذكرها بعد إن شاء الله تعالى .

٥ . **فِي بَشَائِرِ الْكُفَّانِ رُؤْيَا رَبِيعَةَ بْنِ نَصْرٍ وَتَأْوِيلِ سَطِيحٍ وَشَقِّ لَهَا .**

قال محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي^(١) : كان ربِيعَةُ بْنُ نَصْرٍ مَلِكَ الْبَلَيْنِ بَيْنَ أَضْعَافِ مَلُوكِ التَّائِبَةِ ، فَرَأَى رُؤْيَا هَالَتْهُ [وَفَطَعَ بِهَا]^(٢) ، فَلَمْ يَدَعْ كَاهِنًا وَلَا سَاحِرًا وَلَا [عَائِفًا وَلَا]^(٣) مُتَجَبِّيًا مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ إِلَّا جَمَعَهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رُؤْيَا هَالَتْنِي وَفَطَعْتُ بِهَا ، فَأَخْبِرُونِي بِهَا وَتَأْوِيلَهَا ، قَالُوا لَهُ : اقْصُصْهَا عَلَيْنَا نَخْبِرَكَ بِتَأْوِيلِهَا ، قَالَ : إِنِّي إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ بِهَا لَمْ أَطْمَئِنِّ إِلَى خَبَرِكُمْ عَنْ تَأْوِيلِهَا ، فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ تَأْوِيلَهَا إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا قَبْلَ أَنْ أَخْبِرَهُ بِهَا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ : فَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ يَرِيدُ هَذَا فَلْيَبْعَثْ إِلَى سَطِيحٍ وَشَقِّ^(٤) ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْهُمَا ، فَانْهَمَا يُخْبِرَانِهِ بِمَا مَالَ عَنْهُ .

قال ابن هشام : واسم سَطِيحٍ : رَبِيعَةُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ مَازِنِ بْنِ ذَيْبٍ^(٥)

١٥ . **ابْنِ عَدَى بْنِ مَازِنِ بْنِ غَسَّانٍ . وَشَقِّ بْنِ صَعْبٍ بْنِ يَشْكُرَ بْنِ رَهْمٍ بْنِ أَفْرَكِ بْنِ قَيْسِ ابْنِ عُبْقَرٍ بْنِ أُمَّارِ بْنِ نَزَارٍ .**

(١) نقله ابن هشام في السيرة ١ : ١٥٠ ، وانظر دلائل أبي نعيم ص ٨٦ . (٢) زيادة عن

ابن هشام ١ : ١٥٠ ، وفتح بالأمر : اشتد عليه . (٣) يذكر عن وهب ابن منبه أنه قال لسطيح أني لك هذا العلم ، فقال : لي صاحب من الجن استمع إلى أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله موسى .

فهو يؤدّي إلى من ذلك ما يؤدّيه . انظر الروض الأنف ١ : ١٨ . (٤) في المعمرين ص ٤ - ٥

ذكر لسطيح ، ومولده ، وانظر الروض الأنف ١ : ١٩ ، والخشي ١ : ٧ .

(٥) في الأصل : « بن حسان » والمثبت عن سيرة ابن هشام ١ : ١٦٥ .

قال ابن إسحاق :

فَبَعَثَ إِلَيْهِمَا ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ سَطِيجٌ قَبْلَ شِقِّ ، فَقَالَ لَهُ : إِنْ رَأَيْتُ
رَوْيَا هَالْتَنِي وَقَطَعْتَ بِهَا فَأَخْبِرْنِي بِهَا ، فَإِنَّكَ إِنْ قَضَيْتَهَا أَصَبْتَ تَأْوِيلَهَا ، قَالَ : أَفْعَلُ ؟
رَأَيْتُ حُمَةً ^(١) ، خَرَجْتُ مِنْ ظُلُمَةٍ ، فَوَقَعْتُ بِأَرْضِ تَهْمَةٍ ^(٢) ، فَأَكَلْتُ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ
جُحْمَةٍ ^(٣) ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا أَخْطَأَتْ مِنْهَا شَيْئًا يَا سَطِيجُ ، فَمَا عِنْدَكَ فِي تَأْوِيلِهَا ؟
قَالَ : أَحْلَفُ بِمَا بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ ^(٤) مِنْ حَشَشٍ ، لَتَهْبِطُنَّ أَرْضَكُمْ الْحَبَشَ ، فَلَيَمْلِكُنَّ مَا بَيْنَ
أَبِينِ إِلَى جَرَشٍ ^(٥) ، فَقَالَ الْمَلِكُ : وَأَيْبِكَ يَا سَطِيجُ إِنْ هَذَا لَنَا لَفَاطُظٌ مُوجِعٌ ، فَنَّى هُوَ
كَائِنْ ، أَمْ زَمَانِي أَمْ بَعْدَهُ ؟ قَالَ : لَا . بَلْ بَعْدَهُ بِحَيْنٍ ، أَكْثَرُ مِنْ سِتِّينَ أَوْ سَبْعِينَ ،
يَمِضِينَ مِنَ السَّنِينَ ، قَالَ : أَقِيدُومَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِهِمْ أَمْ يَنْقَطِعُ ؟ قَالَ : لَا . بَلْ يَنْقَطِعُ
لِيَضْعُ وَسَبْعِينَ مِنَ السَّنِينَ ، ثُمَّ يَقْتُلُونَ وَيُخْرِجُونَ مِنْهَا هَارِبِينَ ، قَالَ : وَمَنْ يَلِ ذَلِكَ
مِنْ قَتْلِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ ؟ قَالَ : يَلِيهِ إِرْمُ ذِي يَزْنَ ^(٦) ، يُخْرِجُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدَنَ ، فَلَا يَتْرُكُ
مِنْهُمْ أَحَدًا بِالْيَمَنِ ، قَالَ : أَقِيدُومَ ذَلِكَ مِنْ سُلْطَانِهِ أَمْ يَنْقَطِعُ ؟ قَالَ : بَلْ يَنْقَطِعُ ،
قَالَ : وَمَنْ يَقْطَعُهُ ؟ قَالَ : نَبِيٌّ زَكِيٌّ ، يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنْ قِبَلِ الْعِلَى ، قَالَ : وَمَنْ هَذَا
النَّبِيُّ ؟ قَالَ : رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ ، يَكُونُ الْمَلِكُ فِي قَوْمِهِ
إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ ، قَالَ : وَهَلْ لِلدَّهْرِ مِنْ آخِرٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، يَوْمَ يُجْمَعُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ

(١) فِي سِيرَةِ ابْنِ حِشَامٍ : ١٦ : « فَإِنَّكَ إِنْ أَصَبْتَهَا أَصَبْتَ » . (٢) الْحُمَةُ : قِطْعَةٌ
مِنْ نَارٍ ، وَفِي الْأَصْلِ : « جُحْمَةٌ » تَصْغِيرٌ . (٣) فِي سِيرَةِ ابْنِ حِشَامٍ : ١٦ : « بِأَرْضِ
تَهْمَةٍ » . وَالتَّهْمَةُ : الْأَرْضُ الْمُنْخَفِضَةُ ، انْظُرِ السَّهِيلَ : ١ : ١٩ . (٤) الْجَمْعَةُ : الرُّأْسُ .
(٥) الْحَرَّةُ : أَرْضٌ فِيهَا هَجَارَةٌ سَوْدٌ . خَشْنَى : ٨ : ٨ . (٦) أَبِينُ بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَتَكْسِرِ :
بَلَدٌ بِالْيَمَنِ . انْظُرِ السَّهِيلَ : ١ : ١٩ ، وَالْخَشْنَى : ٨ : ٨ . (٧) جَرَشٌ بِضَمِّ الْجِيمِ وَقَفْحِ الرَّاءِ : مِنْ
مُخَالِفِ الْيَمَنِ مِنْ جِهَةِ مَكَّةَ ، وَقَبْلَ مَدِينَةِ الْيَمَنِ . (٨) فِي دَلَالَةِ أَبِي نَعِيمٍ ص ٨٧ : « لِيَضْعُ
وَسِتِّينَ » . (٩) رَوَايَةُ أَبِي نَعِيمٍ : « يَلِيهِ ابْنُ ذِي يَزْنَ » .

والآخرون، يَسْعَدُ فِيهِ الْمُحْسِنُونَ ، وَيَشْقَى فِيهِ الْمُسِيئُونَ ، قَالَ : أَحَقُّ مَا تُخْبِرُنِي ؟
قَالَ : نَعَمْ ، وَالشَّقَّ وَالْعَسَقَ ، وَالْفَلَاقَ إِذَا اتَّسَقَ ؛ إِنْ مَا أَنْبَأْتُكَ بِهِ لَحَقَّ .

ثم قَدِمَ عَلَيْهِ شَيْقُ فَقَالَ لَهُ كَقَوْلِهِ لَسَطِجَ ، وَكَتَمَهُ مَا قَالَ سَطِجَ ، لِيَنْظُرَ
أَيُّفَقَانِ أَمْ يَخْتَلِفَانِ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، رَأَيْتُ حُمَّةً ^(١) ، خَرَجَتْ مِنْ طُلُمَّةٍ ، فَوَقِعَتْ بَيْنَ
رَوْضَةٍ وَأَكْمَةٍ ، فَأَكَلَتْ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ نَسَمَةٍ .

فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُمَا قَدْ اتَّفَقَا ، وَأَنْ قَوْلَهَا وَاحِدٌ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ :
مَا أَخْطَأْتَ يَا شَيْقُ مِنْهَا شَيْئًا ، فَمَا عِنْدَكَ فِي تَأْوِيلِهَا ؟ فَقَالَ : أَحْلَفُ بِمَا بَيْنَ
الْخَرْتَيْنِ مِنْ إِنْسَانٍ ، لِيَزَلْنَ أَرْضَكُمْ السُّودَانَ ، فَيُغْلِبَنَّ عَلَى كُلِّ طِفْلةِ الْبَنَانِ ، وَيَمْلِكَنَّ
مَا بَيْنَ آيَيْنِ إِلَى تَجْرَانِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : وَأَبْيَكَ يَا شَيْقُ ، إِنْ هَذَا لَنَا لَغَائِظٌ مُوجِعٌ ،

فَمَتَى هُوَ كَائِنْ أَفَى زَمَانٍ أَمْ بَعْدَهُ ؟ قَالَ : لَا ، بَلْ بَعْدَهُ بَزْهَانٌ ، ثُمَّ يَسْتَنْقِذُكُمْ مِنْهُمْ عَظِيمٌ
ذُوشَانٌ ، وَيَذِيْقُهُمْ أَشَدَّ الْهُوَانِ ، قَالَ : وَمَنْ هَذَا الْعَظِيمُ الشَّانُ ؟ قَالَ : غَلَامٌ
لَيْسَ بَدَنِي ^(٢) وَلَا مَدَنٌ يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْتِ ذِي زَيْنَ ، قَالَ : أَفِيدُومُ سُلْطَانُهُ أَمْ يَنْقُطِعُ ؟
قَالَ : بَلْ يَنْقُطِعُ بِرَسُولٍ مُرْسَلٍ ، يَأْتِي بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ بَيْنَ أَهْلِ الدِّينِ وَالْفَضْلِ ،
يَكُونُ الْمُلْكُ فِي قَوْمِهِ إِلَى يَوْمِ الْفَضْلِ ، قَالَ : وَمَا يَوْمُ الْفَضْلِ ؟ قَالَ : يَوْمٌ تُجْزَى

فِيهِ الْوَلَاةُ ، يَدْعَى فِيهِ مِنَ السَّمَاءِ بَدَعَوَاتٌ ، يُسْمَعُ فِيهَا الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ ، وَيُجْمَعُ
فِيهَا النَّاسُ لِلْيَقَاتِ ، يَكُونُ فِيهِ لِمَنْ أَتَى الْفَوْزُ وَالْخَيْرَاتُ ، قَالَ : أَحَقُّ مَا تَقُولُ ؟
قَالَ : إِي وَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ رَفَعٍ وَخَفَضٍ ، إِنْ مَا أَنْبَأْتُكَ بِهِ لَحَقَّ
مَا فِيهِ أَمَضٌ ^(٣) ، قَالَ : فَوَقِعَ فِي نَفْسِ رَبِيعَةَ بْنِ نَصْرٍ مَا قَالَا ، فَجَهَّزَ بَيْنَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « قَالَ » . (٢) فِي دَلَالِ أَيْ نَعِيمٍ ص ٨٧ : « جَمِيعَةٌ » تَصْحِيفٌ .

(٣) الطُّفْلَةُ : النَّاعِمَةُ الرَّخِصَةُ . (٤) الدَّنَى : الْمَقْصَرُ فِي الْأُمُورِ أَوِ الَّذِي يَتَّبِعُ خَسِيمَهَا .

(٥) الْمَدَنِي : الَّذِي جُمِعَ الضَّعْفُ مَعَ الدَّهَاءِ . وَانْظُرِ الرُّوضُ الْأَنْفَ ١ : ١٩ .

(٦) الْأَمَضُ : الشُّكُّ أَوِ الْبَاطِلُ . خَشْنِي ١ : ٨ . وَانْظُرِ ابْنَ هَشَامٍ ١ : ١٩ .

إلى العراق بما يصلحهم ، وكتب إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور ،
فأسكنهم في الحيرة ، فمن بقية ولد ربيعة بن نصر النعمان المنذر .

ومن ذلك ما روي أن مرتد بن عبد كلال قفل من غزاة غزاها بقتلهم
عظيمة ، فوجد عليه زعماء العرب وشعراؤها وخطباؤها يهنؤنه ، فرفع الحجاب عن
الوافدين ، فأوسعهم عطاء ، واشتد سروره بتقريظ الخطباء والشعراء ، فينا هو على
ذلك أرى في المنام رؤيا أخافته وذعرته وهالته في حال منامه ، فلما انتبه أنسبها
حتى ما تذكر منها شيئا ، وثبت ارتياؤه في نفسه لها ، فانقلب سروره حزنا ،
فاحتجب عن الوفود حتى أساءوا الظن به ، ثم حشد الكهّان ، بفعل يخلو بكاهن كاهن
ثم يقول : أخبرني عما أريد أن أسألك ، فيجيبه الكاهن بأن لا علم عندي ، حتى
لم يدع كاهنا علمه ، فتضاعف قلقه ، فقالت له أمه ، وكانت قد تكهنت : أبيت
اللعن ! إن الكواهن أهدى إلى ما تسأل عنه ، لأن أتباع الكواهن من الجن
أطلف من أتباع الكهّان ، فأمر بحشر الكواهن إليه ، وسألن كما سأل الكهّان
فلم يجد عند واحدة منهم علم ما أراد علمه ، فلما يش من طلبته سلا عنها ، ثم إنه
بعد ذلك ذهب يتصيد فأوغل في الصيد ، وانفرد عن أصحابه ، فرفعت له أبيات
في دُرى جبل وقد لفته الهجير ، فعدل إلى الأبيات ، وقصد مَهْلا بيتا منها كان
منفردا عنها ، فبرزت إليه منه عجوز فقالت : انزل بالرحب والسعة ، والأمن
والدعة ، والجفنة المدعدة ، والعلبة المترعة ، فترل عن جواده ودخل البيت ،
فلما احتجب عن الشمس وخفقت عليه الأرواح نام فلم يستيقظ حتى تصرم
الهجير ، فجلس يمسح عينيه فإذا بين يديه فتاة لم ير مثلها جمالا وقواما ،
فقالت له : أبيت اللعن أيها الملك الهمام ! هل لك في الطعام ؟ فاشتد إشفاقه ،
وخاف على نفسه لما رأى أنها قد عمر قسه ، وتصامم عن كلمتها ، فقالت له :

- لا حذر ، فذلك البشر ، بحدك الأكبر ، وحفظنا بك الأوفر ، ثم قربت إليه
ثريدا وقديدا وحسنا ، وقامت تذب عنه حتى انتهى أكله ثم سقته لبنا صريفا
وصيريا فشرب ما شاء ، وجعل يتأملها مقبلة ومدبرة فلأث عينيه حسنا ، وقلبه
هوى ، ثم قال لها : ما اسمك يا جارية ؟ قالت : اسمي عفياء ، قال لها : من الذى
دعوتك الملك الهمام ؟ قالت : مرثد العظيم الشأن ، الحاشر الكواهن والكهّان ،
لمعضلة يُعل بها الجان ، قال يا عفياء : أتعلمين ما تلك المعضلة ؟ قالت : أجل أيها
الملك الهمام ، إنها رؤيا متام ، ليست بأضغاث أحلام ، قال : أصبت يا عفياء ، فما
تلك الرؤيا ؟ قالت : رأيت أعاصير زوايع ، بعضها لبعض تابع ، فيها لهب لامع ،
ولها دُخان ساطع ، يقفوها نهر متدافع ، وسمعت فيما أنت سامع ، دعاء ذى جرس
صادع : هلموا إلى المِشارع ، هلموا إلى المِشارع ، روى جارح ، وغرق كارع .
قال الملك : أجل هذه رؤياي ! فما تأويلها يا عفياء ؟ قالت : ^(١)الأعاصير الزوايع ،
ملوك تباع ، والنهر علم واسع ، والداعى نبي شافع ، والجارح ولى له تابع ،
والكارع عدو له منازع . قال : يا عفياء أَسْمُ هذا النبي أم حرب ؟ قالت : أقسم
برافع السماء ، ومُزِل الماء من السماء ، إنه لمُبِطِل الدماء ، ومُنطق العقائل نطق
الإماء . قال الملك : للإمام يدعو يا عفياء ؟ قالت : إلى صلاة وصيام ، وصلة
أرحام ، وكسر أصنام ، وتعطيل أزلام ، واجتناب آثام . قال الملك : يا عفياء ،
من قومه ؟ قالت : مضر بن نزار ، ولهم منه تقع منار ، يَحْبَل عن ذبح وإسار ، قال :
يا عفياء : إذا ذبح قومه فمن أعضاده ؟ قالت : أعضاده غطاريف يمانون ، طائرهم
به ميمون ، يعزبهم فيعزون ، ويُدْمِث بهم الحزون ، فإلى نصره يعترون ، فاطرق

٢٠ (١) في الأصل : « قالت : الزوايع » . (٢) في الأصل : « ومزل الماء » ، والذى

أثبت عن تاريخ الخميس : ١ : ٢٩ . (٣) في تاريخ الخميس : « يغزو بهم فيغزون » .

الملك يؤامر نفسه في خطبتها، فقالت : أبيت اللعن ! إن تابى غيور، ولأمرى صبور، وتاكى مقبور، والكلف بى مُبور . فنهض الملك مُبادرا، بقال فى صهوة جواده، وانطلق فبعث إليها بمائة ناقة كوما .

ويشبه ما ذكرناه رؤيا المويضان وقد تقدمت فى أخبار الكهان .

ومن ذلك ما روى عن هيب بن مالك اللهي أنه قال : حضرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت الكهانة فقلت : بأى أنت وأمى يا رسول الله ! نحن أول من عرف حراسة السماء وزجر الشياطين ، ومنعهم من استراق السمع عند القذف بالنجوم، وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له خطر بن مالك ، وكان شيخا كبيرا قد أتت عليه مائة سنة وثمانون سنة ، وكان أعلم كهاننا، فقلنا له : يا خطر، هل عندك علم من هذه النجوم التى يرى بها ؟ فإنا قد فزعنا لها ، وقد خفنا سوء عاقبتها ، فقال : استوفى بسحر ، أخبركم الخبر ، بخير أم ضرر . وأمن أم حذر ، قال : فانصرفنا عنه يومنا ، فلما كان من غد فى وجه السحر أتيتناه ، فإذا هو قائم على قدميه شاخص إلى السماء بعينه ، فناديناه يا خطر ، فأومأ إلينا أن أيسكوا

(١) فى السيرة الحلية ١ : ٢٠٨ : « حضرت مع » .

(٢) فى السيرة الحلية ١ : ٢٠٨ : « فذكرت عنده الكهانة » .

(٣) رواية السيرة الحلية : « وقد أتت عليه مائتا سنة ... وكان من أعلم » . وفى الخميس ١ : ٣٠٠ :

« قد أتى عليه من العمر مائة وثمانون سنة ، وكان من أعلم » .

(٤) خطر بانحاء المعجمة والطاء المهملة والراء . عن السيرة الحلية .

(٥) فى السيرة الحلية ١ : ٢٠٨ : « استوفى قبيل الفجر » .

(٦) هكذا رواية الديار بكرى فى الخميس ١ : ٣٠٠ وفى السيرة الحلية ١ : ٢٠٨ : « الخبر ،

الخبر أم الضرر » .

فأمسكنا، فانقضَّ نجم من السماء عظيم، فصرخ الكاهن : أصابه إصابه، خاضره^(١)
عقابه، عاجله عذابه، أحرقه شهابه، زايله جوابه، يا ويله ما حاله، بلبله بلباله،^(٢)
عاوده خبأله، تقطعت حباله، وغيرت أحواله، ثم أمسك طويلا، ثم قال :
يا معشر بني حطّان، أخبركم بالحق والبيان، أقسمت بالكعبة ذات الأركان، والبلد
المؤمن المسمكان^(٣). قد منع السمع عتاة الجان، بناقِب بكف ذى سلطان، من أجل
مبعوث عظيم الشأن، يبعث بالترزِيل والقرآن، وبالهُدَى وفاضل الفرقان،
تبطل به عبادة الأوثان. قال : قلنا يا خطر، إنك لتذكر أمرا عجيبا، فماذا ترى
لقومك ؟ فقال :

أرى لقومى ما أرى لنفسى * أن يتبعوا خير نبي الإنس

برهانه مثل شفاع الشمس * يبعث من مكة دار الحس^(٤)

* تحكم التنزيل غير اللبس *

قلنا : يا خطر، ومم هو ؟ فقال : والحياة والعيش، إنه لمن قُرَيْش . ما فى حكمة^(٥)
طيش، ولا فى خُلقه هيش، يكون فى جيش وأى جيش، من آل حطّان وآل ريش^(٦).
قال : قلنا بين لنا من أى قريش هو، قال : والبيت ذى الدعائم والركن^(٧)

١٥ (١) إصابه : جمع وصف بكمل وجمال، فالهزمة بدل من الواء . عن السيرة الحلبية ١ : ٢٠٨ .
والمراد أن جمع وصف أوصاب .

(٢) البلبال : الغم .

(٣) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٠٨ : « السدان »، والسدان : الخدم .

(٤) الحس : بضم الحاء المهمله وإسكان الميم : هم قريش، وانظر السيرة الحلبية ١ : ٢٠٩ .

٢٠ (٥) فى تاريخ الخميس : « ومن » .

(٦) هيش : أى ليس فى طبيعته ومجيته قول قيس . عن السيرة الحلبية ١ : ٢٠٩ .

(٧) إيش، ويقال : ريش، وهى قبيلة من الجن . عن السيرة الحلبية ١ : ٢٠٩ .

(١) والأحاثم، إنه لمن نجل هاشم، من معشيرة أكارم، يُبعث بالملاحم، وقتل كل ظالم؛ ثم قال: هذا هو البيان، أخبرتني به رئيس الجن؛ ثم قال: الله أكبر، جاء الحق وظهر، وانقطع عن الجن الخبر؛ ثم سكّت فأغشى عليه، فما أفاق إلا بعد ثلاث فقال: لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد نطق عن مثل نبوة، وإنه ليُبعث يوم القيامة أمة وحده». والله أعلم.

ومنه ما روى أن سفيان بن مجاشع بن دارم احتسل ديات دماء كانت من قومه، فخرج يستعين فيها، فدفع إلى حى من تميم، فإذا هم مجتمعون إلى كاهنة تقول: «العزير من والآه، والدليل من خالاه، والموفور من ماله، والموتور من عاداه»؛ قال سفيان: من تذكّرني لله أبوك؟ فقالت: «صاحب حلّ وحرم، وهدى وعلم وبطيش وحلم، وحرب وسلم، رأس رعوس، ورائض يموس، وماجى بوس، وماهد وعوس، وناعيش منعوس»؛ قال سفيان: من هو لله أبوك؟ قالت: «نحى مؤيد، قد آن حين يوجد، ودنا أوان يولد، يبعث إلى الأحمر والأسود، بكتاب لا يفند، اسمه مجد»؛ قال سفيان: لله أبوك، أعربى هو أم عجمى؟ قالت: «أما والسماء ذات العنان، والشجر ذات الأفنان، إنه لمن معذ بن عدنان، فقدك يا سفيان»؛ فأمسك سفيان عن سؤالها، ثم إن سفيان ولّد له غلام فسماه محمداً لما رجاه من أن يكون النبي الموصوف.

ومنه ما روى أن عمرو بن معديكرب عوتب على ارتداده عن الإسلام فقال: والله ما هو إلا الشقاء، ولقد علمت أن محمداً رسول الله قبل أن يوحى إليه، قيل: كيف كان ذلك يا أبا ثور؟ قال: حدث بين بني زُبَيْد تناجش وتظالم، ونما

(١) الأحاثم جمع الجمع لـ «حوم»، ويريد بها بئر زمزم. وانظر السيرة الحلبية ١: ٢٠٩.

(٢) في السيرة الحلبية: «ثم سكن وأغشى». (٣) في السيرة الحلبية: «بعد ثلاثة أيام».

(٤) كذا. ولعله «يسوس». (٥) في النص كلمات غير واضحة لم تهتد إلى تصويبها.

إلى أن سفك بعضهم دماء بعض ، ففزع حلماؤهم إلى كاهن لهم رجوا أن يكون عنده المخرج مما نزل بهم ، فقال الكاهن : « أقسم بالسما ذات الأبراج ، والأرض ذات الأدراج ، والريح ذات العجاج ، والبحار ذات الأمواج ، والجبال ذات الفجاج ، إن هذا الإمراج والارتجاج ، ليلفاح ذو نتاج » ، قالوا : وما نتاجه ؟ قال : « ظهور نبي صادق ، بكتاب ناطق ، وحسام وإلق » ، قالوا : أين يظهر ؟ وإلام يدعو ؟ قال : « يظهر بصلاح ، ويدعو إلى الفلاح ، ويعطل القداح ، وينهى عن الرّاح والسّفاح ، وعن كل أمر فُباح » ، قالوا : ممن هو ؟ قال : « من ولد الشيخ الأكرم ، حافر زمزم ، ومُطعم الطير الحوّم ، والسباع الصّوم » ، قالوا : وما اسمه ؟ قال : « اسمه مجد ، وعزّه سرمد ، وخصمه مُكمد » .

فهذه جملة كافية من أخبار الكُهمان . فلنذكر مناطق به الجات من أجواف الأصنام ، وما سُمع من الهواتف ، والله المستعان .
وأما من بشر به عليه الصلاة والسلام من الجات الذين نطقوا من أجواف الأصنام وما سمع من العتائر .

فمن ذلك ما روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في سبب إسلام عمر ، وأنه كان قد ضمن لقريش قتل النبي صلى الله عليه وسلم ، وخرج لذلك ، فتر بقوم من خزاعة وقد اعتمدوا صنما لهم يريدون أن يتحاكوا إليه ، فقالوا لعمر : أدخل لتشهد الحكم ، فدخل معهم ، فلما مثلوا بين يدي الصنم سمعوا هاتفا من جوفه يقول :
يا أيها الناس ذور الأجسام * ما أنتم وطائش الأحلام

(١) رواية السيرة الحلبية ١ : ١٩٦ : « وحسام قال » . (٢) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٢ : « كان أبو هريرة يحدث أن قوما من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوسا ، وكانوا يحاكون إلى أصنامهم ، فبينا الخثعميون عند صنم لهم إذ سمعوا هاتفا يهتف ويقول » . وانظر شرح المواهب ١ : ٢٧٦ (٣) رواية الأبيات بهذه الصورة في شرح المواهب ١ : ٢٧٦ ، وفي السيرة الحلبية ١ : ٢٠٣ . تختلف روايتها عما هنا زيادة ونقصا ، وانظر دلائل أبي نعيم ص ٧٨ .

وَمُسْتَدَّ الْحَكَمِ إِلَى الْأَصْنَامِ * أَصْبَحَتْ كَرَائِعِ الْأَنْعَامِ ^(١)
 أَمَا تَرَوْنَ مَا أَرَى أَمَامِي * مِنْ سَاطِعٍ يَحُلُو دُبْحَى الظَّلَامِ
 قَدْ لَاحَ لِلنَّاظِرِ مِنْ تَهَامٍ * وَقَدْ بَدَأَ لِلنَّاظِرِ الشَّامِي
 عَجْدُ ذُو الْبَرِّ وَالْإِكْرَامِ * أَكْرَمَهُ الرَّحْمَنُ مِنْ إِمَامِ
 قَدْ جَاءَ بَعْدَ الشَّرْكِ بِالْإِسْلَامِ * يَأْمُرُ بِالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ
 وَالْبِرِّ وَالصَّلَاتِ لِلْأَرْحَامِ * وَيُزَجِّرُ النَّاسَ عَنِ الْآثَامِ
 فَبَادِرُوا مَسْبِقًا إِلَى الْإِسْلَامِ * بَلَا قُتُورٍ وَبَلَا إِحْجَامِ

قال : فتفرق القوم عن الصنم ولم يحضره يومئذ أحد إلا أسلم ، ثم ذكر ابن عباس انطلاَقَ عمر إلى منزلِ أخته على ما نذكر ذلك أو نحوه عند ذكرنا إسلامَ عمر رضى الله عنه . ١٠

قال : ثم خرج لقصدِ النبي صلى الله عليه وسلم ، فلقاه رجال من بنى سليم ^(٢)
 قد تنافروا إلى صنم لهم ليحكم بينهم اسمه الضَّمار ^(٣) ، فدعوا عمر إلى الدخول معهم إليه
 ففعل ، فلما وقفوا بين يدي الصنم ميمعوا هاتفا من جوفه يقول :

أَوْدَى الضَّمارُ وَكَانَ يُعْبَدُ مَرَّةً ^(٤) * قَبْلَ الْكِتَابِ وَقَبْلَ بَعثِ مُحَمَّدٍ
 إِنْ الَّذِي وَرِثَ النَّبُوَّةَ وَالْهُدَى * بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدَى
 سَيَقُولُ مَنْ عَبَدَ الضَّمارَ وَمِثْلَهُ * لَيْتَ الضَّمارَ وَمِثْلَهُ لَمْ يُعْبَدَ

- (١) رواية السيرة الحلبية ١ : ٢٠٣ : « ومستدوا » ، وانظر دلائل أبي نعيم ص ٧٨ .
 (٢) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٠ : « ... عباس بن مرداس قال : كان لمرداس السلمي وثن
 يعبد به يقال له ضمار » ، وانظر دلائل أبي نعيم ص ٧٩ .
 (٣) ضمار بكسر الضاد المعجمة ومعيم مخففة بعدها ألف ثم راء مهمل ، عن السيرة الحلبية ١ : ٢٠٠ .
 (٤) في السيرة الحلبية ١ : ٣٠٠ ، وشرح المواهب ١ : ٢٧٧ « يعبد مدة » .

أبشر أبا حفص بدين صادق * تهدي إليه بالكتاب المرشد
 وأصبر أبا حفص قليلا إنه * يأتيك عن قرق أعز بني عدي
 لا تعجلن فأت ناصر دينه * حقًا يقينا باللسان وباليد

قال : فعجب القوم منه ونكسه عمر ، وغرَّ الله ما في صدره من عداوة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم .

ومنه ما روى أن وائل بن حجر وكان ملكًا مطاعًا ، وكان له صتم من العقيق^(١)
 الأحمر يعبده ويحبه حبًا شديدًا ، ولم يكن يكلم منه ، إلا أنه كان يرجو ذلك ، فيكثر
 له السجود ، ويعتزل العتار ، فبينما هو نائم في الظهيرة آيقظه صوت منكر من المخدع
 الذي فيه الصتم ، فقام من مضجعه وأتاه فسجد أمامه ، فإذا قائل يقول :
 يا عجبًا لوائل بن حجر^(٢) * يحال يدري وهو ليس يدري

ما ذا يربح من تحت صخر * ليس يذى عريف ولا ذى نكر^(٣)
 ولا يذى نفع ولا ذى ضرر * لو كان ذا حجر أطاع أمرى^(٤)
 قال وائل : فرفعت رأسي واستويت جالسًا ، ثم قلت : قد أسمعت أيها الناصح ، فإذا
 تأمرني ؟ فقال :

ارحل إلى يثرب ذات النخل * وسر إليها سير مشمعل^(٥)
 تدين بدين الصائم المصلي^(٦) * مجد المرسل خير الرسل^(٧)

(١) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٦ : « وكان قيلان أقبال حضرموت ، وكان أبوه من ملوكهم » .

(٢) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٦ : « وإذا قائل » .

(٣) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٦ : « وأعجبا » .

(٤) الحجر : العقل . (٥) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٦ : « أيها المخاف الناصح » .

(٦) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٦ : « تدين دين » .

(٧) في السيرة الحلبية : « مجد النبي » .

قال وائل : ثم خر الصنم لوجهه فأنكسر الله ، واندقت عنقه ، فقامت إليه بفعلته رُفَاتَا ، ثم سرت مسرعاً حتى أتيت المدينة ، وذكر إسلامه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم . والله المعين .

ومنه خبر مازن الطائي في سبب إسلامه

رواه البيهقي في دلائل النبوة بسند قال : كان مازن الطائي^(١) بأرض عمان بقرية تدعى سمائل ، وكان يبدن الأصنام لأهله ، وكان له صنم يقال له باجر ، قال مازن : فعمرت ذات يوم عتيرة ، والعتيرة : الذبيحة ، فسمعت صوتاً من الصنم يقول : يا مازن : أقبل إلى أقبل ، تسمع ما لا يجهل ، هذا نبي مرسل ، جاء بحق منزل ، فأمن به كي تعدل ، عن حر نار تُشعل ، وقودها بالحنذل .

قال مازن : فقلت والله إن هذا لعجب ، ثم عتريت بعد عشرة أيام عتيرة أخرى ، فسمعت صوتاً آخر أئين من الأول وهو يقول : يا مازن أسمع تسر ، ظهر خير وبطن شر ، بعث نبي من مضر ، بدين الله الكبير ، فدع نخيتنا من حجر ، تسلم من حر سقر ، قال مازن : فقلت إن هذا والله لعجب ، إنه تلخير يُراد بي ، وقدم علينا رجل من أهل الحجاز فقلنا : ما الخبر وراءك ؟ قال :

(١) له ترجمة في أسد الغابة ٤ : ٢٦٩ ، وخبره هذا في دلائل أبي نعيم ص ٧٦ .

(٢) في دلائل أبي نعيم ص ٧٦ : « سماليا » ، وفي تاج العروس (ممل ، شمل) : « وسمائل : اسم قرية ويقال بالثنين ، وهي من أرض عمان » . (٣) باجر ، بفتح الجيم وبكسر ، ويقال بالخاء المهملة . وانظر تاج العروس (بحر) . (٤) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ : « فعترا » .

(٥) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ : « وهي الذبيحة مطلقاً ، وقبل في رجب خاصة » .

(٦) رواية أبي نعيم ص ٧٦ : « الله الأكبر » . (٧) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ ،

ودلائل أبي نعيم ص ٧٧ : « قال : قد ظهر رجل يقال له أحمد يقول لمن أتاه » .

خرج رجل بتهامة يقول لمن أتاه : أجيئوا داعي الله عز وجل ، يقال له أحد ، قال : فقلت هذا والله نبأ ما سمعت ، ففرت إلى الصنم فكسرتة أجذاذا ، وشددت راحتي ورحت ، حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشرح إلى الإسلام فأسلمت ، وأنشأت أقول :

- كسرتُ باجر أجذاذا وكان لنا * ربا نظيف به ضلّا بتضلال^(١)
فالمأشئ هدا من ضلالتنا * ولم يكن دينه مني على بال^(٢)
يارا كبا بلفن عمرا وإخوته * أنى لما قال ربى بآجر قالى^(٣)
قال مازن : فقلت يا رسول الله ، إني امرؤ مولع بالطرب وشرب الخمر ، وبالهلاك^(٤)
من النساء ، وألحّت علينا السنون فأذهبن الأموال ، وأهزلن الدراري والرجال ،
وليس لي ولد ، فادعُ الله أن يذهب عني ما أجد ، ويأتيني بالحيا ، ويهب لي ولدا ،
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرام الحلال ،
[وبالخمر ربا لا إثم فيه ، وبالعهر عفة الفرج]^(٥) وأنته بالحيا ، وهب له ولدا .
قال مازن : فأذهب الله عني كل ما أجد ، وأخصبت عمان ، وتزوجت أربع حرائر ،
ووهب لي حيان بن مازن ، وأنشأت أقول :

- ١٥ (١) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ : « فزلت إلى الصنم » .
(٢) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ : « دينه شينا » .
(٣) في دلائل أبي نعيم ص ٧٧ ، والسيرة الحلبية ١ : ٢٠١ : « عمرا وإخوتها » ؛ ويعني يعمرو وإخوتها بنى الصامت وبنى خطامة ، وهى بطن من طي .
(٤) الملوكة من النساء : الفاجرة .
(٥) ألحّت علينا السنون : دامت علينا أيام القحط .
٢٠ (٦) عن عيون الأثر ١ : ٧٦ ، والسيرة الحلبية ١ : ٢٠١ .
(٧) في دلائل أبي نعيم ص ٧٧ : « حرائر » وحفظت شطر القرآن » ، وانظر السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ ، وعيون الأثر ١ : ٧٦ .

إليك رسول الله خبت مطيتي * تجوب القياfi من عُمان إلى العرج
لتشفع لي ياخير من وطئ الحصا * فيغفر لي ربي فأرجع بالفلج^(١)
إلى معشير خالفت في الله دينهم * فلا رأيهم رأي ولا شرهم شر^(٢)
وكننت أمراً بالمهر وانخر مولماً * شبابي حتى آذن الجسم بالنهج^(٣)
فبدلني بالخر خوفاً وخشية * وبالعور إحصانا وحصن لي فرجي^(٤)
فأصبحت همي في جهادٍ وبقي * فله ما صومي والله ما حمي

قال مازن: فلما رجعت إلى قومي أنبوني وشتوني، وأمرؤا شاعرهم فهجاني،
فقلت إن هجوتهم فإنما أهجو نفسي، فتركهم، قال: ثم إن القوم ندموا وكننت
القيم بأموالهم، فقالوا ما عسى أن نصنع به، بخأني منهم ألفة عظيمة فقالوا: يا بن
عم، عينا عليك أمراً فنهناك عنه، فإذا أبيت فتحن تاركوك، أرجع معنا، فرجعت
معهم، فأسأموا بعد كلهم.

ومازن هذا هو الذي أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض عمان.

ومنه ما روى عن جبير بن مطعم عن أبيه قال: كنا جلوساً عند صنم لنا،
فإذا صائح يصيح من جوفه: اسمعوا إلى العجيب، وتوقعوا حادثاً قد اقترب،
استراق السمع ذهب، وترى [الجن] بالشهب، لنبي من العرب، هاشمي النسب،

(١) في السيرة الحلية ١: ٢٠٢، ٢٠١: «ليغفر لي ذنبي»، والفلج: الفوز والظفر.

(٢) الشرح، بالشين: الشكل والطريق. عن السيرة الحلية ١: ٢٠٢؛ وفي الأصل: «مرجهم

مرجي». (٣) في الأصل: «بالرعب» والنصوب عن السيرة الحلية ١: ٢٠٢ ودلائل

أبي نعيم ص ٧٨. (٤) النهج: البلى. وانظر النهاية ٤: ١٨٥.

(٥) الألفة: بفتح الهمزة والفاء: الجماعة من الناس؛ وفي الأصل: «إن قلته» تصحيف.

مولده بمكة ، ومهاجره يثرب ؛ قال : وهذا قبل أن يظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنه ما روى عن عبد الله بن ساعدة الهذلي أنه قال : كما نعبد صنما يقال له سَوع ، وكانت لي غَمٌّ بِغَرِبتِ فسَقْتُها إليه وأدْنَيْتُها منه أرجو بركته ، فسمعت مناديا من جوف الصَّخْرَةِ يقول : العجب كل العجب ، سُدِلَتِ الحُجُبُ ، ورميت الجن بالشهب ، وسقطت النُّصُبُ ، ونزل خير الكتب ، على خير العرب ؛ قال : فسقت غنمى وعدتُ إلى أهلى ، وقد بَقِضَتِ إلى الأوثان ، بفعلت أنقَبَ عن الحوادث حتى بلغنى ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتيته فأسلمت .

وسند ذكر إن شاء الله تعالى في خبر إسلام الجن ما هتفوا به فأسلم بسببه من أسلم لما سمعوا - ما قيف عليه هناك .

وحيث ذكرنا ما ذكرنا من المبشرات ، فلنذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم .

ذكر مَبْعَثِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بدئ به من النبوة

روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصادقة ، لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا في نويم إلا جاءت كَفَلَقَ الصَّبحُ ،^(١) وحجب الله إليه الخلوة ، فلم يكن شئ أحب إليه من أن يخلو وحده .

(١) في السيرة الحلبية ١ : ٢٣٣ : « الرؤيا الصالحة » ، قال : فالمراد بالصالحة الصادقة . وانظر

سيرة ابن هشام ١ : ٢٤٩

(٢) فلق الصبح : ضيائه .

وروى محمد بن إسحاق بن يسار المظلي عن عبد الملك بن عبيد الله بن أبي سفيان
ابن العلاء بن حارثة الثقفي^(٢) ، وكان واعية^(٣) ، عن بعض أهل العلم أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين أراد الله بكرامته ، وأبدأه بالنبوة ؛ كان إذا خرج لحاجته
أبعد حتى تحسر عنه البيوت^(٤) ، ويُفَضَّى إلى شعاب مكة^(٥) وبطون أوديتها^(٦) ، فلا يمر
بمحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ، فليفتُ حوله عن يمينه
وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة ؛ فكث صلى الله عليه وسلم كذلك
يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله وهو
بحراء في شهر رمضان .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
وله يومئذ أربعون سنة ويوم ، فأناه جبريل ليلة السبت وليلة الأحد ، ثم ظهر له
بالرسالة يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان في حراء ، وهو أول
موضع نزل فيه القرآن .

وحكى أبو عمر بن عبد البر أن محمد بن موسى الخوارزمي قال : بُعث نبينا
صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لثمان خات من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين
من عام الفيل . فكان من مولده إلى أن بعثه الله عز وجل أربعون سنة ويوم .

(١) في الأصل : « بن عبد الله » ، والذي أثبت عن ابن هشام ٢٥٠ :

(٢) في سيرة ابن هشام : « جارية » .

(٣) الواعية : المحافظ للقيمة ، والنال للبالغة .

(٤) تحسر : تبعده ، ويثقل عنها . عن الحسن ١ : ٧٥ .

(٥) الشعاب : المواضع الخفية بين الجبال . عن الحسن ١ : ٥٧ .

(٦) في الأصل : « وتطوف » ، وصححت عن سيرة ابن هشام ٢٥٠ :

٥

١٠

١٥

٢٠

وعن عبد الله بن الزبير وغيره : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور
 في حراء [شهراً] من كل سنة ، يطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى صلى الله
 عليه وسلم جواره من شهره ذلك ، كان أول ما يبدأ به - إذا انصرف من جواره -
 الكعبة قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعا أو ماشاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى
 بيته ، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به فيه من كرامته ما أراد ، من السنة التي
 بعثه فيها ، وذلك في شهر رمضان ، خرج صلى الله عليه وسلم إلى حراء كما كان يخرج
 لجواره ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسائه ، ورحم العباد
 بها ، جاءه جبريل بأمر الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاءني وأنا قائم
 بنمط من ديباج فيه كتاب ، فقال : اقرأ ؛ [قال] : قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغطني به حتى
 ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ؛ قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغطني به حتى
 ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ؛ قلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداءً
 منه أن يعود لي بمثل ما صنع . فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان
 من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ . قال : فقرأتها
 ثم انتهت فانصرف عني ، وهبت من نوحى ، فكأنا كنت في قلبي كتاباً ؛ قال :
 فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول : يا محمد ،
 أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، قال : فرفعت رأسي أنظر [إلى السماء] ؛ فإذا جبريل
 في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله ، وأنا

٥٧
 ١٤

(١) عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٠ . (٢) حراء : جبل على ثلاثة أميال من مكة .

معجم البلدان ٣ : ٢٣٩ . (٣) النمط : ضرب من الثياب المصنعة .

(٤) عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٥) فغطني ، وفي رواية : غطني ، أى عصفني عصراً شديداً حتى وجدت منه المشقة .

(٦) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٣ : « فكأنا كنت » .

جبريل، [قال] : فوقفتُ أنظر إليه ، فما أتقدم وما أناخر ، وجعلتُ أصرف وجهي [عنه] ^(١) في آفاق السماء ، فما أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فما زلت واقفا ما أتقدم أمامي وما أرجع ورأى حتى بعثت خديجة رُسُلها في طلي ، فبلغوا ^(١) [أعلى] مكة ورجعوا إليها ، وأنا واقف في مكاني ذلك ، ثم انصرف عني .

وانصرفت راجعا إلى أهل حتى أتيت خديجة ، فجلست إلى نخذا [مضيفا إليها] ^(٢) فقالت : يا أبا القاسم أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسل في طلبك حتى بلغوا ^(١) [أعلى] مكة ورجعوا إلي ، فحدثتها بالذي رأيت ، فقالت : أبشر يا بن عم وأبنت ، فوالذي نفس خديجة بيده ^(٣) إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة ^(٤) .

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، وهو ابن عمها ، وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ الكتب ، وسمع ^(٥) من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى وسمع ، فقال ورقة : قُدُوس قُدُوس ، والذي نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتين يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى ، وإنه لنبى هذه الأمة ، فقولى له فليثبت . فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة بن نوفل ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة فطاف بها ، فلقبه ورقة بن نوفل وهو

(١) عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٢ ، ٢٥٣ . (٢) عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٣ .

ويقال أضفت إلى الرجل : إذا ملت نحوه ولصقت به ، عن الخشني ١ : ٧٦ .

(٣) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٣ : « ثم حدثها » .

(٤) ابن هشام ، وعيون الآثار ١ : ٨٦ : « إنى لأرجو » .

(٥) في سيرة ابن هشام : « العزى بن قصى وهو ابن عمها وكان ورقة قد » .

يطوف بالكعبة فقال: يَا بَنِ أَخِي، أَخْبِرْنِي بِمَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكَ لَنَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَقَدْ جَاءَكَ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي جَاءَ مُوسَى، وَلْتَكْذِبْنَهُ، وَلْتَوْذِيْنَهُ، وَلْتُخْرِجْنَهُ، وَلْتَقَاتِلْنَهُ^(١)، وَلئن أَنَا أُدْرِكْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، لَأَنْصُرَنَّ اللَّهَ نَصْرًا يَعْلَمُهُ، ثُمَّ أَذْنِي رَأْسَهُ مِنْهُ فَقَبْلُ يَأْفُوخَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَنْزِلِهِ.

وذكر الإمام العدل سليمان التيمي في سيرة^(٢) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أخبر خديجة عن جبريل، ولم تكن سمعت باسمه قط، ركبت إلى بحيرا^(٣) الراهب إلى الشام، قال الزهري هو حبر من يهود تيماء، فسألته عن جبريل، فقال لها: قدوس قدوس، يا سيدة نساء قريش، أئني لك بهذا الاسم؟ فقالت: بئلى ابن عمي أخبرني أنه يأتيه، فقال: قدوس قدوس ما علم به إلا نبي، فإنه السفير بين الله وبين أنبيائه، وإن الشياطين لا يجترئ أن تتمثل به ولا تنسئ به^(٤).

وكان غلام لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس اسمه عداس من أهل نينوى^(٥) مدينة يونس عليه السلام، عنده علم من الكتاب أرسلت تسأله عن جبريل فقال: قدوس [قدوس] أئني لهذه البلاد يذكر جبريل يا سيدة نساء قريش؟ فأخبرته بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال عداس مثل قول الراهب.

(١) الهاء المتصلة بهذه الأفعال للكت.

(٢) نقله في السيرة الحلبية ١: ٢٤٤ عن ابن دحية. وانظر ترجمة سليمان بن بلال التيمي في تهذيب

التهذيب لابن حجر ٤: ١٧٥.

(٣) في السيرة الحلبية ١: ٢٤٤: «كتب إلى بحيرا».

(٤) في السيرة الحلبية ١: ٢٤٤: «فإن الشيطان لا يجترئ أن يتمثل به، ولا أن يسمى».

(٥) معجم البلدان ٨: ٣٦٨.

(٦) عن السيرة الحلبية ١: ٢٤٣.

وروى البخارى - رحمه الله - في صحيحه بإسناده عن هشام بن عروة عن أبيه،
عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على^(١) ، فيفصم عني^(٢)
وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعنى ما يقول .
قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه وإن
جبينه ليتفصد عرقا .

وبسنده عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : أول ما يدئى به رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت
مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء ، فكان يلحق بغار حراء ، فيتحنث فيه ، وهو
التعبء الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزوّد لذلك ، ثم يرجع إلى
خديجة فيترود لمنزلها ، حتى جاء الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ ، قل :
قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ
فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال :
اقرأ فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطنى الثالثة ، ثم أرسلنى فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك
الذى خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ﴾ فرجع بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد ، فقال :
زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد

(١) صحيح البخارى ١ : ٦ . (٢) الصلصلة : صوت الحديد إذا حرك .

(٣) ففصم عني : يقطع . (٤) يتفصد : يسيل عرقا . (٥) صحيح البخارى ١ : ٧ .

خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كَلَّا والله، ما يُخْزِيكَ الله أبداً، إنَّكَ لَتَصِلَ الرَّحْمَ،
وتَحْمِلَ الْكَلَّ، وتَكْسِبَ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِيَ الضَّيْفَ، وَتُعِينَ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ،
فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةٌ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزَّى بْنِ عَمِ
خَدِيجَةٍ، وَكَانَ أَمْرُهُ أَنْ تَنْصُرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ

- مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ غَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ
خَدِيجَةٌ: يَا بَنَ عَمِّ أَسْمَعَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا بَنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبْرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ
عَلَى مُوسَى، يَالَيْتَنِي فِيهَا جِذْعًا، لِيَتَنِيَ أَكُونَ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْخَرَجِيْ هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي،
وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوفِّي، وَقَرَّرَ الْوَحْيَ.

- قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: (٢) وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
الْأَنْصَارِيَّ قَالَ وَهُوَ يَحْدُثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ، فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: بَيْنَا أَنَا وَأُمِّئِي
إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصْرِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِجَاءٍ جَالِسٌ عَلَى
كَرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَرَعِبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمَلُونِي زَمَلُونِي،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾،
فَحَمَى الْوَحْيَ وَتَبَاعَ.

- قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: (٣)

وَحَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ خَدِيجَةَ أَنَّهَا
قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ ابْنِ عَمٍّ، أَسْتَطِيعُ أَنْ تَخْبِرَنِي بِصَاحِبِكَ هَذَا؟

- (١) رَوَاةُ الْبُخَارِيِّ ٦: ١٧٤: «وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ»، وَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ
مَا شَاءَ اللَّهُ. • (٢) لَا يَزَالُ النُّفْلُ عَنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ١: ٧.
• (٣) نَقَلَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيرَةِ عَنِ ١: ٢٥٤.

الذى يأتيك إذا جاءك ؟ قال نعم ، قالت : فإذا جاءك فأخبرني به ، بخاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا خديجة ، هذا جبريل قد جاءني قالت : قم يابن عم فاجلس على نخذي اليسرى ، فقام بفلس عليها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحوّل فأقعد على نخذي اليمنى ، قال : فتحوّل فقعد على نخذي اليمنى ، فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحوّل فاجلس في حجرى ، فتحوّل بفلس في حجرها ، ثم قالت : هل تراه ؟ قال : نعم : قال : فحسرت وألقت نحارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها ثم قالت : هل تراه ؟ قال : لا . قالت يابن عم : أثبت وأبشر ، فوالله إنه للملك ، ما هذا بشيطان .

وكانت خديجة رضى الله عنها أول من آمن بالله وبرسوله وصدق بما جاء به . وحكى أبو عمر بن عبد البر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ثلاث سنين ثم أمره الله تعالى بإظهار دينه والدعاء إليه ، فأظهره بعد ثلاث سنين من بعثته . قال : وقال الشعبي : أخبرت أن إسماعيل تراءى له ثلاث سنين . وروى ابن عبد البر بسنده إلى الشعبي قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين ، ووكل به إسماعيل عليه السلام ثلاث سنين ، ثم وُكِّل به جبريل عليه السلام . وفي رواية عنه : ثم بعث إليه جبريل بالرسالة . وعنه أيضا قال : أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين ، فقرن نبوته إسماعيل عليه السلام ثلاث سنين ، وكان يعلمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل عليه القرآن على لسانه ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل عليه السلام ، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة .

(١) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٥ : « فاجلس » .

(٢) رواية ابن هشام : « بفلس » .

ذكر فترة الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل بعد فترته

(١) قال : وقر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة حتى شق ذلك عليه وأحزنه . واختلف في مدة فترة الوحي ، فقال ابن جرير : احتبس عنه الوحي اثني عشر يوماً ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : خمسة عشر يوماً ، وقيل : خمسة وعشرين . وقال مقاتل : أربعين يوماً . والله أعلم .

(٢) روى البخاري - رحمه الله - عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وراق الحديث بنحو ما تقدم ، قال : وقر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزناً غداً منه ميراً أكي يتردى من رعوس شواهي الجبال ، فكلمنا أوفى بذرورة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقاً ، فيسكن لذلك جأشه ، وتقتر نفسه فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذرورة جبل تبدى له جبريل وقال له مثل ذلك . قال : وتكلم المشركون عند فترة الوحي بكلام ، فأنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ (٣) السورة بكاملها ، وقيل في سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ترك قيام الليل ليلتين أو ثلاثاً لشكوى أصابته ، بغفلة امرأة فقالت : يا محمد ، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قريبك منذ ليلتين أو ثلاث ، فأنزل الله تعالى السورة .

(١) الثاقب ابن إسحاق . واذن سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٧ .

(٢) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٧ : « فترة في ذلك حتى » .

(٣) الجامع الصحيح ٦ : ١٧٢ ، ١٧٤ ، واطلع عبون الأثر ١ : ٨٥ .

(٤) الشكوى : المرض . (٥) في الأصل : « أو ثلاثاً » .

قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى رحمه الله في كتابه المترجم (بالشفا بتعريف حقوق المصطفى) : ^(١) تَضَعْنَتْ هَذِهِ السُّورَةُ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ وَتَنْوِيهِهِ بِهِ وَتَعْظِيمِهِ إِيَّاهُ سِتَّةَ وَجُوهٍ :

الأول — الْقَسَمُ لَهُ عَمَّا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ حَالِهِ بِقَوْلِهِ : ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا تَجَنَّى﴾ أَيْ وَرَبُّ الضُّحَى ، وَهَذَا لِمَنْ عَظِمَ دَرَجَاتُ الْمُبَرَّةِ .

الثاني — بَيَانُ مَكَانَتِهِ عِنْدَهُ وَحُظُوته لَدَيْهِ بِقَوْلِهِ : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ أَيْ مَا تَرَكَكَ وَمَا أَبْغَضَكَ ، وَقِيلَ مَا أَهْمَلَكَ بَعْدَ أَنْ أَصْطَفَاكَ .

الثالث — قَوْلُهُ : ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ .

قال ابن إسحاق : أَيْ مَالِكَ فِي مَرَجَمِكَ عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمَ مِمَّا أَعْطَاكَ اللَّهُ مِنْ كَرَامَةِ الدُّنْيَا . وَقَالَ سَهْلٌ : أَيْ مَا ذَنُرْتُ لَكَ مِنَ الشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ خَيْرُكَ مِمَّا أَعْطَيْتَكَ فِي الدُّنْيَا .

الرابع — قَوْلُهُ : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ، وَهَذِهِ آيَةُ جَامِعَةٌ لَوْجُوهِ الْكَرَامَةِ وَأَنْوَاعِ السَّعَادَةِ وَشَتَاتِ الْإِنْعَامِ فِي الدَّارَيْنِ وَالزِّيَادَةِ .

قال ابن إسحاق : ^(٢) يُرْضِيهِ بِالْفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ . وَقِيلَ : يُعْطِيهِ الْحَوْضَ وَالشَّفَاعَةَ ، وَرُوي عَنْ بَعْضِ آلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : «لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَرْجَى مِنْهَا . وَلَا يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ النَّارَ» .

(١) انظر شرح الخفاجي على الشفا ١ : ٢٠٤ وما بعدها .

(٢) نقله ابن هشام في السيرة ١ : ٢٥٩ ، وعبارته «تَرْضَى مِنَ الْفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالثَّوَابِ» .

وانظر نسيم الرياض ١ : ٢٠٧ . والفلاح : الفوز والظفر .

(٣) هو علي بن أبي طالب ، أو الحسن بن محمد بن الحنفية . وانظر نسيم الرياض ١ : ٢٠٧ .

الخامس — ما عده الله تعالى عليه من نعمه، وقرّره من آلائه قبله في بقية السورة، من هدايته إلى ما هداه له، أو هداية الناس به على اختلاف التفسير، ولا مال له فأغناه بما آتاه، أو بما جعله في قلبه من القناعة والغنى، ويتبنا لحُدب عليه عمه وآواه إليه، وقيل: آواه إلى الله، وقيل: يتبنا لا مثال لك فأواك إليه، وقيل المعنى ألم يَجِدْكَ فهدى بك ضالًّا، وأغنى بك عائلًا، وآوى بك يتبنا، ذكره بهذه المن، وأنه — على المعلوم من التفسير — لم يهمله في حال صغره وعيائه ويُمِّه، وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه، فكيف بعد اختصاصه واصطفائه . والله أعلم

السادس — أمره بإظهار نعمته عليه، وشكر ما شرفه به ينشره وإشادة ذكره بقوله : (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) ، فإن من شكر النعمة تحدّث بها، وهذا خاص له، عام لأئمة .

وقال ابن إسحاق^(١) : أى بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة، فحدّث بها أى أذكركها وأذع إليها . قال : بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سرًّا^(٢) إلى من يطمنُّ إليه من أهله . قال : ثم فُرِضَت الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم . والله الموفق لطاعته .

ذكر فرض الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى عن عائشة أم المؤمنين — رضى الله عنها — أنها قالت : اقترُضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما اقترُضت ركعتين ركعتين كَلِّ صلاة، ثم إن الله تعالى أتمها في الحضر أربعًا، وأقرها في السفر على فرضها الأول ركعتين . قال محمد بن إسحاق :

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٩ . (٢) في الأصل : « النبوة بسري » ، والتصويب عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٩ . (٣) انظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٠ . (٤) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٠ : « اقترُضت عليه ركعتين » .

وحدثني بعض أهل العلم أن الصلاة حين اقترضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أتاه جبريل وهو بأعلى مكة، فهمّز له يعقبه في ناحية الوادي، فأنفجرت منه عين فتوضأ جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر [إليه] ليريه كيف الطهور للصلاة، ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريل توضأ، ثم قام به جبريل فصلى به، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته، ثم انصرف جبريل، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خديجة فتوضأ لها ليرى كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل، فتوضأت كما توضأ [لها] رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم صلى بها كما صلى به جبريل، فصلت بصلاته.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «لما فرضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فصلى به الظهر حين مالت الشمس، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق، ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر، ثم جاء فصلي به الظهر من غد حين كان ظله مثله، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الأول، ثم صلى به الصبح مسفراً غير مشرق، ثم قال: يا محمد الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالأمس».

- (١) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٠ : « جبريل عليه السلام ورسول » . (٢) عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٠ . (٣) في سيرة ابن هشام ١ : ١٦١ : « جبريل عليه السلام فجاء » . (٤) عن ابن هشام، والسيرة الحلبية ١ : ٢٦٤ . (٥) للسهلي في الروض الأنف ١ : ١٦٢ كلام في هذا الحديث وسنده يحسن الوقوف عليه . وانظر السيرة الحلبية ١ : ٢٦٤ . (٦) رواه ابن هشام ١ : ٢٦١ . (٧) في الأصل : « الفجر ثم صلى به الظهر حين كان » . والذي أثبت عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٢ . (٨) ناقش السهلي في الروض الأنف ١ : ١٦٣ إيراد هذا الحديث هنا ، لأن هذه القصة كانت في القد من ليلة الإسراء ، وذلك بعد ما نبئ النبي صلى الله عليه وسلم بحسنة أعوام . ثم ذكر كلامهم في ذلك .

ذكر أول من أسلم وآمن بالله تعالى وبرسوله

صلى الله عليه وسلم وصديق بما جاء به من عند الله

قد تقدم أن أول من آمن خديجة رضى الله عنها، وذهب محمد بن إسحاق إلى

أن أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى وصديق بما جاء به من الله

تعالى على بن أبي طالب، ثم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم،

ثم أبو بكر الصديق رضى الله عنهم . وسند ذكر إن شاء الله إسلام كل واحد منهم .

أما لإسلام أبي بكر الصديق رضى الله عنه فالذى عليه الأكثر أن أول من

أسلم من المذكور، وقد روى أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله في كتابه المترجم (بصفة

الصفوة) عن ابن عباس، وحسان بن ثابت، وأسماء بنت أبي بكر، وإبراهيم التيمي،

قالوا كلهم : أول من أسلم أبو بكر، قال : وقال يوسف بن يعقوب بن المناجشون :

أدركت أبي ومشيختنا محمد بن المنكدر ، وربيع بن أبي عبد الرحمن ، وصالح

ابن كيسان ، وسعد بن إبراهيم ، وعثمان بن محمد الأخنسي ، وهم لا يشكون أن أول

القوم [إسلاماً] أبو بكر .

وروى أبو الفرج بسنده عن ابن عباس أنه قال : " أول من صلى أبو بكر

رضى الله عنه " ، ثم تمثل بأبيات حسان بن ثابت :

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة * فاذكر أخاك أبا بكرٍ بما فعلاً

خير البرية أنقاه وأعد لها * إلا النبي، وأولاهها بما حلا

الثاني التالى المحمود مشهده * وأول الناس حقاً صدق الرُسل

والله يهدي من يشاء . .

(١) نقله ابن هشام في السيرة ١ : ٢٦٢ . (٢) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٢ : « بما جاء » .

(٣) انظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٤ ، وأسد الغابة ٢ : ٢٢٤ . (٤) سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٦ .

(٥) ١ : ٨٩ . (٦) عن صفوة الصفوة ١ : ٨٩ . (٧) صفوة الصفوة ١ : ٨٩ .

وأما إسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه — فقد اختلف في سنة حال إسلامه ؛ فقليل : أسلم وهو ابن عشرين سنة ، وقيل : تسع سنين ، وقيل اثنتي عشرة سنة ، وقيل أكثر من ذلك إلى عشرين سنة ، وهو بعيد ، لأنه آين في ابتداء الأمر وظهور النبوة . والله أعلم .

وكان من حديث إسلامه ما رواه محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي نجیح عن مجاهد بن جبر بن أبي الحجاج ، قال : كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب ومما صنع الله له وأراد به من الخير أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس ، وكان من أيسر بني هاشم : يا عباس ، إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا إليه فلنخفف [عنه] من عياله ؛ أخذ من بينه رجلا ، وتأخذ أنت رجلا فنكفلهما عنه ، فقال العباس : نعم ، فانطلقا حتى لقيا أبا طالب ، فقالا [له] : إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما [أبو طالب] : إذا تركتني لي عقيلا فاصنعا ما شئتما ؛ ويقال قال : عقيلا وطالبا ؛ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فضمحه إليه ، وأخذ العباس

- (١) قل ابن عبد البر في الاستيعاب ص ٢٧١ هذا القول عن ابن إسحاق ، ثم ذكر بقية الأقوال في يوم أسلم . (٢) نقله ابن هشام في السيرة : ٢٦٢ .
- (٣) في الأصل : « فلنخفف من عياله » ، والذي أثبت عن ابن هشام : ٢٦٣ .
- (٤) في الأصل : « وتأخذ رجلا » ، والمثبت عن ابن هشام : ٢٦٣ .
- (٥) في الأصل : « فنكفلهما » ، والمثبت عن ابن هشام ص ١٥٩ (طبعة أوربا) .
- (٦) في سيرة ابن هشام : ٢٦٣ : « حتى أتيا » .
- (٧) في الأصل : « فقالا إنا نريد » ، والمثبت عن سيرة ابن هشام : ٢٦٣ .
- (٨) في الأصل : « فقال لهما إذا » ، والمثبت عن ابن هشام : ٢٦٣ .

جعفرا [فضّمه إليه] ^(١)، فلم يزل على مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله نبياً فاتّبعه على وآمن به وصدّقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم ^(٢).

قال ابن إسحاق :

وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى شِعَابِ مَكَّةَ وَخَرَجَ مَعَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مُسْتَخْفِيًا مِنْ عَمَّةِ أَبِي طَالِبٍ وَمِنْ جَمِيعِ أَعْمَامِهِ وَسَائِرِ قَوْمِهِ فَيَصَلِّيَانِ الصَّلَوَاتِ فِيهَا، فَإِذَا أَمْسَيَا رَجَعَا، فَكَثُرَ كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمُكُّمَا، ثُمَّ إِنَّ أَبَا طَالِبٍ عَثَرَ عَلَيْهِمَا يَوْمًا وَهُمَا يَصَلِّيَانِ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا ابْنَ أَخِي، مَا هَذَا الدِّينَ الَّذِي أَرَاكَ تَدِينُ بِهِ ؟ قَالَ : أَيْ عَمِّ، هَذَا دِينُ اللَّهِ وَدِينُ مَلَائِكَتِهِ وَدِينُ رَسُلِهِ وَدِينُ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ، بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ رَسُولًا إِلَى الْعِبَادِ، وَأَنْتَ أَيُّ عَمِّ أَحَقُّ مِنْ بَدَلْتُ لَهُ النَّصِيحَةَ، وَدَعَوْتُهُ إِلَى الْهُدَى، وَأَحَقُّ مِنْ أَجَابَنِي إِلَيْهِ، وَأَعَانَنِي عَلَيْهِ، أَوْ كَمَا قَالَ. فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ : أَيْ ابْنَ أَخِي، إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفَارِقَ دِينَ آبَائِي وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا يَخْلُصُ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مَا بَقِيَتْ.

وَذَكَرُوا أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ عَلِيٍّ : أَيْ بُحَيٍّ مَا هَذَا الدِّينَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ : يَا أَبَتِ، آمَنْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَدَّقْتُهُ بِمَا جَاءَ بِهِ، وَصَلَّيْتُ مَعَهُ اللَّهُ وَاتَّبَعْتُهُ. فَزَعَمُوا أَنَّهُ قَالَ لَهُ : أَمَّا إِنَّهُ لَمْ يَدْعُكَ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ فَالْزِمْنِهِ.

(١) في الأصل : « جعفرًا فلم يزل »، والزيادة عن ابن هشام : ٢٦٢ .

(٢) في سيرة ابن هشام : « حتى أسلم واستغنى عنه » .

(٣) في الأصل : « فيصلبان الصلاة »، والمثبت عن سيرة ابن هشام : ٢٦٣ .

(٤) في سيرة ابن هشام : ٢٦٣ : « أبينا إبراهيم أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني » .

(٥) في سيرة ابن هشام : ٢٦٤ : « إني لا أستطيع » .

وأما إسلام زيد بن حارثة ^(١) رضى الله عنه — فقال محمد بن إسحاق ^(٢) :
ثم أسلم زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس
الكلبى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد نسبته ابن الكلبي فقال : زيد
ابن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن يزيد بن امرئ القيس بن عامر
ابن النعمان بن عبدود بن امرئ القيس بن نعيم بن عمران بن عبد عوف بن عوف
ابن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب
ابن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمر
ابن مرة بن مالك بن خضير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .
قال أبو عمر ^(٤) : وربما اختلفوا في الأسماء وتقديم بعضها على بعض وزيادة شيء
فيها . قال : ولم يتابع ابن إسحاق على قوله « شرحبيل » وإنما « شراحيل » ^(٥) ^(٦) ^(٧) .
وقال ابن الكلبي : وأم زيد سعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر بن أفلت ، من
بنى معن من طيئ ^(٨) .

- (١) ترجمة زيد بن حارثة في الاستيعاب ١٩١ ، وأسد الغابة ١ : ٢٣٤ .
(٢) في الأصل : « قال » .
(٣) هذه رواية ابن عبد البر في الاستيعاب ، وفي سيرة ابن هشام ١ : ٦٢٤ : « العزى بن
امرئ القيس » .
(٤) في الاستيعاب ص ١٩١ .
(٥) في الأصل : « وزيادة في شيء منها » . والمثبت عن الاستيعاب ص ١٩١ ، حيث النقل عنه .
(٦) الفاضل ابن عبد البر .
(٧) في الأصل : « على شيء منها » ، وإنما هو شاحيل « تصحيف ، والتصويب عن الاستيعاب
ص ١٩١ ، وانظر أسد الغابة ٢ : ٢٢٤ .
(٨) في الأصل : « عامر بن طيئ » ، والذي أثبت عن الاستيعاب ص ١٩١ ، وأسد الغابة
٢ : ٢٢٤ .
معن

(١) قال ابن إسحاق : وصلى زيد بعد علي بن أبي طالب . قال أبو محمد عبد الملك ابن هشام : وكان حكيم بن حزام بن خويلد قديم من الشام يرقى منه زيد بن حارثة ، وصيف ، فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد ، وهي يومئذ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لها : اختارى يا عمة ، أى هؤلاء الغلمان شئت فهو لك ، فاخترت زيدا ، فأخذته ، قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها ، فاستوهمه منها ، فوهبته له ، فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه ، وذلك قبل أن يوحى إليه ، وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جعرا شديدا وبكى عليه حين فقده ، ثم قديم عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن شئت فأقيم عندي ، وإن شئت فانطلق مع أبيك" ، قال : بل أقيم عندك ، فلم يزل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعته الله ، فصداقه وأسلم وصلى معه ، فلما أنزل الله عز وجل : (اُدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ) قال : أنا زيد ابن حارثة . وقد روى أبو عمر وغيره أن حارثة لما فقد ابنه زيدا قال :

بكيت على زيد ولم أدري ما فعل * أحنى يرحى أم أتى دونه الأجل
فوالله ما أدري وإن كنت سائلا * أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل
فيا ليت شعري هل لك الدهر رجعة * فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل

(١) نقله ابن هشام ١ : ١٦٤ .

(٢) في سيرة ابن هشام : « فيم زيد » .

(٣) كذا في الاستيعاب ص ١٩٢ ، وفي سيرة ابن هشام ١ : ١٦٥ : « أحنى فيرجى » .

(٤) في سيرة ابن هشام :

« ... أدري وإنى لائل * أغالك بمدى السهل ... »

ورواية المؤلف عن ابن عبد البر في الاستيعاب .

(٥) ابن هشام : « أوبة » .

(٦) بجل بمعنى حسب . وفي أسد الغابة ٢ : ١٩٥ : « لى علل » .

تذكرنيهِ الشمسُ عند طلوعها * وتعرض ذِكْراه إذا قاربَ الطُّفْلُ^(١)
 وإن هبت الأرواح هيَّجن ذِكْره * فبا طول ما حُرْني عليه وما وجل
 سأعمل نص العيس في الأرض جاهدا * ولا أسام التَّطَوَّاف أو تسام الإبل
 حياتي أو تأتي علي مني * وكلَّ امرئٍ فإن وإن غره الأمل^(٢)
 سأوصي به قيسا وعمرا كليهما * وأوصي يزيدا ثم من بعده جبل^(٣)

يبنى جبلة بن حارثة أخا زيد ، وزيد أخا زيد لأمه ، وهو يزيد بن كعب
 ابن شراحيل .

قال : فحج ناس من كلب فرأوا زيدا فعرَفهم وعرفوه ، وقال لهم : أبلغوا^(٤)
 أهلي هذه الأبيات ، فإنني أعلم أنهم قد جزعوا علي ، فقال :
 أحنُّ إلى قومي وإن كنتُ نائياً * نأني قعيد البيت عند المشاعر
 فكفوا من الوجد الذي قد شجأكم * ولا تَعْمِلُوا في الأرض نص الأباعر
 فإني بحمد الله في خير أسرة * كرام معدَّ كبرا بعد كابر
 فأنطلق الكليون فاعلموا أباه ، فقال : ابني ورب الكعبة ، فوصفوا له موضعه
 وعند من هو ، فخرج حارثة وكعب ابنا شراحيل لعدائه ، وقديما مكة^(٥) ، فسألا عن النبي
 صلى الله عليه وسلم ، فقيل : هو في المسجد ، فدخلوا عليه فقالا : يا بن عبد المطلب ،

(١) رواية ابن هشام : « ... ذكراه إذا غربها أفل » .

(٢) ابن هشام : « فكل امرئ » .

(٣) هذا البيت لم يورده ابن هشام .

(٤) القائل ابن عبد البر في الاستيعاب ص ١٩٢

(٥) في الأصل « أناس من كلب » ، والتصويب عن الاستيعاب ص ١٩٢

(٦) في الاستيعاب ص ١٩٢ : « أبلغوا عني أهلي » .

(٧) في الاستيعاب ص ١٩٢ ، وأسد الغابة ٢ : ٢٢٥ : « قدما » .

يَا بْن هَاشِمَ، يَا بْن سَيِّد قَوْمِهِ، أَتَمُّ أَهْلُ حَرَمِ اللَّهِ وَجِبْرَانُهُ، تَفْكَونَ الْعَانِي، وَتُطْعَمُونَ الْأَسِيرَ، جِئْنَاكَ فِي ابْنِنَا عِنْدَكَ، فَاْمَنْنُ عَلَيْنَا وَأَحْسِنُ إِلَيْنَا فِي فِدَائِهِ؟ قَالَ: وَمَنْ هُوَ؟^(١) قَالَا: زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَهَلَّا غَيْرَ ذَلِكَ؟» قَالُوا: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «أَدْعُوهُ فَأَخِيرَهُ»، فَإِنْ اخْتَارَكُمْ فَهُوَ لَكُمْ، وَإِنْ اخْتَارَنِي فَهُوَ لِي، فَوَاللَّهِ مَا أَنَا بِالَّذِي اخْتَارَ عَلَيَّ مَنْ اخْتَارَنِي أَحَدًا». قَالُوا: قَدْ زِدْتَنَا عَلَى النَّصْفِ وَأَحْسَنْتَ إِلَيْنَا، فِدْعَاهُ فَقَالَ: «هَلْ تَعْرِفُ هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ «مَنْ هَذَا؟» قَالَ: أَبِي، وَهَذَا عَمِّي، قَالَ: «فَأَنَا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ، وَقَدْ رَأَيْتَ صَبِيَّتِي لَكَ، فَأَخْتَرَنِي أَوْ اخْتَرَهَا»، فَقَالَ زَيْدٌ: مَا أَنَا بِالَّذِي اخْتَارَ عَلَيْكَ أَحَدًا، أَنْتَ مَنَى مَكَانَ الْأَبِ وَالْعَمِّ، فَقَالَا: وَيَحْكُ يَا زَيْدُ! اخْتَارَ الْعَبودية عَلَى الْحُرِّيَّةِ، وَعَلَى أَيْبِكَ وَعَمِّكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَدْ رَأَيْتَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ شَيْئًا مَا أَنَا بِالَّذِي اخْتَارَ عَلَيْهِ أَحَدًا أَبَدًا. فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ أَخْرَجَهُ إِلَى الْحَجَرِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ مَنْ حَضَرَ، اشْهَدُوا أَنَّ زَيْدًا ابْنِي يَرِثُنِي وَأَرِثُهُ». فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُوهُ وَعَمُّهُ طَابَتِ نَفْسُهُمَا وَانْصَرَفَا. وَدُعِيَ زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَتَزَلَّتْ: (أَدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ)، فُدِعِيَ يَوْمَئِذٍ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَدُعِيَ الْأَدْعِيَاءُ إِلَى آبَائِهِمْ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) فِي الْأَصْلِ: «مَنْ هُوَ قَالَ» وَالْمُنْبِتُ عَنْ أَسَدِ الْغَابَةِ، وَالِاسْتِغْيَابِ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: «فَأَخِيرَهُ».

(٣) فِي الْإِسْتِغْيَابِ وَأَسَدُ الْغَابَةِ: «قَالَ».

(٤) فِي الْإِسْتِغْيَابِ ١: ٥٢٨: «وَأَحْسَنْتَ فِدْعَاهُ».

(٥) عَنِ الْإِسْتِغْيَابِ، وَانْظُرْ أَسَدَ الْغَابَةِ ٢: ٢٢٥.

(٦) فِي أَسَدِ الْغَابَةِ ٢: ٢٢٥: «قَدْ عَرَفْتَ».

(٧) فِي أَسَدِ الْغَابَةِ ٢: ٢٢٥: «فَقَالَ: مَا أُرِيدُهُمَا، وَمَا أَنَا بِالَّذِي».

(٨) فِي الْإِسْتِغْيَابِ ص ١٩٢: «وَعَلَى أَهْلِ».

مَعِينُ التَّارِخِ
لَأَهْلِ التَّارِخِ

ذكر من أسلم بدعاء أبي بكر الصديق - رضوان الله عليهم -
قال محمد بن إسحاق ^(١) :

لما أسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله تعالى وإلى
رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكر رجلاً مألُفًا لقومه محبباً مهلاً ، وكان أنسب
فريش لفريش ، وأعلم فريش بها وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلاً تاجراً
ذا خلقٍ ومعروف ، وكان رجالٌ قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه
وتجارته وحسن مجالسته .

فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يعشاه ويجلس إليه ، فأسلم
بدعائه رضي الله عنه ، عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ،
وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى استجابوا له ، فأسلموا وصلوا ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : " ما دعوتُ أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كربة ونظر وتردد ، إلا
ما كان من أبي بكر بن أبي خُافة ، ما عكم عنه حين ذكرته له وما تردد فيه " .

(١) نقله ابن هشام في السيرة ١ : ١٦٥

(٢) المؤلف : الموضع الذي يآلفه الناس ، ووصف أبي بكر به على نوع من التجوز .

(٣) في سيرة ابن هشام ١ : ١٦٥ : « إلى الله وإلى الإسلام » .

(٤) الخليفة الثالث قتل سنة ٣٥ . ترجمته في الاستيعاب ١ : ٤٨٧ والخلاصة للجزري ص ١٢١ ،

وغيرها . (٥) ابن عمه رسول الله ، توفي سنة ٣٦ بعد وقعة الجمل . وانظر الاستيعاب ٢٠٧

(٦) المتوفى سنة ٣٢ على خلاف ، وانظر الاستيعاب ٤٠٢

(٧) آخر العشرة المبشرين موتاً ، مات بالمعيق بقصره على عشرة أميال من المدينة سنة ٥٦ على

خلاف . وانظر الاستيعاب ٥٥٨

(٨) أحد العشرة أيضاً ، وكان الرسول يسميه طلحة الجود ، وطلحة الخبير . مات يوم الجمل

سنة ٣٦ . وانظر الاستيعاب ٢١٣ (٩) في الأصل : « وسلم حتى » .

(١٠) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٩ : « كانت فيه عنده كربة » .

(١١) ما عكم : ما تلبث .

١٥

٢٠

٢٥

قال ابن إسحاق : فكان هؤلاء نفر الثمانية الذين سبقوا بالإسلام الناس فصلّوا وصدّقوا بما جاء من الله .

- ثم أسلم أبو عبيدة ، وأسمه عامر بن عبد الله بن الجراح ، وأبوسلمة ، واسمه عبد الله بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبي الأرقم ، واسم أبي الأرقم عبد مناف بن أسد ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعثمان بن مظعون ، وأخوه قدامة ، وعبد الله ابنا مظعون ، وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي ، وسعيد بن زيد ، وامراته فاطمة بنت الخطّاب اخت عمر ،

- (١) أحد العشرة ، توفي سنة ١٨ في طاعون عمواس . وانظر الاستيعاب ٤٦٠ .
 (٢) ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم برة بنت عبد المطلب ، وأخوه من الرضاة . توفي بعد مرجعه من بدر . وانظر الاستيعاب ص ٣٧٩ .
 (٣) هوسايع من أسلم ، وهو من البدرين ، توفي سنة ٥٥ على خلاف ، وانظر الاستيعاب ٥٠ ، والإصابة ٢٨ : ١ .
 (٤) أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا ، وهاجر إلى الحبشة . توفي في السنة الثانية من الهجرة ، وانظر الإصابة ٤٦٤ : ٢ ، والاستيعاب ٤٩٤ .
 (٥) يكنى أبا عمرو ، هاجر المهاجرين وشهد بدرا . مات في خلافة علي ، واختلفوا في تحديد سنة وفاته . وانظر الإصابة ٢٢٩ : ٣ ، والاستيعاب ٥٤٨ .
 (٦) أبو محمد ، هاجر إلى الحبشة ، وقد وردت أخباره في ترجمة أخيه عثمان في الإصابة ٤٦٤ : ٢ ، ٣٧٠ : ٢ . وانظر الاستيعاب ٣٧٠ .
 (٧) كان رأس بني عبد مناف ، هاجر وشهد بدرا ، واستشهد بها ، وانظر الإصابة ٤٤٩ : ٢ ، والاستيعاب ٤٢٢ .
 (٨) المتوفى بالعقيق سنة ٥١ ، وهو أحد العشرة ، وانظر ترجمته في الاستيعاب ٥٥٢ .
 (٩) تكنى أم جميل ، وطأ أثر في إسلام الخليفة عمر . انظر ترجمتها في الإصابة ٣٨١ : ٤ ، والاستيعاب ٧٧٤ .

(١) وأسماء وعائشة بنتا أبي بكر ، وكانت عائشة صغيرة ، وخبّاب بن الأرت^(٢)
 حليف بنى زهرة ، وعمير بن أبي وقاص أخو سعد ، وعبد الله بن مسعود^(٥) ،
 ومسعود بن الفاري ، وهو مسعود بن ربيعة ، [أو الربيع]^(٦) ، وسليط بن عمرو
 ابن عبد شمس ، وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة ، وامراته أسماء بنت سلامة^(٧)
 ابن مخزومة التيمية ، وخنيس بن حذافة بن قيس^(٨) ، وعامر بن ربيعة حليف^(٩)
 آل الخطاب ، وعبد الله بن جحش وأخوه أبو أحمد بن جحش حليفا بنى أمية^(١٠)
 (١١) (١٢) (١٣)

(١) كانت تسمى ذات الطاقين ، وقد رويت عنها أحاديث . توفيت بمكة سنة ٧٣ عن سن عالية ،
 وانظر الاستيعاب ٧٢٤ .

(٢) زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، روى عنها كثير من الأحاديث . توفيت سنة ٥٧ . وانظر
 الاستيعاب ٧٦٤ .

(٣) أبو عبد الله التيمي ، عذب في سبيل الله ، ومات بالكوفة سنة ٣٧ . وانظر الاستيعاب ٦٤٨ .

(٤) قتل يوم بدر شهيدا وله من العمر ١٦ سنة . وانظر الاستيعاب ٤٣٦ .

(٥) أبو عبد الرحمن ، من زهاد الصحابة ، توفى بالمدينة سنة ٣٢ ، وانظر الاستيعاب ٣٧٠ .

(٦) يكنى أبا عمير ، وهو من القارة ، وهم الهون بن خزيمه بن مدركة . مات سنة ٣٠ ، وانظر
 الاستيعاب ٢٨١ . وفي الأصل : « بن ربيعة وسليط » .

(٧) من المهاجرين الأولين ، شهد بدرا وسافر عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمامة ، وقُتل سنة
 ١٤ ، وانظر الاستيعاب ٥٩٦ .

(٨) في الأصل : « وعباد » ، والتصويب عن ابن هشام ٢٧٣ : ١ ، والاستيعاب ٥٠٨ : ٢ .
 وانظر الإصابة ٥ : ٤٧ .

(٩) في الأصل : « ابن حجر » ، والتصويب عن ابن هشام ٢٧٣ : ١ . وانظر الإصابة ٨ : ٧ .

(١٠) من المهاجرين الأولين ، مات بأحد . وانظر الاستيعاب ١٦٩ ، وسيرة ابن هشام ٢٧٤ : ١ .

(١١) كان حليف عمر بن الخطاب حسبما قال أبو عبيدة ، شهد بدرا وسائر المشاهد . وتوفى سنة ٣٣
 على خلاف . وانظر الاستيعاب ٤٦١ ، سيرة ابن هشام ٢٧٤ : ١ . وفي الأصل : « حليف الخطاب » .

(١٢) حليف لبني عبد شمس ، أو لوط بن أمية ، وهو من المهاجرين الأولين ، مات يوم أحد
 ومثل به ، ودفن مع حزة في قبر واحد . وانظر الاستيعاب ٣٥٢ ، سيرة ابن هشام ٢٧٤ : ١ .

(١٣) في اسمه عبد جحش ، وكان شاعرا . انظر ترجمته في الاستيعاب ٦٤١ ، وسيرة ابن هشام
 ٢٧٤ : ١ .

وجعفر بن أبي طالب، وامرأته أسماء بنت عميس، وحاطب بن الحارث بن معمر،
وامرأته فاطمة بنت الجحلى بن عبد الله، وأخوه خطاب بن الحارث، وامرأته فكيهة
بنت يسار، ومعمر بن الحارث بن معمر، والسائب بن عثمان بن مظعون، والمطلب
ابن أزهر بن عبد عوف، وامرأته رملة بنت أبي عوف بن صيرة، والنحام واسمه
نعم بن عبد الله، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق، وخالد بن سعيد بن العاص
ابن أمية، وقد روي أن خالد بن سعيد كان خامس من أسلم، وأن إسلامه كان بعد
سعد بن أبي وقاص، حكاه أبو عمر، وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد، وحاطب

(١) مات يوم مؤنة وله من العمر ٤١ سنة . وانظر الاستيعاب ٨١ ، وسيرة ابن هشام
٢٧٥ : ١ . (٢) هاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها . وانظر أخبارها في الاستيعاب ٧٢٥ ،
وسيرة ابن هشام ٢٧٥ : ١ .

(٣) الاستيعاب ١٣٣ ، وفي ترجمته ذكرت امرأته فاطمة وذكر إسلامها ، وانظر سيرة ابن هشام
٢٧٥ : ١ .

(٤) الاستيعاب ١٤٩ ، وقد ذكرت أيضا مع امرأته وذكر إسلامها ، وانظر سيرة ابن هشام
٢٧٥ : ١ .

(٥) هو ابن أخت عثمان بن مظعون ، أخى النبي ﷺ وبين معاذ بن عفراء ، وتوفي في خلافة عمر .
وانظر الاستيعاب ٢٧٨ ، وسيرة ابن هشام ٢٧٥ : ١ .

(٦) هو أخو عثمان بن مظعون ، هاجر إلى الحبشة وشهد بدرا . وانظر الاستيعاب ٥٨٨ ، وسيرة
ابن هشام ٢٧٦ : ١ .

(٧) مات بالحبشة مهاجرا ، وانظر الاستيعاب ٢٦٨ ، والإصابة ٨ : ٨٦ ، وسيرة ابن هشام
٢٧٦ : ١ .

(٨) أسلم قبل غزوة ، وكان يكرم إسلامه . واختلف في وفاته ، فقيل بأجنادين ، وقيل باليرموك ،
وانظر الاستيعاب ٣١١ ، وسيرة ابن هشام ٢٧٦ : ١ .

(٩) كان مملوكا للطفيل بن عبد الله ، فأسلم وهو مملوك ، فاشتراه أبو بكر وأعتقه ، ووافق النبي ﷺ وأبا بكر
في هجرتهما . وانظر الاستيعاب ٤٦٢ ، سيرة ابن هشام ٢٧٧ : ١ .

(١٠) أسلم مع أبي بكر وهاجر إلى الحبشة ، واستعمله النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم على صدقات مدح ،
وعلى صنعا اليمن . وفي مكان وفاته خلاف . وانظر الاستيعاب ١٥٤ ، وسيرة ابن هشام ٢٧٧ : ١ .

(١١) في الاستيعاب ١٥٤ ، وانظر سيرة ابن هشام ٢٧٧ : ١ .

(١٢) الاستيعاب ٧٢٦ ، واسم امرأته عند ابن عبد البر « أمية » ، وانظر أسد الغابة ٤٠٢ : ٥ .

ابن عمرو بن عبد شمس، وأبو حذيفة واسمه مهشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس^(١)
ابن عبد مناف؛ ويقال في اسمه هشيم؛ ويقال هاشم، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف^(٢)
ابن عشرين بن ثعلبة، وخالد، وعامر، وعاقل، وإياس، بنو البكر بن عبد ياليل^(٣)
وعمار بن ياسر حليف بني مخزوم، وصهيب بن سنان^(٤) .
قال ابن إسحاق^(٥) :

ثم دخل الناس [في الإسلام]^(٦) أرسالا من الرجال والنساء، حتى فشا ذكر
الإسلام [بمكة]^(٧) وتحدث به .

ولنذكر من كانت له سابقة في الإسلام غير من ذكرنا والله الموفق للصواب .

-
- (١) هاجر إلى الحبشة وشهد بدرا، وانظر الاستيعاب ١٣٣ .
 - (٢) قتله ابن عبد البر في الاستيعاب ٦٥٣ في ترجمة أبي حذيفة هذا، وانظر الروض الأنف ١٦٧ : ١ .
 - (٣) الاستيعاب ٦٢٣ .
 - (٤) انظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٨، والاستيعاب ٦٢٣ .
 - (٥) حالف في الجاهلية قتيل بن عبد العزى جد عمر بن الخطاب، فهو وولده حلفاء بني عدى، قتل ستة أربع من الهجرة . وانظر الاستيعاب ١٥٦ .
 - (٦) يقال فيه أيضا : ابن أبي البكر . وانظر الاستيعاب ٤٦١ .
 - (٧) كان اسمه غافلا، فسماه النبي عاقلا . قتل بيدروسة ٣٤ سنة، وانظر الاستيعاب ٥٢٤ .
 - (٨) يقال فيه أيضا : إياس بن أبي البكر، أسلم في دار الأرقم، له ترجمة في الاستيعاب ٤٧ .
 - (٩) هو عيسى النسب وحالف بني مخزوم، عذب في الله وشهد المشاهد كلها، وفيه ورد الأثر : " قتل عمارا الفتنة الباغية " . وانظر الاستيعاب ٤٣٤ .
 - (١٠) يقال فيه ابن سنان الرومي لأنه تعلم لسان الروم حيث سيوه وهو صغير، وهو من النخعيين .
 - قاسط، وكان أبوه عاملا لكسرى على الأبله . وانظر ترجمته في الاستيعاب ٣٢٥ .
 - (١١) قتله ابن هشام في السيرة ١ : ٢٨٠ .
 - (١٢) عن ابن هشام ١ : ٢٨٠ .

ذكر تسمية من كانت لهم سابقة في الإسلام

من العرب من غير قریش

كانت لجماعة سابقةً لإسلام، وهم من غير قریش، فرأينا أن نذكرهم في هذا

الموضع لسابقتهم في الإسلام .

- ٥ منهم أبو ذر جُنْدُب بن جُنَادَةَ الْغِفَارِيُّ، واختُلف في اسمه اختلافاً كثيراً، والمشهور ما ذكرناه، واختُلف أيضاً فيما بعد جُنَادَةَ، فقليل جُنَادَةُ بن قَيْس بن عمرو ابن صُعَيْر بن حرام بن غِفَار، وقيل جُنَادَةُ بن صُعَيْر بن عَيْد بن حرام بن غِفَار، ويقال جُنَادَةُ بن سُفْيَان بن عَيْد بن [صُعَيْر بن] حرام بن غِفَار، أسلم أبو ذر بعد ثلاثة، وقيل: بعد أربعة، فكان خامساً، وله في سبب إسلامه حديث حسن، نذكره إن شاء الله تعالى عند ذكرنا لأخبار وفود العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد غِفَار على ما تقف عليه، وهو في السفر السادس عشر من كتابنا هذا .
- وأسلم بسبب إسلامه أخوه أنيس بن جُنَادَةَ وأُمُّهُمَا رَمْلَةُ بنت الوقعة الْغِفَارِيَّة .
- ومنها عمرو بن عَبْسَةَ بن عامر بن خالد بن غاضرة بن عتاب بن امرئ القيس ابن بهثة بن سليم، يكنى أبا نجيح، ويقال أبو شعيب . قال أبو عمر بن عبد البر : روبنا عنه من وجوه أنه قال : أُلِّقَ في روعي أن عبادة الأوثان باطل، فسمعني رجل وأنا أتكلم بذلك، فقال : يا عمرو، إن بمكة رجلاً يقول كما تقول، قال : فأقبلت إلى مكة
- ١٥

(١) في صفه الصفوة لابن الجوزي ١ : ٢٣٨ وما بعدها، ترجمة مفصلة لأنبي ذر الغفاري ، وانظر الحلية لأنبي نعم ١ : ١٥٦، والاستيعاب ٨٢ .

(٢) عن تاج العروس (صر) .

(٣) كان أكبر من أخيه أبي ذر . له ترجمة في الإصابة ١ : ٨٨ .

(٤) لها ترجمة في الإصابة ٤ : ٣٠١ .

(٥) في الأصل : « عمرو بن عبسة » . وانظر ترجمته في أسد الغابة ٤ : ١٢٠، والاستيعاب ٤٤٣ .

(٦) في الاستيعاب ص ٤٤٣ .

أَوَّلَ مَا بُعِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُسْتَخْفٍ، فَقِيلَ لِي : إِنَّكَ لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا بِاللَّيْلِ حِينَ يَطُوفُ، فَقَعْتُ بَيْنَ يَدَيِ الْكَعْبَةِ فَمَا شَعِرْتُ إِلَّا بِصَوْتِهِ يَهْلَلُ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ : أَنَا نَبِيُّ اللَّهِ، فَقُلْتُ وَمَا نَبِيُّ اللَّهِ؟ قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ، قُلْتُ وَبِمَ أُرْسِلُكَ؟ قَالَ : بَأَن يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ، وَتُكْسَرَ الْأَوْتَانُ وَتُحَقَّنَ الدَّمَاءُ، [وَتُوصَلَ الْأَرْحَامُ]، قُلْتُ : وَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ : حُرٌّ وَعَبْدٌ، يَعْنِي أَبَا بَكْرًا وَبِلَالًا، فَقُلْتُ : أَبْسِطْ يَدَكَ أَبَايُكَ، فَبَايَعْتُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ. قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي وَأَنَا رُبْعُ الْإِسْلَامِ، قَالَ : قُلْتُ أَقِيمْ مَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : "لَا، وَلَكِنْ أَلْحَقْ بِقَوْمِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ أَنِّي قَدْ خَرَجْتُ فَاتَّبِعْنِي"، قَالَ : فَلَحَقْتُ بِقَوْمِي، فَكُنْتُ دَهْرًا مُنْتَظَرًا خَبْرَهُ حَتَّى أَنْتَ رَفَقَةٌ مِنْ يَثْرِبَ فَسَأَلْتُهُمُ الْخَبْرَ، فَقَالُوا : خَرَجَ مَجْدَمٌ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ. قَالَ : فَارْتَحَلْتُ فَاتَيْتُهُ فَقُلْتُ : أَعْرِفْنِي؟ قَالَ : "نَعَمْ، أَنْتَ الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْنَا بِمَكَّةَ". وَرَوَى أَبُو عَمْرٍو أَيْضًا بِسَنَدِهِ إِلَى أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْسَةَ قَالَ : "رَغِبْتُ عَنْ آلِهَةِ قَوْمِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَرَأَيْتُ أَنَّهَا آلِهَةٌ بَاطِلَةٌ يَعْبُدُونَ الْحِجَارَةَ، وَهِيَ لَا تَنْصُرُ وَلَا تَنْفَعُ، قَالَ : فَلَقِيتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْكَلْبِ فَسَأَلْتُهُ عَنْ أَفْضَلِ الدِّينِ، فَقَالَ : يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ مَكَّةَ يَرْغَبُ عَنْ آلِهَةِ قَوْمِهِ وَيَدْعُو إِلَى غَيْرِهَا، وَهُوَ يَأْتِي بِأَفْضَلِ الدِّينِ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِهِ فَاتَّبِعْهُ، فَلَمْ يَكُنْ لِي هَمٌّ

- (١) هكذا في الاستيعاب ٤٤٣، وفي أسد الغابة ٤ : ١٢٠ : « مخنف » .
 (٢) في الاستيعاب ٤٤٣ : « قال أن » . (٣) عن أسد الغابة ٤ : ٨٢٠ .
 (٤) في أسد الغابة ٤ : ١٢٠ : « وإني لرُبْع » .
 (٥) في الأصل : « بقوى »، وكنت دهرًا منتظرًا، والذي أثبت عن الاستيعاب ٤٤٣، وانظر أسد الغابة ٤ : ١٢٠ .
 (٦) في الاستيعاب : « فسألتهم عن الخبر » . (٧) في الاستيعاب ص ٤٤٤ .
 (٨) في الأصل : « عبسة »، وانظر الاستيعاب ٤٤٤ . (٩) في الأصل :
 « آلهة باطل »، وانظر الاستيعاب . (١٠) في الاستيعاب : « والحجارة لا » .

إلا مكة أسأل هل حدث فيها حدث؟^(١) فيقولون: لا. فانصرف إلى أهل، وأهل من الطريق غير بعيد، فأعرض الركبان خارجين من مكة فأسألهم هل حدث فيها حدث؟ فيقولون: لا. فلأنى لقاعد على الطريق يوماً إذ مرّ بي راكب فقلت من أين أنت؟^(٢) قال: من مكة، قلت: هل فيها من خبر؟ قال: نعم، رجل رغب عن آلهة قومه ودعا إلى غيرها، قلت: صاحبي الذي أريد، فشددت راحلتي، ووجئت مكة، ونزلت منزلي الذي كنت أنزل فيه، فسألت عنه، فوجدته مستخفياً، ووجدت قريباً إلبي عليه، فتناظفت حتى دخلت عليه، فسلمت ثم قلت: من أنت؟ قال: «نبي الله»، قلت: وما النبي؟ قال: «رسول الله»، قلت: من أرسلك؟ قال: «الله»، قلت: بم أرسلك؟ قال: «أن توصل الأرحام، وتحقن الدماء، وتؤمن السبل، وتكسر الأوثان، ويعبد الله وحده لا يشرك به شيء». فقلت: نعم ما أرسلت به؛ أشهدك أني قد آمنْتُ بك وصدقْتُك، أمكث معك أم ما تأمرني؟ قال: «قد رأيت كراهة الناس لما جئت به، فامكث في أهلِكَ، فإذا سمعت أني خرجت محرّجاً فاتبعني». فلما سمعت به خرج إلى المدينة سرّت حتى قدمت عليه فقلت: يا نبي الله، هل تعرفني؟ قال: «نعم، أنت السلمي الذي جئتني بمكة فقلت لي كذا، وقلت لك كذا»^(٣).

(١) في الاستيعاب ص ٤٤٤: «حدث فيها أمر».

(٢) في الاستيعاب: «الطريق إذ مر».

(٣) في الأصل: «من أين قال».

(٤) رواية الاستيعاب: «قال نبي، قلت: وما النبي؟ قال: رسول، قلت».

(٥) في الاستيعاب: «أم تأمرني أن آتي أهل».

(٦) في الاستيعاب: «به أنه خرج».

(٧) في الاستيعاب: «كذا وقلت كذا».

ومنهم عتبة بن غزوان بن جابر، ويقال عتبة بن غزوان بن الحارث بن جابر^(١)
 ابن وهب بن نسيب بن زيد بن مالك بن الحارث بن عوف بن [الحارث بن]^(٢)
 مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار المازني^(٣)
 حليف لبني نوفل بن عبد مناف، يكنى أبا عبد الله، وقيل أبا غزوان، كان^(٤)
 إسلامه بعد ستة رجال، فهو سابع سبعة [في إسلامه]، وقد قال ذلك في خطبته
 بالبصرة: "لقب رأيقتي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله سابع سبعة"^(٥)
 مالنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا". رضى الله عنهم أجمعين.
 وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

ذكر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

الناس إلى الإسلام

قال محمد بن إسحاق^(٦):

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ذهبوا في الشعاب،
 فاستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم في شعب من شعاب مكة، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم
 يصلون، فناكروهم، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم^(٧)، فضرب سعد بن أبي وقاص
 يومئذ رجلا من المشركين بلحى^(٨) بعير، فشجه، فكان أول دم هريق في الإسلام.

- (١) ترجمته في الاستيعاب ٥٠٥، وأسد الغابة ٣: ٣٦٣، والإصابة ٢: ٤٤٨.
- (٢) كذا في الاستيعاب، وفي أسد الغابة: «وهيب».
- (٣) عن أسد الغابة ٣: ٣٦٣.
- (٤) كذا في أسد الغابة وفي الأصل: «بن قيس بن عيلان».
- (٥) في أسد الغابة، والاستيعاب: «مناف بن قيس يكنى».
- (٦) عن أسد الغابة ٣: ٣٦٤. والاستيعاب ٥٠٥، وفي الأصل: «سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، مالنا».
- (٧) نقله ابن هشام ١: ٢٨١. (٨) الخشنى ١: ٨١ «الحلى: العظم الذي على الخد».
- (٩) شجه: جرحه في وجهه أو رأسه.

ثم أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاء به من عند الله ^(١) وأن ينادى الناس بأمره، وأن يدعوهم إلى الله تعالى، فكان يدعو ثلاث سنين ^(٢) مستخفياً، إلى أن أمر الله بإظهار الدعاء.

قال محمد بن سعد ^(٤) : قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ^(٥) : لما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلم الناس نزول الوحي عليه، ويدعوهم إلى الإيمان به، كبر ذلك عليه، فنزل قوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ قَبَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ، قالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية ، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة ، فقال [لهم] ^(٦) : « أيها الناس ، انصرفوا فقد عصمني الله » ، قبل : يعصمكم من قتلهم أن يقتلكم ، فبلغ عند ذلك الرسالة .

وعن الزهري ^(٧) ، قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام سرا وجهراً ، فاستجاب لله تعالى من شاء من أحداث الرجال وضعفاء الناس حتى كثرت من آمن بالله ؛ وكفار قريش غير منكرين لما يقول ، فكان إذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون إليه : إن غلام بنى عبد المطلب ليكلم من السماء ، فكان ذلك حتى عاب الله آلهتهم التي يعبدونها دونه ، وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر ، فعند ذلك عادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وناكروه ؛ وأجمعوا علاقة ^(٨) .

(١) انظر طبقات ابن سعد ١ : ١٣٢ (قسم أول) . (٢) رواية ابن سعد : « بما جاءه من » .

(٣) رواية ابن سعد في الطبقات ١ : ١٣٢ (قسم أول) : « يدعو من أول ما نزلت عليه النبوة ثلاث سنين » .

(٤) في الطبقات ١ : ١٣٢ (قسم أول) . (٥) في دلائل النبوة للبيهقي ورقة ١٤١ .

(٦) عن دلائل النبوة للبيهقي . (٧) طبقات ابن سعد ١ : ١٣٣ . (٨) العلاقة : الخصومة .

قال ابن عباس رضي الله عنه: لما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فقال: «يا معشر قريش»، فقالت قريش: مجد على الصفا يهتف، فأقبلوا واجتمعوا، فقالوا: مالك يا مجد؟ فقال: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُمْ أَنَّ خَيْلًا بَسَفَحَ هَذَا الْجَبَلَ أَكْتُمُ تَصَدُّقُونَنِي؟» قالوا: نعم، أنت عندنا غير مُتَمِّمٍ، وما جربنا عليك كَذِبًا قط، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد يا بني عبد المطلب يا بني عبد مناف يا بني زُهْرَةَ»، حتى عدَّ الأنخاد من قريش «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُنْذِرَ عَشِيرَتِي الْأَقْرَبِينَ، وَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَنَفْعَةً، وَلَا مِنَ الْآخِرَةِ نَصِيبًا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قال: فقال أبو لهب: تَبَّ لَكَ سائر اليوم، ألهذا جمعنا؟ فأنزل الله تعالى (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) السورة كلها. قال الواقدي: (٢) لما أظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ومن معه، وفشا أمره بمكة، ودعا بعضهم بعضاً، فكان أبو بكر يدعو ناحية سراً، وكان سعيد بن زيد مثله، وعثمان مثل ذلك، [وكان عمر يدعو علانية وحزبه (٣) ابن عبد المطلب] وأبو عبيدة بن الجراح، فغضبت قريش من ذلك، وظهر منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد والبغى، وأشخص به منهم رجالٌ فبادروه، وتستر آخرون وهم على ذلك الزأى، إلا أنهم يُترَّهون أنفسهم عن القيام والإشخاص برسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) نقله ابن سعد في الطبقات ١: ١٣٣ (قسم أول)، وابن كثير في البداية ٣: ٣٨ على خلاف في الرواية.

(٢) نقله ابن سعد في الطبقات ١: ١٣٣ (قسم أول).

(٣) في طبقات ابن سعد: «زيد مثل ذلك، وكان عثمان».

(٤) عن ابن سعد في الطبقات ١: ١٣٣ (قسم أول).

(٥) أشخصوا به: ألقوه.

٥

١٠

١٥

٢٠

ذكر أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم

الذين جاهروا بالعداوة

قالوا : كَانَ أَهْلُ الْعَدَاوَةِ وَالْمُبَادَاةِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ الْجَدَلَ وَالْخُصُومَةَ : أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ ، وَأَبُو لَهَبٍ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَالْأَسُودُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ قَيْسٍ بْنِ عَدَى^(١) ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ ، [وَأُمِيَّةُ وَأَبِيّ أَبْنَا خَلَفَ ، وَأَبُو قَيْسٍ بْنُ الْفَاكِهَةِ بْنِ الْمَغِيرَةِ] ، وَالْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَمُنْبَهٌ بْنُ الْحِجَاجِ ، وَزُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمِيَّةٍ ، وَالسَّائِبُ بْنُ صَيْغَى^(٢) [بْنِ عَابِدٍ] ، وَالْأَسُودُ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ ، وَالْعَاصِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، وَالْعَاصِ بْنُ هِشَامٍ ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَأَبُو الْأَصْدَى ، وَهُوَ الَّذِي نَطَحَتْهُ الْأَرْوَى ، وَالْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ ، وَعَدَى بْنُ الْحَمْرَاءِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا جِيرَانَهُ ، وَالَّذِينَ كَانَتْ تَنْتَهَى عِدَاوَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ : أَبُو جَهْلٍ ، وَأَبُو لَهَبٍ ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَكَانَ عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ أَهْلَ عِدَاوَةٍ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُشَخِّصُوا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانُوا كَتَحَوِّقْرِيشَ ، وَلَمْ يُسَلِّمْ مِنْ هَؤُلَاءِ إِلَّا أَبُو سُفْيَانَ وَالْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ .

٦٦
١٤

- ١٥ (١) انظر طبقات ابن سعد ١ : ١٣٣ (قسم أول) .
 (٢) عن ابن سعد ١ : ١٣٣ (قسم أول) .
 (٣) عن ابن سعد أيضا .
 (٤) في طبقات ابن سعد : « ابن هاشم » .
 (٥) ابن سعد : « وابن الأصدى هذا » .
 (٦) في الأصل : « والذي كانت » تصحيف .
 ٢٠ (٧) انظر طبقات ابن سعد ١ : ١٣٤ : (قسم أول) ، وشرح المواهب ١ : ٢٨٢ ، والبداية

ذكر دخول قريش على أبي طالب في أمر رسول الله

صلى الله عليه وسلم وما كان بينهم من المحاورات

قال محمد بن إسحاق ^(١) :

لما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُعْتَبَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْكَرُوهُ ^(٢) عليه، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حَبِبَ عليه ، وقام دونه فلم يُسَلِّمْهُ لَهُمْ ، مَشَى ^(٣) رجال من أشرف قريش إلى أبي طالب ، وهم : عَقْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رُبَيْعَةَ ابن عبد شمس ، وأبو سُفْيَانُ صَخْرُ بْنُ حَرْبٍ ، وأبو الْبَخْتَرِيِّ الْعَاصُ بْنُ هِشَامٍ ، وَالْأَسُودُ بْنُ الْمُطَّلَبِ بْنِ أَسَدٍ ، وَأَبُو جَهْلٌ عَمْرُو بْنُ هِشَامٍ ، وَنَبِيْهٌ وَمُنَبِّهٌ ابْنَا الْحِجَّاجِ ابن عامر، والعاص بن وائل ، فقالوا : يَا أَبَا طَالِبٍ ، إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ قَدْ سَبَّ آلَهُنَا وَعَابَ دِينَنَا وَسَفَهَ أَحْلَامَنَا وَضَلَّ آبَاءَنَا ، فَمَا أَنْ تَكْفَهُنَا ، وَإِمَّا أَنْ تَحُلِّيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ، فَإِنَّكَ عَلَى سَبِيلٍ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ فَتَكْفِيكَ ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو طَالِبٍ ^(٤) قُولَا رَفِيقًا ، وَرَدِّهِمْ وَدَا جَمِيلًا ، فَأَنْصَرَفُوا عَنْهُ .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه يُظْهِرُ دِينَ اللَّهِ وَيَدْعُو إِلَيْهِ ، ثُمَّ شَرَى الْأُمُرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ حَتَّى تَبَاعَدَ الرِّجَالُ وَتَضَاعَفُوا ، وَأَكْثَرَتْ قُرَيْشُ ذِكْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهَا ، فَتَذَامَرُوا فِيهِ ، وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهِ ،

(١) قتله ابن هشام في السيرة ١ : ٢٨٢ ، وانظر عيون الأثر ١ : ٩٩ .

(٢) لا بينهم ؛ يقال استعني فأعنته : أى أرضيته وأزلت العتاب عنه .

(٣) في عيون الأثر ١ : ٩٩ : « ولم يسلمه » .

(٤) في الطبري ٢ : ٢١٨ و عيون الأثر ١ : ٩٩ ، والبداية ٣ : ٤٧ : « على مثل » .

(٥) شري الأمر : اشتد واستفصل ، وفي الأصل : « سري » تصحيف .

(٦) تذامروا : أى تلاوموا على فوت الفرصة ، أم حض بعضهم بعضا على الجد في القتال . وانظر

شرح المواهب للزرقاني ١ : ٢٤٨ .

ثم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا : يا أبا طالب ، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة
 فينا ، وإنا قد استهينتك من ابن أخيك فلم تنه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا ، من
 شتم آبائنا ، وتسفيه أعلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا ، أو ننزله وإياك في ذلك
 حتى يهلك أحد الفريقين ؛ ثم انصرفوا عنه ، فعظم على أبي طالب فراق قومه
 وعداوتهم ، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خذلانه .
 فبعث أبو طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يابن أخي ، إن قومك قد
 جاءوني فقالوا لي كذا وكذا ، فأبقي على وعلى نفسك ، ولا تجلّني من الأمر ما لا أطيق ؛
 قال : فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعنه فيه ، وأنه خاذله ومسأله ،
 وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه ، فقال له : ” يا عم ، والله لو وضعوا الشمس
 في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه
 ما تركته ” ، ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام ، فلما ولي ناداه أبو طالب
 فقال : أقبل يابن أخي ، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اذهب
 يابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً .

قال : ثم إن قريشاً لما عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وإسلامه ، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم ، مشوا إليه بجماعة
 ابن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له : يا أبا طالب ، هذا عمار بن الوليد أنهد قتي في قريش
 وأجمله ، نخذه فلك عقله ونصره ، واتخذ ولداً فهو لك خير ، وأسلم لنا ابن أخيك هذا

(١) في الأصل : « قد بذل » .

(٢) في البداية (٣ : ٤٨) عن ابن إسحاق : « فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم » .

(٣) في سيرة ابن هشام : ١ : ٢٨٥ ، وعيون الأثر : ١ : ١٠٠ ، والبداية ٣ : ٤٨ : « وسلم فيكي ثم قام » .

(٤) الفائل ابن إسحاق ، وانظر السيرة لابن هشام : ١ : ٢٨٥ ، وعيون الأثر : ١ : ١٠٠ .

(٥) في سيرة ابن هشام : ١ : ٢٨٥ ، وعيون الأثر : « حين عرفوا » .

(٦) أنهد : أشد وأقوى .

الذى قد خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفّه أحلامهم فنقلته،
 لأنما هو رجل برجل، قال: والله لبئس ما تسومونى، أتعطونى ابتكم أغنؤوه لكم،
 وأعطيتكم ابني تقتلونوه؟ هذا والله ما لا يكون أبدا، فقال له المطعم^(٣) بن عدي^(٤)
 ابن نوفل بن عبد مناف بن قصي: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا
 على التخلص مما تكره، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا؟ فقال له أبو طالب: والله
 ما أنصفوني، ولكم أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم علي، فاصنع ما بدا لك،
 فحقب الأمر، وحيت الحرب، وتنابد القوم، وبأدى بعضهم بعضا.

قال الواقدي^(٧):

لما أجازهم أبو طالب بما قدمناه من أنهم ما أنصفوه قالوا له: فأرسل
 إليه فلنعطيه النصف، فأرسل إليه أبو طالب، بقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم،
 فقال: يا بن أختي، هؤلاء عمومتك، وأشراف قومك، وقد أرادوا ينصفونك، فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قولوا أسمع" قالوا: تدعنا وأهتنا، وتدعك وأهلك،
 قال أبو طالب: قد أنصفك القوم فاقبل منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
 "أرايتكم إن أعطيتكم هذه هل أتم معطي كلمة إن أتم تكلمتم بها، ملكتم بها العرب،
 ودانت لكم بها الحزم؟" فقال أبو جهل: إن هذه لكلمة مريجة، نعم، وأبيك

(١) في الأصل، وعيون الأثر: «رجل كرجل»، وانظر البداية ٣: ٤٨.

(٢) في سيرة ابن هشام ١: ٢٨٥: «فقال».

(٣) في الأصل: «أتعطوني».

(٤) في الأصل: «فقال له المطعم» تصحيف، وانظر الطبري ٢: ٢٢٠.

(٥) في سيرة ابن هشام ١: ٢٦٨، وعيون الأثر: «قد أجمعت».

(٦) حقب الأمر: زاد واشتد.

(٧) نقله ابن سعد في الطبقات ١: ١٣٥ (قسم أول).

(٨) في رواية ابن سعد: «أرايتكم».

لنقلولتها وعشر أمثالها ، قال : ” قولوا لا إله إلا الله “ ، فاشتمأزوا وتقرؤا منها
وغضبوا ، وقاموا وهم يقولون : ((وَأَصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ)) ، ويقال :
إن الذي تكلم بها عتبة بن أبي معيط ، وقالوا : لا تعود إليه أبداً ، وما خير من أن
نقتال مجداً . فلما كان من تلك الليلة ، فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاء
أبو طالب وعمومته إلى منزله فلم يجدوه ، فجمع فتيانا من بنى هاشم وبنى المطلب ،
ثم قال : ليأخذ كل واحد حديدة صارمة ، ثم لينبغني إذا دخلت المسجد فليجلس
كل فتى منكم إلى عظيم من عظمائهم ، فيهم ابن الحنظلية ، يعني أبا جهل ، فإنه لم ينبغ
عن شر إن كان عهد قد قُتِل ، فقال الفتيان : نفعل ، فجاء زيد بن حارثة ، فوجد
أبا طالب على تلك الحال ، فقال : يا زيد ، أحسست ، ابن أخي ؟ قال : نعم ، كنت
معه آنفاً ، فقال أبو طالب : لا أدخل بيتي أبداً حتى أراه ، فخرج زيد مسرعا حتى
أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت عند الصفا ، ومعه أصحابه يتجذثون ،
فأخبره الخبر ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي طالب ، فقال : يا ابن أخي ،
أين كنت ؟ أكنت في خير ؟ قال : نعم ، قال : ادخل بيتك ، فدخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فلما أصبح أبو طالب غدا على النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ
بيده فوقف على أندية قُرَيْش ومعه الفتيان الهاشميون والمطلبيون ، فقال : يا معشر
قُرَيْش ، هل تدرون ما هممت به ؟ قالوا : لا . فأخبرهم الخبر ، وقال للفتيان :
اكشفوا عما في أيديكم ، فكشفوا فإذا كل رجل معه حديدة صارمة ، فقال :
والله لو قتلتموه ما بقيت منكم أحدا حتى نتفانى نحن وآتم ، فانكسر القوم ، وكان
أشدهم انكسارا أبو جهل .

(١) ابن سعد : « يقال محمد » . (٢) ابن سعد « كان مساء تلك » .

(٣) أحسست : هل رأيت .

ذكر تحزب قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذاهم له ولاصحابه

قال ابن إسحاق ^(١) :

لما أيسر قريش من أبي طالب، وأنه لا يتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يسلمه أبداً، تأمرُوا بينهم على من في القبائل من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم [الذين أسلموا معه] ^(٢)، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين
يُعذّبونهم ويفتنونهم عن دينهم، فقام أبو طالب حين رأى قريشاً يصنعون ذلك
في بني هاشم وبني المطلب، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه
وسلم والقيام بدونه، فقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلا ما كان من أبي لهب
فإنه تمادى على غيّه وكفّره .

قال ^(٣) : ثم اجتمع نفر من قريش إلى الوليد بن المغيرة، وكان ذا من فيهم وقد
حضر الموسم فقال لهم : يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود
العرب ستفد عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فاجتمعوا فيه رأياً واحداً،
ولا تختلفوا في كذب بعضكم بعضاً ويردّ قولكم بعضه بعضاً، قالوا : فانت
يا أبا عبد شمس فقل، وأقم لنا رأياً نقول به، قال : بل أتم فقولوا أسمع، قالوا :
نقول كاهن، قال : لا، والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة ^(٤)

(١) انظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٧ .

(٢) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٧ : « تأمرُوا » ، وانظر الزرقاني ١ : ٢٤٨ ، والبداية ٣ : ٤٩ .

(٣) عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٧ ، وانظر الزرقاني ١ : ٢٤٨ ، والبداية ٣ : ٤٩ .

(٤) القائل ابن إسحاق ، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٨ وعبون الأثر ١ : ١٠١ .

(٥) في عبون الأثر : « ستقدم » .

(٦) في الأصل : « برمرة » .

الكاهن ولا سمجعه، قالوا : فنقول مجنون ، قال : ما هو مجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو مجنونه ولا نحاجله ولا وسوسته، قالوا : فنقول شاعر ، قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجته وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر، قالوا : فنقول : ساحر، قال : ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرم، فما هو بمتنه ولا عقده، قالوا : فما تقول يا أبا عبد شمس؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق^(٢)، وإن فرعه لجناة، وما أتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرِف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه أن تقولوا: ساحر، جاء بقول هو سحر يُفَرِّق بين المرء وأبيه، وبين المرء [وأخيه، وبين المرء] وزوجه، وبين المرء وعشيرته. فنفزقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبيل الناس حين قدموا الموسم، لا يمتز بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا له أمره، فأنزل الله تعالى في الوليد ابن المغيرة : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُودًا وَمَهْدَتْ لَهُ نَمِيمًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴾ أى خصيماً مخالفاً ﴿ سَأَرِهِنَّ صَعُودًا إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقَتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴾ . قال ابن هشام : بسر أى كره وجهه، ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ .

٦٨
١٤

(١) في عيون الأثر : « والله ما هو » .

(٢) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٩ : « بنقهم ، ولا عقدهم » .

(٣) يروى أيضاً : « لعذق » بنين معجزة ، وكسر الدال ، وفي الأصل : « لعذقه » ، وانظر

شرح المواهب ١ : ٢٥١ ، وعيون الأثر ١ : ١٠١ .

(٤) في عيون الأثر ١ : ١٠١ : « يفرق به بين » .

(٥) عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٩ ، وعيون الأثر ١ : ١٠١ .

(٦) في السيرة ١ : ٢٨٩ .

قال ابن إسحاق ^(١) :

وأَنزل الله في النَّفَر الذين كانوا معه يَصْنِفُونَ الْقَوْل في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيما جاء به من عند الله : ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ اى أصنافا ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

قال ابن إسحاق ^(٢) :

وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتشر ذِكْرُه في بلاد العرب كلها . قال : ثم ابتدأت قُرَيْش في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهم ، فَأَغْرَوْا به صلى الله عليه وسلم سفهاءهم ، فكذبوه وأذوه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُظْهَرٌ لأمر الله لا يستخفى به ، مُبَايَ لَمْ بما يكرهون من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه إِيَّاهُمْ على كفرهم .

قال محمد بن إسحاق ^(٣) :

حدثني يحيى بن عُمَرُو عن الزُّبَيْر عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، قال : قلت له ما أَكْثَرُ ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانوا يُظْهِرون من عداوته ؟ قال : حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحِجْر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ما رأينا مثَلما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قَطْ ؛ سَفَهَ أحلامنا ، وشتم آباءنا ،

(١) نقله ابن هشام في السيرة ١ : ٢٩٠ .

(٢) نقله ابن هشام ١ : ٢٩١ ، وانظر عبون الأثر ١ : ١٠١ .

(٣) نقله ابن هشام ١ : ٣٠٨ .

(٤) في الأصل : « وفراق آبائهم » تحريف .

(٥) انظر تاريخ الطبري ٢ : ٢٢٣ .

(٦) في تاريخ الطبري ٢ : ٢٢٣ : « أصابت ... كانت تظهر » .

- وعاب ديننا ، وفترق جماعتنا ، وسب آئتنا ؛ لقد صَبَرنا منه على أمرٍ عظيم ، أو كما قالوا ؛ فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يميني حتى استلم الركن ، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت ، فغمزوه ببعض القول ، قال : «عرفتُ ذلك في وجهه صلى الله عليه وسلم ، ثم مضى ، فلما مرَّ بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفتُ ذلك في وجهه ، ثم مرَّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ثم قال : "أتسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح"^(١) . قال : فأخذتُ كلمته القوم حتى ما منهم رجلٌ إلا كَأَنَّما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاةً قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم ، فوالله ما كنتُ جهولاً ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكركم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى إذا دنا منكم وباداكم بما تكرهون تركتموه ، فبينما هم في ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا إليه وشبه رجل واحد ، فأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول : "نعم ، أنا الذي أقول ذلك" . قال : فلقد رأيتُ رجلاً منهم أخذ يجمع رِدائه ، فقام أبو بكر دونه وهو يبكي ويقول : (أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ) ، ثم انصرفوا عنه . فإن ذلك لأشدَّ ما رأيتُ قريشاً نالوا منه قط .^(٥)

(١) زاد أبو نعيم في الدلائل ص ١٦٥ : « ... وأشار بيده إلى حلقه » . وفي الأصل :

« بالريح » ، والمثبت عن ابن هشام ٣٠٩ : ١ ، وانظر شرح المواهب ٢٥١ :

(٢) الوصاة : الوصية . (٣) ليرفؤه : يهذئه .

(٤) في تاريخ الطبري ٢ : ٢٢٣ : « جمع رِدائه » .

(٥) ذكر هذا الخبر بمناه في شرح المواهب ٢٥١ : ١ ، وانظر الطبري ٢ : ٢٢٣ .

قالت أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما : لقد رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه مما جَبَذُوهُ بِلِحِيَّتِهِ ، وكان رجلاً كثير الشعر .

وخرج الترمذي الحكيم في «نَوَادِر الْأَصُول» ، من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : اجتمعت قريش بعد وفاة أبي طالب بثلاث فأرادوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل هذا يَحْمَاهُ وهذا يُتَلِّلُهُ ، فاستغاث النبي صلى الله عليه وسلم فلم يَغْنِهِ أحد إلا أبو بكر وله صغيرتان ، فأقبل يَحْمَاهُ ذَا وَيُتَلِّلُ ذَا ، ويقول بأعلى صوته : وَيْلَكُمْ ، ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ ، والله إنه لرسول الله ، فَقُطِعَتْ إحدى صغيرتي أبي بكر يومئذ ، فقال علي : والله ليوم أبي بكر خير من مؤمن آل فرعون ، ذاك رجل كتم إيمانه فَأَخْنَى الله عليه في كتابه ، وهذا أبو بكر أظهر إيمانه وبذل ماله ودمه لله عز وجل .

قال ابن هشام ^(١) :

حدثني بعض أهل العلم : أن أشد ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش : أنه خرج يوماً فلم يلقه أحد من الناس إلا كَذَّبَهُ وآذَاهُ ^(٥) [لَا] حُرُولا عبد ، فرجع صلى الله عليه وسلم إلى منزله فتدثر من شدة ما أصابه ، فَأَنْزَلَ الله عز وجل عليه : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ .

(١) في الأصل : « فوق » ، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ٣١٠ .

(٢) في شرح المواهب ١ : ٢٥٢ : « وهذا يتلوه » .

(٣) نقله بمعناه في شرح المواهب ١ : ٢٥٢ .

(٤) في السيرة ١ : ٣٨٠ .

(٥) في الأصل : « وآذاه حرولا » .

ذكرُ إسلام حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله

صلى الله عليه وسلم

قال محمد بن إسحاق ^(١):

حدثني رجلٌ من أسلم ^(٢) كان واعيةً : أن أبا جهل بن هشام مر برسول الله

صلى الله عليه وسلم عند الصفا فأذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه ، والتضعيف لأمره ، فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومولاة

لعبد الله بن جُدعان تسمعُ ذلك ، ثم انصرف أبو جهل عنه عامداً إلى نادي

قريش عند الكعبة ، فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحاً قوسه ، راجعاً ^(٣)

من قنيس له ، وكان حمزة أعز قتي في قريش وأشدّه شيكمة ، فلما مر بمولاة

ابن جُدعان قالت له : يا أبا عُمارة : لو رأيت ما لقي ابن أخيك عداً أنفأ من أبي جهل

ابن هشام ؟ وجده ههنا جالساً فأذاه وسبّه ، وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه

ولم يكلمه مجد ، فغضب حمزة ، فخرج يسعى حتى دخل المسجد فنظر إلى أبي جهل

جالساً في القوم ، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ، فشجه

شجّة منكّرة ، ثم قال : أنشتمه ؟ فأنا على دينه أقول ما يقول ، فردّ ذلك على أن ^(٤)

استطعت ، فقامت رجال بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل :

دعوا أبا عُمارة ، فإنّي والله لقد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً ، وتمّ حمزة على إسلامه ،

وعلى ما بايع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله ؛ فلما أسلم حمزة عرفت ^(٥)

(١) نقله ابن هشام في السيرة ١ : ٣١١ ، وانظر شرح المواهب ١ : ٢٥٥ .

(٢) في عيون الأثر ١ : ١٠٤ : « وكان واعية » .

(٣) في عيون الأثر : « متوشحاً سيفه » .

(٤) في سيرة ابن هشام ١ : ٣١٢ ، وشرح المواهب ١ : ٢٥٦ : « وأنا » .

(٥) في سيرة ابن هشام ١ : ٣١٢ : « ما تابع » ، وانظر شرح المواهب ١ : ٢٦٥ .

قُرَيْشُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ عَزَّزَ وَأَمْتَنَعَ ، وَأَنْ حِمَزَةَ سَمِعْنَاهُ ، فَكَفُّوا
عَنْ بَعْضِ مَا كَانُوا يَنَالُونَ مِنْهُ قَبْلُ ، قَالَ : وَكَانَ إِسْلَامُ حِمَزَةَ قَبْلَ إِسْلَامِ عُمَرَ
ابْنِ الْخَطَّابِ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا — بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ^(١) .

ذَكَرَ مُشِيَّ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَالْوَلِيدَ بْنَ الْمَغِيرَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسَمَاعَهُمَا الْقُرْآنَ ، وَاعْتَرَفَ بِهِمَا أَنَّهُ لَا يَشْبَهُ شَيْئًا
مِنْ كَلَامِهِمْ ، وَمَا أَشَارَ [بِهِ] عُتْبَةُ عَلَى أَشْرَافِ قُرَيْشٍ فِي أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ^(٢) :

حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ قَالَ : حَدَّثْتُ أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ
رَبِيعَةَ — وَكَانَ سَبْدًا — قَالَ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحْدَهُ : يَأْمَعُشِرُ قُرَيْشٍ ، أَلَا أَقُومُ إِلَى مُحَمَّدٍ فَأَكَلِمَهُ
وَأَعِيرَ ضَ عَلَيْهِ أُمُورًا ، لَعَلَّهُ يَقْبَلُ بَعْضَهَا فَنُعْطِيهِهَا أَيُّهَا شَاءَ وَيَكْفَ عَنَّا ؟ وَذَلِكَ
حِينَ أَسْلَمَ حِمَزَةُ ، وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزِيدُونَ وَيَكْثُرُونَ ،
فَقَالُوا : بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ ، فَقُمْ إِلَيْهِ فَكَلِّمَهُ ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُتْبَةُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا بَنَ أَخِي ، إِنَّكَ مِنْهَا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنَ السُّطَّةِ
فِي الْعَشِيرَةِ ، وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ ، وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرِ عَظِيمٍ فَفَرَّقْتَ بِهِ
جَمَاعَتَهُمْ ، وَسَفَّهْتَ بِهِ أَحْلَامَهُمْ ، وَعَبَّيْتَ بِهِ أَهْلَهُمْ وَدِينَهُمْ ^(٣) ، وَكَفَّرْتَ بِهِ مِنْ مَضَى

(١) فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ ١ : ٢٥٦ : « سَنَةَ سِتٍّ مِنَ النَّبُوَّةِ وَقِيلَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ » ، وَانْظُرْ أَسَدَ

الغَابَةِ ٢ : ٤٦ — ٥٠ . (٢) قَتْلَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيَرَةِ ١ : ٣١٣ ، وَابْنُ سَيِّدِ النَّاسِ

فِي عَيُونِ الْأَثَرِ ١ : ١٠٥ . (٣) فِي عَيُونِ الْأَثَرِ : « ابْنُ أَبِي زِيَادٍ » .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « عَيْتٌ » ، وَالتَّبَيَّنَتْ رَوَايَةُ ابْنِ هِشَامٍ .

من آباءهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال :
 « قل يا أبا الوليد اسمع »، قال : يابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا
 الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى نكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا
 سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن
 كان هذا الذي ياتيك ربيّا تراه لا نستطيع رده من نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه
 أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، أو كما قال
 له . حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه قال : « أفد فرغت
 يا أبا الوليد »؟ قال : نعم، قال : « فاستمع مني »، قال : أفعل، قال : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .
 حَمْدٌ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيرًا
 وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ)^(٤) . ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها
 يستمع منه، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجد، ثم قال :
 « قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك ».

فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم
 أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك

(١) كذا في سيرة ابن هشام ١ : ٢١٣، وفي شرح المواهب ١ : ٢٥٨ : « منا » .

(٢) الرق يفتح الراء فهزة مكسورة فياء مشددة : التابع من الجن، وقيل : التابع المحبوب من
 الجن . وانظر النهاية (رأى)، وشرح المواهب ١ : ٢٥٨ .

(٣) في سيرة ابن هشام ١ : ٣١٤ : « يستمع » .

(٤) سورة فصلت الآيات من ١ - ٤ .

(٥) في الأصل : « معتمدا عليها »، والمثبت رواية ابن هشام .

(٦) حيون الأثر ١ : ١٠٦ : « السجدة منها فسجد » .

٧٠
١٤

يا أبا الوليد ؟ قال : ورأى أنى سمعتُ قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة ، يا معشر قريش ، أطيعونى واجعلوها بى ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فأعزلوه ، فوالله ليكون لقوله الذى سمعتُ نبأاً [عظيم] ، فإن تصبه العرب فقد كُفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزّه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ؛ فقالوا : سحرَكَ والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأى فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم .

وروى أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي^(٥٠) بسنده إلى جابر بن عبد الله ، قال : قال أبو جهل والملا من قريش : لقد انتشر علينا أمر محمد ، فلو التستم رجلاً علماً بالسحر والكهانة والشعر فكلّمه ، ثم أتانا ببيان أمره ؟ فقال عتبة : لقد سمعتُ بقول السحرة والكهانة والشعر ، وعلمت من ذلك علماً ، وما يخفى علىّ إن كان كذلك ، فأتاه عتبة فقال : يا محمد ، أنت خير أم هاشم ؟ [أنت خير أم عبد المطلب] ؟ أنت خير أم عبد الله ؟ فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فيم تشتم آلهتنا ، وتضلّ آباءنا ؟ فإن كنت إنما بك الرئاسة عقدنا ألويتنا لك ، فكنت رأسنا ما بقيت ، وإن كان بك الباه زوجناك عشر نسوة تختار من أى بنات قريش شئت ، وإن كان بك المال جمعنا لك من أموالنا ما تستغنى بها أنت وعقبك من بعدك ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلّم ؛ فلما فرغ من حديثه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) في سيرة ابن هشام : « أنى قد سمعت » .

(٢) في الأصل ، وعيون الأثر ١ : ١٠٦ : « نبأ فإن » ، والرواية المثبتة عن ابن هشام ١ : ٣١٤ .

(٣) في الأصل : « لغيركم » . (٤) في سيرة ابن هشام ، وعيون الأثر : « قالوا » .

(٥) دلائل النبوة ورقة ١٤٦ . (٦) في دلائل النبوة : « فأتاه » ، فلما أتاه قال له عتبة .

(٧) عن دلائل النبوة .

(١) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَمَّ . نَزَّلَ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ (١) حتى بلغ قوله تعالى : (صَاعِقَةٌ مِثْلُ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) (٢) ، فأمسك عتبة على في النبي صلى الله عليه وسلم ، وناشدته الرحم أن يكف ، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم ؛ فقال أبو جهل : يا عتبة ، ما حسبتنا إلا أنك صبرت إلى مجد وأعجبك أمره ، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يُغنيك عن طعام مجد ، فغضب وأقسم بالله لا يكلم مجدًا أبدا ، وقال : لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا ، ولكنني أتيت ، وقص عليهم القصة ، قال : فأجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا شعر ولا كهانة ، قرأ على : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَمَّ) إلى قوله : (مِثْلُ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) فأمسكت فيه وناشدته الرحم أن يكف ، وقد علمتم أن مجدًا إذا قال شيئًا لم يكذب فيه ، نفخت أن ينزل بكم العذاب .

وأما الوليد بن المغيرة فقد روى أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي بسنده عن عكرمة عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن ، فكانه رَقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه فقال : يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا ، قال : لم ؟ قال : يُعطوكه ، فإنك أتيت مجدًا تعرض لمسا قبله ، قال : قد علمت قريش أني من أكثرها مالا ، قال : فقل فيه قولًا يبلغ قومك أنك مُنكرٌ له ، وأنت كاره له ، فقال : وما ذا أقول ؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا ، [و] والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مُعْدِقٌ أسفله ، وإنه ليعلو وما يُعلى ، وإنه ليحطم ما تحته . قال :

(١) سورة فصلت الآيات من ١ - ٣ (٢) سورة فصلت آية ١٣
(٣) دلائل النبوة ورقة ١٤٥ . (٤) في دلائل النبوة : « منكرها » .
(٥) في دلائل النبوة : « قال » . (٦) تكملة من دلائل النبوة .

لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه . قال : فدعني حتى أفكر فيه ، فلما فكر قال :
هذا سحر يؤثر ، يآثره عن غيره ، فنزل قوله تعالى : ^(١) (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ^(٢) ...)
الآيات .

وعن عكرمة أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له :
اقرأ علي ، فقرأ عليه : ^(٣) (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ، وَيَنْهَى
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ، قال : أعد علي ، فأعاد عليه
النبي صلى الله عليه وسلم فقال : والله إن له لحلاوة ، وإن ^(٤) [عليه لطلاوة ، وإن] أعلاه
لمنعم ، وإن أسفله لمغديق ، وما يقول هذا بشراً .

ذكر اجتماع أشراف قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما عرضوا عليه وما طلبوا منه أن يرهم ويخبرهم به من القصص ، وأخبار
من سلف وغير ذلك من غيهم ، وما أنزل عليه في ذلك مما سذكروه إن شاء الله
تعالى ، ويترجم على بعض ما انطوت عليه هذه الترجمة من القصص بما يدل عليها ،
وسيتها من التراجم وإن كانت داخلة فيها .
قال محمد بن إسحاق ^(٥) :

ثم إن الإسلام جعل يفشو بمكة في قبائل قريش ، في الرجال والنساء ،
وقريش تحبس من قدرت على حبسه ، وتفقي من استطاعت فتنته
من المسلمين ، ثم اجتمعت أشراف قريش من كل قبيلة ، كما روى عن سعيد بن

(١) في الأصل : « فآثره عن غيره » وانظر دلائل النبوة ورقة ١٤٥ .

(٢) سورة المدثر آية ١١ .

(٣) سورة النحل آية ٩٠ .

(٤) في الأصل : « لحلاوة ، وإن أعلاه » ، والتكلمة عن البيهقي حيث النقل عنه .

(٥) انظر سيرة ابن هشام ١ : ٣١٥ .

جُبَيْرُ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَا : اجْتَمَعَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَأَبُو سُفْيَانَ
ابْنُ حَرْبٍ ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ ، وَالْأَسْوَدُ
ابْنُ الْمُطَّلَبِ بْنِ أَسَدٍ ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ ، وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ ،
وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ، وَالْعَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ ، وَتُبَيْعٌ وَمُنْبَةُ ابْنَا الْحِجَّاجِ السَّهْمِيِّانِ ، وَأُمَيَّةُ
ابْنُ خَلْفٍ ، أَوْ مَنْ اجْتَمَعَ مِنْهُمْ ، فَاجْتَمَعُوا بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ عِنْدَ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ ،
ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : ابْعَثُوا إِلَى مُحَمَّدٍ فَكَلِّمُوهُ وَخَاصِمُوهُ حَتَّى تُعْذِرُوا فِيهِ ، فَبَعَثُوا
إِلَيْهِ : إِنَّ أَشْرَافَ قَوْمِكَ قَدْ اجْتَمَعُوا لَكَ لِيَكْتُمُوكَ ، فَأَتَيْهِمْ ، بِغَاءِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيعًا ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ قَدْ بَدَأَ لَهُمْ فِيمَا كَلَّمَهُمْ فِيهِ بَدَاءً ، وَكَانَ حَرِيصًا عَلَيْهِمْ ،
يُحِبُّ رُشْدَهُمْ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِمْ فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ إِنَّا قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ لِنَكَلِّمَكَ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ
لَا نَعْلَمُ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ أَدْخَلَ عَلَى قَوْمِهِ مَا أَدْخَلْتَ [عَلَى قَوْمِكَ] ، لَقَدْ شَتَمْتَ الْآبَاءَ ،
وَعَبَتِ الدِّينَ ، وَسَبَّتِ الْآلِهَةَ ، وَسَفَّهْتَ الْأَحْلَامَ ، وَفَرَقْتَ الْجَمَاعَةَ ، فَمَا بَقِيَ أَمْرٌ قَبِيحٌ
إِلَّا وَقَدْ جِئْتَهُ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ، أَوْ كَمَا قَالُوا لَهُ ، فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا جِئْتَ بِهَذَا الْحَدِيثِ
تَطْلُبُ بِهِ مَالًا جَعَلْنَاكَ ، وَكَلِّمُوهُ بِنَحْوِ مَا كَلَّمَهُ بِهِ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ عَلَى مَا قَدَّمْنَاهُ أَنْفَاءً .
فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا بِي [مَا] تَقُولُونَ ، مَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُمْ أَطْلُبُ
بِهِ أَمْوَالَكُمْ ، وَلَا الشَّرَفَ فِيكُمْ ، وَلَا الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولًا
وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمْ كِتَابًا ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، فَلَبَّيْتُ لَكُمْ رَسُولًا رَبِّي
وَنَصَحْتُ لَكُمْ ، فَإِنْ تَقَبَّلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَقٌّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ

(١) فِي ابْنِ هِشَامٍ بَعْدَ قَوْلِهِ « رُشْدَهُمْ » : « وَيُزَعِّي عَلَيْهِ عَنْهُمْ » .

(٢) تَكْلِمَةُ مَنْ ابْنِ هِشَامٍ الْجُزْءُ الْأَوَّلُ ص ٣١٥ .

(٣) فِي سِرَةِ ابْنِ هِشَامٍ : « وَشَتَمْتَ الْآلِهَةَ » .

(٤) تَكْلِمَةُ عَنْ ابْنِ هِشَامٍ .

(٥) فِي ابْنِ هِشَامٍ « عَلَى » وَهُوَ الصَّوَابُ .

تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم“ أو كما قال — صلى الله عليه وسلم — . [قالوا يا محمد] : ^(١) فإن كنت غير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيّق بلدا، ولا أقل ماء ولا أشدّ عيشا منا ، فسل لنا ربك الذي بعثك به فابسير عنا هذه الجبال التي ضيّقت علينا ، وليبسّط لنا بلادنا ، وليخرق لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يُبعث لنا منهم قصي بن كلاب ، فإنه كان شيخ صدق ، فندأ لهم عما تقول : أحقّ هو أم باطل ، فإن صدقوك وصنعت لنا ما سألناك عرفنا به مترثك من الله ، وأنه بعثك رسولا كما تقول . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” ما بهذا بُعث إليكم ، إنما جئكم من الله بما بعثني به ، وقد بلغتكم ما أُرسلت به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم“ . قالوا له : فإذا لم تفعل هذا لنا نفذ لنفسك ، سل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وماله فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما تراك تبغى ، فإنك تقوم بالأسواق كما تقوم ، وتلتبس المعاش كما تلتبس ، حتى نعرف فضلك ومترثك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم ؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا ، وما بُعث إليكم بهذا ، ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا“ ، — أو كما قال — ” فإن تقبلوا ما جئكم به فهو حظكم

(١) تمكلة عن ابن هشام يقتضيا سياق الكلام .

(٢) رواية ابن هشام « وليفجر » .

- في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم“ .
- قالوا : فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ، فإننا لا نؤمن لك إلا أن تفعل . فقال صلى الله عليه وسلم : ” ذلك إلى الله ، إن شاء يفعله بكم فعل “ قالوا : يا محمد ، أفما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألتناك عنه ونطلب ، فيتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به ، ويخبرك بما هو صانع في ذلك بنا ، إذ لم تقبل منك ما جئتنا به ؟ إنه قد بلغنا أنك إنما تعلمك هذا رجل بالإمامة يقال له الرحمن ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً ، فقد أعذرنا إليك يا محمد ، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا : وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة ، وهى بنات الله . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتى بالله والملائكة قبيلاً ؛ فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قام عنهم وقام معه عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة — وهو ابن عمته — فقال له : يا محمد ، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أموراً يعرفونها بها منزلك من الله كما تقول ، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ، ومنزلك من الله فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل — أو كما قال له — فوالله لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ، ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ، ثم تأتي معك بصك ، ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وأيم الله لو فعلت ذلك ما ظننت أنى أصدقك ؛ ثم أنصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا أسفالياً فاته مما كان يطعم به من قومه حين دعوه .

٧٢
١٤

ذكر قصة أبي جهل في الحجر الذي قصد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم به ، وما شاهدته من حماية الله تعالى لنبيه ، وكفايته إياه ورجوعه إلى قومه وإخبارهم بما شاهد

قال ابن إسحاق : ولما قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو جهل : يا معشر قريش ، إن^(١) هذا قد أبى إلّا ما ترون من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسفيه أعلامنا ، وسب آلهتنا ، وإنى أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطبق حمله ، فإذا سجد فضضت به رأسه ، فأسلموني عند ذلك أو آمنوني ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ، قالوا : والله لا نُسلمك لشيء أبدا ، فأمض لما تريد ، فلما أصبح أخذ حجرا كما وصف ، ثم جلس ينتظره ، وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى إلى بيت المقدس : وكان إذا صلى بين الركن اليماني والحجر الأسود : وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، وقام يصلى وقريش في أيديهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ثم أتى نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزما متقيعا لونه ، مرعوبا قد دبست يده على حجره حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجال قريش فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ فقال : قمت إليه لأفعل^(٢) [به] ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرض لى دونه فخل من الإبل ، والله ما رأيت مثل هامته

(١) في السيرة لابن هشام ج ١ ص ٣١٩ : « وشتم » .

(٢) عبارة السيرة « أقبل » .

(٣) تكملة من ابن هشام .

ولا قَصَرْتَهُ ولا أنْيَابَهُ لفحلي قط ، فهم أن يا كلني . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ذاك جبريل لو دنا لأخذه" .

ومثل هذه القصة أيضا ، مارواه ابن إسحاق قال : قدم رجل من إراش — ويقال إراشة^(٢) — بإيل له مكة فأتاعها منه أبو جهل ، فطَّله بأثمانها ، فأقبل الإراشي حتى وقف

على ناد من أندية قريش ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في ناحية المسجد جالس ، فقال الإراشي : يا معشر قريش ، من رجل يؤديني على أبي الحكم بن هشام ، فإني رجل غريب^(٣) ابن سبيل ، وقد غلبني على حق ، فقال له القوم : أترى ذلك الرجل الجالس ؟

— يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يهزءون به — اذهب إليه فهو مؤيدك عليه ، فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا عبد الله ،

إن أبا الحكم قد غابني على حق لي قبله ، وأنا غريب وابن سبيل ، ولقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤديني عليه فأشاروا لي إليك ، فخذ^(٤) لي [حق^(٥) منه يرحمك الله ، قال : "أنطلق إليه" ، وقام معه صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قام [معه]

قالوا الرجل تَمَن معهم : اتبعه فأنظر ماذا يصنع ؟ قال : ونخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فضرب عليه بابه ، فقال : من هذا ؟ قال : "محمد فأخرج إلى" فخرج وما في وجهه رائحة^(٥) (أى دم) قد انتقع^(٦) لونه فقال : أعط هذا الرجل حقه

(١) القصرة (بالتحريك) : أصل العنق . (٢) إراشة (بالكسر) : بطن من خنم .

(٣) من يؤديني على أبي الحكم ؛ أى على أخذ حق منه ، من آذاه على فلان أى أعانه وقواه . ورواية

ابن كثير ج ٣ ص ٤٥ « يديني » ، وهو بمعناه .

(٤) نكدة عن ابن هشام .

(٥) أى أنه مصفر من الخوف . والذي في ابن كثير ج ٣ ص ٤٥ « فخرج وما في وجهه

قطرة دم » .

(٦) انتقع لونه (بالبناء للجهول) : تغير لما نزل به .

قال : نعم ، لا يبرح حتى أعطيه [الذي له] ^(٢) ، ودخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه ، ثم آنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للإراشي : الحق بشأنك ؛ فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس ، فقال : جزاه الله خيرا ، فقد والله أخذ لي حق ، وجاء الرجل الذي بعثه معه فأخبرهم الخبر ، قال : ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء ، فقالوا له : ويحك ! والله ما رأينا مثل ما صنعت قط ! قال : ويحكم ! والله ما هو إلا أن ضرب علي بابي ، وسمعت صوته ، فمكنت رعبا ، ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيايه لفعل قط ، والله لو أبئت لأكلتي .

ذكر خبر النضر بن الحارث ، وما قال قريش ، وإرسالهم إياه إلى يثرب إلى أحبار يهود وعقبة بن أبي معيط وما عادا به

قال : ولما رجع أبو جهل إلى قريش ، وألقى الحجر من يده وقص عليهم ما شاهد قام النضر بن الحارث بن كلفة فقال : يا معشر قريش ، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ، أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب — وقد جاءكم بما جاءكم به — قلتم : ساحر ، لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة ؛ نفثهم وعقدهم . وقلتم : كاهن ، لا والله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكهنة ؛ تتخالجهم ، وسمعنا صجهم . وقلتم : شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، لقد رأينا الشعر ، وسمعنا أصنافه كلها ؛

(١) في ابن هشام : « لا تبرح » .

(٢) نكتة من ابن هشام ج ١ ص ٢٣٨ .

هَرَجَهُ وَرَجَزَهُ . وَقَلَّمُ مَجْنُونٌ ، لَا وَاَقَّةَ مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ ، لَقَدْ رَأَيْنَا الْجَنُّونَ ، نَمَا هُوَ بِحَقِّقِهِ ، وَلَا وَسْوَاسِيَّتِهِ ، وَلَا تَخْلِيْطِهِ ، يَا مَعْشَرَ قَرِيْشٍ ، فَانْظُرُوا فِي شَأْنِكُمْ ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَقَدْ نَزَلَ بِكُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ .

قال ابن إسحاق : وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، وتمن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتصب له العداوة ، وكان قد قديم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك القُرس ورسم وإسفنديار ، فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فدّكر فيه بالله وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأثم من نعمة الله ، خلفه في مجلسه إذا أقام ، ثم قال : والله يا معشر قريش أنا أحسن حديثا منه ، فهلم فانا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورسم وإسفنديار ، ثم يقول : بماذا مجد أحسن حديثا مني !

قيل : والنضر هذا هو الذي قال [فيما بلغني] : ^(٣) « سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ » ^(٤) ، قال ابن عباس : نزل فيه ثمان آيات من القرآن : قوله تعالى ^(٥) « إِذَا تَنَزَّلْنَا قَالَ أَطَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ » ، وكل ما ذكر فيه الأساطير من القرآن . قال : فلما قال لهم النضر بن الحارث ما قال بعثوه ، وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة ، وقالوا لها : سلامهم عن محمد ، وصفا لهم صفة وأخبرهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم

(١) هو رسم بن ريسان من ملوك الترك في زمن الكيانية قسله إسفنديار بن كيشتاسف . وفي تاج العروس « إسفنديار » .

(٢) ورد في ابن هشام ، بعد هذه الكلمة قوله « إلى » .

(٣) زيادة من ابن هشام بعد هذه الكلمة قوله « فيما بلغني » .

(٤) سورة الأنعام آية ٩٣ .

(٥) سورة الفلم آية ١٥ .

علم حسن — ليس عندنا — من علم الأنبياء ؛ فخرجا حتى قَدِمَا المدينة فسألَا
أَحْبَارَ يَهُودَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لهم أمره ، وأخبرَاهُم ببعض
قوله ، وقالوا لهم : أنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ،
فقال لهما أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي
مُرْسَل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول ، فرَوَا فيه رأيكم ، سلوه عن فتية ذهبوا
في الدهر الأول ، ما كان من أمرهم ؟ فإنه قد كان لهم حديثٌ عجيب ؛ وسلوه عن
رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ؛ ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هو ؟
فإن أخبركم بذلك فأتبعوه فإنه نبي ، وإن لم يفعل فهو رجل متقول فرَوَا فيه رأيكم .
فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد ، أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر
الأول قد كانت لهم قصةٌ عَجَبٌ ؛ وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الأرض
ومغاربها ؛ وأخبرنا عن الروح ما هي ؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :
”أخبركم بما سألتهم عنه غدا“ ، ولم يستثنِ بالمشيئة ، فأنصرفوا عنه ، فكث رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون خمس عشرة ليلة لا يُحدث الله في ذلك وحيا ،
ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غدا ، واليوم خمس عشرة ليلة
قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه ،^(١) وحتى أحرزن رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكث الوحي عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ؛ ثم جاءه جبريل
من الله بسورة الكهف فيها خبر ما سألوا عنه ، فيقال : إنه صلى الله عليه وسلم
قال لجبريل حين جاءه : لقد آحتبست عني حتى سئوت ظنا ؛ فقال له جبريل :

(١) يقال : أرجف القوم ، إذا خاضوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن .

(٢) كذا في ابن هشام . وهو الصواب . والذي في الأصل : « لا تخبروا » ؛ وهو تحريف .

﴿وَمَا تَسْتَرْجِلْ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾^(١).

ذكر ما أشملت عليه سورة الكهف مما سأله عنه

- قال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله تعالى : افتتح الله عز وجل
السورة بحمده ، وذكر نبوة رسوله صلى الله عليه وسلم فقال : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ
عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾^(٢) . معنى هذا . قوله : ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قِيًّا﴾ أى معتدلا
لا اختلاف فيه . قوله : ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ﴾ أى عاجل عقوبته فى الدنيا
وعذابا أليما فى الآخرة . قوله : ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ
أَجْرًا حَسَنًا . مَا كُنِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ أى دار الخلد لا يموتون فيها ، الذين صدقوك
بما جئت به مما كذبت به غيرهم ، وعملوا بما أمرتهم من الأعمال . قوله : ﴿وَيُنذِرَ
الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾^(٣) . معنى قرينها فى قولهم : إنا نعبد الملائكة وهى بنات الله .
قوله : ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾^(٤) الذين أعظموا فراقهم . قوله : ﴿كَبُرَتْ
كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾^(٥) أى قولهم : إن الملائكة بنات الله .
قوله : ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾^(٦) أى مؤلِّك
نفسك لحزنه صلى الله عليه وسلم عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم ، أى لا تفعل .
قوله : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٧) أى أيهم أتبع
لأمرى ، وأعمل لطاعتي . قوله : ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾^(٨) أى الأرض ،

(١) سورة مريم آية ٦٤ (٢) زاد فى ابن هشام والقرطبي قوله : «وعيب دينهم» .

(٣) سورة الكهف الآيات من ١ - ٨ . والصعيد : وجه الأرض . والجرز : الأرض التى

لا تثبت شيئا .

وإن ما عليها لسان وزائل ، ولكن المرجع إلى فاجزى كلاً بفعله ، فلا تأس ، ولا يَحْزُنْكَ ما ترى وتسمع فيها . ثم استقبل القصة فيما سألوه عنه من شأن الفتيّة .

فقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ ،

أى قد كان من آياتي فيما وضعت على العباد من حجيى ما هو أعجب من ذلك .

قال ابن هشام : والرقيم الكتاب الذى يرقم فيه بخبرهم ، وجمعه رقيم .

ثم قال : ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴾ أى لم

يشركوا بى كما أشركتم [بى] ما ليس لكم به علم . قال : والشطط ، الغلو ومجاوزة

الحق . قوله : ﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴾ ،

أى بحجة بالغة . ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَهُمْ فِي خِفْوَةٍ مِنْهُ ﴾ .

قال ابن هشام : تراور ، تميل ، وهو من الزور ، و﴿ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّامِ ﴾ ، أى تجاوزهم

وتتركهم عن شمالها . والفجوة : السعة ، وجمعها الفجاء . قوله : ﴿ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ﴾

أى فى الجملة على من عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب من أمر هؤلاء بمسألتك

عنهم فى صدق نبوتك بتحقيق الخبر عنهم . قوله : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾

إلى قوله ﴿ بِالْوَصِيدِ ﴾ الوصيد : الباب . قال عبيد بن وهب العيسى منشدا :

بأرض فلاة لا يُسَدُّ وَصِيدُهَا على ومعروفى بها غير مُنْكَرِ

(١) رواية ابن هشام ص ١٩١ « ثم استقبل قصة الخير فيما سألوه » إلخ .

(٢) عبارة ابن إسحاق : « من حجيى » .

(٣) نكتة عن ابن هشام والجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٣٤٩ .

(٤) فى الأصل : « الغلو » بالمهمله ، والتصويب عن ابن هشام .

(٥) سورة الكهف الآيات من ٩ — ١٨ .

(٦) كذا فى الأصل وابن هشام . والذى فى القرطبى ج ١٠ ص ٣٥١ « عبيد بن وهب » .

والوصيد أيضا الفناء، وجمعه وصائد ووُصِدَ ووُصِدَانِ قوله: **(لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ)** إلى قوله **(قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ)** أهل الملك **(لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا)** .
قوله: **(سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً)** إلى قوله: **(وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا)** يعنى أحبار يهود الذين أمرهم بالمسألة عنهم، فانهم لا علم لهم بهم . قوله: **(وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِيَّاي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ)** إلى قوله **(رَشَدًا)** أى لا تقولَنَّ لشيءٍ سألوكَ عنه كما قلت في هذا: إني مخبركم غداً، وأستثنى بمشيئة الله **(وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي)** لخير مما سالتوني عنه رَشَدًا، فإنك لا تدري ما أنا صانع في ذلك . قوله: **(وَلْيَتْلُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا)** أى سيقولون ذلك . **(قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيُسْأَلَهُ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ وَاسْمِعَ بِهِ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)** أى لم يخف عليه شيء مما سألوها عنه ، وقال الله عز وجل، فيما سألوه عنه من أمر الطواف، وهو ذو القرنين: **(وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ)** ^(١) الآيات، إلى آخر خبره . وقد ذكرنا قصة ذى القرنين في الباب الأول من القسم الرابع من الفن الخامس من كتابنا هذا، وهى في الجزء الثانى عشر ^(٢) من هذه النسخة، ولا فائدة في إعادتها .

وقال تعالى فيما سألوه عنه من ^(٣) [أمر] ^(٤) الروح: **(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)** ^(٥) روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال

(١) سورة الكهف الآيات من ١٨ - ٨٣ (٢) من تحفة المؤلف .

(٣) تمكة عن ابن هشام ص ١٩٦

(٤) في تفسير معنى الروح أقوال كثيرة أوردها القرطبي في جامع ١٠ : ٣٢٣ .

(٥) سورة الإسراء آية ٨٥

أحبارُ يهود : يا محمد، أرايت قولك : ﴿ وَمَا أَوْثَقْتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(١) إيانا تريد أم قومك ؟ قال : كلا . قالوا : فإنك تتلوه فيما جاءك إنا قد أوتينا التوراة فيها بيانُ كل شيء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها في علم الله قليل ، وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو أقنتموه « فَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِيهَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَيْسِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(٢) ، أى أن التوراة في هذا من علم الله قليل .

ذكر ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن فيما سألوه قومهم لأنفسهم من تسيير الجبال ، وتقطع الأرض وبعث من مضى من آبائهم من الموتى ، وما سألوه لنفسه ، وما قالوه له بعد ذلك

أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم فيما سألوه قومهم لأنفسهم فيما قدمنا ذكره ؛ قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُورَآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلُّهُ بِهَ الدَّوْقِ بَلِ اللَّهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ ^(٣) ، أى لا أصنع من ذلك إلا ما شئت . وأنزل عليه في قولهم : خذ لنفسك ما سألوه أن يأخذ لنفسه قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا . أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ ^(٤) . ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ ﴾ ^(٥) ، أى من أن تمشي في الأسواق

(١) سورة الإمراء : ٨٥ (٢) سورة لقان : ٢٧ (٣) سورة الرعد : ٣١

(٤) سورة الفرقان : ٨٧ (٥) سورة الفرقان : ١٠

وَتَلْتَمِسُ الْمَعَاشَ ﴿جَنَاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾. وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ
 فِي ذَلِكَ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ
 فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾^(١)، أَيْ جَعَلْتُ
 بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ بَلَاءً لَتَصْبِرُوا ، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَجْعَلَ الدُّنْيَا مَعَ رَسُولِي وَلَا يَخَافُوا
 لَفَعَلْتُ. وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ فِيمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُمِيَّةَ : ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا
 مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا .
 أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِنَاغٍ الْمَلَائِكَةُ قِيلًا . أَوْ يَكُونُ لَكَ
 بَيْتٌ مِنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَبِّكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا نَكَحًا مُبَارَكًا تَقْرُوهُ قُلْ
 سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾^(٢)، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِمْ : إِنَّا قَدْ بَلَّغْنَا [أَنَّكَ]
 إِنَّمَا يَعْلَمُكَ رَجُلٌ بِالْيَمَامَةِ يُقَالُ لَهُ الرَّحْمَنُ ، وَلَنْ نُؤْمِنَ بِهِ أَبَدًا ، قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿كَذَلِكَ
 أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُو عَلَيْهُمْ الَّذِي أُوحِيتَ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ
 بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾^(٣) . وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ
 فِيمَا قَالَ أَبُو جَهْلٍ وَمَا هَمَزَ بِهِ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى . عَبْدًا إِذَا صَلَّى .
 أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى . أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾^(٤) إِلَى آخِرِ السُّورَةِ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ :
 لَنَسْفَعُنَّ : لَنَجْزِبَنَّ وَلَنَأْخُذَنَّ . وَالنَّادَى : الْمَجْلِسُ الَّذِي يَجْتَمِعُ فِيهِ الْقَوْمُ وَيَقْضُونَ
 فِيهِ أُمُورَهُمْ ، وَجَمْعُهُ أُنْدِيَّةٌ . يَقُولُ : ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾^(٥) أَيْ أَهْلَ نَادِيَتِهِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :
 ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾^(٦) أَيْ أَهْلَ الْقَرْيَةِ . وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ فِيمَا عَرَضُوهُ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِمْ :
 ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٧) .

٧٦
١٤

(١) سورة الفرقان : ٤٠ . (٢) سورة الإسراء : ٩٠ - ٩٣ .
 (٣) الزيادة عن ابن هشام : ١ : ٣٢٢ (٤) سورة الرعد : ٣٠ (٥) سورة العلق : ٢٠
 ١٢٤ ، ١١٩ ، ١١٠ ، ١٠٧ (٦) سورة العلق : ١٧ . (٧) سورة يوسف : ٨٢ .
 (٨) سورة سبأ : ٤٧ .

ذكر ما كان من عناد قريش بعد ذلك وعقودهم^(١)

قال : فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرفوا من الحق ، وعرفوا صدقه فيما حدث ، وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوهم عما سألوه عتسوا على الله واستمروا في طغيانهم وعلى كفرهم ، فقال قائلهم : **(لَا تَسْمَعُوا لَهُذَا الْقُرْآنِ وَالْقَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ^(٢))** فإنكم إن ناظرتموه وخاصمتموه غلبكم . فقال أبو جهل يوما — وهو يهزأ برسول الله وما جاء به من الحق — : يا معشر قريش ، يزعم محمد أنما جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر ، وأتم أكثر الناس عددا [وكثرة^(٣)] ، أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم . فأنزل الله تعالى في ذلك : **(وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا^(٤))** إلى آخر القصة . قال : ولما قال بعضهم لبعض : **(لَا تَسْمَعُوا لَهُذَا الْقُرْآنِ وَالْقَوَا فِيهِ)** جعلوا إذا جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن وهو في صلاته يتفرقون عنه ، ويأبون أن يسمعوا له ، فكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلي استرق السمع دونهم قرقا . فإن رأى أنهم قد عرفوا به أنه يستمع منه ذهب خشية أذاهم أن يستمع ؛ وإن خفض صلى الله عليه وسلم صوته ظن الذي يستمع أنهم لا يستمعون شيئا من قراءته ؛ وسمع هو شيئا دونهم أصاخ له يستمع منه ، فأنزل الله تعالى قوله : **(وَلَا تَجْهَرُ**

(١) عقودهم ، أى عهدهم ، من قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) أى بالعهود .

(٢) سورة فصلت : ٢٦

(٣) الزيادة عن ابن هشام ج ١ ص ٢٣٥

(٤) سورة المائدة ٣١

يَصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافَتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا^(١)) يقول : لا تجهر بصلاتك فيفتروا عنك ، ولا تخافت بها ، فلا يسمعها من يحب أن يسمعها ممن يسترقها دونهم لعله يرعوى إلى بعض ما يسمع فينتفع به .

ذكر أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله

صلى الله عليه وسلم

رَوَى عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالْقُرْآنِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ . قَالَ : اجْتَمَعَ يَوْمًا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ قَرِيشَ هَذَا الْقُرْآنَ يُجَهِّرُهَا بِهِ قَطُّ مِنْ رَجُلٍ يُسْمِعُهُمْ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : أَنَا ؛ قَالُوا : إِنَّا نَخْشَاهُمْ عَلَيْكَ ، إِنَّمَا نُرِيدُ رَجُلًا لَهُ عَشِيرَةٌ يَمْنَعُونَهُ مِنَ الْقَوْمِ إِنْ أَرَادُوهُ ، قَالَ : دَعُونِي ، إِنْ اللَّهُ سَمِعَنِي ؛ قَالَ : فَغَدَا ابْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَتَى الْمَقَامَ فِي وَقْتِ الضُّحَى وَقَرِيشٌ فِي أُنْدِيَّتِهَا ، ثُمَّ قَالَ رَافِعًا صَوْتَهُ : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ)^(٢) ثُمَّ أَسْتَقْبَلُهَا يَقْرُؤُهَا ، وَتَأْتِلُوهُ بِفَعْلُوهُ يَقُولُونَ : مَاذَا قَالَ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ ؟ ثُمَّ قَالُوا : إِنَّهُ لَيَتْلُو بَعْضَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ؛ فَفَقَامُوا إِلَيْهِ بِفَعْلُوهُ يَضْرِبُونَ فِي وَجْهِهِ وَهُوَ يَقْرَأُ حَتَّى يَلْغُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَلْغُ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَقَدْ أَثَرُوا بِوَجْهِهِ ، فَقَالُوا : هَذَا الَّذِي خَشِينَا عَلَيْكَ . قَالَ : مَا كَانَ أَعْدَاءُ اللَّهِ أَهْوَنَ عَلَى مَنْهُمْ الْآنَ ، وَإِنْ شِئْتُمْ لِأَعَادِيَتِهِمْ بِمِثْلِهَا غَدَا ؛ قَالُوا : لَا ، حَسْبُكَ ، قَدْ أَسْمَعْتَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ . وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .

٧٧

١٤

(١) سورة الإسراء : ١١٠ . (٢) رواية ابن هشام « فيثرقوا » .

(٣) كذا في الأصل . ورواية ابن هشام « فن رجل » بصيغة الاستفهام والمفعول عليها يستقيم أيضا .

(٤) آيتا ٢٠١ من سورة الرحمن .

(٥) عبارة ابن هشام « ثم أثروا في وجهه » .

ذكر ما نال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

من أذى قريش وعذابهم ليفتنوهم عن دينهم

قال محمد بن إسحاق : ثم إنهم عَدُّوا على من أسلم وأتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فحملوا يحبسونهم ويغذّبونهم بالضرب والجوع والعطش ، ورمضاء مكة إذا اشتد الحر ؛ من استضعفوا منهم هتنوهم عن دينهم ، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه ، ومنهم من يعصمه الله ، فكان بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما لبعض بني جُحج مولداً من مولديهم ، وكان صادق الإسلام ، طاهر القلب ، فكان أمية بن خلف يخرجّه إذا حمت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بحمد ، وتعبد الآلات والعزى ؛ فيقول - وهو في ذلك البلاء - أحد أحد ، فكان ورقة بن نوفل يمز به وهو يعتب بذلك وهو يقول : أحد أحد ، فيقول : أحد أحد والله يا بلال ؛ ثم يقبل على أمية بن خلف وهو يصنع به ذلك فيقول : أحلف بالله لنن قتلتموه على هذا لأتخذنه حناناً ؛ حتى مرّ به أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوماً وهم يصنعون به ذلك ، فقال لأمية : ألا تتق الله في هذا المسكين ، حتى متى ! فقال : أنت أفسدته فأقذه مما ترى . قال : أفعل ، عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى ، وهو على دينك ، أعطيك به . قال : قد قبلت ؛ قال : هولك . فأعطاه أبو بكر

(١) في الأصل : « فن يفتن » وما أثبتناه عن ابن هشام (٢٠٥ : ١) .

(٢) في الأصل ما يفيد أن بلالا كان من موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس كذلك ، فإن بلالا هذا كان من خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا من مواليه . انظر المعارف ص ٨٨ ، وابن كثير ج ٣ ص ٥٧ . (٣) لأجل أن قبره وضع حنان ، فأزوره وأتبرك به .

غلامه ذلك ، وأخذه فأعتقه ، ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة
سِتَّ رِقَابٍ ، وهم عامرُ بنُ فُهَيْرَةَ ، شهد بدرًا وأُمُّ عُمَيْسٍ ، وزَيْنَةُ — وكانت
روميةً لبني عبد الدار — فأصيب بصرها حين أعتقها ، فقالت قریش : ما أذهب
بصرها إلا الآلات والعُزَّى ، وما ينفعان . فردَّ الله إليها بصرها ، وأعتق التهذبة
وابنتها ، وكانت لامرأة من بني عبد الدار ، فتربها وقد بعثتهما سيدهما بطحين
لها وهي تقول : والله لا أعتقكما أبدًا ، فقال أبو بكر : ^(١) جُلُّ يا أم فلان ، فقالت :
جُلُّ أنت ، أفسدتهما فأعتقتهما ، قال فبكم هما ؟ قالت : بكذا وكذا ، قال : أخذتهما
وهما حرتان ، إرجعا إليهما طحينهما ، قالتا : أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليهما ،
قال : وذلك إن شئتما . ومرة بجارية من بني مؤمل (ح) من بني عدى بن كعب
— وكانت مسلمة — وكان عمرُ يعذبها لتترك الإسلام ، وعمرُ يومئذ مشرك ،
وهو يضربها حتى إذا مل قال : إني أعتذر إليك ، لم أترك إلا ملالة ، فيقول :
كذا يفعل الله بك . فأبتاعها فأعتقها ، فقال أبو خُفَافَةُ لأبي بكر : يا بني ، أراك تُعتِقُ
رِقَابًا ضامًا ، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالًا جُلْدًا يَمْنَعُونَكَ وَيَقُومُونَ
دونك ، فقال أبو بكر : يا أبتِ إني إنما أريدُ الله عز وجل ما أريد ، فيقال :
إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتُ أُنْزِلَتْ فِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ
وَأَتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾ ^(٢) .

قال محمد بن إسحاق : وكان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه
— وكانوا أهل بيتِ إسلام — إذا حَمِيَتِ الظَّهيرة يغذونهم برمضاء مكة ، فيمنز
بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول : ” صبرا آل ياسر موعدكم الجنة “ ،

(١) زاد في ابن هشام ٢٠٣ «وقتل يوم بئر معونة شبيدا» . (٢) في الأصل «أم عُمَيْسٍ»
بالياء ، والنصيب عن ابن هشام . (٣) أي تحلل من عيئك . (٤) الآيات ٥٦٤ ، ٥٦٥ من سورة الليل .

فأما أمته فقتلوا وهي تأتي إلى الإسلام ^(١) . قال أبو عمر : وهي سُمِّيَة ، كانت أمة لأبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، فزوجه من حليفه ياسر بن عامر بن مالك العبسي ، فولدت له عمارة ، فاعتقه أبو حذيفة . وسُمِّيَة هذه أول شهيدة في الإسلام . وجاءها أبو جهل بحربة في قلبها فقتلها ، فقال عمار : يا رسول الله ، بلغ منا — أو بلغ منها كل مبلغ — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صبرا يا أبا اليقظان ، اللهم لا تُعَذِّبَ أحدا من آل ياسر بالنار » ^(٢) .

قال ابن إسحاق : وكان أبو جهل هو الذي يُغري بهم في رجال قريش إذا سمع برجل قد أسلم ، فإن كان له شرف ومنعة أتبه ونحراه : فيقول : تركت دين أبيك وهو خير منك ، لنسقهن حنكك ولنقيلن رأيك ، ولنضمعن شرفك ؛ وإن كان تاجرا ، قال : والله لنكسدت تجارتك ، ولتهلكن مالك ؛ وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به . وروى عن سعيد بن جبير قال : قلت لأبي عباس رضي الله عنهم : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يُعذِّرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم ، والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويُجيعونه ويُعطشونه ؛ حتى ما يقدر أن يستوى جالسا من شدة الضر الذي به ، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة حتى يقولوا له : الآلات والعزى إلهان من دون الله ، فيقول : نعم ، حتى إن الجمل عمل ليمزجهم فيقولون له : هذا الجمل إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، افتدأء منهم مما يبلغون من جهده . والله المعين .

(١) كذا في ابن هشام ج ١ : ٣٤٢ ، وفي ابن كثير ج ٣ ص ٥٩ : « فقتلوا ما تأتي إلى الإسلام » ، والذي في الأصل : « فقتلوا ما تابا إلى الإسلام » ، ولا يخفى ما فيه من تحريف .

(٢) في الروض الأنف : « آل عمار » . (٣) لنقيلن ، من قبل رأيه : خطأ .

(٤) في الأصل : « لنكسزن » . تصحيف . والتصويب عن ابن هشام ج ١ : ٣٤٢ ، ابن كثير

ذِكْرُ هِجْرَةِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إِلَى الْحَبْشَةِ ، وَهِيَ الْهَجْرَةُ الْأُولَى

قال محمد بن إسحاق : لما رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء والعذاب ، وما هو فيه من العافية لمكانه من الله تعالى ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنهم بما هم فيه قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها مَلِكٌ لا يُظلم عنده أحد — وهى أرض صدق — حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أتم فيه ، فخرج عند ذلك من خرج منهم مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله بدينهم ، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام .

قال الواقدي : خرجوا متسللين سراً ، وكانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة ، حتى انتهوا إلى الشَّعْبَةِ^(١) منهم الراكب والماشي ، ووفق الله لهم ساعة جاءوا سفينتين للتجار حملوهم فيهما إلى أرض الحبشة بنصف دينار ، وكان يخرجهم في نصف رجب من السنة الخامسة من حين تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر فلم يدركوهم .

قال ابن إسحاق . كان أول من خرج من المسلمين من بنى أمية بن عبد شمس عثمان بن عفان معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن بنى عبد شمس : أبو حذيفة بن عتبة ، معه امرأته سهلة ابنة سهيل ، ولدت بأرض الحبشة محمد بن^(٢) [أبى] حذيفة . ومن بنى أسد بن عبد العزى : الزبير بن العوام . ومن بنى عبد الدار : مصعب بن عمير بن هاشم . ومن بنى زهرة بن كلاب :

(١) الشَّعْبَةُ بِحَبْشَةِ : مَرَسَى السُّفُنِ مِنْ سَاحِلِ بَحْرِ الْهَجَازِ ، كَانَ مَرَسَى سَفْنِ مَكَّةَ قَبْلَ جَدَّةَ .

(٢) ساقطة من الأصل . والنكبة عن ابن هشام ج ١ ص ٢٤٤ .

عبد الرحمن بن عوف . ومن بنى مخزوم : أبو سلمة بن عبد الأسد ، معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة . ومن بنى جحج : عثمان بن مظعون بن حبيب . ومن بنى عدى بن كعب : عامر بن ربيعة ، معه امرأته ليلى بنت أبي حنمة بن قانم ؛ ومن بنى عامر بن لؤى : أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى^(١) ؛ ومن بنى الحارث ابن فهر : سهيل بن بيضاء ، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة . قال : هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة ، وكان عليهم عثمان بن مظعون . وزاد الواقدي : حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، فجعلهم أحد عشر رجلا وأربع نسوة . قال : فقد منّا أرض الحبشة ، فجاوزنا بها خير جاري^(٢) ، أمّا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى لا نُؤدّي ، ولا نُسمع شيئا نكرهه . والله أعلم .

ذكر رجوع أهل هذه الهجرة إلى مكة ، وما قيل في سبب رجوعهم ١٠
قال محمد بن سعد عن محمد بن عمر بن واقد بسند يرفعه : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه كفّا عنه ، جلس خاليا ، فتمنى فقال : ليتني لا ينزل على شيء ، ينقروهم عني ، وقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم [عليه وسلم] قومه ودنا منهم ودنوا منه ، فجلس يوما مجلسا في ناد من تلك الأندية حول الكعبة ، فقرا عليهم : ((والنجم إذا هوى)) حتى بلغ : ((أفرايتم اللات والعزى . ومنّة الثالثة الأخرى))^(٣) . ألقى الشيطان على لسانه كلمتين : « تلك الغرائيق العلاء ، وإن شفاعتهن لترتجى »^(٤) . ولما بلغ « الغرائيق العلاء » ، وفي أخرى : « والفراقة العلاء ، تلك الشفاعة ترتجى »^(٥) .

(١) ذكر ابن كثير عن ابن إسحاق أن أبا سيرة كانت معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو (٣ : ٦٧) . وابن هشام (١ : ٣٥٢) .

(٢) زاد ابن هشام (١ : ٣٥٨) . هنا قوله : « النجاشي » .

(٣) ساقطة من الأصل . (٤) سورة النجم الآيات ١ - ٢٠ .

(٥) كذا في الكشف للزمخشري ج ٢ ص ٥٨ طبع بولاق .

قال الواقدي : فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما ، ثم مضى فقرأ السورة كلها ، وسجد وسجد القوم جميعا ، ورفع المغيرة بن الوليد ترابا إلى جبهته فسجد عليه ، وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود . ويقال : إن أبا أحيحة سعيد بن العاص أخذ ترابا فسجد عليه ، ورفع له إلى جبهته — وكان شيخا كبيرا — فرضوا بما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : قد عرفنا أن الله يُحيي ويميت ويخلق ويرزق ، ولكن ألهتنا هذه تشفع لنا عنده ، فأما إذ جعلت لها نصيبا عندك فمحق معك ، فكبر ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم حتى جلس في البيت فلما أمسى أتاه جبريل فعرض عليه السورة ، فقال جبريل : ما جئتك بهاتين الكلمتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قات على الله ما لم يقل » . فأوحى الله إليه : (وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَجِدُكَ خَلِيلًا) ، إلى قوله : (ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا) . وقال : ففشت تلك السجدة في الناس حتى بلغت أرض الحبشة ، فبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل مكة قد سجدوا فأسلموا ، حتى إن الوليد ابن المغيرة وأبا أحيحة قد سجدا خلف النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال القوم : فمن بقي بمكة إذا أسلم هؤلاء ! قالوا : عشارنا أحب إلينا ، فخرجوا راجعين ، حتى إذا كانوا دون مكة يساعة من نهار لقوا رجلا من كنانة ، فسألوه عن قريش

(١) قال صاحب الجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ٨١ : إن هذا الحديث الذي فيه الترانيم الدلا وقع في كتب التفسير ونحوها ولم يدخله البخاري ولا مسلم ولا ذكره في علمه مصنف مشهور . الخ . وذكر القاضي عياض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم من الإخبار عن شيء بخلاف ما هو عليه لا قصدا ولا سهوا ولا غلطا . الخ . ونحن نقطع أن هذا لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو المعصوم الصادق في التبليغ .

(٢) في الأمل : « فيمن » . والصواب عن (السيرة الحلبية ١ : ٣٠٤) ، (وعيون الأثر ١ : ١٢٠) .

(٣) في الأمل : « حين » ، وما أثبتناه عن عيون الأثر .

وض حالهم ، فقال الركب : ذكر محمد آلهم بخير ، فتابعه الملا ، ثم ارتد عنها ، فعاد يشتم آلهتهم ، وعادوا له بالشر ، فتركاهم على ذلك ، فأنتم القوم في الرجوع إلى أرض الحبشة ، ثم قالوا : قد بلغنا ، ندخل فننظر ما فيه قريش ، ويحدث عهدا من أراد بأهله ، ثم رجع . قال : فدخلوا مكة ، ولم يدخل أحد منهم إلا بجوار ، إلا ابن مسعود فإنه مكث يسيرا ، ثم رجع إلى أرض الحبشة . قال الواقدي : فكان خروجهم في شهر رجب سنة خمس (يريد من النبوة ^(١)) ، فأقاموا شعبان ورمضان وقدموا في شوال من السنة .

وحيث ذكرنا هذا الحديث فلنذكر ما جاء في توهينه .

ذكر ما ورد في توهين هذا الحديث والكلام عليه

في التوهين والتسليم

قال القاضي عياض بن موسى بن عياض رحمه الله : في كتابه المترجم (بالشفاء بتعريف حقوق المصطفى) صلى الله عليه وسلم :

اعلم أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين : أحدهما في توهين أصله ، والثاني [على ^(٢)] تسليمه .

أما المأخذ الأول فيكفيك أن هذا الحديث لم يخرج أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته ، وأضطراب رواياته ، وانقطاع إسناده ، واختلاف كلماته ، فقائل يقول : إنه في الصلاة ، وآخر يقول قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة ، وآخر يقول : قالها وقد أصابته سنة ، وآخر يقول : بل حدث نفسه فسها ، وآخر يقول : إن الشيطان قالها على

(١) هذه من قول المؤلف . انظر الذخائر والأعلام لابن سلام الباهلي ص ٢٠٤ (طبع الوهية) .

(٢) هذه الكلمة سافطة من الأصل ، وقد أثبتناها عن الشفا للقاضي عياض ج ٢ ص ١٢٨

لسانه ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال : ما هكذا
أقرأئك ؛ وأحرقول : بل أعلنهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها ؛
فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال : « والله ما هكذا أنزلت » إلى غير ذلك من
أختلاف الرواة ، ومن حُكيته عنه هذه الحكاية من المفسرين والتابعين لم يسندها
أحد منهم ، ولا رفعها إلى صاحب ، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية ، ^(١) والمرفوع
فيه حديث شعبة عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله
عنهما فيما أحسب — الشك في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة —
وذكر القصة . قال أبو بكر البزار : هذا الحديث لا تعلمه يروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا ، ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد ،
وغيره يرسله عن سعيد بن جبير ، وإنما يعرف عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن
ابن عباس قال : فقد بين لك أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز
ذكره سوى هذا ، وفيه من الضعف ما نُبّه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه .

وأما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره ، لقوة ضعفه وكذبه كما
أشار البزار إليه ، قال : والذي منه في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ
(والنجم) وهو بمكة ، فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس . هذا
توهينه من طريق النقل ، والله أعلم بالصواب .

وأما جهة المعنى : فقد قامت المجمة ، وأجمعت الأمة على عصمته صلى الله عليه
وسلم ونزاهته عن مثل هذه التذيلة . أما من تَمَنّيه أن يُنزل عليه مثل هذا من
مدح آلهة غير الله وهو كفر ، أو أن يتسور عليه الشيطان ، ويشبهه عليه القرآن حتى

(١) كذا في الشفاء للقاضي عياض ص ١١٨ ؛ والذي في الأصل : « فأنه » .

يجعل فيه ما ليس منه، ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم أن من القرآن ما ليس منه، حتى يُنبّه جبريل عليهما السلام، وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم، أو يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمداً — وذلك كفر — أو سهواً، وهو معصوم من هذا كله، وقد تقرر بالبرهان والإجماع عصمته عليه السلام من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمداً ولا سهواً، أو أن يشبهه عليه ما يليقه المَلَك مما يليق الشيطان، أو يكون للشيطان عليه سبيل، أو يتقول على الله؛ لا عمداً ولا سهواً، وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ ^(١) الآية، وقال: ﴿إِذَا لَأَذْنُكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ ^(٢) الآية.

ووجه ثانٍ، وهو استحالة هذه القصة نظراً وعرفاً، وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الالتئام، متناقض الأقسام، ممتزج المدح بالذم، متخاذل التأليف والنظم؛ ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم، ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك — وهذا لا يخفى على أدنى متأمل — فكيف بمن رَجَحَ حلمه، وآتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه؟!

ووجه ثالث، أنه قد علم من عادة المنافقين، وعاندى المشركين، وضَعْفُ القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لأول وهلة، وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة، وتعييرهم المسلمين، وارتداد من في قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأقل شبهة؛ ولم يَحْك أحد في هذه القصة شيئاً سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل، ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة، ولأقامت بها اليهود عليهم الحجّة، كما فعلوا في قصة الإسراء وقصة القضية، ولا فتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت،

(١) زاد هنا في الشفاء ص ١٣٠ قوله: «ما لم يزل عليه». (٢) سورة الحاقة: ٤٤.

(٣) سورة الإسراء: ٧٥. (٤) في الأصل: «الأيام» تصحيف. والتصويب

من الشفاء. (٥) راجع شرح الشفاء ج ٤: ١٢ في قصة القضية.

(١) ولا تشغيب للعادي حينئذ أشد من هذه الحادثة لو أمكنت ؛ فما روى عن معاند فيها كلمة ، ولا عن مسلم بسببها بنت شفة ؛ فدل على بطلها ، واجتثاث أصلها .
قال القاضي عياض : ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس أو الجن هذا الحديث على بعض معقلی المحدثين ، ليلبس به على ضعفاء المسلمين .

- ووجه رابع ، ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت : (وَأِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ) الآيتين ، وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رَوَّه ، لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفترى ، وأنه لولا أن ثبت له كاد يركن إليهم ؛ فمضمونه هذا .
- ومفهومه أن الله عصمه من أن يفترى ، وثبته حتى لم يركن إليهم قليلا ، فكيف كثيرا ! وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم ، وأنه قال عليه السلام : «اقتربت على الله وقلت ما لم يقل» ؛ وهذا ضد مفهوم الآية ، وهي تضعف الحديث لو صح ، فكيف ولا صحة له ! ، وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون ، قال الله تعالى : (بَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ) ، ولم يذهب . قال القاضي القشيري : ولقد طالبه قريش وثقيف إذ مرَّ بآلهتهم أن يقبل بوجهه إليها ، ووعدوه الإيمان به إن فعل ، فما فعل ولا كان ليفعل صلى الله عليه وسلم .

٨١
١٤

وأما المأخذ الثاني — وهو مبنى على تسليم الحديث لو صح ، وقد أذا الله من صحته — فقد أجاب على ذلك أئمة المسلمين بأجوبة ذكرها القاضي عياض وضعف بعضها ، واستحسن بعضها ، نذكر منها ما استحسنته وجوزته إن شاء الله .

(١) أى ولا تهيج للفتنة والشر . (٢) سورة النور : ٤٣ .

(٣) في الأصل : «القشيري» وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما في القاضي عياض ص ١٢١ .

(٤) الشفاء ج ٢ ص ١١٦ — ١٢٣ .

منها ما ذكره القاضي أبو بكر في أجوبته عن هذا الحديث ، قال :
لعل النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك أثناء تلاوته ؛ على تقدير التقرير والتوبيخ
للكفار ، لقول إبراهيم عليه السلام : (هَذَا رَبِّي) ^(١) على أحد التأويلات ،
يريد : أهذا ربِّي ؟ ! ولقوله : (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) ^(٢) بعد السكت وبيان الفصل بين
الكلامين ، ثم رجع إلى تلاوته ، وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد ،
وأنه ليس من المتلو . قال القاضي عياض : ولا يُعترض على هذا بما روى أنه كان
في الصلاة ، فقد كان الكلام فيها قبل [غير] ^(٣) ممنوع ، قال : والذي يظهر ويترجح
في تأويله عند القاضي أبي بكر ، وعند غيره من المحققين على تسليمه ، أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلا ، ويفصل الآي
تفصيلا في قراءته ، كما رواه الثقات عنه ، فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكات
ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات مما يكاد نعمة النبي صلى الله عليه وسلم
بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار ، فظنوها من قول النبي صلى الله عليه
وسلم وأشاعوها ، ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على
ما أنزلها الله تعالى ، وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الأوثان
وعيبها ما عرف منه . وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحو هذا ، وقال :
إن المسلمين لم يسمعوها ، وإنما ألقى الشيطان ذلك في أسماع المشركين وقلوبهم .

قال القاضي عياض : ويكون ما روى من حزن النبي صلى الله عليه وسلم
لهذه الإشاعة والشبهة ، وقد قال الله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ

(١) سورة الأنعام : ٧٦ . (٢) سورة الأنبياء : ٦٣ .

(٣) ساقطة من الأمل . والكلمة عن الشفاء ج ٢ ص ١٢٢ .

وَلَا تُجِبْ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ^(١) الآية ، فمعنى (تَمَنَّى) تلا ، قال
الله تعالى : (لَا يَتْلُمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَا نِي^(٢)) أى تلاوة ، وقوله : (فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي
الشَّيْطَانُ^(٣)) أى يذهبه ويزيل اللبس به ، وبحكم آياته ، قال : ومما يظهر فى تأويله
أيضا أن مجاهدا روى هذه القصة : «والغرائقة العلاء» . فإن سلمنا القصة قلنا :
لا يبعد أن هذا كان قرآنا ، والمراد بالغرائقة العلاء ، وأن شفاعتهم لترجيى :
الملائكة على هذه الرواية ، وبهذا فسر الكلبي الغرائقة أنها الملائكة ، وذلك أن
الكفار كانوا يعتقدون الأوثان والملائكة بنات الله ، كما حكى الله عنهم ورد عليهم
فى هذه السورة بقوله : (أَلَمْ تَذْكُرْ وَلَهُ الْأُنْثَى^(٤)) ، فأنكر الله كل هذا من قولهم ،
ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح ، فلما تأوله المشركون على أن المراد بهذا الذكر
آلهتهم ، ولبس عليهم الشيطان ذلك ، وزينه فى قلوبهم ، وألقاه إليهم ؛ نسخ
الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته ، ورفع تلاوة تلك اللغظتين اللتين وجد الشيطان
بهما للتليس سبيلا ، كما نسخ كثيرا من القرآن ورفعت تلاوته . قال : وكان فى إنزال
الله تعالى لذلك حكمة ، وفى نسخه حكمة ، ليضل به من يشاء ، ويهتدى من يشاء
وما يضل به إلا الفاسقين ، و (لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفى شِقَاقٍ بَعِيدٍ . وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ^(٥)) .

وقيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة [وبلغ إلى ذكر

اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، خاف الكفار أن يأتى بشيء من ذمها ، فسبقوا

(١) سورة الحج : ٥١ ، وذكر القرطبي خبر القاضي عياض عند تفسيره للآية ج ١٢ ص ٨٢ .

(٢) سورة البقرة : ٧٨ . (٣) سورة الحج : ٥٢ . (٤) سورة النجم : ٢١ .

(٥) سورة الحج : ٥٤ ، ٥٣ .

(١١) [مدحها بتلك الكلمات؛ ليخطبوا تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشغبوا عليه على عادتهم، وقولهم: (لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْقَوَا فِيهِ لَعَّالَكُمْ تَقْلِبُونَ) (٢)، ونُسب هذا الفعل إلى الشيطان لحمله لهم عليه، وأشاعوا ذلك وأذاعوه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم حزن لذلك من كذبهم واقترائهم عليه، فسأله الله تعالى بقوله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ) (٣) الآية، وبين للناس الحق من ذلك من الباطل، وحفظ القرآن وأحكم آياته، ودفع ما لبس به العدو؛ كما صممه الله تعالى من قوله: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّهُ لَفِي حَفَافٍ طُونَ) (٤) الآية، هذا ما ورد في الجواب عن هذا الحديث. فلنرجع إلى تمة أخباره وسيره صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا.

ذكر الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة ومن هاجر إليها

من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الواقدي: لما قدم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الهجرة الأولى اشتد عليهم قومهم، ونيطت بهم عشائهم، ولقوا منهم أذى شديدا، فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية، فقال عثمان بن عفان: يا رسول الله، فهجرتنا الأولى، وهذه الآخرة إلى التجاشي، ولست معنا، فقال صلى الله عليه وسلم: أنتم مهاجرون إلى الله وإلى، لكم هاتان الهجرةتان جميعا، قال عثمان: فحسبنا يا رسول الله.

قال ابن سعد: وكان عدة من خرج في هذه الهجرة من الرجال ثلاثة وثمانون ومن النساء إحدى عشرة امرأة قرشية، وسبع غرائب. وقد عدهم أبو محمد عبد الملك بن هشام حسبا رواه عن محمد بن إسحاق بن يسار - رحمهم الله تعالى -

(١) ساقطة من الأصل، والتكلمة عن الشفاء. ٢ : ١٢٤ (٢) سورة فصلت : ٣٦

(٣) سورة النحل : ٤٣ (٤) سورة الحجر : ٩

فلم يزد على ذلك . وأورد أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القزويني رحمه الله في كتاب (الاستيعاب) ؛ في تراجم جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم ؛ أنهم ممن هاجروا إلى أرض الحبشة ممن لم يذكرهم ابن هشام ، ونحن نذكرهم إن شاء الله تعالى ونُذِّبُهُ عليهم .

قال ابن هشام : كان منهم من بنى هاشم بن عبد مناف ، جعفر بن أبي طالب معه امرأته أسماء بنت عميس ^(١) ولدت بأرض الحبشة عبد الله بن جعفر ، ومن بنى أمية بن عبد شمس عثمان بن عفان رضى الله عنه ، معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته فاطمة بنت صفوان ، وأخوه خالد بن سعيد ، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد الخزاعية ، ويقال فيها هُمَيَّة ، ولدت بأرض الحبشة سعد بن خالد ، وأمينة بنت خالد . ومن حلفائهم من بنى أسد بن خزيمه عبد الله بن جحش بن رثاب ؛ وأخوه عبيد الله ابن جحش ، معه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب . وذكر أبو عمر في ترجمة عبد الله بن جحش أنه هاجر إلى أرض الحبشة مع أخويه أبي أحمد وعبد الله ، فعلى هذا يكون أبو أحمد ممن هاجر إلى الحبشة ؛ واسمه عبد بن جحش ، وكان أعمى ، وعد أيضا محمد بن عبد الله بن جحش أنه هاجر مع أبيه وكان صغيرا .

قال ابن هشام : وقيس بن عبد الله رجل من بنى أسد بن خزيمه ، معه امرأته بركة بنت يسار [مولاة] ^(٢) أبي سفيان بن حرب ، ومُعَيْقِب بن أبي فاطمة ؛ [وهؤلاء] ^(٣) آل سعيد بن العاص .

(١) في الأصل « عيس » والصواب عن ابن هشام ، والسيرة الحلية ، والاستيعاب .

(٢) رواية ابن هشام « سعيد بن خالد » . (٣) ساقطة من الأصل . والتكلمة من ابن هشام

١ : ٣٤٦ ، وابن كثير ٣ : ٦٧ . (٤) ساقطة من الأصل . والتكلمة عن ابن هشام .

وفي ابن كثير ٣ : ٦٧ « وهو من موالى سعيد بن العاص » .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .
قال أبو عمرو : معه امرأته مهلة بنت سهيل بن عمرو ، ولدت له هناك .
محمد بن أبي حذيفة : قال ابن هشام : وأبو موسى الأشعري وأسمه عبد الله
ابن قيس . قال أبو عمرو في ترجمة عبد الله بن قيس : الصحيح ^(١) أن أبا موسى رجع بعد
قدومه مكة ، ومخالفته من حالف من بنى عبد شمس إلى بلاد قومه ، فأقام بها حتى قدم
مع الأشعريين نحو خمسين رجلا في سفينة ، فالتقهم الريح إلى النجاشي بأرض الحبشة
فوافقوا خروج جعفر وأصحابه منها ، فأتوا معهم ، وقدمت السفينتان معا : سفينة
الأشعريين ، وسفينة جعفر وأصحابه . والله تعالى أعلم بالصواب .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان حليف لهم من بنى مازن ،
ومن بنى زمنة بن ربيعة وعمرو بن أمية بن الحارث مات بالحبشة .
قال أبو عمرو بن عبد البر في ترجمة خالد بن حزام بن خويلد بن أسد ^(٢) : إنه هاجر
إلى أرض الحبشة في المرة الثانية ، فنهشته حية ، فمات في الطريق قبل وصوله ،
والله المستعان وإليه المرد .

ومن بنى عبد [الدار] ^(٣) بن قصي مصعب : بن عمير بن هاشم بن عبد مناف
ابن عبد الدار ، وسويط بن سعد بن حرملة بن مالك بن عُميلة بن السباق ^(٤)
ابن عبد الدار ، وجهم بن قيس بن عبد بن شرحبيل بن هاشم بن عبد الدار
معه امرأته [أم] ^(٥) حرملة بنت عبد بن الأسود الخزاعية — ويقال : حرملة —
وابناه عمرو بن جهم ، وخزيمة بن جهم ، وأبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ،

(١) الاستيعاب ١ : ٣٩٢ . (٢) في الاستيعاب ١ : ١٥٩ : «أسيد» . (٣) الزيادة

عن ابن هشام ١ : ٣٤٧ . (٤) في الأصل «وسط» تصحيف . (٥) في ابن هشام وغيره :

«حرملة» . (٦) الزيادة عن ابن هشام ١ : ٣٤٧ ، والاستيعاب ٦ : وابن كثير .

ابن عبد الدار بن قُصَي أَخُو مَصْعَب ، وِفْرَاس بن النضير بن الحارث بن علقمة
ابن كَلْدَةَ بن عبد مناف بن عبد الدار . وقال أبو عمر في ترجمة أبي بكر : مولى لبني
عبد الدار ، قال يقال : إنه من الأزْد كان ممن عذب في الله فلم يزل كذلك حتى
كانت الهجرة الثانية مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بني زهرة بن كلاب عبد الرحمن بن عوف ، وعامر بن أبي وقاص ،
وأبو وقاص مالك بن وهيب ، والمطلب بن أزهري بن عبد عوف ، معه امرأته رملة
بنت أبي عوف ، ولدت له بارض الحبشة عبد الله بن المطلب . قال أبو عمر بن عبد البر :
وطيب بن أزهري بن عبد عوف وأخوه المطلب ، هاجر مع أخيه إلى أرض الحبشة
وبها ماتا جميعا .

قال ابن هشام : ومن حلفائهم من هذيل : عبد الله بن مسعود ، وأخوه عتبة بن مسعود .
ومن بهراء المقداد بن عمرو بن ثعلبة ، وكان يقال له : المقداد بن الأسود
ابن عبد يغوث بن عبد مناف بن زهرة ، وذلك أنه كان تبناه في الجاهلية وحالفة .
حكاه ابن إسحاق .

ومن بني تميم بن مرة الحارث بن خالد بن صخر ، معه امرأته ربيعة بنت الحارث
ابن جبيلة ، ولدت له بارض الحبشة موسى بن الحارث ، وزينب بنت الحارث ،
وقاطمة بنت الحارث ، وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة .
ومن بني مخزوم أبو سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد بن هلال ، معه
امرأته أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة ، ولدت له بارض الحبشة زينب ،
وشماسا واسمه عثمان بن عثمان بن الشريد ، وهبار بن سفيان بن عبد الأسد ، وأخوه
عبد الله بن سفيان ، وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة ، وسلمة بن هشام بن المغيرة

(١) كذا بالأصل ، ولم نثر على هذا القول لابن عبد البر في كتاب : الاستيعاب ، في ترجمة أبي بكر .

(٢) زاد ابن هشام « عائشة بنت الحارث » .

وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة . ومن حلفائهم معتب بن عوف بن عامر — وهو الذي يقال له عيامة — ونسبه أبو عمر فقال : معتب بن عوف بن عمر بن الفضل ابن عفيف بن كليب بن حبشية . قال ابن هشام ، ويقال : حبشية بن سلول ، وهو الذي يقال له : معتب بن حمراء ، وعمار بن ياسر . ذكره أبو عمر ، وشك فيه ابن هشام .
ومن بنى جُحج عثمان بن مظعون ، وابنه السائب بن عثمان ، وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون . قال أبو عمر : والسائب بن مظعون ممن هاجر إلى أرض الحبشة ، وهو أخو عثمان لأبويه ، حكاه عن العدوي . قال ابن هشام : وحاطب ابن الحرث بن معمر ، معه امرأته فاطمة بنت المجلّل بن عبد الله ، وابناه محمد والحارث ، وقيل ولدا هناك ، وأخوه حطاب بن الحارث ، معه امرأته فكيهة بنت يسار ، وقيل : ولدت له ابنة محمد هناك ، وسفيان بن معمر بن حبيب معه ابنه : جابر وجنادة ، ومعه امرأته أمهما حسنة ، وابنها شرحبيل بن حسنة ، وهو شرحبيل بن عبد الله أحد بنى القوّث بن مُرّة ، وقال موسى بن عقبة عن ابن شهاب : هو شرحبيل بن عبد الله من بنى جُحج ، وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب ابن حذافة بن جحج . قال الواقدي : ونبيه بن عثمان بن ربيعة . والله أعلم .

ومن بنى بهم بن عمرو بن هُصيص : خنيس بن حذافة ، وعبد الله ابن الحارث ، وهشام بن العاص بن وائل ، وقيس بن حذافة ، وأبو قيس بن الحارث ابن قيس ، وعبد الله بن حذافة بن قيس ، والحارث بن الحارث بن قيس ، ومعمر ابن الحارث بن قيس ، وبشر بن الحارث بن قيس ، وأخ له من أمه من بنى تميم ، يقال له : سعيد بن عمرو ، وسعيد بن الحارث بن قيس ، والسائب

(١) في الأصل « خطاب » ويوافقه ابن كثير — والصواب عن ابن هشام والاستيعاب ،

ابن الحارث بن قيس . وقال أبو عمرو : وتيم بن الحارث بن قيس ، والحارث
ابن قيس بن عدى ، وهو والد نَشْر والحارث ، وعمير بن رثاب بن حذيفة ، ومجبة
ابن جزء حليف لهم من زُبَيْد .^(١)

ومن بني عدى بن كعب معمر بن عبد الله بن نَضْلَة ، وعُروَة بن عبد العزى ،
وعدى بن نَضْلَة وابنه النعمان ، فمات عدى بالحبشة ، فورثه ابنه النعمان ، وهو أول
وارث في الإسلام ، وعامر بن ربيعة حليف لآل الخطاب ، معه امرأته ليسلى
بنت أبي حَتْمَة .

ومن بني عامر بن لؤى أبو سبرة بن أبي رُهم بن عبد العزى معه امرأته أم كلثوم
بنت سُهَيْل بن عمرو ، وعبد الله بن حُرْمَة بن عبد العزى ، وعبد الله بن سُهَيْل بن
عمرو بن عبد شمس ، وسَلَيْط بن عمرو بن عبد شمس ، وأخوه السكران بن عمرو ، معه
امراته سودة بنت زمعة ، ومالك بن ربيعة بن قيس معه امرأته عمرة بنت السعدى ،
وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وسعد بن خولة حليف لهم من اليمن .

ومن بني الحارث بن فهر أبو عُبَيْدة عامر بن عبد الله بن الجراح ، وسُهَيْل بن وهب
وهو ابن بَيْضَاء ، وعمرو بن أبي مَرْح بن ربيعة ، وعِيَاض بن زهير بن أبي شَدَاد ،
وعمر بن الحارث بن زُهير ، وعثمان بن عبد غَنَم بن زهير ، وسعد بن عبد قيس
ابن لَقِيْط بن عامر ، والحارث بن عبد قيس بن لَقِيْط . وقال أبو عمرو بن عبد البر :
إن عبد الله بن عُرفطة بن عدى بن أمية بن خَدَاة بن عوف بن التجار بن الخزرج
« الأنصاري » هاجر إلى أرض الحبشة مع جعفر بن أبي طالب ، وهو حليف لبني
الحارث بن الخزرج ، وذكره ابن منته أيضا بجمع من هاجر إلى هذا الحكم^(٢)

(١) في الأصل « الحارث » وصوبناه عن ابن عبد البر . (٢) أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب
ابن منته الأصفهاني ، ولد سنة ٤٣٤ هـ ، ومات سنة ٥١٢ هـ بأصفهان . ابن خلكان (٥ : ٢١٧) .

بما فيه من زيادات ابن عبد البر؛ خلا أبنائهم الذين خرجوا معهم صغارا، ومن ولد هناك أنثيان وتسعون رجلا، وثمانى عشرة امرأة، والأبناء الصغار سبعة . والله أعلم .

ذكر إرسال قريش إلى النجاشي في شأن من هاجر إلى الحبشة،

وطلبهم منه وإسلامه

عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار، النجاشي، [أَمِنًا] على ديننا، وعبدنا الله لا نُؤَدَّى ، ولا نَسْمَعُ شيئا نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشا أتمتروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جَلْدَيْن ، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يُستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم ، فجمعوا له أدمًا كثيرا، ولم يتركوا من بطارقه بطريقا إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص ، وقالوا لها : ادفعنا إلى كل بطريق هديته قبل أن نكتبها النجاشي فيهم ، ثم قدما إلى النجاشي هداياه ، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم . قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشي ، ونحن عنده بخير دار ، فلم يبق من بطارقه بطريق إلا دفعنا إليه هديته قبل أن يكتبها النجاشي ، وقالوا لكل بطريق منهم : إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أتم ، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم لتردهم إليهم ، فإذا كتبنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم ، فقالوا : نعم ، ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها ، ثم كتبا فقالا : أيها الملك ، إنه قد

(١) ضوى إلى بلدك منّا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، جاءوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشرف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرتهم لتردهم عليهم ، فهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه . قالت : ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله وعمره من أن يسمع إلى كلامهم النجاشي ، فقالت بطارقتة : صدقا أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه ، فأسلمتهم لها فليرداهم إلى بلادهم وقومهم ، قالت : فغضب النجاشي وقال : لاها الله ! إذا لا أسلمتهم إليهما ، ولا يكاد قوم جاوروني ، ونزلوا بلادى ، واختاروني على من سواي ، حتى أدعوه فأسلمهم عما يقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعته منهم ، وأحسنيت جوارهم ما جاوروني .

قالت : ثم أرسل إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا أجمتموه ، قالوا : نقول والله ما علمنا وما أمرنا نبينا ، كائنا في ذلك ما هو كان ، فلما جاءوا وقد دعا النجاشي أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله ، سألهم فقال : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا به في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الملل ؟ فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال : أيها الملك ، كما قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام [وناكل الميتة ، ونأني الفواحش ، ونقتطع الأرحام ، ونسئ الجوار ، ويأكل القوى

(١) ضوى : الجا . (٢) في الأصل : « قال » ، والصواب عن (ابن هشام ٢ : ٣٥٩) :

(٣) كذا في الأصل . ورواية ابن هشام والديار بكرى في تاريخ الخميس ١ : ٢٩٠ « منعته منها » .

(٤) في ابن هشام والديار بكرى « جتموه » . (٥) الزيادة من ابن هشام .

(٦) في ابن هشام والديار بكرى « قطع » .

من الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة [و] الأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . قالت : فعدد عليه أمور الإسلام ، فصدقناه ، وأمانا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعيدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا ، وحرمتنا [ما]^(١) حرم علينا ، وأحلنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وقتلونا عن ديننا ، ليزدونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورجعنا في جوارك ورجونا ألا تنظلم عندك أيها الملك ، فقال النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ، قال : نعم ، قال : فاقرأه علي ، فقرأ عليه صدرا من (كهيعص)^(٢) ، قال : فبكي والله النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكت أسافقته حتى اخضلت مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة إنظليقا فلا والله لا أسلمهم إليكما ، ولا يكادون .

قالت : فلما خرجنا من عنده قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غدا عنهم بما أستأصل به خصماءهم ، فقال له عبد الله بن أبي ربيعة : لا تفعل فإن لهم أرحاما ، وإن كانوا قد خالفونا ، قال : والله لأخبرته أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم

(١) ساقطة من الأصل . (٢) في الأصل : « ما » والصواب عن ابن هشام .

(٣) سورة مريم : ١

عبد. قالت: ثم غدا عليه [من] الغد فقال: يا أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فأسألهم عما يقولون فيه، فأرسل إليهم فأسألهم عنه. قالت: أم سلمة: ولم يزل بنا مثلها، فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله كما قال الله، وما جاءنا به نبينا، كما في ذلك ما هو كائن. قالت: فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا، نقول هو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، قالت: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، ثم أخذ منها عوداً، ثم قال: ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود. فتناخرت بطارقه من حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم، والله أتم شيوعاً بأرضي — والشيوخ: الآمنون — من سبكم غيرم، من سبكم غيرم، من سبكم غيرم! وما أحب أن لي ذبراً من ذهب، وإني آذيت رجلاً منكم — والذبر بلسان الحبشة الجبل — ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فأخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فاطمهم فيه. قالت: فخرجنا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاء به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار، حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة.

قال الزهري: فحدثت عروة بن الزبير حديث أم سلمة قال: هل تدري ما قوله: «ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي. فأخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فاطمهم فيه»؟ قلت: لا، قال: فإن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حدثتني

(١) زيادة عن ابن هشام. (٢) نخرت الأساقفة: تكلمت بلغتهم. (الديار بكرى ١)

(٢٩١) . وفي ابن هشام «تناخرت» . (٣) في الأصل «حدثت» والصواب ما أئتمناه

عن ابن هشام، والديار بكرى.

أن أباه كان ملك قوميه ، ولم يكن له ولد إلا النجاشي ، وكان للنجاشي ثمم له من صلبه اثنا عشر رجلا ، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة ، فقالت الحبشة بينها : لو أنا قتلنا أبا النجاشي ، وملكنا أخاه فإنه لا ولد له غير هذا الغلام ، وإن لأخيه من صلبه اثني عشر رجلا يتوارثون^(١) ملكه من بعده ، فغدوا على أبي النجاشي فقتلوه وملكوا أخاه ، فكثروا على ذلك حينئذ ، ونشأ النجاشي مع عمه ، وكان ليبيّا حازما ، فغلب على أمر عمه ، ونزل منه بكل منزلة ، فلما رأت الحبشة مكانه منه ، قالت : والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه ، وإنا لتخوف أن يملكه علينا ، وإن ملكه علينا قتلنا أجمعين ، لقد عرف أننا نحن قتلنا أباه . فمشوا إلى عمه فقالوا : إما أن تقتل هذا الفتى ، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا ، فإنّا قد خفناه على أنفسنا ، قال : ويلكم ! قتلتم أباه بالأمس وأقتله اليوم ! بل أخرجته من دياركم ، فخرجوا به إلى السوق ؛ فباعوه من رجل من التجار بستائة درهم ، ففدّوه في سفينة وانطلق به حتى إذا كانت العشاء من ذلك اليوم ؛ هاجت سحابة من سحب الخريف ، فخرج عمه يستمطر تحتها ، فأصابته صاعقة فقتلته ، ففزع الحبشة إلى ولده ، فإذا هو محقق ليس في ولده خير ، فخرج على الحبشة أمرهم ، فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك قال بعضهم لبعض : تعلموا والله أن ملككم الذي لا يقيم أمركم غيره^(٢) للذي بعث^(٣) غداة^(٤) ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه ، قال : فخرجوا في طلبه ، فأخذوه من الرجل الذي باعوه له ، ثم جاءوا به ففعدوا عليه التاج ، وأقعدوه على سرير

(١) في الأصل « يتوارثوا » وهو تحريف .

(٢) في الأصل « علت » ، والصواب عن ابن هشام (١ : ٢٢٢) .

(٣) في الأصل « ملك » ، والصواب عن ابن هشام ، والديار بكري .

(٤) في الأصل « يقيم » ، والصواب عن ابن هشام ، وفي الديار بكري « يبنيه » .

المَلِكُ وملكوهُ، فجاءهم التاجر الذي باعوه منه، فقال: إما أن تعطوني مالى، وإما أن أكلمه
 في ذلك، قالوا: لا نعطيك شيئاً، قال: فإذا والله أكلمه، قالوا: فدونك، فجاء بخلس
 بين يديه، فقال: أيها الملك، ابتعتُ غلاماً من قوم في السوق بستائة درهم، فأسلموا
 إلى غلامى، وأخذوا دراهمى، حتى إذا صرت بغلامى؛ أدركونى فأخذوه منى،
 ومنعوني دراهمى، فقال لهم النجاشى: لتعطنّه دراهمه أو ليضعن غلامه يده فى يده؛
 فليذهبن به حيث شاء، قالوا: بل نعطينه دراهمه. قالت: فلذلك يقول: «ما أخذ الله
 منى الرشوة حين ردّ على مُلكى، فأخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فى فاطع الناس
 فيه». قال: وكان ذلك أول ما خُبر من صلابته فى دينه، وعدله فى حكمه.

قال ابن إسحاق، وحدثني جعفر بن محمد عن أبيه، قال: اجتمعت الحبشة فقالوا
 للنجاشى: إنك فارقت ديننا، ونرجوا عليه. فأرسل إلى جعفر وأصحابه فيها لهم
 سفناً، وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أتم، فإن هُزِمْتُمْ فامضوا حتى تلحقوا بحيث
 شئتم، وإن ظفِرْتُمْ فائتوا. ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله
 إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى عبده ورسوله، وكلمته ألقاها
 إلى مريم، ثم جعلها فى قبائه عند المنكب الأيمن، وخرج إلى الحبشة وصقوا له،
 فقال: يا معشر الحبشة، ألسن أحق الناس بكم؟ قالوا: بلى؛ قال: فكيف
 رأيتم سيرى فيكم؟ قالوا: خير سيرة، قال: فما بالكم؟ قالوا: فارقت ديننا،
 وزعمت أن عيسى عبد، قال: فأتقولون أتم فى عيسى؟ قالوا: نقول: هو ابن الله
 فقال النجاشى ووضع يده على صدره على قبائه: هو يشهد أن عيسى بن مريم،
 لم يزد على هذا شيئاً، وإنما يعنى ما كتب، فرفضوا وأنصرفوا، فبلغ ذلك النبي

(١) كذا فى الأصل. والذى فى ابن هشام «جمله» وهو أظهر.

(٢) فى الأصل: «اللاق»، وهو تحريف؛ والتصويب غنى كبن هشام.

صلى الله عليه وسلم، فلما مات التجاشي صلى عليه، وأستغفر له . وسند كز إن شاء الله تعالى خبر إسلامه .

ذكر إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 ” اللهم أعز الإسلام بأحبّ الرجلين إليك : بعمر بن الخطاب ، أو أبي جهل بن
 هشام “ . وعن سعيد بن المسيّب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى
 عمر بن الخطاب أو أبا جهل بن هشام قال : ” اللهم أشدد دينك بأحبهما إليك “
 فشده دينه بعمر، وعنه صلى الله عليه وسلم : ” اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب “ .

قال ابن إسحاق ومحمد بن سعد في طبقاته : ليس بينهما تنافٍ إلا في مغايرة
 بعض الألفاظ ، أو زيادة أوردها أحدهما دون الآخر، ونحن نورد ما يتعين
 إيراده منها .

قالا : خرج عمر بن الخطاب متوشّحاً سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ورهطاً من أصحابه ، قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيتٍ عند الصفا، وهم قريب
 أربعين : من بين رجالٍ ونساء، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن
 عبد المطلب ، وأبو بكر بن أبي خفافة ، وعلى بن أبي طالب في رجالٍ من المسلمين
 ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، ولم يخرج فيمن خرج إلى
 أرض الحبشة ، فلقية نعيم بن عبد الله التّحّام ، وهو رجل من قومه من بني عدي بن
 كعب كان قد أسلم وهو يخفي إسلامه عن عمر، فقال : أين تريد يا عمر؟ فقال :

(١) في الأصل : « أبا جهل » ، وهو تحريف .

(٢) عبارة ابن هشام : « وهم قريب من أربعين : ما بين رجال ونساء » .

(١) أريد مجداً، هذا الذي فرق أمر قريش وسبقه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها، فأنقله. فقال له نعيم : لقد غرّك نفسك يا عمر، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت مجداً ! فقال عمر : ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذي أنت عليه ؛ قال : أفلا أدلك على العجب يا عمر ؟ إن ختنك وأختك قد صبوآ وتركاً دينك الذي أنت عليه .

قال ابن إسحاق : فقال له نعيم : أفلا ترجع إلى أهل يثرب فتقيم أمرهم ؟ قال : وأى أهل يثرب ؟ قال : ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلمها وتابها مجداً على دينه، فعليك بهما ، قال : فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه، وعندهما خباب بن الأرت، معه صحيفة فيها : (طه) يقرئها لياها، فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم - أوفى بعض البيت - وأخذت فاطمة الصحيفة فجعلتها تحت فخذيها^(٢)، فلما دخل عمر قال : ما هذه الهينة التي سمعت^(٣) ؟ قال : ما سمعت شيئاً، قال : بلى والله ، لقد أخبرت أنكما أتبعنما مجداً على دينه . فقال له ختنه : أرايت يا عمر إن كان الحق في غير دينك ! فوثب عمر على ختنه فبطش به ووطئه وطمأ شديد ، فقامت إليه أخته فاطمة لتكفّه عن زوجها، فضر بها فشجها، فلما فعل ذلك قال : نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله ، فأصنع ما بدا لك . فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع

(١) رواية ابن هشام : « هذا الصابي الذي فرق أمر قريش » .

(٢) في ابن هشام « قسك من قسك » .

(٣) زاد في ابن هشام : « وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما » .

(٤) الهينة : الكلام الخفي الذي لا يظهرون .

(٥) في ابن هشام : « تابعتها » .

فارعوى^(١)، وقال [لأخته^(٢)] : أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتم تقرأون آتفا أنظر ما هذا الذي جاء به مجد — وكان عمر كاتبها — فقالت له أخته : إنا نخشاك عليها^(٣) ، قال : لا تخافي، وحلف لها بالله أنه ليردّها إذا قرأها إليها ، فطمعت في إسلامه وقالت له : يا أخى إنك نجس على شركك ، وإنه لا يمسيها إلا الطاهر ، فقام عمر فأغسل ، فأعطته الصحيفة وفيها (طه) ، فلما قرأ منها صدرا قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ! فلما سمع ذلك خباب بن الأرت خرج إليه ، فقال له : يا عمر ، والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ، فلما سمعته أميس يقول : ” اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام ، أو بعمر بن الخطاب “ ، فأنه الله يا عمر ! فقال له عمر : فدلّني على مجد حتى آتية فأسلم ، فقال له خباب : هو في بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ، ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنظر من خلل الباب ، فرآه وهو فرج^(٤) ، فقال : يا رسول الله ، هذا عمر بن الخطاب متوشحا بالسيف ، فقال حمزة : فأذن له ، فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له ، وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” إيدن له “ فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه في الهجرة ، فأخذ بمحجزته — أو بجمع رداءه — ثم جده جده شديدة ، وقال : ” ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ “ ، فوالله ما أرى أن تنتهى حتى يتزل الله بك قارعة “ . قال أنس بن مالك في روايته : ” حتى يتزل الله بك من الخزي

(١) ارعوى : كف . (٢) التكلّة عن ابن هشام (١ : ٣٦٩) .

(٣) في الأصل «عليها» ، وما أشتبهه عن ابن هشام .

(٤) زاد ابن هشام « فرآه متوشحا بالسيف » ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فرج .

ما أنزل بالوليد بن المغيرة". فقال عمر : يا رسول الله ، جئت لأؤمن بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف بها أهل البيت أن عمر قد أسلم .

قال محمد بن سعد بن منيع في طبقاته : أسلم عمر بن الخطاب بعد أن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار ابن الأرقم بعد أربعين أوتيف وأربعين من رجال ونساء قد أسلموا قبله .

وقال ابن المسيب : أسلم عمر بعد أربعين رجلا وعشرين نسوة .

وعن عبد الله بن ثعلبة قال : أسلم عمر بعد خمسة وأربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة .

ويرد هذه الأقوال أن إسلام عمر كان بعد الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة ؛ وقد تضافرت الروايات أن أهل الهجرة كانوا أكثر من ثمانين رجلا ، ولعل إسلامه وقع وفي مكة ممن أسلم هذه العينة التي ذكرت ؛ خلاف من هاجر إلى أرض الحبشة . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : حدثني نافع^(١) عن ابن عمر رضي الله عنهم قال : لما أسلم عمر بن الخطاب قال : أي قریش أنقل للحديث ؟ قيل : جميل بن معمر الجحفي^(٢) ، قال : ففندا عليه ، قال عبد الله بن عمر : وغدوت معه أتبع أثره وأنظر ماذا يفعل

(١) في ابن هشام « نافع مولى عبد الله بن عمر » .

(٢) جميل بن معمر هذا هو الذي يقال له : ذو القلین ، وفيه نزات « ما جعل الله لرجل من قلین في جوفه » وفيه يقول الشاعر :

وكيف ترائي بالمدينة بعد ما قضى وطرا منها جميل بن معمر

وأنا غلام أعقل كل ما رأيت، حتى جاءه، فقال : أعلمت يا جميل أنى أسلمت ودخلت في دين مجد ؟ قال : فوالله ما راجعته حتى قام يمجز رداءه ، وأتبعه عمر وأتبعه أبى ، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يامعشر قريش — وهم في أنديتهم حول الكعبة — ألا إن ابن الخطاب قد صبا^(٢)، فيقول عمر من خلقه : كذبت، ولكنى أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وثأروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويقاثلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم . قال : وطلّح — يعنى أعيأ — وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله أو قد كذا ثلثائة لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا .

فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقيص موشى^(٣) ، حتى وقف عليهم فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : صبا عمر ، قال : فقه ! رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون ؟ أترون بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا ! خلّوا عن الرجل ، قال : فوالله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه . قال : فقلت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبة ، من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاثلونك ، جزاه الله خيرا ؟ قال : ذاك العاص ابن وائل السهمي ، لا جزاه الله خيرا .

قال عبد الله بن مسعود : ما كنا نقدر أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قريشا وصلى عند الكعبة وصلينا معه . وقال : إن إسلام عمر كان فتحا ، وإن هجرته كانت نصرا ، وإن إمارته كانت رحمة .

(١) في الأصول : « أغيل » ، وهو تصحيف ، وما أثبتناه عن ابن هشام وابن كثير (٣ : ٨١) .

والمواهب (١ : ٢٢٢) . (٢) صبا ، ككرم ومنع : خرج من دين إلى دين .

(٣) الحبرة : ضرب من برود اليمن .

وعن صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ : لما أسلم عمر ظهر الإسلام ، ودُعِيَ إلى الله علانية ، وجلسنا حول البيت حلقاً ، وطفنا بالبيت ، وانتصفنا من غلظ علينا ، ورددنا عليه بعض ما يأتي به .

وكان إسلام عمر في ذى الحجة من السنة السادسة من النبوة ، وهو ابن ست وعشرين سنة .

ذكر تعاقد قريش على بنى هاشم وبنى المطلب

وأنحياز بنى هاشم وبنى المطلب إلى أبي طالب ودخولهم في شعبه

قال محمد بن إسحاق وغيره من أهل السير : لما رأَت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلداً أصابوا فيه أماناً وقراراً ، وأن التجاشي قد أكرمهم ، ومنع [من لحا إليه^(١)] منهم ، وأن عمر قد أسلم قبله حمزة بن عبد المطلب ، وجعل الإسلام يفسو في القبائل ، اجتمعوا وأنتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب ، على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يتباعوا منهم . فلما اجتمعوا لذلك كتبوا صحيفة ، ثم تعاهدوا وتعاقدوا وتوافقوا على ذلك ، ثم علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم . وكان كاتب الصحيفة^(٢) منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن

(١) الزيادة من ابن هشام .

(٢) أكثر المصادر على أن كاتب الصحيفة هو منصور بن عكرمة . وفي المواهب : أنه هشام ابن عمرو بن الحارث ، وقيل طلحة بن أبي طلحة ، وقيل منصور بن عبد شريح . راجع ابن هشام (١ : ٣٧٥) ، والسيرة الحلبية (١ : ٣٦٦) ، وعيون الأثر (١ : ١٢٦) ، والديار بكرى (١ : ٢٩٧) ، والبداية (٣ : ٩٦) ، والمواهب (١ : ٣٣٥) .

عبد الدارين قصي ، ويقال : عمه بغيض بن عامر ، قاله الزبير وأبن الكلبي ؛
— ويقال : النضر بن الحارث — فَشَلَّتْ يَدَهُ .

قال محمد بن عمر بن واقد : وحصروا بني هاشم في شُعب أبي طالب ليلة^(١)
هلال المحرم سنة سبع من نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنحاز بنو المطلب
إلى أبي طالب في شُعبه مع بني هاشم ، وخرج أبو لهب إلى قريش ، وظاهرهم على
بني هاشم وبني المطلب ، وقطعوا عنهم الميرة والمادة ، فكانوا لا يخرجون إلا من
مؤيم إلى مؤيم ، حتى بلغهم الجهد ، وسمع أصوات صبيانهم من وراء الشُّعب ،
فمن قريش من سره ذلك ، ومنهم من ساءه ، وقال : انظروا ما أصاب كاتب
الصحيفة ! فأقاموا في الشُّعب ثلاث سنين ، ثم أطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم
على أمر صحيفتهم ، وأن الأرضة قد أكلت ما فيها من جور وظلم ، وبقي ما كان فيها
من ذكر الله .

قال : فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طالب ، فذكر ذلك
أبو طالب لإخوته ، وخرجوا إلى المسجد ، فقال أبو طالب لكفار قريش :
إن ابن أخي قد أخبرني — ولم يكذبني قط — أن الله سلط على صحيفتكم الأرضة
فلحست ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رحم ، وبقي فيها ما ذكر به الله ،
فإن كان ابن أخي صادقا نزعم عن سوء رأيكم ، وإن كان كاذبا دفعته إليكم
فقتلتموه أو استحييتموه . قالوا : قد أنصفتنا ، فأرسلوا إلى الصحيفة ففتحوها .
فإذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسقط في أيديهم ، ونكسوا على
رءوسهم . فقال أبو طالب : علام تُحبس وتُحصَر وقد بان الأمر ؟ ! ثم دخل هو
وأصحابه بين أستار الكعبة والكعبة . فقال : اللهم أنصِرنا على من ظلمنا ، وقطع

(١) ويعرف بشعب أبي يوسف ، انظر معجم البلدان .

أرحامنا ، وأستحل ما يحرم عليه منا . ثم أنصرفوا إلى الشعب . وتلاوم رجال من قريش على ما صنعوا ببني هاشم : فيهم مُطِيع بن عدي ، وعدي بن قيس ، وزمعة ابن الأسود ، وأبو البختري بن هشام ، وزهير بن أبي أمية . ولبسوا السلاح ، ثم خرجوا إلى بني هاشم وبني المطلب ، فأمرهم بالخروج إلى مساكنهم ففعلوا ، وكان خروجهم من الشعب في السنة العاشرة من النبوة ، وقيل : كان مُكث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الشعب سنتين .

وحكى أبو محمد عبد الملك بن هشام ، عن أبي عبد الله محمد بن إسحاق — رخمهم الله — في سبب نقض الصحيفة غير ما قدمناه مما حكاه محمد بن سعد عن الواقدي .

قال ابن إسحاق بعد أن ذكر من شدة ما لاقاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب من الضائقة ما ذكر : ثم إنه قام في نقض الصحيفة — التي كتبت فيها قريش على بني هاشم وبني المطلب — نفر من قريش ، ولم يُبل فيها أحد أبحسن من بلاء هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤي ، وذلك أنه كان ابن أختي فضلة بن هاشم بن عبد مناف لأُمته ، وكان هشام لبني هاشم واصلا ، وكان ذا شرف في قومه ، فكان يأتي بالبعير وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلا ، وقد أوقره طعاما ، حتى إذا أقبله قم الشعب خلع خطامه من رأسه ، ثم ضرب على جنبه فيدخل الشعب عليهم ، ويأتي به قد أوقره برا ، فيفعل به مثل ذلك .

قال : ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي — وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب — فقال : يا زهير ، وقد رضيت أننا نأكل الطعام ونلبس

(١) في الأصل : « عمر » ، والصواب عن ابن هشام ، والمزاهب ، وعيون الأثر ، والاستيعاب .

التياب ، ونكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت لا يتاعون ولا يُتاع منهم ،
ولا يَنكِحون ولا يُنْكَح إليهم ، أما إني أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم
ابن هشام ثم دعوته إلى مثل ما دءلك إليه منهم ما أجابك إليه أبدا ، قال :
ويحك يا هشام ! فماذا أصنع ؟ أنا رجل واحد ، والله لو كان معي رجل آخر
لقت في نقضها حتى أنقضها ، قال : قد وجدت رجلا ، قال : من هو ؟ قال :
أنا ، قال له زهير : ابغنا ثلثا ، فذهب إلى المطعم بن عدي فقال له : يا مطعم
أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك ، موافق
لقريش فيه ! أما والله لئن أمكنتموه من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعا ، قال :
ويحك ، فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، قال : قد وجدت ثانيا ، قال : من هو ؟
قال : أنا ، قال : ابغنا ثلثا ، قال : قد فعلت ، قال : من هو ؟ قال : زهير ،
قال : ابغنا رابعا ، قال : فذهب إلى أبي البختري بن هشام فقال له نحو ما
قال لمطعم ، فقال : وهل من أحد يعين على هذا ؟ قال : نعم ، قال : من هو ؟
قال زهير والمطعم وأنا معك ، قال : ابغنا خامسا ، فذهب إلى زمعة بن الأسود
ابن المطلب ، فكلّمه وذكر له قرابتهم وحقهم ، فقال : وهل على هذا الأمر الذي
تدعوني إليه من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سَمَّى له القوم ، فأعدوا خَطَمَ ^(١) المجنون ليلا
بأعلى مكة ، فاجتمعوا هناك وتعاهدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها .

وقال زهير : أنا أبدؤكم فأكون أول من يتكلم . فلما أصبحوا غدوا إلى
أنديتهم ، وغدا زهير عليه حُلّة ، فطاف بالبيت سبعا ، ثم أقبل على الناس فقال :
يا أهل مكة ، أنا كل الضعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكني لا يتاعون ولا يُتاع
منهم ! والله لا أقعد حتى تُسَق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة . فقال أبو جهل

(١) كذا بالأصل . وخط المجنون : آفه النادرمة ؛ والذي في ابن هشام والبداية بالمهمل ، والحطيم :
الموضع الذي حطم منه ، أي تلم فيني مقطعا .

— وكان في ناحية المسجد — : كذبت ، والله لا تُشَقَّ ! قال زَمْعَةُ بن الأسود :
 أنت والله أكذب ، مَارِضِينَا كَتَابَتَهَا حَيْثُ كُتِبَتْ ، قال أبو الْبَخْتَرِيِّ : صدق زَمْعَةُ ،
 لا نَرْضَى مَا كُتِبَ فِيهَا وَلَا نَقْرَبُهُ ، قال المَطْعَمُ : صدقهما وكذب من قال غير ذلك ؛
 نبأ إلى الله منها ومما كتب فيها !

وقال هشام بن عمرو نحووا من ذلك .

فقال أبو جهل : هذا أمر قِضَى بَلِيل ، وتشوِير فيه بغير هذا المكان — وأبو طالب
 جالس في ناحية المسجد — وقام المَطْعَمُ إلى الصحيفة ليشُقُّهَا فوجد الأَرْضَةَ قد
 أَكَلَتْهَا ، إِلَّا « بِاسْمِكَ اللَّهُم » .

ثم حكى ابن هشام نحووا كما ذكره الواقِديّ من خبرها على ما قدّمناه ، وأن
 أولئك الرهط الذين ذكرناهم صنعوا ما صنعوا مما ذكرناه بعد كلام أبي طالب .
 والله تعالى أعلم .

ذِكْرُ مَنْ عَادَ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهَا ، وَكَيْفَ دَخَلُوا مَكَّةَ

قال ابن إسحاق رحمهما الله : وبلغ أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين
 خرجوا إلى أرض الحبشة إسلام أهل مكة ، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك ، حتى إذا
 دَنَوْا مِنْ مَكَّةَ بلغهم أن ما كانوا يتحدثون به من إسلامهم كان باطلا ، فلم يدخل أحد
 منهم إِلَّا بِجَوَارٍ أَوْ مُسْتَحْفِيًا . فكان من قدم عليه مكة ، منهم فأقام بها حتى هاجر
 إلى المدينة فشهد بَدْرًا وَأَحَدًا ، ومن حَسِبَ عَنْهُ حتى فاتته ذلك .

ومن مات منهم بِمَكَّةَ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ : عُمَانُ بْنُ عَفَّانٍ مَعَ أَمْرَأَتِهِ رَقِيَّةَ
 بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَبُو حَذِيفَةَ بْنُ عَتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، مَعَ أَمْرَأَتِهِ
 مَهْلَةَ بِنْتِ سُهَيْلٍ .

(١) في الأصل «عل» وهو تحريف . (٢) في الأصل «تشوِير فيه لغير» وهو تحريف .

- ومن حلفائهم عبد الله بن جحش بن رثاب .
- ومن بنى نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان حليف لهم .
- ومن بنى أسد بن عبد العزى الزبير بن العوام .
- ومن بنى عبد الدار مُضْعَب بن عمير، وسُوَيْبِط بن سعد .
- ومن بنى عبد [بن] قصى ^(١) طَلَب بن عمير .
- ومن بنى زُهرة بن كلاب عبد الرحمن بن عوف ، والمقداد بن عمرو، حليف لهم ، وعبد الله بن مسعود، حليف لهم .
- ومن بنى مخزوم أبو سلمة بن عبد الأسد ، معه أمراءته أم سلمة ، وشماس
- أبن عثمان ، وسلمة بن هشام ، حبسه عمه بمكة فلم يهاجر إلا بعد الخندق ، وعيَّاش ^(٢)
- أبن أبي ربيعة بن المغيرة ، ومن حلفائهم عمار بن ياسر، ومُعْتَب بن عوف من خزاعة .
- ومن بنى جحج عثمان بن مظعون وأبنة السائب بن عثمان ، وقُدَّامة وعبد الله
- أبنا مظعون .
- ومن بنى منهم خُثَيْس بن حُذَافَة ، وهشام بن العاص بن وائل ، حبس بمكة
- فلم يهاجر إلا بعد الخندق .
- ومن بنى عدى بن كعب عامر بن ربيعة حليف لهم ، معه أمراءته لَيْلى
- بنت أبي حثمة .
- ومن بنى عامر بن لؤى عبد الله بن مخزومة ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو .
- حبس بعد الهجرة ، فلما كان يوم بدر أنحاز من المشركين إلى رسول الله صلى الله

(١) من ابن هشام .

(٢) في ابن هشام (٢ : ٦) ، « فلم يقدم إلا بعد بدر واحد والخندق » .

(٣) في ابن هشام ما نصه : « إن عماراً يشك فيه ، أكان خرج إلى الحبشة أم لا » .

عليه وسلم ، وأبو سبرة بن أبي رهم ، معه امرأته أم كلثوم ، والسكان بن عمرو معه
امرأته سودة بنت زمعة ، مات بمكة قبل الهجرة . ومن حلفائهم سعد بن خولة .

ومن بنى الحارث بن فهر - ر أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الحزاح ، وعمرو
أبن الحارث بن زهير ، وسهيل بن بيضاء ، وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال .

• بجميع من قدم مكة ثلاثة وثلاثون رجلا ، فكان من دخل منهم بجوار عثمان
أبن مظعون دخل بجوار من الوليد بن المغيرة ، فلما رأى ما فيه أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من البلاء وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد ، قال : والله
إن غدوتى ورواحى آمننا بجوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابى وأهل ديني يلقون
من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص كبير في نفسي ، فمشى إلى الوليد

أبن المغيرة فقال له : يا أبا عبد شمس ، وفئت ذمتك ، وقد رددت إليك جوارك ؛
فقال له : يا بن أخى ، لعله آذاك أحد من قومي ، قال : لا ، ولكنى أرضى بجوار
الله ، ولا أريد أن أستجير بغيره . قال : فأطلق إلى المسجد فرد على جوارى
علانية كما أجزتك علانية ، فخرجا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد : هذا عثمان قد
جاء يرد على جوارى ، قال : صدق ، وجدته كريما وفى الجوارى ، ولكنى أحببت
ألا أستجير بغير الله ، فقد رددت عليه جواره ، ثم انصرف عثمان .

وأبو سلمة بن عبد الأسد دخل بجوار من أبى طالب بن عبد المطلب ، فمشى
إليه رجال من بنى مخزوم فقالوا : يا أبا طالب ، منعت منا ابن أخيك محمدا ، فمالك

(١) في ابن هشام : « أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو » .

(٢) في الأصل : « أصحاب » . وما أئتناه عن ابن هشام .

(٣) في ابن هشام : « وفيا كريم الجوار » .

(٤) في الأصل : « يا أبا المطلب » ، وما أئتناه عن ابن هشام .

ولصاحبنا تمنعه مِنَّا ! قال : إنه استجارَ بي ، وهو ابن أختي ، وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أختي ، فقام أبو لُهب فقال : يا معشر قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون تؤثِّبون عليه في جواره من بين قومه ، والله لتنتهَن عنه أولتقومٍ معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد ، فقالوا : بل ننصرف عما نكره يا أبا عُبَّة . قال : وأقام بقيتهم بأرض الحبشة إلى سنة سبع من الهجرة ، فقدموا بعد فتح خير ، وقد رأينا أن نذكرهم في هذا الموضع ، لتكون أخبارهم متوالية .

ذكر من قدم من أرض الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر ، ومن قدم بعد ذلك ومن هلك منهم هناك

قال ابن إسحاق : كان من قدم منهم إلى خير في سنة سبع من الهجرة مع جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه في السفينتين ستة عشر رجلا ، وهم من بني هاشم بن عبد مناف : جعفر بن أبي طالب ، معه امرأته أسماء بنت عميس ، وابنه عبد الله ، ولد بأرض الحبشة .

ومن بني عبد شمس خالد بن سعيد بن العاص ، معه امرأته أمينة بنت خلف ، وابناه سعيد بن خالد ، وأمة بنت خالد ، ولدتهما بأرض الحبشة ، وأخوه عمرو بن سعيد ، ومعيقب بن أبي فاطمة ، وأبو موسى الأشعري ، وابنه عبد الله بن قيس .

ومن بني أسد الأسود بن نوفل بن خُوَيْلِد .

(١) في الأصل : « معيقب » . وما أثبتناه عن (ابن هشام ٤ : ٤) .

(٢) في الأصل : « الأسد » . والصواب عن ابن هشام :

ومن بنى عبد الدار [بن] قُصَيَّ جَهْم بن قيس ، نعمة ابنه عمرو بن جَهْم ،
وخزيمة بنت جَهْم ، وكانت معه امرأته أُم حرملة بنت عبد الأسود ؛ هلكت
بأرض الحبشة .

ومن بنى زهرة بن كلاب عامر بن أبي وقاص ، وعُتْبَةُ بن مسعود حليف
لهم من هُذَيْل .

ومن بنى تميم بن مرة الحارث بن خالد بن صَخْر ، هلكت امرأته رَيْطَةُ
بالحبشة .

ومن بنى جُمُع عثمان بن ربيعة بن أهبان .

ومن بنى سَهْم حَمِيَّة بن الجزء حليف لهم من بنى زُبَيْد .^(٢)

ومن بنى عَدَى بن كعب معمر بن عبد الله بن نَضْلَةَ .

ومن بنى عامر بن لؤى أبو حاطب بن عمرو ، ووالد بن ربيعة : معه
أمرأته عمرة بنت السعدى .

ومن بنى الحارث بن فهر الحارث بن [عبد] قيس بن لَقِيْط ، وحمل معهم
نساء من نساء من هلك هناك .^(٣)

هؤلاء الذين قدموا مع جعفر في السفينتين . وقدم بعد ذلك ستة وعشرون
رجلا ، وهم :

من بنى أمية قيس بن عبد الله الأسدى ، أسد خزيمة ، حليف لهم .

(١) ساقطة من الأصل . وما أثبتناه عن ابن هشام .

(٢) كذا ضبط هذا الاسم في التاج والتكملة من ابن هشام .

(٣) الزيادة من ابن هشام .

ومن بنى أسد يزيد بن زَمعة بن الأسود، قتل يوم حنين شهيدا .
 ومن بنى عبد الدار : أبو الروم بن عُمر، وفراس بن النضر بن الحارث بن كَلْبَة .
 ومن بنى تميم بن مرة عمرو بن عثمان بن عمرو .

ومن بنى مخزوم هَبَّار بن سفيان ، وأخوه عبد الله ، وهشام بن أبي حذيفة
 ابن المقيرة .

ومن بنى جُمح سفيان بن مَعمر ، وأبناء جُنادة وجابر ، وأُمهما حَسَنَة ،
 وأخوهما لأبيهما شُرَحْبِيل بن حَسَنَة .

ومن بنى سهم قيس بن حذافة بن قيس ، وأبو قيس بن الحارث بن قيس ،
 وبشر بن الحارث بن قيس ، وأخ له من أمه من بنى تميم يقال له : سعيد بن عمرو ،
 وسعيد بن الحارث بن قيس ، والسائب بن الحارث بن قيس ، وعُمير بن رثاب ،
 ابن حذيفة .

ومن بنى عامر بن لؤي مَلِيط بن عمرو .
 ومن بنى الحارث بن فهر عثمان بن عبد غَم ، وسعيد بن عبد قيس بن لَقِيط ،
 وعِياض بن زهير بن أبي شَداد .

وهلك بأرض الحبشة ممن هاجر إليها ثمانية ، وهم :
 من بنى عبد شمس ، من حلفائهم عبيد الله بن جحش بن رثاب ، تنصر ومات
 بأرض الحبشة نصرانيا ، وكانت معه امرأته أُم حبيبة بنت أبي سفيان ، خلف
 عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) كذا ضبط هذا الاسم بالتحريك في التاج ضبطا بالعبارة .

(٢) ويقال فيه سعد كما في ابن هشام والاستيعاب .

ومن بنى أسد عمرو بن أمية بن الحارث .

ومن بنى زهرة بن كلاب المطلب بن أزهري بن عوف ، ومعه امرأته رملة بنت أبي عوف ، فولدت له هناك عبد الله بن المطلب .

ومن بنى جُمح حاطب بن الحارث بن معمر ، وكان معه امرأته فاطمة بنت المحلل بن عبد الله^(١) ، وابناه محمد والحارث ، فقيدت امرأته وأبناه مع جعفر ابن أبي طالب رضى الله عنه في أحد السفينتين ، وأخوه خطاب بن الحارث ، وكان معه امرأته فُكَيْهة بنت يسار قدمت مع جعفر أيضا .

ومن بنى سهم عبد الله بن الحارث بن قيس .

ومن بنى عدى بن كعب عُرْوَة بن عبد العزى بن حُرثان ، وكان مع عدى ابنه النعمان ، فقديم مع من قديم من المسلمين .

فهؤلاء الذين ذكرناهم هم الذين ذكرهم ابن إسحاق ، وعدهم أنهم الذين هاجروا إلى أرض الحبشة ، وحصر عدتهم كما تقدم . وأما من ذكرنا من ذكر أبو عمر يوسف بن عبد البر في آباءه أنهم ممن هاجر إلى أرض الحبشة فلم تقف على تاريخ عودهم فنذكره .

ذكر من أنزل فيه القرآن من مشركي قريش وما أنزل فيهم

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : ولما حذى الله تعالى رسوله صلى الله عليه

وسلم من قريش ومنعه منها ، وقام عمه أبو طالب وقومه من بني هاشم وبني

عبد المطلب دونه ، وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به ، جعلت قريش

يهمزونه ويستهزئون به ويخاصمونهم ، والقرآن ينزل فيهم ، منهم من سماه الله تعالى ،

ومنهم من نزل فيه في عامة من ذكر الله من الكفار .

(١) في بعض نسخ ابن هشام وأسد الغابة « المحلل » بالجم .

فكان من سمى ممن نزل فيه القرآن أبو لهب بن عبد المطلب ، وأمراؤه
 أم جميل بنت حرب بن أمية ، حمالة الخطب ، فانزل الله فيهما قوله : ﴿ تَبَّتْ يَدَا
 أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ . مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ . وَامْرَأَتُهُ
 حَمَّالَةَ الْخَطَبِ . فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾ . قال : وإنما سماها الله تعالى
 حمالة الخطب لأنها كانت تحمل الشوك فتطرحه في طريق رسول الله صلى الله
 عليه وسلم .

[قال ابن إسحاق : فذكر لي أن أم جميل حمالة الخطب ، حين سمعت ما أنزل
 فيها ، وفي زوجها من القرآن أتت رسول الله ^(١) وهو جالس في المسجد عند الكعبة ،
 ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وفي يدها فهر ^(٢) من حجارة ، فلما وقفت عليهما
 أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت :
 يا أبا بكر ، أين صاحبك ؟ قد بلغني أنه يهجونى ، والله لو وجدته لضربت بهذا
 الفهر فاه ، أما والله إنى لشاعرة :

مَدَّمَا عَصَيْنَا * وَأَمْرَهُ آتَيْنَا
 وَدِينَهُ قَلَيْنَا

ثم أنصرفت .

قال أبو بكر : يا رسول الله ، أما تراها رأيتك ؟ قال : ما رأيتنى ، لقد أخذ الله
 ببصرها عنى .

وأمية بن خلف بن وهب الجهمي ، كان إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 همزه ولمزه ، فانزل الله تعالى فيه قوله : ﴿ وَيَلْ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾ ، السورة كلها .

(١) الزيادة عن ابن هشام : (١ : ٣٨١) .

(٢) الفهر : الحجر الذى يملأ الكف .

قال ابن هشام : الهمزة : الذي يشتم الرجل علانية ، ويكسر عينه عليه ويغمر به . واللمزة : الذي يعيب الناس سراً ويؤذيهم .

والعاص بن وائل السهمي ؛ كان إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : دعوه فإنما هو رجل أبتر لا عقب له ، لو قد مات أقطع ذكره واسترحتم منه ، فأنزل الله تعالى في ذلك قوله : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَر . إِن شَاءَ نَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ .

والكوثر : ماء هو خير من الدنيا وما فيها ؛ وقيل : الكوثر : العظيم ، وقيل : الخير الكثير .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الكوثر الذي أعطاك الله ؟ فقال :
 ١٠ نهر في الجنة كما بين صنعاء إلى أيلة^(١) ، آيته كمدد نجوم السماء ، من شرب منه لم يظمأ أبداً ، وأنزل الله فيه قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ ، وكان سبب ذلك أن خباب بن الأرت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نشأ بمكة يعمل السيوف ، وكان قد باع من العاص بن وائل السهمي سيوفاً عملها له ؛ حتى كان له عليه مال ، فجاءه يتقاضاه ، فقال : يا خباب ، أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن
 ١٥ في الجنة ما أبغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم ! قال خباب : بلى ، قال : فأنظرنى إلى يوم القيامة حتى أرجع إلى تلك الدار ؛ فأقضيك هنالك حقك ، فوالله لا تكون أنت وأصحابك أثر عند الله منى ، ولا أعظم حظاً في ذلك ، فأنزل الله ذلك فيه .

٩٣

١٤

(١) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم مما على الشام . وقيل من أول الحجاز وآثر الشام ؛ سميت بأيلة

بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام . (معجم البلدان) . (٢) سورة مريم (٢٧ - ٨٠) .

وأبو جهل بن هشام؛ لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : والله يا محمد لتتركن سب آلهتنا أو لننسين إلهك الذي تعبد، فأنزل الله في ذلك : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾^(١)، فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سب آلهتهم، وجعل يدعوهم إلى الله .

ولما ذكر الله شجرة الرقوم تخويفاً لهم قال أبو جهل : يا معشر قريش، هل تدرون ما شجرة الرقوم التي يخوفكم بها محمد ؟ قالوا : لا ، قال : عَجْوَةٌ يثرب بالزُّيد، والله لئن استمكننا منها لثرقناها، فأنزل الله فيه : ﴿ إِنْ شَجَرَتِ الرُّقُومُ . طَعَامُ الْأَنِيمِ . كَأَلْهَلٍ يَنْفِي فِي الْبُطُونِ . كَعَلَى الْحَمِيمِ ﴾^(٢)، أى ليس كما يقول .

والنضر بن الحارث بن كَلْدَةَ بنِ علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيٍّ؛ كان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً فدعا فيه إلى الله ، وتلا فيه القرآن، وحذّره قريشاً ما أصاب الأمم الخالية ، خلفه في مجلسه إذا قام فحذّهم عن رسم وملوك الفرس وإسفينديار ، ثم يقول : والله ما محمد بأحسن حديثاً مني ، وما حديثه إلا أساطير الأولين آكتبها كما آكتبتها، فأنزل الله فيه : ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ آكُتِبَتْ فِيهِمْ مُمَلًى عَلَيْهِ بُكْرَةٌ وَأَصِيلًا . قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾^(٣) . وأنزل فيه : ﴿ إِذَا تَنَتَّلَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾^(٤) . ونزل فيه : ﴿ وَبَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنْتَلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يَصُرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشْرُهُ يَعْذَابِ الْأَلِيمِ ﴾^(٥) ، والأفَّاك : الكذاب .

(٢) سورة الدخان (٤٣ - ٤٦) .

(٤) سورة القلم ١٥ .

(١) سورة الأنعام (١٠٨) .

(٣) سورة الفرقان ٥ - ٦ .

(٥) سورة البقرة ٧ - ٨ .

قال : وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما مع الوليد بن المغيرة في المسجد ، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهما ، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض له النضر مكملة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم حتى أخفمه ، ثم تلا عليه وعليهم : ﴿ إِنُّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ . لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ . لَهُمْ فِيهَا زُفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ^(١) ﴾ ، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل عبد الله بن الزبير السهمي حتى جلس ، فقال له الوليد بن المغيرة : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد ، وقد زعم عهد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم ! فقال عبد الله بن الزبير : أما والله لو وجدته لخصمته ، فسألوا محمدا : أكل ما يُعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ؟ ، فنحن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عُزَيْرًا ، والنصارى تعبد عيسى بن مريم ، فعجب الوليد ومن كان حضر معه في المجلس من قول عبد الله ، ورأوا أنه قد احتج وخاصم ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « كُلِّ مِنْ أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ ، إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ ، وَمِنْ أَمْرِهِمْ بَعَادَتُهُ » ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُعَبَّدُونَ . لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ^(٢) ﴾ ، أي عيسى بن مريم ، وعُزَيْرٌ ومن عبَدوا من الأحرار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله ، فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله .

(١) - سورة الأنبياء ٩٨ - ١٠٠ .

(٢) - سورة الأنبياء ١٠١ - ١٠٢ .

ونزل فيما ذكروا أنهم يعبدون الملائكة ، وأنها بنات الله قوله تعالى :
 ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ . لَا يُسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ
 يَعْمَلُونَ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلِكُفْرِهِ جَزَاءُ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ
 نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ ^(١) .

ونزل فيما ذكر من أمر عيسى عليه السلام أنه يُعبد من دون الله ،
 ونجى الوليد ومن حضر من حجة : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ
 يَصِدُّونَ ﴾ ، أى يصدون عن أمرك ، ثم ذكر عيسى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ
 وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ . وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ .
 وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾ ^(٢) ، أى ما وضعت على يديه من الآيات من إحياء
 الموتى ، وإبراء الأسقام ، فكفى به دليلا على علم الساعة ، يقول : ﴿ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا
 وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ ^(٣) .

والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى ، حليف بنى زهرة ، وكان
 من أشراف القوم ، ومن يستمع منه ، فكان يُصيب من رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ويرد عليه ، فأنزل الله فيه : ﴿ وَلَا تَطْغَ كُلُّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴾ إلى قوله :
 ﴿ زَنِيمٌ ﴾ ، والزَّيْمُ : العديد للقوم ^(٤) .

والوليد بن المغيرة قال : أيتزل على عهد وأترك ! وأنا لبيب قريش وسيدها !
 ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفى سيد ثقف ، ونحن عظيم القريتين ! فأنزل

(١) سورة الأنبياء ٢٩ . (٢) سورة الزخرف ٥٧ . (٣) سورة الزخرف

٥٩ - ٦١ . (٤) سورة الزخرف ٦١ . (٥) سورة القلم ١٠ - ١٣ .

(٦) العديد : الرجل يدخل نفسه في قبيلة ليعدها ، وليس له فيها عشيرة .

(٧) فى الأصل : « فهن » وما صوبناه عن ابن هشام (١ : ٣٨٧) .

الله تعالى فيه : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ .
أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ، إلى قوله :
﴿ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ .

وأبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جحج ، وعقبة بن أبي معيط — وكانا
متصافين حسناً ما بينهما — فجلس عقبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ،
فلغ ذلك ألباً ، فأتى عقبة فقال : ألم يبلغني أنك جالست محمداً وسمعت منه ! ثم
قال : وجهي من وجهك حرام أن أكلمك — واستغظ من العين — إن أنت جلست
أو سمعت منه ، أو لم تأنه فتغل في وجهه . ففعل غدو الله عقبة بن أبي معيط ،
فأنزل الله فيهما : ﴿ وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ
سَبِيلًا . يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ . ومشى أبي بن خلف إلى رسول الله صلى الله عليه عليه
وسلم [بعظم] بال قد أرفت ، فقال : يا محمد ، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعدما
أرى ؟ ثم فته بيده ونفخه في الریح نحو النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : ” نعم أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ،
ثم يدخلك النار “ ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ
يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ .
الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا إِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تَوَفَّدُونَ ﴾ .

(١) سورة الزخرف ٣١ - ٣٢ . (٢) في الأصل : « ألم يبلغك أفى » ، وما أثبتناه

عن ابن هشام . (٣) سورة الفرقان ٢٧ - ٢٩ (٤) الزيادة عن ابن هشام .

(٥) أرفت : تكسروفتفت . (٦) في ابن هشام : « وأرم » . (٧) سورة يس

وأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة الأسود بن المطاب
 ابن أسد، والوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل — وكانوا ذوى
 أسنان في قومهم — فقالوا : يا محمد، حلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن
 وأنت في الأمر، فإن كان الذى تعبد خيرا كما قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان
 ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه، فأنزل الله تعالى فيهم :
 ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ... السورة .

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه إلى الإسلام، وكلهم فابلق، فقال له
 زَمْعَةُ بن الأسود، والنضر بن الحارث، والأسود بن عبد يغوث، وأبى بن خلف،
 والعاص بن وائل : لو جعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس، ويرى معك !
 فأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَ لَفِضَى
 الْأَمْرِ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ . وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ^(١) .
 والله المستعان .

ذكر خروج أبى بكر الصديق رضى الله عنه إلى الهجرة

وعوده، وجواره وردّه الجوار

قال : وكان أبو بكر رضى الله عنه كما روى الزهرى عن عمروة عن عائشة
 رضى الله عنها حين ضاقت عليه مكة، وأصابه فيها ما أصابه من الأذى، ورأى من
 تظاهر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما رأى استأذن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة، فأذن له، فخرج أبو بكر مهاجرا حتى إذا سار من

مكة يوما أو يومين لقيه ابن الدغنة^(١)، ويقال فيه: الدغنة - أخو بني الحارث بن بكر
 ابن عبد مناة بن كنانة، والهُدُون بن نُزَيْمَة بن مُدْرِكَة، وبني المُصْطَلِق بن نُزَاعَة،
 تحالفوا جميعا فُسِّمُوا الأَحَابِيشَ لِلْحُلْفِ^(٢) - فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ قال: أخرجني
 قومي وآذوني وضيقوا عليّ، قال: ولم؟ فوالله إنك لتزين العسيرة، وتعين على
 النوايب، وتفعل المعروف، وتكسب المعدوم، ارجع وأنت في جوارى. فرجع
 معه حتى إذا دخل مكة؛ قام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش، إني قد أجزت
 ابن أبي خفافة فلا يعرضنّ له أحد إلا بخير، فكفّوا عنه.

قال: وكان لأبي بكر مسجد على باب داره في بني جُحج، فكان يصلي فيه،
 وكان رجلا رقيقا؛ إذا قرأ القرآن أسنّكي، فتقف عليه الصبيان والعييد والنساء
 فيعجبون لما يرون من هيئته، فشئ من قريش إلى ابن الدغنة رجال فقالوا: إنك
 لم تُجر هذا الرجل ليؤذينا، إنه رجل إذا صلى وقرأ ماجأ به عذ يرقّ، ونحن
 نخوف على صبياننا ونسائنا وضعفنا أن يقتلهم، فأنه فرّده أن يدخل بيته فليصنع
 فيه ما شاء.

قالت: فشئ ابن الدغنة إليه فقال: يا أبا بكر، إني لم أجرك لتؤذى قومك،
 إنهم قد كرهوا مكانك الذي أنت به، وتأذّوا بذلك منك، فادخل بيتك فاصنع فيه
 ما أحببت. قال: أو أردّ عليك جوارك، وأرضى بجوار الله؟ قال: فاردّد عليّ
 جوارى، قال: قد رددته عليك، فقام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش، إن
 ابن أبي خفافة قد ردّ عليّ جوارى فشأنكم بصاحبكم.

(١) هو مالك بن الدغنة سيد الأحابيش. (٢) يقال إنهم تحالفوا عند جبل يقال له حبش،

فاشتق لهم منه هذا الاسم، (راجع الرض الأنف ١: ٢٣١).

ذكر وفاة أبي طالب بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومشي أشراف قريش إليه في مرضه ، وما قالوه وأزل فيهم
كانت وفاة أبي طالب بعد قبض الصحيفة ، ونروج بنى هاشم وبنى المطلب
من الشعب بثمانية أشهر وأحد وعشرين يوما ، وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام .
حكاه الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الديماطي - رحمه الله في مختصر السيرة
النبوية .

وقال محمد بن سعد : كان بينهما شهر وخمسة أيام .

قال محمد بن إسحاق : لما أشتكى أبو طالب وبلغ قريشا ثقله ، فثنى إليه
أشراف قريش وهم : عتيبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ،
وأمية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب في رجال من أشرافهم ، فقالوا : يا أبا طالب ،
إنك منا حيث قد علمت وقد حضرك ما ترى ، ونحوقنا عليك ، وقد علمت الذي
بيننا وبين ابن أخيك ، فأدعه نخذله منا ، وخذ لنا منه ، ليكف عنا ونكف عنه ،
وليدعنا وديننا ، وندعه ودينه .

فبعث إليه بجاءه فقال له : يا بن أخي ، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ،
ليعطوك وليأخذوا منك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلمة واحدة تكون
بها العرب ، وتدين لهم بها العجم » فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات ، فقال :
« تقولون لا إله إلا الله ، وتخطعون ما تعبدون من دونه » ، قال : فصفقوا بأيديهم ،
وقالوا : أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهها واحداً ؟ إن أمرك لعجب ! ثم قال

(١) ابن سعد ١ : ١٤١ (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٨ (٣) في ابن هشام :

٥٩ : ٢ « نعم ، كلمة واحدة تعطونها ؛ تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم » .

بعضهم لبعض : إنه والله ، ما هذا الرجل يعطيكم شيئا مما تريدون ؛ فأنطلقوا وامضوا على دين آبائكم ، حتى يحكم الله بينكم وبينه ، ثم تفرقوا . فقال أبو طالب : والله ما رأيتك سألتهم شططا .

قال : فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، فجعل يقول له : ” يا عم فأنت فقلها ؛ أستحل بها لك الشفاعة يوم القيامة “ ، قال : يا بن أختي لولا مخافة السببة عليك وعلى بنى أبيك من بعدى ، وأن تظن قريش أنى قتلها جزءا من الموت لقلتها ، لا أقولها إلا لأسرك بها .

قال ابن عباس : فلما تقارب من أبي طالب الموت ، نظر العباس إليه يحرك شفثيه ، فأصغى إليه بأذنه ، فقال : يا بن أختي ، والله لقد قال أختي الكلمة التى أمرته أن يقولها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” لم اسمع “ ، ثم هلك أبو طالب .
والذى ورد فى الصحيح : أن آخر ما سمع من أبي طالب ؛ هو على دين عبد المطلب .

قال ابن إسحاق : وأنزل الله فى الرهط الذين اجتمعوا إلى أبي طالب وقالوا ما قالوا ، قوله تعالى : ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ . بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ . كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ . وَنَجَّيْنَا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ . أَجَعَلَ الْإِلَٰهَةَ إلهًا وَاحِدًا إِنْ هَذَا إِلَّا لَشَيْءٌ مُجَاجٍ . وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ . مَا مَعِنَا بِهِذَا فِي الْمَلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ﴾ . قال : يريدون بالمللة الآخرة النصارى ؛ لقولهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ تَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ .

ذكر وفاة خديجة بنت خويلد زوج النبي

صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها

كانت وفاة خديجة رضى الله عنها بعد وفاة أبي طالب كما تقدم ، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين على ما صححه الشيخ شرف الدين الدمايطي رحمه الله في مختصر السيرة النبوية ، قال :

وبقيت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الوحي خمس عشرة سنة ، وبعده تسع سنين وثمانية أشهر ، وهي أول من أسلم من النساء بلا خلاف ، ولعلها أول من أسلم من الناس ، وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وزير صدق . روى أن آدم عليه السلام قال : « إني لسيّد البشر يوم القيامة إلا رجل من ذريتي فضل علىّ باثنين ، كانت زوجته عوناً له ، وكانت زوجتي عوناً عليّ ، وأعانه الله على شيطانه فأسلم ، وكفر شيطاني » . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أمرت أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب » ، قالوا : والقصب ها هنا : اللؤلؤ . ودفنت خديجة بالمجّون ، ولم تكن شرعت الصلاة على الميت بعد . والله أعلم .

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، وعوده إلى مكة
قال : لما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم تكن تناله في حياة عمه .

قال محمد بن سعد :^(١) فبلغ ذلك أبا لهب ، فجاءه فقال : يا محمد ، امض لما أردت وما كنت صانعاً إذا كان أبو طالب حياً فاصنعه ، لا وإلّات ، لا يؤصل إليك

حتى أموت . قال : وسبّ ابن الغنظلة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأقبل عليه أبو لهب فقال منه ، فوثق وهو يصيح : يامعشر قريش ، صبا أبو عتبة ، فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب فقال : ما فارقت دين عبد المطلب ، ولكني أمتنع ابن أخي أن يضام ، حتى يمضي لما يريد ، قالوا : قد أحسنت وأجملت ووصات الزحم ، فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أياما يذهب ويأتي ، ولا يعترض له أحد من قريش ، وهابوا أبا لهب إلى أن جاء عتبة بن أبي مُعيط ، وأبو جهل ابن هشام إلى أبي لهب فقالا : أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك ؟ فقالا له : يا محمد أين مدخل عبد المطلب ؟ قال : ” مع قومه “ ، فخرج أبو لهب إليهما فقال : قد سألته فقال : ” مع قومه “ ، فقالا : يزعم أنه في النار ، فقالا : يا محمد ، أيدخل عبد المطلب النار ؟ ، فقال : ” نعم ، ومن مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب دخل النار “ . فقال أبو لهب : والله لا برحت لك عدوا أبدا ، وأنت تزعم أن عبد المطلب في النار ، فاشتد عليه هو وسائر قريش ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف .

قال محمد بن سعد : نخرج ومعه زيد بن حارثة ، وذلك في ليال بقين من شوال سنة عشر من حين النبوة ، فأقام بالطائف عشرة أيام لا يدع أحدا من أشrafهم إلا جاءه وكلمه ، فلم يجيبوه ، وخافوا على أحداثهم ، فقالوا : يا محمد ، أخرج من بلدنا والحق بجبابك من الأرض . وأغروا به سفهاءهم ، فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى إن رجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتدميان ، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه . حتى لقد شجّ في رأسه شجاجا ، فأنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف راجعا إلى مكة وهو محزون لم يستجب له رجل واحد ولا امرأة .

(١) في الأصل : « فقال » ، وما أثبتناه عن ابن سعد ١ : ١٤٢

(٢) في السيرة الحلبية ١ : ٣٨٥ : « بمنجائك » .

وقال ابن إسحاق^(١) : لما أغروا به سفهاءهم ؛ لجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حائط لُعبة وشيبة ابني ربيعة ، فجلس في ظل حِلة^(٢) ، وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف ، فتحرّكت له رحمتها ، فدعوا غلاما لها نصرانيا يقال له عدّاس ، فقالا له : خذ قطفا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ، ثم اذهب إلى ذلك الرجل فقل له يا كل منه ، ففعل عدّاس ، ثم أقبل حتى وضعه بين يديه صلى الله عليه وسلم ، وقال له : كُلْ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” بسم الله “ فأكل ، فنظر عدّاس إليه ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له صلى الله عليه وسلم : ” ومن أهل أيّ البلاد أنت يا عدّاس ؟ وما دينك ؟ “ . قال : نصراني ، وأنا رجل من أهل يثَين^(٤) ، فقال له : ” أمن قرية الرجل الصالح يونس بن مَتَّى “ ؟ فقال عدّاس : وما يدريك ما يونس ؟ قال : ” ذاك أخي ، كان نبيا وأنا نبي “ ، فأقبل عدّاس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقبّل رأسه وقدميه ويديه ، فقال أحد ابني ربيعة لصاحبه : أتما غلامك فقد أفسده عليك ، فلما جاءهما عدّاس قالا له : ويلك ! مالك تُقبّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ! قال : يا سيدي ، ما في الأرض شيء خير من هذا العبد ، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي ، قالوا : ويحك يا عدّاس ! لا يصرفك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه .

قال : ثم أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى مكة حين يئس من خير ثقيف ، حتى إذا كان بمحلة^(٥) أتاها حتى نصيبين^(٦) ، على ما نذكر ذلك إن شاء

(٢) الحائط : البستان إذا كان عليه جدار .

(١) ابن هشام ٢ : ٦١

(٤) يثينى : من قرى الموصل .

(٣) المحلة : شجرة العنب .

(٦) نصيبين : قاعدة ديار ربيعة .

(٥) محلة : محلة ما بين مكة والطائف .

الله في أخبار الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما تنقف عليه هناك ، وهو في آخر وفادات العرب .

قال : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلة أياما ، فقال له زيد بن حارثة : كيف تدخل عليهم وهم أخرجوك ؟ فقال : " يا زيد ، إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا ، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه " ، ثم آتتهى إلى حراء ، فأرسل رجلا من خزاعة إلى مطعم بن عدى يقول : " أدخل في جوارك " ؟ فقال : نعم ، ودعا بنيه وقومه ، فقال : تلبسوا السلاح ، وكونوا عند أركان البيت ؛ فإني قد أبرجت محمدا ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه زيد بن حارثة حتى آتتهى إلى المسجد الحرام ، فقام مطعم بن عدى على راحلته فتأدى : يا معشر قريش ، إني قد أبرجت محمدا ، فلا يهجه أحد منكم ، فآتتهى صلى الله عليه وسلم إلى الزكن فآستلمه ، وصلى ركعتين ، وأنصرف إلى بيته ، ومطعم وولده مطيفون به ، فلذلك قال حسان بن ثابت الأنصاري في رثائه لمطعم من قصيدته :

فلو كان مجد يُخلد الدهر واحدا * من الناس أبى مجده اليوم مطمعا^(١)
أبرت رسول الله منهم فأصبحوا * عبيدك ما لى مهل وأحرما

وحكى محمد بن إسحاق : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الأخنس بن شريق ليُجيره ، فقال : أنا حليف ، والحليف لا يُجير ؛ فبعث إلى سهيل بن عمرو فقال : إن بني عامر لا يُجير على بني كعب^(٢) ، فبعث إلى المطعم بن عدى فاجابه .

(١) رواية الديوان بشرح البرقوقي : ٣٩٨

ولو أن مجدا أخذ الدهر واحدا * من الناس أبى مجده الدهر مطمعا

(٢) في الأصل : « أنى من بني عمر » ، وهو تحريف . وصوابه عن ابن هشام : ٢ : ٢٠ ،

والخليفة : ١ : ٣٩١

ذكر خبر الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم

من مكة إلى البيت المقدس ، وخبر المعراج به صلى الله عليه وسلم إلى السموات العلا ، وإلى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ، وما شاهد في ذلك من الكرامة والأصطفاء والمناجاة ، وفرض الصلاة ، وغير ذلك مما يراه من آيات ربه الكبرى ، صلى الله عليه وسلم

وخبر الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح متفق على صحته بنص الكتاب والأحاديث الصحيحة . أما الكتاب العزيز ، فقد قال الله عز وجل :
 ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ^(١) . وقال تعالى : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ . وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ . عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ . وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ . ثُمَّ دَنَّىٰ فَقَدَّتْ . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ . فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ . أَفَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ . عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ . عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ . لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ ^(٢)

وأما الأحاديث الواردة في ذلك فسنذكرها إن شاء الله تعالى .

وكان الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة السبت ل سبع عشرة خات من شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا ، وقد أُنْتُ عليه إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر .

وقال ابن سعد في طبقاته عن عائشة وأُمّ هانيء وأبن عباس قالوا : أسرى
 برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة
 بسنة من شعب أبي طالب [إلى بيت المقدس ^(١)] . والله أعلم .

والأحاديث الصحيحة بصحة الإسراء قد جاءت من طرق كثيرة ، وقد رأينا
 أن نبداً منها بأكلها وإجمعا ، وهو حديث ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي
 الله عنه ، ثم نذكر زيادات عن غيره يتعين ذكرها .

أما حديث ثابت البناني ^(٢) فهو مما روينا بإسناد متصل عن مسلم بن الحجاج ،
 قال حدثنا شيبان بن فروخ ، قال حدثنا حماد بن مسلمة ، قال حدثنا ثابت البناني
 عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أتيتُ
 بالبراق وهو دابة أبيض طويل ، فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى
 طرفه " . قال : " فركبته حتى أتيت بيت المقدس ، فربطته بالحلقة التي يربط بها
 الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من
 خمر وإناء من لبن ، فأخذت اللبن ، فقال جبريل : أحترت الفطرة ، ثم عرج بنا
 إلى السماء ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : من معك ؟
 قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا بأدم صلى الله
 عليه وسلم ، فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل
 فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث
 إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بابن آتة عيسى بن مريم ، ويحيى بن
 زكريا صلى الله عليهما وسلم ، فرحبا بي ودعوا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة ،

(١) التكملة من ابن سعد . القسم الأول من الجزء الأول ص ١٤٣

(٢) الحديث في الشفاء : ١ : ١٤١ وما بعدها .

وذكر مثل الأول ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم، وإذا هو قد أُعطي شطر الحسين، فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم عُرج بنا إلى السماء الرابعة، فذكر مثله، فإذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عُرج بنا إلى السماء الخامسة، فذكر مثله، فإذا أنا بهارون فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم عُرج بنا إلى السماء السادسة، فإذا أنا بموسى فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم عُرج بي إلى السماء السابعة، فذكر مثله، فإذا أنا بإبراهيم مستندا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سِدرة المنتهى، وإذا ورقها كأذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال^(١). قال: «فلما غَشِيها من أمر الله ما غَشِي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليّ ما أوحى، ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فتركتُ إلى موسى، فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: أرجع إلى ربك فأسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل». قال: «فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف عن أمتي، فخطّ عني خمسا، فرجعت إلى موسى فقلت: خطّ عني خمسا^(٢)»، قال: «إن أمتك لا يطيقون ذلك، فأرجع إلى ربك فأسأله التخفيف». قال: «فلم أزل أراجع بين ربي تعالى، وبين موسى حتى قال: يا محمد، إنهنّ خمس صلوات، كل يوم وليلة بكل صلاة عشر، فنتلك خمسون صلاة، ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها

(١) في الأصل: «موسى» — وما أثبتناه من مسلم، والشفاء.

(٢) في دلائل النبوة ١: ١٩٦ والبخاري ٤: ٧٢: «نبقها كأنه قلال هجر».

(٣) في عيون الأثر ١: ١٤٥: «لا تطلق».

(٤) في الأصل: «قلت»، وهو تحريف.

كتب له عشراء، ومن هم بسيرة فلم يعملها لم تكتب شيئا، فإن عملها كتبت سيرة واحدة^(١). قال: "فنزلت حتى انتهت إلى موسى فأخبرته، فقال: أرجع إلى ربك فاسأله التخفيف". قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قلت: قد رجعت إلى ربي حتى أسمع مني".

معين التاريخ
لأهل التاريخ

وروى يونس عن ابن شهاب عن أنس قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فُرج سقف بئى، فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله من ماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدرى ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء". فذكر القصة.

وروى قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة الحديث بمثله، وفيه تقديم وتأخير، وزيادة ونقص، وخلاف في ترتيب الأنبياء والسموات، وحديث ثابت عن أنس أتقن وأجود. وهذان الحديثان يدلان على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شق جوفه عند الإسراء، وقد تقدم الخبر أنه شق جوفه وهو عند ظره في حال طفولته، فيكون على هذا شق جوفه مرتين. والله أعلم بالصواب.

ونقل عن الشيخ عبد القادر محمد بن أبي الحسن الصعبي في مختصر السيرة الحديث له قال: روى أبو داود الطيالسي^(٢) في مسنده، قال: حدثنا حماد بن سلمة قال أخبرني أبو عمران الجوني عن رجل عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتكف هو وخديجة شهرا، فوافق ذلك رمضان، ففرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسمع: السلام عليكم، قالت: فظننت أنه يحق له الحق، فقال:

(١) في الأصل: «فركت»، وما أثبتناه عن الشفاء: ١٤٣: ١٤٥ ونيرون الأثر: ١٤٥.

(٢) في عيون الأثر، وصحيح مسلم: ١٠٢: ١٠٣، والشفاء: ١٠٣: ١٠٤، «بئى وأنا بمكة».

(٣) ص ٢١٥. (٤) في مسند الطيالسي: «بخاة الجن». والحق هنا: الموت.

”أبشروا فإن السلام خير“، ثم رأى يوما آخر جبريل عليه السلام على الشمس جناح له بالشرق، وجناح له بالمغرب، قالت^(١) : فبهت منه، قالت : فانطلق يزيد أهله، فإذا هو بجبريل عليه السلام بينه وبين الباب، قال : ”فكلبني حتى أنست به ثم وعدني موغدا، فحنت لموعده، واحتبس على جبريل، فلما أراد أن يرجع إذا هو وميكائيل عليهما السلام، فهبط جبريل عليه السلام إلى الأرض، وبقي ميكائيل بين السماء والأرض“، قال : ”فأخذني فسلقني لحلاوة القفا، وشق عن بطني، فأنخرج منه ماشاء الله، ثم غسله في طست من ذهب ثم أعاده، ثم كفاني كما يكفأ الإناء، ثم ختم في ظهري حتى وجدت مس الخاتم، ثم قال لي : (أقرأ يا سيم ربك) ولم أقرأ كتابا قط، فأخذ بجحقي حتى أجهشت بالبكاء، ثم قال : (أقرأ يا سيم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق) إلى قوله : (ما لم يعلم)“ . قال : ”فما نسيت بعد، فوزني برجل فوزنته، ثم وزني بآخر فوزنته، ثم وزني بمائة، فقال ميكائيل : تبعته أمته ورب الكعبة“ . قال : ”ثم جئت إلى منزلي، فما يلقاني حجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله، حتى دخلت على خديجة فقالت : السلام عليك يا رسول الله“ .

فبدل هذا الحديث على أنه شق جوفه أيضا عند الوحي، كما فيكون شق جوفه ثلاث مرات؛ مرة وهو عند ظفرة، ومرة عند الوحي في أول النبوة، كما يقتضى هذا الحديث، ومرة ثالثة عند الإسراء؛ كما روى عن أبي ذر، ومالك بن صعصعة . والله أعلم .

(١) في الأصل « قال » وما أثبتناه عن مسند الطيالسي ٢١٥ .

(٢) سلقني لحلاوة القفا : أى أفناني على ظهري . وذكر الطيالسي : « صلقني » ، والأول أجهر .

وإنما أوردنا حديث الطيالسي في هذا الموضوع على سبيل الاستطراد ، لأن موضعه يصلح أن يكون عند ذكر حديث المبعث ، وقد أثبتنا هناك الأحاديث الصحيحة ؛ فانرجع إلى ما نحن فيه من حديث الإسراء .

وأما ما ورد في الأحاديث الأخر من الروايات التي يتعين ذكرها :

ففيها حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي : ” مرحبا بالنبي الصالح ، والأخ الصالح إلا آدم وإبراهيم فقالا له : والابن الصالح “ .

وفيه من طريق ابن عباس رضى الله عنهما : ” ثم عُبرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام “ .

وعن أنس : ” ثم أنطلق بي حتى أتيت سِدْرَةَ المنتهى ، فغشيها ألوان لم أدر ما هي “ ، قال : ” ثم أُدْخِلْتُ الجنة “^(١) .

وفي حديث مالك بن صَعَصَعَة : ” فلما جاوزته — يعنى موسى — بكى ، فتودى ما يبكيك ؟ قال : رب ، هذا غلام بعثته بعدى ، يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي “ .

وفي حديث أبي هريرة : ” وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء ، خانت الصلاة قائمتهم فقال قائل : يا محمد ، هذا مالك خازن النار فسلم عليه ، فالتفت فبدأني بالسّلام “ .

وفي حديث أبي هريرة : ” ثم سار حتى أتى بيت المقدس ، فترل فربط فرسه إلى صخرة وصلى مع الملائكة ، فلما قضيت الصلاة ، قالوا : يا جبريل من هذا

(١) زاد في عيون الأثر : ١٤٥ ، ودلائل النبوة ١٩٨ ، وصحيح مسلم ١ : ١٠٣ « فإذا فيها جنايز الزور وإذا تراهبا المسك » .

(٢) في دلائل النبوة ١٩٠ ، وصحيح مسلم ١ : ١٠٩ : « فالتفت إليه » .

معك ؟ ، قال : هذا عهد رسول الله خاتم النبيين ، قالوا : وقد أرسل إليه ؟
قال : نعم ، قالوا : حياه من أخ وخليفة ! فنعنم الأخ ونعم الخليفة ! ثم لقوا أرواح
الأنبياء فأنشوا على ربهم “ . وذكر كلام كل واحد منهم ؛ وهم إبراهيم وموسى
وعيسى وداود وسليمان . ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : وإن عهدا
صلى الله عليه وسلم أنشئ على ربه ، فقال : “ كلكم أنشئ على ربه ، وأنا أنشئ على
ربي ؛ الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيرا ونذيرا ، وأنزل
على الفرقان فيه تبيان كل شئ ، وجعل أمتى خیر أمة ، وجعل أمتى أمة ومطاء ،
وجعل أمتى هم الأولون وهم الآخرون ، وشرح لى صدرى ، ووضع عنى وزرى ،
ورفع لى ذكرى ، وجعلنى فاتحا وخاتما “ . فقال إبراهيم : بهذا فضلكم عهد .
ثم ذكر أنه عرج به إلى السماء الدنيا ، ومن سماء إلى سماء ؛ نحو ما تقدم .

وفى حديث ابن مسعود : “ وأنتهى بى إلى سِدرة المنتهى ، وهى فى السماء السادسة ؛
إليها ينتهى ما يُعرج به من الأرض فيقبض منها ، وإليها ينتهى ما يهبط من فوقها^(١)
فُيُقبض [منها] “ . قال تعالى : (إِذْ يَفْتَشَى السِّدْرَةَ مَا يَفْتَشَى) ، قال : فرأى من^(٢)
ذهب .

وفى رواية أبى هريرة رضى الله عنه ، من طريق الربيع بن أنس : “ فقيل لى :
هذه سِدرة المنتهى ، ينتهى إليها كل أحد من أمتك خلا على سبيلك “ . وهى السِدرة^(٣)
المنتهى يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ،
وأنهار من نحر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى . وهى شجرة يسير الراكب
فى ظلها سبعين عاما ، وإن ورقة منها مظلة الخلق . فغشيتها نور ، وغشيتها الملائكة .

(١) فى الأصل : « قبض » ، وما أثبتناه عن صحيح مسلم ١ : ١٠٩ ، والشفاء .

(٢) الزيادة عن صحيح مسلم ، والشفاء .

(٣) خلا على سبيلك : أى مضى على طريقتك وستك .

قال : فهو قوله تعالى : ﴿إِذْ يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾؛ فقال تبارك وتعالى له :

«سل» ، فقال : «إنك اتخذت إبراهيم خليلاً ، وأعطيتك ملكاً عظيماً ، وكلمت موسى نكلياً ، وأعطيت داود ملكاً عظيماً ، وأنت له الحديد ، وسخرت له الجبال ، وأعطيت سليمان ملكاً عظيماً ؛ سخرت له الجن والإنس والشياطين والرياح ، وأعطيتك ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، وعلمت عيسى التوراة والإنجيل ، وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص ، وأعدت له أمه من الشيطان الرجيم ، فلم يكن له عليهما سبيل» .

^(١) فقال له ربه : «قد اتخذتك حبيباً» فهو مكتوب في التوراة : «مجد حبيب الرحمن ، وأرسلتك إلى الناس كافة ، وجعلت أمك [هم] الأولون وهم الآخرون ، وجعلت أمك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى ، وجعلت أول النبيين خلفاً ، وآخرهم بقاً ، وأعطيتك سبعا من المثاني ولم أعطها نبياً قبلك ، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشى ، لم أعطها نبياً قبلك ، وجعلتك فاتحاً وخاتماً» .

^(٢) وفي الرواية الأخرى ، قال : فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً : أعطى الصلوات الخمس ، وأعطى خواتيم سورة البقرة ، وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً من أمته المقححات .^(٣)

وقال : ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾؛ الآيتين . قيل : رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح . وفي حديث شريك : «أنه رأى موسى في السابعة» قال : بتفضيل

(١) في الأصل : «وقال» وما أثبتناه عن الشفاء .

(٢) في الأصل : «أرسلك» وما أثبتناه عن الشفاء .

(٣) ساقطة من الأصل ، والزائدة عن الشفاء .

(٤) عن ابن مسعود : انظر صحيح مسلم ١ : ١٠٩ .

(٥) المقححات : الكاثر من الذنوب .

كلام الله، قال : « ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلم إلا الله، فقال موسى : لم أظن أن يُرفع عليّ أحد » .

وقد روى عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالأنبياء بيت المقدس . وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” بينا أنا قاعد ذات يوم إذ دخل عليّ جبريل عليه السلام فوكر بين كتفي ، فقامت إلى شجرة فيها مثل وكري الطائر ، فقامت في واحدة ، وقعدت في الأخرى فتمت حتى مدت الخافقين ، ولو شئت لمسست السماء ، وأنا أقلب طرفي ، ونظرت جبريل كأنه جالس لا طي ، فعرفت فضل علمه بالله عليّ ؛ وفتّح لي باب السماء ، ورأيت النور الأعظم ، وإذا دوني الحجاب وفرجه الدر والياقوت ، ثم أوحى الله إليّ ما شاء أن يوحى “ .

وذكر البراء عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : لما أراد الله أن يعلم رسوله الأذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق ، فذهب يركبها ، فاستصعبت عليه ، فقال لها جبريل : أسكني ، فوالله ما ركبك عبد أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فركبها حتى أتى بها إلى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى ، فبينما هو كذلك إذ خرج ملك [من] الحجاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” يا جبريل ، من هذا ؟ ” . قال : والذي بعثك بالحق إني لأقرب الخلق مكانا ، وإن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل مساعتي هذه ، فقال الملك : الله أكبر ، الله أكبر ، فقيل من وراء الحجاب : صدق عبدي ؛ أنا أكبر أنا أكبر ، ثم قال الملك : أشهد أن

(١) في دلائل النبوة : « فسمت وأرقت » .

(٢) المجلس : كما . رقيق يوضع تحت القتب أو البرذعة . ولاطي : لاصق بالأرض — والمراد

أن جبريل لما قرب من السماء غشيته مهابة حتى خضع وألتصق بالأرض .

(٣) في الأصل : « لا طئا » ؛ وهو تحريف . (٤) تكلمة من الشفاء .

لا إله إلا الله، فقيل من وراء الحجاب : «صدق عبدى، أنا لا إله إلا أنا» . وذكر مثل هذه في بقية الأذان ، إلا أنه لم يذكر جواباً عن قوله : «حتى على الصلاة، حتى على الفلاح» ، وقال : ثم أخذ الملك بيد محمد فقدمه ، فأم أهل السماء فيهم آدم^(١) ونوح .

قال القاضي عياض بن موسى رحمه الله : ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق، فهم المحجوبون ، والبارى جل أسمه منزّه عما يحجب به ، إذ الحجب إنما تحيط بمقدر محسوس ، ولكن حجباً على أبصار خلقه وبصائرهم وإدراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء ، كقوله : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾^(٢) . قال : فقوله في هذا الحديث : «الحجاب» يجب أن يقال : إنه حجاب مُحِبُّ به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته ، وعجائب ملكوته وجبروته . ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن الملك الذي خرج من وراءه : إن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه ، فدل [على] أن هذا الحجاب لم يختص بالذات .

ويدل عليه قول كعب في تفسيره : سِدْرَةُ الْمُنتَهَى ، قال : إليها ينتهى علم الملائكة ، وعندها يجدون أمر الله لا يجاوزها علمهم .

قال : وأما قوله «الذى يلي الرحمن» ، فيحمل على حذف المضاف [أى] الذى يلي عرش الرحمن ، أو أمراً ما من عظيم آياته ، أو مبادئ حقائق معارفه مما هو أعلم به ، كما قال تعالى : ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾^(٣) أى أهلها .

(١) زاد في هامش الشفاء ج ١ ص ١٤٩ : «إبراهيم» .

(٢) في الأصل : «محجوس» ، وما أثبتناه عن الشفاء .

(٣) سورة المطففين ١٥ . (٤) ساقطة من الأصل ، وما أثبتناه عن الشفاء .

(٥) الزيادة عن الشفاء . (٦) سورة يوسف ٨٢ .

وقوله : « فقل من وراء الحجاب ، صدق عبدى ، أنا أكبر » فظاهره أنه سمع في هذا الموطن كلام الله ولكن من وراء حجاب ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ ^(١) [أى] وهو لا يراه ، حجب بصره عن رؤيته ، فإن صح القول بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل أنه في غير هذا الموطن بعد هذا أو قبله رُفِعَ الحجاب عن بصره حتى رآه . والله أعلم بالصواب .

ذكر من قال : إن الإسراء كان بالجسد وفى اليقظة

قد اختلف العلماء على ثلاث مقالات ؛ فذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح ، وأنه رؤيا منام . وذهبت طائفة إلى أن الإسراء كان بالجسد يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح . والذي عليه الأكثرون — وقال به معظم السلف — أنه إسراء بالجسد ، وفى اليقظة .

قال القاضى عياض بن موسى بن عياض : وهذا هو الحق ، وهو قول ابن عباس ، وجابر ، وأنس ، وحذيفة ، وعمر ، وأبو هريرة ، ومالك بن صعصعة ، وأبى حبة البدرى ، وابن مسعود ، والضحاك ، وسعيد بن جبيرة ، وقتادة ، وابن المسيب ، وابن شهاب ، وابن زيد ، والحسن ، وإبراهيم ، ومسروق ، ومجاهد ، وعكرمة ، وابن جريج ، وهو قول الطبرى ، وابن حنبل ، وغيرهما ، وقد أبطلوا مُحجج من قال خلاف ذلك بأدلة يطول علينا شرحها .

قال القاضى عياض : والحق ^(٢) [من هذا] والصحيح إن شاء الله أنه إسراء بالجسد والروح فى القصة كلها ، وعليه تدل الآية ، وصحيح الأخبار والاعتبار —

(١) سورة الشورى ٥١ (٢) الزيادة عن الشفاء ١٠٠ :

(٣) زيادة من الشفاء .

ولا يُعَدَّل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل [إلا] ^(١) عند الاستحالة، وليس في الإسراء بحسده وحال يقظته استحالة، إذ لو كان مناما لقال: بروج عبده، ولم يقل: **(يَعْبُدُهُ)** — وقوله: **(مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى)** ^(٢). ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة، ولما استبعد الكفار ولا كذبوه فيه، ولا أرتد به ضعفاء من أسلم وأفقتوا به، إذ مثل هذا من المنامات لا يُنكر، بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته إلى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالأنبياء بيت المقدس في رواية أنس، أو في السماء على ما روى غيره، وذكر يحيى جبريل له بالبراق، وخبر المعراج وأستفتح السماء، فيقال: ^(٣) ومن معك؟ فيقول: مجد، ولقاءه الأنبياء فيها، وخبرهم معه، وترجيهم به، وشأنه في فرض الصلاة ومراجعتهم مع موسى في ذلك، وفي بعض هذه الأخبار: "فاخذ — يعني جبريل — بيدي، فخرج بي إلى السماء" إلى قوله: "ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صوت الأفلام" ^(٤)، وأنه وصل إلى سِدرة المنتهى، وأنه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام، والآي في ذلك كثيرة، والأدلة واضحة، فلا تطول بسردها، وفيما أوردناه منها فيما قدمنا ذكره كفاية. والله أعلم.

(١) ساقطة من الأصل، وما أثبتناه عن الشفاء.

(٢) بالرفع معطوفا على كلمة « الآية » في الصفحة السابقة. وانظر شرح الشفاء للقاربي ١/٣٣٣.

(٣) في الأصل: « فيقول »، وما أثبتناه عن الشفاء.

(٤) في الشفاء: « صريف »، وهو يوافق ما في عيون الأثر، وصحيح مسلم.

ذكر ما ورد في رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم
ربه تبارك وتعالى ، ومناجاته له ، وكلامه ودنوه وقربه من ربه
عز وجل ، ومن جاوز ذلك ومن منعه ، وما قيل في مشكل
حديث الدنو والقرب

أما الرؤية فقد اختلف السلف في رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل ،
فأنكرته عائشة .

روى عن مسروق أنه قال لعائشة رضي الله عنها : يا أُمّ المؤمنين ، هل رأى
محمد ربه ؟ فقالت : لقد قف شعري مما قلت ؛ ثلاث من حديثك بهن فقد كذب ،
[من حديثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب] ثم قرأت ^(١) (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ)
الآية [ثم ذكر الحديث ^(٢)] . وقالت جماعة بقول عائشة ، وهو المشهور عن ابن
مسعود .

ومثله عن أبي هريرة : إنما رأى جبريل ، واختلف عنه . وقال بإنكار هذا
وأمتناع رؤيته في الدنيا [جماعة ^(٣)] من المحدثين والفقهاء والمتكلمين .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رآه بعينه . وروى عطاء عنه : رآه بقلبه ،
وعن أبي العالية [عنه ^(٢)] رآه بفؤاده مرتين .

وذكر ابن إسحاق : أن ابن عمر رضي الله عنهما أرسل إلى ابن عباس رضي
الله عنهما يسأله : هل رأى محمد ربه ؟ قال : نعم ، والأشهر [عنه] أنه رأى ربه
بعينه . وقال : إن الله أخص موسى بالكلام ، وإبراهيم بالخلعة ، ومحمدا بالرؤية .

(١) قف شعري : وقف من الفزع . (٢) الزيادة من الشفا : ١٥٨

(٣) سورة الأنعام ١٠٣

وحجته قوله : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى . أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ .

وقال الماوردي : قيل إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد ، فرآه محمد مرتين ، وكلمه موسى مرتين .

- وحكى أبو الفتح الرازي ، وأبو الليث السمرقندي ^(١) ذكرها عن كعب . وروى عبد الله بن الحارث ، قال : أجمع ابن عباس وكعب ، فقال ابن عباس : أما نحن بنى هاشم فنقول : إن محمداً قد رأى ربه مرتين ، فكبر كعب حتى جاوبته الجبال ، وقال : إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد ، فكلمه موسى ، ورآه محمد بقلبه . وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي ، وربيعة بن أنس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ” رأيت ربي ” — وذكر كلمة — فقال : ” يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ” . الحديث .

- وحكى عبد الرزاق أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه ، وحكاه أبو عمر الطائفي عن عكرمة ، وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود ، وحكى ابن إسحاق أن مروان سأل أبا هريرة : هل رأى محمد ربه ؟ فقال : نعم .
- وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال : أنا أقول بحديث ابن عباس ، بعينه رآه رآه ، حتى أنقطع نفس أحمد .

- وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود ، فحكى عن ابن مسعود ، وعكرمة : رآه بقلبه .
- وعن الحسن وابن مسعود : رأى جبريل . وعن ابن عطاء في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ ^(٢) ، قال : شرح صدره للرؤية ، وشرح صدر موسى للكلام .

(١) أي الحكاية التي ذكرها الماوردي . (٢) سورة الانشراح ١

وقال أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري وجماعة من أصحابه : إنه رأى الله بصره وعين رأسه ^(١) وقال : كل آية أوتيتها نبي من الأنبياء عليهم السلام فقد أوتى مثلها نبينا ، وخص من بينهم بتفضيل الرؤية .

قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى رحمه الله : والحق الذي لا آمراء فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا ، وليس في العقل ما يحيلها ، والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ، ومحال أن يحيل نبي ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه ، بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل ، ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا من علمه الله ، فقال له الله تعالى : ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾ أي لن تطبق ولا تحتل رؤيتي ، ثم ضرب له مثالا بما هو أقوى من نبية موسى وأثبت وهو الجبل . قال : وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا ، بل فيه جوازها على الجملة ، وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها ، إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة .

قال : ولا حجة لمن يستدل على منعها بقوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ لاختلاف التأويلات في الآية ، وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية ، وعدم استحالتها على الجملة . وقد قيل : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ ، أي لا تحيط به ، وهو قول ابن عباس ، وقد قيل : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ . وإنما يدركه المبصرون . قال : وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها ، وحيث نستطرق التأويلات ونسائط الاحتمالات ، فليس للقطع سبيل ، وكذلك وجوب الرؤية لنبينا صلى الله عليه وسلم ، والقول بأنه رآه بعينه . فليس فيه قاطع أيضا ولا نص ، إذ المعول فيه على آتي النجم ، والتنازع فيهما مأثور ، والاحتمال لهما ممكن ، ولا أثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك . والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) في الأصل : « وعين رأسه » ، وما أثبتناه عن الشفاء .

وأما المناجاة والكلام والقرب والدنو وما جاء من الكلام على مشكل هذا الحديث ؛ فقد اختلف في الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء بقوله : (فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) ، وهل كان ذلك الوحي بواسطة أو بغير واسطة ؟ فأكثر المفسرين على أن الموحى الله إلى جبريل ، وجبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . [نذكر عن^(١) جعفر بن محمد الصادق ، قال : أوحى الله إليه بلا واسطة . ونحوه عن الواسطي ، وإليه ذهب بعض المتكلمين وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس ، وأنكره آخرون . وحكى النقاش عن ابن عباس عنه عليه السلام في قوله تعالى : (دَنَا فَتَدَلَّى) ، قال : ” فارقتي جبريل ، وأتقطعت الأصوات عني فسمعت كلام ربي ، وهو يقول : لهدأ روعك يا محمد ، أدن أدن “ . وقد تقدم ذكر حديث الأذان ، وقول الملك : الله أكبر الله أكبر ، ف قيل من وراء الحجاب : صدق عبدي ، أنا أكبر ، أنا أكبر .

وقد احتجوا بقوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ) ، فقالوا : هي ثلاثة أقسام ؛ من وراء حجاب كتكليم موسى ، وبارسال الملائكة كحال جميع الأنبياء ، وأكثر أحوال نبينا صلى الله عليه وسلم ، الثالث قوله : (وَحْيًا) . قالوا : ولم يبق من تقسيم صور الكلام إلا المشافهة مع المشاهدة ، وقد قيل : الوحي هنا ما يلقى في قلب النبي صلى الله عليه وسلم دون واسطة ، وكلام الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن اختصه من أنبيائه جائر غير ممتنع .

وأما قوله تعالى : (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) فأكثر المفسرين أن الدنو والتدلى متقسم ما بين مجد وجبريل عليهما السلام ، أو مختص

١٠٤
١٤

بأحدهما من الآخر، أو من سِدْرَةِ المنتهى . وقال ابن عباس : هو مجد دنا فتدلى من ربه . وقيل : معنى دنا قرب ، وتدلى : زاد في القرب ، وقيل : هما بمعنى واحد أى قرب . وحكى مكى والمأوردى عن ابن عباس ، هو الربّ دنا من مجد فتدلى إليه ، أى أمره وحكمه . وحكى النقاش عن الحسن ، قال : دنا من عبده مجد صلى الله عليه وسلم ، فقرب منه فأراه ما شاء أن يريه من قدرته وعظمته . قال وقال ابن عباس : هو مقدم ومؤخر، تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ، فجلس عليه ، ثم رفع فدنا من ربه . وفى الصحيح عن أنس بن مالك : ” عرج بن جبريل إلى سِدْرَةِ المنتهى ، ودنا الجبار ربّ العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إليه بما شاء ، وأوحى إليه خمسين صلاة“ . الحديث . وعن محمد بن كعب : هو مجد دنا من ربه ، فكان قاب قوسين . وقال جعفر ابن محمد : أدناه ربه منه ، حتى كان منه كقاب قوسين ، قال جعفر : والدنو من الله لإحدله ، ومن العباد بالحدود . وقال أيضا : انقطعت الكيفية عن الدنو، ألا ترى كيف حَجَبَ جبريل عن دَنُوهِ ، ودنا مجد إلى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه، وزال عن قلبه الشك والارتياب ! وقد تكلموا على مشكل هذا الحديث ، فقال القاضى عياض رحمه الله : اعلم أن ما وقع من إضافة الدنو والقرب هنا من الله وإلى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى، بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس يدنو حدّ، وإنما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه ، وقربه منه بإبانة عظيم منزلته، وتشريف رتبته ، وإشراق أنوار معرفته . ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته ، ومن الله تعالى له مسرة وتأنيس ، وبسط

(١) الرفرف : البساط الأخضر .

(٢) فى الأصل : « بل كان ذكره » ، وما أئتمناه عن الشفاء : ١٦٧

والإكرام، ويتأول فيه ما يتأول في قوله : ” ينزل ربنا إلى سماء الدنيا “ على أحد الوجوه ، نزول إفضال وإجمال ، وقبول وإحسان . وقال الواسطي : من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثم مسافة ، بل كل ما دنا بنفسه من الحق ندلى بعدا ، يعني عن درك حقيقته ، إذ لا دتو للحق ولا بعد .

- وقوله : (قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) ، فن جعل الضمير عائدا إلى الله لا إلى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ، ولطف المحل ، وإيضاح المعرفة ، والإشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم ، وعبارة عن إجابة الرغبة ، وقضاء المطالب ، وإظهار التحف ، وإنافسة المتزلة والمترتبة من الله له ، ويتأول [فيه] ما يتأول في قوله : ” من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة “ ، قرب بالإجابة والقبول ، وإتيان بالإحسان وتعجيل المأمول .

وقد أخذ الكلام في هذا المعنى حقه ، فلنذكر ما كان بعد الإسراء [من] الأخبار .^(٢)

ذكر ما كان بعد الإسراء من إنكار قريش لذلك

- وما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من وصفه لهم البيت المقدس ، وإخباره لهم بخبر غيرهم ، وارتداد من ارتد

زوى الشيخ الإمام أبو بكر أحمد البيهقي بسنده عن شداد بن أوس رضي الله عنه ، قال : قلنا يا رسول الله كيف أسرى بك ؟ فذكر نحو ما تقدم من خبر الإسراء ، وفيه زيادة ونقص ، قال : وفيه أن جبريل عليه السلام أنزله فصلى بيثرب ، ثم صلى

بمدن عند شجرة موسى عليه السلام، ثم صلى بيوت لحم حيث ولد عيسى بن مريم عليه السلام، ثم صلى في المسجد الأقصى، وأنه صلى الله عليه وسلم مرة بعير لقريش بمكان كذا وكذا، قد أضلوا بعيرا قد جمعه فلان، قال: "فسلمت عليهم فقتال بعضهم هذا صوت مجد"، قال: "ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة، فأتاني أبو بكر فقال: يا رسول الله، أين كنت الليلة فقد التمسك في مظانك؟ فقلت: علمت أني أتيت بيت المقدس الليلة؟ فقال: يا رسول الله، مسيرة شهر! فصه لي، قال: "فتفتح لي ضراط كأني أنظر إليه، لا يسألني عن شيء إلا أنبأته عنه". فقال: أشهد أنك رسول الله حقا، فقال المشركون: انظروا إلى ابن أبي كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة، فقال: "إن من آية ما أقول لكم أني مررت بعير لكم بمكان كذا وكذا، يزلون بكذا وكذا، ويأتونكم يوم كذا وكذا، يقدمهم جل آدم عليه مسح أسود، وغيراتان سوداوان" وإِنَّهُمْ أَشْرَفُوا يَنْظُرُونَ. فأقبلت العير نصف النهار على ما وُصِفَ لَهُمْ صلى الله عليه وسلم.

وفي رواية يونس بن بكير في زيادة المغازي: أنه صلى الله عليه وسلم لما أخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير، قالوا: متى يحى؟ قال: "يوم الأربعاء". فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون، وقد ولى النهار ولم تجى، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فزِيدَ لَهُ في النهار ساعة، وحُبِسَتْ عليه الشمس.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي، فسألوني عن أشياء

(١) دلائل النبوة: «فقال» . (٢) جل آدم: أبيض مع سواد المقلتين .

(٣) المسح: الكساء من الشعر .

من بيت المقدس ، لم أثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط ، فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأهم به .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى أصبح الناس يتحدثون بذلك ، فارتد ناس ممن آمنوا به وصدّقوه ، وسبوا إلى أبي بكر فقالوا : هل لك في صاحبك ؟ يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس ، وجاء قبل الصبح ! قال : نعم ، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة ، فلذلك سمى أبو بكر رضي الله عنه الصديق .

ذكر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قبائل العرب

في المواسم

قال محمد بن عمر بن واقد بسند يرفعه إلى غير واحد ، قالوا : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث سنين من أول نبوته يدعو مستخفيا ، ثم أعلن في الرابعة ، فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين ؛ يوافي المواسم كل عام يتبع الحاج في منازلهم عكاظ ومجّة ، وذى الحجاز يدعوهم ؛ حتى بلغ رسالة ربه تعالى ، وأبوهلب يمشي وراءه يقول : لا تطيعوه فإنه صابئ كاذب ، فيقولون : أمرتُك وعشيرتُك أعلم بك حيث لم يتبعوك ، فيقول : ” اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا “ ، قال الواقدي : فكان من سُمّي لنا من القبائل الذين أنامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم وعرض نفسه عليهم : بنو عامر بن صعصعة ، ومحارب بن خصفة ، وفزارة ،

(١) لم أثبتها : لم أحفظها لاشتغال بأمم منها . والكرب : الغم .

(٢) عكاظ ومجّة وذو الحجاز : أسماء أسواق كانت للعرب في الحاضرة .

(٣) في الأصل : « خفسة » ، وهو تصحيف .

وغسان^(١)، ومرة، وحنيقة، وسليم، وعبس، وبنو نصر، وبنو البكاء، وكندة،
وكلب، والحارث بن كعب، وعذرة، والحضارمة، فلم يستجب منهم أحد .

قال محمد بن إسحاق : حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال :
سمعت ربيعة بن عباد يحدث أبي قال : أتني لغلाम شاب مع أبي يمني، ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول : " يا بني فلان ،
إني رسول الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا ، وأن تخلعوا
ما يُعبد من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنعوني حتى أبين
عن الله ما بمعنى به " ، قال : وخلق رجل أحول وضى له غديران ، عليه حلة
عدنية ، فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا إليه قال ذلك
الرجل : يا بني فلان ، إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تسجدوا للآلات والعزى من
أعناقكم ، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش^(٢) ، إلى ما جاء به من البدعة
والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه ، قال : فقلت لأبي : يا أبت من هذا
الرجل [الذي] يتبعه ويردّ عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب ،
أبو لهب .

قال ابن إسحاق : حدثني الزهري أنه صلى الله عليه وسلم أتى بني عامر
ابن صعصعة فدعاهم إلى الله ، وعرض عليهم نفسه ، فقال رجل منهم يقال له
بيجرة بن فراس : والله لو أتى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ،

(١) في الأصل : « حسان » ، وهو تصحيف . (٢) في شرح المواهب : كعب .

(٣) في الأصل : « يحدنه » وما أثبتناه عن ابن هشام ، وابن كثير ، والمواهب .

(٤) إلى هذا الحى تنسب الإبل الأقيشية .

(٥) هذه الزيادة عن ابن هشام .

ثم قال له : أرايت إن نحن بايعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك
أفكون لنا الأمر بعدك ؟ قال : الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء . فقال له :
أفنهذف نخورنا [للعرب دونك]^(٢) ؛ فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لا حاجة لنا
بأمرك ، فأبوا عليه ، فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم ، قد كانت
أدركته السن ، حتى لا يقدر أن يوافق معهم المواسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه
حدثوه بما يكون في ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه في ذلك العام ، سألهم عما كان
في موسمهم ، فقالوا : جاءنا قتي من قريش ، ثم أحد بني عبد المطلب ، يزعم أنه نبي
يدعونا إلى أن نغذمه ونقوم معه ، ونخرج به إلى بلادنا ، قال : فوضع الشيخ يده على
رأسه ، ثم قال : يا بني عامر ، هل لها من تلافٍ ! هل لذنابها من مطلب ! والذي
نفس فلان بيده ، ما تقو لها إسماعيل قط ، وإنما لحق ، فأين رأيكم كان عنكم .

قال : وحدثني عاصم بن عمر عن قتادة الأنصاري عن أشياخ من قومه قالوا :
قدم سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف [مكة]^(٥) حاجا أو معتمرا ، وكان
سويد إنما يسميه قومه فيهم : الكامل لجلده وشرفه ونسبه وشعره ، فتصدى له
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام ، فقال له
سويد : ففعل الذي معك مثل الذي معي ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :
وما الذي معك ؟ قال : مجالة لقمان^(٦) (يعني حكمة لقمان) فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم : اعرضها علي ، فعرضها عليه ، فقال : " إن هذا لكلام حسن ،

(١) نهذف : أى نجهلها هذنا لسببهم . (٢) الزيادة عن ابن هشام .

(٣) هذا مثل مشهور يضرب لما فات . وأصله من ذناب الطائر إذا أظلمت من الجباله فطلبت الأخذ به .

(٤) في الأصل ويعيون الأثر : ١٠٤ « عسر » وما أثبتناه عن ابن هشام وشذرات الذهب

ج ٥ : ٥٣ (٥) الزيادة عن ابن هشام . (٦) المجلة : الصحيفة .

لكن الذى معى أفضل من هذا؛ قرآن أنزله الله على- هو هدى ونور". فثلا رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن، ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد منه ، وقال : إن هذا لقول حسن؛ ثم انصرف عنه، فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتله الخزرج، قال : فإن كان رجال من قومه ليقولون : إنا لنراه قد قتل وهو مسلم ، وكان قتله قبل بعث^(١) .

قال ابن إسحاق أيضا : وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد ابن معاذ عن محمود بن لبيد ، قال : لما قدم أبو الحنيسر أنس بن رافع مكة ومعه فية من بنى عبد الأشهل ، فيهم إياس بن معاذ ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من بنى الخزرج، سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتاهم بفلس إليهم فقال : "هل لكم في خير مما جئتم له" ؟ ، فقالوا : وما ذلك ؟ قال : "أنا رسول الله ، بعثنى إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا ، وأنزل على الكتاب". قال : ثم ذكر لهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ، فقال لهم إياس بن معاذ — وكان غلاما حدثا — : أى قوم ، هذا والله خير مما جئتم له ، فأخذ أبو الحنيسر حفنة من [تراب] البطحاء ، فضرب بها وجه إياس بن معاذ ، وقال : دعنا منك ، فلعمرى لقد جئنا لغير هذا ، قال : فصمت إياس ، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانصرفوا إلى المدينة ، فكان وقعة بعث بين الأوس والخزرج ، ثم لم يلبث إياس ابن معاذ أن هلك . قال محمود بن لبيد : فأخبرنى من حضره من قومه عند موته أنهم لم يزالوا يسمعون بهلال الله ويكبره ، ويحمده ويسبحه حتى مات ، فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلما ، لقد كان استشعر الإسلام فى ذلك المجلس حين سمع من رسول الله ما سمع . والله أعلم .

(١) قبل بعث : أى قبل يوم بعث . (٢) تكله من ابن هشام ج ٢ : ٦٩

ذكر خبر مفروق بن عمرو وأصحابه وما أجابوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعائه قبائل العرب

روى الشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي بسنده عن عبد الله بن عباس ،
قال : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ فِيهِ ، قَالَ : لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَعْرِضَ نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ خَرَجَ وَأَنَا
مَعَهُ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَدَفَعْنَا إِلَى مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْعَرَبِ ، فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ ،
وَكَانَ مَقْدَمًا فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَكَانَ رَجُلًا نَسَابَةً ، فَسَلَّمَ وَقَالَ : مَنْ الْقَوْمُ ؟ قَالُوا
مِنْ رِبِيعَةٍ ، قَالَ : وَأَيُّ رِبِيعَةٍ أَنْتُمْ ؟ مِنْ هَامِيهَا أَمْ مِنْ لَهَازِمِهَا ؟ فَقَالُوا : بَلْ مِنْ
الْهَامَةِ الْعَظْمَى ، [فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَأَيُّ هَامِيهَا الْعَظْمَى] أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : مِنْ ذُهَلٍ
الْأَكْبَرِ ، قَالَ : مِنْكُمْ عَوْفٌ الَّذِي يُقَالُ [لَهُ] : " لَا حُرَّ يُوَادِي عَوْفًا " ؟ قَالُوا :
لَا ، قَالَ : فَتَنْتُمْ جَسَّاسُ بْنُ مَرْثَةَ ، حَامِي الدَّمَارِ ، وَمَانِعُ الْجَارِ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ :
فَتَنْتُمْ سِطَامُ بْنُ قَيْسٍ ، أَبُو اللُّوَاءِ ، وَمَتَمِّى الْأَحْبَاءِ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَتَنْتُمْ
الْحَوْفِرَانَ قَاتِلَ الْمُلُوكِ ، وَسَالِبَهَا أَنْفُسَهَا ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَتَنْتُمْ الْمَزْدَلِفَ صَاحِبَ
الْهَامَةِ الْفَرْدَةِ ، قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَتَنْتُمْ أَخْوَالَ الْمُلُوكِ مِنْ كَنْدَةَ ؟ قَالُوا : لَا .

١٠٧
١٤

- ١٥ (١) الخبر في دلائل النبوة المجلد الأول ، الورقة ٢١٠ .
(٢) في الأصل : « أهلها » وهو تصحيف . واللهازم جمع لهزم : وهو في أصل القصة :
العظم الثاني تحت الأذن . (٣) الزيادة عن دلائل النبوة .
(٤) في الأصل : « يقول » ؛ وما أشتبهه عن دلائل النبوة ؛ وانظر جمع الأمثال ٢ : ١٥٧ .
(٥) الحوفران : لقب الحارث بن شريك الشيباني .
٢٠ (٦) المزدلف : لقب عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيان ؛ لقب بذلك ؛ لأقترابه من الأقران
في الحروب وازدلاله إليهم ؛ وكان إذا ركب لم يعمم معه غيره (انظر تاج العروس) .

قال فنكم أصحاب الملوك من نلح ؟ قالوا : لا . قال أبو بكر : فلستم من ذهل الأكبر ، أنتم من ذهل الأصغر . قال : فقام إليه غلام من بني شيبان يقال له دَغَل حين بقل وجهه ، فقال :

إِن عَلَى سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَهُ * وَالْعَبء لَا نَعْرِفُهُ أَوْ نَحْمَلَهُ

يا هذا ، إنك قد سألنا فأخبرناك ، ولم تكتك شيئا ، فمن الرجل ؟ قال أبو بكر : أنا من قريش ، فقال الفتى : يَحْ يَحْ ! أهل الشرف والرياسة ، فمن أى القرشين أنت ؟ قال : من ولد تيم بن مُرة . فقال الفتى : أمكنت والله الرأى من سواء الثغرة ، أمتك قصى الذى جمع القبائل من فهر ؟ فكان يدعى فى قريش مجمعا ؟ قال : لا ، قال : فنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه ، ورجال مكة مستنون عجاف ؟ قال : لا ، قال : فنكم شيبة الحمد عبد المطلب ، مطعم طير السماء ، الذى كأت وجهه القمر بضى فى الليلة الداجية ؟ قال : لا ، قال : فمن أهل الإفاضة بالناس أنت ؟ قال : لا ، قال : فمن أهل الحجابة أنت ؟ قال : لا ، قال : فمن أهل السقاية أنت ؟ قال : لا ، قال : فمن أهل الندوة أنت ؟ قال : لا ، قال : فمن أهل الرفادة أنت ؟ قال : لا ، واجتذب أبو بكر زمام ناقته راجعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الغلام :

صَادَقَ دُرَّ السَّيْلِ دَرءًا يَدْفَعُهُ ^(٣) * يَهِيضُهُ حِينًا وَحِينًا يَصْرَعُهُ

(١) بقل وجهه : أى أَوَّل ما تَبَيَّنَ لِحته . وفى الدلائل : « تين » .

(٢) يشير إلى قول ابن الزبى :

عمر و العلاء هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مستنون عجاف

اللسان مادة (سنت) .

(٣) فى الأصل : « صادف درسيل درة » وهو تصحيف ، وما أثبتناه عن دلائل النبوة .

أما والله لو شئت لأخبرتك من قريش، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عليّ: فقلت: يا أبا بكر؛ لقد وقعت من الأعراب على باقة^(١)، قال: أجل يا أبا الحسن، «ما من طامة إلا وفوقها طامة»، و«البلاء موكل بالمنطق».

- قال: ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار، فتقدم أبو بكر فسلم وقال: من القوم؟ قالوا: من شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: بأبي وأمي هؤلاء غرر الناس! وفيهم مفروق بن عمار، وهانئ بن قبيصة، والمنخني بن حارثة، والنعمان بن شريك، وكان مفروق قد غلبهم جمالا ولسانا، وكانت له غديران تسقطان على تربتيه^(٢)، وكانت أدنى القوم مجلسا، فقال أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال مفروق: إنا لتزيد على ألف، ولن تغلب ألف من قلة، فقال أبو بكر: فكيف المنعة فيكم؟ قال مفروق: علينا الجهد، ولكل قوم جد؛ فقال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضبا حين نلقى، وإنا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح^(٣)، والنصر من عند الله، يُدبِلنا مرة، ويُدبِل علينا أخرى، لعلك أخو قريش؟ فقال أبو بكر: قد بلغكم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا هو ذا، قال مفروق: بلغنا أنه يذكر ذلك، وإلام تدعو يا أبا قريش؟ فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلس، وقام أبو بكر يُظَلِّله بثوبه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،

(١) الباقية: الرجل الذكي العارف لا يفوته شيء. (٢) التريسة: أعلى صدر الإنسان

تحت الدقن. (٣) اللقاح: الإبل؛ واحدة لقوح، بالفتح.

وأن هذا عبده ورسوله ، وإلى أن تأووني وتنصروني ، فإن قريشا قد ظهرت على أمر الله ، وكذبت رسله ، وأسغت بالباطل عن الحق ، والله هو الغني الحميد .

فقال مفروق بن عمرو : وإلام تدعون يا أخا قريش ؟ فوالله ما سمعت كلاما أحسن من هذا ، فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَصَّيْتُ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^(١) ، فقال مفروق : وإلام تدعون يا أخا قريش ؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض ، قال : فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾^(٢) ، فقال مفروق : دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ، ومحاسن الأعمال ، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك^(٤) — وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هاني بن قبيصة فقال : وهذا هاني شيخنا وصاحب ديننا . قال هاني : قد سمعت مقاتك يا أخا قريش ، وإني أرى إن تركنا ديننا وأتبعناك على دينك يجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر ، إنه زلل في الرأي ، وقلة نظر في العاقبة ، وإنما تكون الزلة مع العجلة ، ومن ورائنا قوم نكروا أن نعقد عليهم عقدا ، ولكن ترجع ونرجع ، وتنظر وننظر في العاقبة ، وكأنه أحب أن يشركه المثنى بن جارية ، فقال : وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا ، فقال المثنى : قد سمعت مقاتك يا أخا قريش ، والجواب فيه جواب هاني بن قبيصة في تركنا ديننا ، ومشايعتك على دينك ، وإنا إنما نزلنا بين صيرين : اليمامة والسماة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” ما هذان الصيران ” ؟ . فقال : أنهار كسرى ومياه العرب ، فأما ما كان من أنهار كسرى ، فذنب صاحبه غير مغفور ، وعذره

١٠٨
١٤

(١) سورة الأنعام ١٥١ - ١٥٣ (٢) سورة النحل ٩٠

(٣) أفك : كذب . (٤) ظاهروا عليك ، أي أعانوا عليك .

(٥) الصير بالكسر : الماء يحضره الناس ، ويروي : بين صيرين ، فحالة منه .

غير مقبول، وأما ما كان مما يلي مياه العرب، فذنب صاحبه مغفور، وعذره مقبول، وإنما إنما نزلنا على عهد أخذه علينا؛ أنا لا نحدث حَدَثًا، ولا نأوى محدثًا، فإني أرى أن هذا الأمر الذي تدعوننا إليه يا أخا قريش مما يكره الملوكة، فإن أحببت أن تأويك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أسأتم في الرد إذ أفضحتكم بالصدق، وإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه". أرايتم إن لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟ فقال النعمان بن شريك: اللهم فلك ذاك، قال: فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾^(١)، ثم نهض قابضا على يد أبي بكر وهو يقول: "يا أبا بكر، أية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها! بها يدفع الله عز وجل بأس بعضهم من بعض، وبها يتحاجزون فيما بينهم"، قال: فدفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، فما نهضنا حتى يابعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سر بما كان من أبي بكر، ومعرفة أنسابهم.

ذكر بيعة العقبة الأولى

قال محمد بن إسحاق: فلما أراد الله تعالى إظهار دينه، وإعزاز نبيه، وإنجاز مواعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) في الموسم الذي لقي فيه الأنصار^(٣)، فعرض نفسه على قبائل العرب كما يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا، فقال لهم: "من أتم؟" قالوا:

(١) سورة الأحزاب ٤٥ — ٤٦ (٢) من ابن هشام: ٢ : ٧٠

(٣) في ابن هشام: «الذي لقيه فيه القرمن الأنصار».

نفر من الخرج، قال : "أين موالى يهود ؟" قالوا : نعم ، قال : ^(١) " أفلا تجلسون
أكلهم ؟" قالوا : بلى ، فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله وعرض ^(٢) [عليهم] الإسلام ،
وتلا عليهم القرآن ، قال : وكان يهودُ معهم في بلادهم ، وكانوا أهلَ كتاب وعلم ،
وكانوا هم أهلُ شرك وأوثان ، وكانوا قد غزَوْهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيء
قالوا لهم : إن نبياً مبعوث الآن قد أظلم زمانه تتبعه فقتلكم معه قتل عاد وإرم ،
فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم
لبعض : يا قوم ، تعلموا والله أنه للنبي الذي توعده به يهود ، ^(٣) فلا تسبقنكم إليه ،
فاجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدقوه وقيلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ،
وقالوا : إنا قد تركنا قومنا ولا قومَ بينهم من العداوة والشرا ما بينهم ، وعسى أن
يجمعهم الله بك ، فتقدم عليهم فتدعوهم إلى أمرك ، وتعرض عليهم الذي أجبناك
إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك . ثم انصرفوا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، راجعين إلى بلادهم ، وقد آمنوا وصدقوا .

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى ^(٤) : فاختلف علينا في أول من أسلم من
الأنصار وأجاب . فذكروا الرجل بعينه ، وذكروا الرجلين ، وذكروا أنه لم يكن
أحد أول من الستة . وذكروهم .

وقال محمد بن عمر بن واقد : هذا عندنا أثبت ما سمعنا فيهم ، وهو المجمع عليه ،
وهم من بني النجار : أسعد بن زُرارة بن عُدس ، وعوف بن الحارث ^(٥) [وهو]
ابن عفراء . ومن بني زريق : رافع بن مالك . ومن بني سلمة بن سعد : قطبة

(١) في الأصل « قالوا » وهو تحريف . (٢) الزيادة عن ابن هشام .

(٣) في ابن هشام : « توعدهم » . (٤) الطبقات ج ١ ق ١ : ١٤٦ .

(٥) بكلة بن ابن هشام ؛ وعفراء هي أمه ؛ (وانظر أسد الغابة ٤ : ١١٥) .

ابن عامر بن حديدة . ومن بنى حرام بن كعب : عقبة بن عامر بن نابي . ومن بنى عبيد بن عدى بن ساعدة : جابر بن عبد الله ؛ ولم يذكر ابن إسحاق غيرهم .
قال : ثم قدموا المدينة فدعوا قومهم إلى الإسلام ، فأسلم من أسلم ، ولم تبق دار من دور الأنصار إلا فيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال الواقدي : وأول مسجد قرئ به القرآن بالمدينة مسجد بنى زريق .
والله أعلم .

ذكر بيعة العقبة الثانية

١٠٩
١٤

(وقد ترجم عليها بعضهم بالأولى)

قال : فلما كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً .
قال محمد بن سعد : ليس [فيهم]^(١) عندنا خلاف ، فلقوه بالعقبة ، وهى العقبة الأولى ، فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ، وذلك قبل أن يُقرض عليهم الحرب ، وكان من هؤلاء خمسة ممن حضر البيعة الأولى من الستة المجمع عليهم ، وهم : أسعد بن زرارة ، وعوف بن الحارث ، ورافع بن مالك ، وعقبة بن عامر ، وقُطبة بن عامر بن حديدة ، ومنهم من وقع الاختلاف فيه : هل شهد البيعة الأولى أو لم يشهدا ؟ وهم ستة نفر : معاذ بن الحارث^(٢) [وهو] ابن عفراء ، أخو عوف ، وذكوان بن^(٣) [عبد] قيس بن خلفة ، وعادة بن الصامت ابن قيس ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة ، وأبو الهيثم بن التيهان ، واسمه مالك ، وعويم بن ساعدة ، وهما من الأوس .
ومن لم يشهد البيعة الأولى بلا خلاف : العباس بن عباد بن نضلة .

(١) الزيادة عن ابن سعد . (٢) من ابن هشام ج ٢ : ٧١ (٣) من ابن سعد .

روى محمد بن إسحاق عن عبادة بن الصامت قال : كنت ممن حضر العقبة الأولى ، وكنا اثني عشر رجلا ، فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء — وذلك قبل أن تفرض الحرب — على ألا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا تقتل أولادنا ، ولا نأتى بهتان نفترقه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف ، وإن وفيتم فلکم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئا فأخذتم بحدّه في الدنيا فهو كفّارة له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله ؛ إن شاء عذب ، وإن شاء غفر . قال : فلما أنصرف عنه القوم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف ، وأمره أن يُقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ، فكان يسمى المقرئ بالمدينة ، وكان منزله على أسعد بن زرارة . قال محمد بن سعد : ثم انصرفوا إلى المدينة ، فأظهر الله الإسلام ، وكان أسعد ابن زرارة يجمع بالمدينة ^(١) بن أسلم ، وروى أن مصعب كان يجمع بهم . والله أعلم .

ذكر بيعة العقبة الثالثة

وهم السبعون (وترجم عليها ابن سعد بالثانية)

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى ، عن محمد بن عمر بن واقد ، بإسناد إلى عبادة بن الصامت ، وسفيان بن أبي العوجاء ، وقتادة ، ويزيد بن رومان ، قال الواقدي : دخل حديث بعضهم في حديث بعض ، قالوا : لما حضر الحج مشى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا بعضهم إلى بعض يتواعدون المسير إلى الحج ، وموافاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والإسلام يومئذ فاش بالمدينة ، فخرجوا وهم سبعون يزيدون رجلا أو رجلين في نحر الأوس والخزرج ،

(١) يجمع : يؤمهم في صلاة الجمعة .

(٢) الخمر : جماعة الناس وكثرتهم .

وهم خمسمائة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، فسلموا عليه، ثم وعدهم منى، وسط أيام التشريق ليلة النفر الأول؛ إذا هدت الرجل^(١) [أن] يوافوه في الشعب الأيمن إذا انحدروا من منى بأسفل العقبة، وأمرهم ألا ينهوا نائمًا، ولا ينتظروا غائبًا. قال: ثم تخرج القوم بعد هدة يتسللون، الرجل والرجلان، وقد سبقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الموضع، معه العباس بن عبد المطلب، ليس معه غيره.

وقال محمد بن إسحاق: لأنهم سبقوه إلى الشعب وانتظروه، وهم ثلاثة وسبعون رجلاً وأمرأتان: نسيبة بنت كعب، وأسماء بنت عمرو بن عدى، حتى أقبل ومعه عمه العباس.

- ١٠ قال ابن سعد: فكان أول من طلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم: رافع ابن مالك الزرقى، ثم توافى السبعون، ومعهم أمراأتان، فكان أول من تكلم العباس ابن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج، إنكم قد دعوتُم محمداً إلى ما دعوتُموه إليه، ومحمد من أعز الناس في عشيرته، يمنعه والله منا من كان على قوله، ومن لم يكن منا على قوله منعه للحسب والشرف، وقد أبى محمد الناس كلهم غيركم^(٢)، فإن كنتم أهل قوة وجلد وبصير بالحرب، واستقلال بعداوة العرب قاطبة، ترميكم عن قبوس واحدة، فارتثوا رأيكم، ولا تفرقوا^(٣) إلا عن ملائمتكم واجتماع، فإن أحسن الحديث أصدق.

١١٠
١٤

(١) الزيادة عن ابن سعد ج ١ ق ١: ١٤٩

(٢) في الأصل: «من ثنايا سفلى» وما أئتمنا عن الطبقات.

(٣) زاد في ابن سعد: «واتمروا بينكم».

(٤) في الأصل: «عنكم». وما أئتمنا عن ابن سعد.

وقال ابن إسحاق ^(١) : إن العباس قال : يا معشر الخزرج ، إن عهدنا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ، ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم ، والحق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه ، فآتم وما تحلم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسليموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه ، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده .

قال ابن سعد : فقال البراء بن معرور : قد سمعنا ما قلت ، ولما والله لو كان في أنفسنا غير ما ننتطق به لقلناه ، ولكننا نريد الوفاء والصدق ، وبذل مهج أنفسنا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق — فيما رواه بسنده عن كعب بن مالك : فقلنا له : سمعنا . قلت ، فتكلم يا رسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغب في الإسلام ثم قال : «أبا يعمر على أن تمنعوني فيما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم» . قال : فأخذ البراء بن معرور بيده ، ثم قال : نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما تمنع منه أئزنا — ^(٢) يعني نساءنا — فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحروب ، وأهل الحلقة ورثناها كبارا وجن كبارا .

قال ابن سعد : ويقال : إن أبا الهيثم بن التيهان كان أول من تكلم فأجاب إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : نقبله على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف ، قال : ولغظوا . فقال العباس . وهو آخذ بيد رسول الله صلى الله عليه

(١) انظر ابن هشام : ٨٤٢ ، إنباع الأسماع : ٣٥ . (٢) الأزر : جمع إزار ككتاب ،

وهو الثوب ، وكثيرا ما يكون عن المرأة بالإزار ، كما يكون عنها بالثياب ، والفراس .

(٣) في ابن هشام : «أبناء الحروب» . (٤) زاد في ابن سعد قوله : «وصدقه» .

وسلم : أخفوا جثثكم فإن علينا عيونا ، وقدموا ذوى أسنانكم فيكونون هم الذين يلون
كلامنا منكم ، فإننا نخاف قومكم عليكم ، ثم إذا بايعتم فتفرقوا إلى محالكم . فتكلم
البراء بن معرور ، فأجاب العباس ، ثم قال : أبسط يدك يا رسول الله ، وكان أول
من ضرب على يد رسول الله البراء بن معرور — ويقال : أبو الهيثم بن التيهان ،
ويقال : أسعد بن زرارة — ثم ضرب السبعون كلهم على يده وبايعوه ، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : ” إن موسى أخذ من بني إسرائيل اثني عشر ثقيفا فلا يجدن
منكم أحدا في نفسه أن يؤخذ غيره ، وإنما يختار لي جبريل ^(١) ” ، ثم قال للنقباء :
” أتم كفلاء على غيركم ، ككفالة الخواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على
قومي ” ، قالوا : نعم ، قال : فلما بايعوا وكلوا ، صاح الشيطان على العقبة
بأبعد صوت سمع : يا أهل الأخاشب ، هل لكم في مجد والصِّبَاة معه قد اجتمعوا على
حربكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” انفضُّوا إلى رحالكم ” ، فقال العباس
ابن عُبادة بن نَضْلَة : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق لئن أحبيت لنميتن على
أهل منى بأسيا فانا ، وما أحدٌ عليه سيف تلك الليلة غيره ، فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : ” إنا لم نؤمر بذلك فانفضُّوا إلى رحالكم ” ، فتفرقوا إلى رحالهم ،
فلما أصبح القوم غدت عليهم جَلَّةٌ قريش وأشرافهم حتى دخلوا شعب الأنصار ،
فقالوا : يا معشر الخزرج ، إنا بلغنا أنكم لقيتم صاحبنا البارحة ، وواعدتموه أن
تبايعوه على حربنا ، وآيم الله ما حي من العرب أبفضُّ إلينا إن شئت بيننا وبينه
الحرب منكم ، قال : فانبعث من كان هناك من الخزرج من المشركين يملفون لهم

(١) عبارة ابن سعد : « فلما تخيرهم قال للنقباء » الخ .

(٢) في الأصل : « إنا لن آمن بذلك » ، والتصويب من ابن سعد .

(٣) في ابن سعد : « تشب » .

بأنه ما كان هذا وما علمنا ، وجعل ابن أبي يقول : هذا باطل ، وما كان هذا ، وما كان قومي ليفتاتوا على بمثل هذا ، لو كنت بيثرب ما صنع هذا قومي حتى يؤامروني ، فلما رجعت قريش من عندهم رحل البراء بن معرور؛ فتقدم إلى بطن ^(١) يابج ، وتلاحق أصحابه من المسلمين ، وجعات قريش تطلبهم في كل وجه ، ولا تعدوا طريق المدينة ؛ وحزبوا عليهم ، فأدركوا سعد بن عباد ، فجعلوا يده إلى عنقه ^(٢) ينسعه ، وجعلوا يضربونه ويحزبون شعره ، وكان ذا جمعة حتى دخلوا مكة ، فجاءه مطيم بن عدي ، والحارث بن أمية بن عبد شمس نخلصاه من أيديهم ، وأثمرت الأنصار حين فقدوا سعد بن عباد أن يكرؤا إليه ، فإذا سعد قد طلع عليهم ، فرحل القوم جميعا إلى المدينة .

ذكر تسمية من شهد العقبة وبايع رسول الله

صلى الله عليه وسلم

١١١

١٤

قال محمد بن إسحاق : كانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين ، فكان من شهدها من الأوس أحد عشر رجلا ، وهم أسيد بن الحضير ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وسامة ابن سلامة بن وقش ، وظهير بن رافع بن عدي ، وأبو بردة هاني بن نيار ، ونهير ابن الهيثم بن ناي ، وسعد بن خيثمة بن الحارث ، ورفاعة بن عبد المنذر ، وعبد الله ابن جبير بن النعمان ، ومعن بن عدي بن الحسد بن تجلان ، وعويم بن ساعدة . وشهدها من الخزرج أحد وستون رجلا : منهم من بنى النجار أحد عشر رجلا ،

(١) يابج كيمع وينصرف يضرب : اسم مكان على ثمانية أميال من مكة .

(٢) في ابن سعد : « طرق » . (٣) النسعة بالكسر : سرب مضفور يحمل زماما للبعير وغيره .

(٤) الجمعة من شعر الرأس : ما سقط على المنكبين ، وهي أكثر من الوفرة .

(٥) في ابن سعد : « أدخلوه » .

وهم أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب ، ومعاذ بن الحارث بن رفاعه ، وأخوه عوف
ابن الحارث ، وأخوه معوذ بن الحارث ، ومحمارة بن حزم بن زيد ، وأسعد بن زُرارة
ابن عُدَس ، ومهل بن عَتَيْسك بن النعمان ، وأَوْس بن ثابت بن المنذر بن حرام ،
وأبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود ، وقيس بن أبي صعصعة ، وعمرو بن غُزَيَّة
ابن عمرو بن ثعلبة .

ومن بني الحارث بن الخزرج سبعة نفر ، وهم : مسعد بن الربيع بن عمرو ،
وخارجة بن زيد بن أبي زهير ، وعبد الله بن رواحة ، وبشير بن سعد بن ثعلبة ،
وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه ، وخَلَاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو ، وعُقْبَة
ابن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة .

- ١٠ ومن بني بياضة بن عامر بن زُرَيْق ثلاثة نفر ، وهم : زياد بن لَيْد بن ثعلبة
ابن سِنَان ، وفروة [بن] عمرو بن ودقة ، وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان .
ومن بني زريق بن عامر بن زريق ثلاثة نفر : رافع بن مالك بن العجلان
ابن عمرو ، ودُكْوَان بن عبد قيس بن خَلْدَة بن مَخْلَد بن عامر بن زريق — وكان
يُخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان معه بمكة فهاجر ، فكان يقال له :
مهاجرى أنصارى — وعَبَاد بن قيس بن عامر بن خالد .

ومن بني سَلَمَة بن سعد بن علي بن أسد أحد عشر رجلا : البراء بن معرور
ابن صخر ، وابنه يَسْر بن البراء ، وسِنَان بن صَيْفَى بن صخر ، والطفيل بن النعمان

- (١) عدس : قال ابن بري : صوابه بضتين ، وقال الجوهرى : كفتح .
(٢) في الأصل : « قسِر » ؛ وما أثبتناه من ابن هشام والاستيعاب .
(٣) تكللة من ابن هشام . (٤) في الاشتقاق : ودقة بذال معجمة وقاف ،
وفي الاستيعاب : ودقة ، بدال وقاف ، قال ابن هشام : هو الأصح .

ابن خنساء ، ومعليل بن المنذر بن مريح ، ويزيد بن المنذر بن سرح ، ومسعود
ابن يزيد بن سبيع ، والضحاك بن حارثة بن زيد ، ويزيد بن حرام بن سبيع ، وجبار
ابن صخر بن أمية بن خنساء ، والطفيل بن مالك بن خنساء .

ومن بنى سواد بن غنم بن كعب بن سلمة : كعب بن مالك بن أبي كعب
عمرو بن القين بن كعب بن سواد ، وهو الشاعر .

ومن بنى غنم بن سواد بن غنم خمسة نفر ، وهم : سليم بن حديدة ، ويزيد
ابن عامر بن حديدة ، وهو أبو المنذر ، وأبو اليسر ، واسمه كعب بن عمرو ، وصيفي
ابن سواد بن عباد ، وقُطَيْبَةُ بن عامر بن حديدة ، أخو يزيد .

ومن بنى ناي بن عمرو بن سواد بن غنم خمسة نفر : ثعلبة بن غنمة بن عدى
ابن ناي ، وعمرو بن غنمة بن عدى ، وعيس بن عامر بن عدى . وعبد الله بن أنيس
حليف لهم من قضاة ، وخالد بن عمرو بن عدى .

ومن بنى حرام بن كعب سبعة نفر ، وهم : عبد الله بن عمرو بن حرام ، وابنه
جابر بن عبد الله ، ومعاذ بن عمرو بن الجموح ، وثابت بن الحذع — والحذع ثعلبة
ابن زيد — ، وعمير بن الحارث بن ثعلبة ، وخديج بن سلامة بن أوس ، ومعاذ
ابن جبل بن عمرو بن أوس ، مات بعمواس عام الطاعون .

ومن بنى عوف بن الخزرج أربعة نفر ، وهم : عبادة بن الصامت بن قيس ،
والعباس بن عبادة بن نضلة — وكان ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بمكة فأقام فكان^(٣) يقال له : مهاجرى أنصارى ، قتل يوم أحد —

(١) كذا في ابن هشام . والذي في الأصل : « ابن » .

(٢) في الأصل : « خمسة » — وما أثبتناه عن ابن هشام : ١٠٧ : ٢ .

(٣) في ابن هشام ج ٢ : ١٠٧ . « فأقام معه بها » .

وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة حليف لهم من بني عُصَيَّة من بَلِيَّة ، وعمرو بن الحارث بن بُدَّة بن عمرو .

ومن بني سالم بن غنم بن عوف - وهم بنو الحَبَلِيَّة - رجُلان : رفاعه بن عمرو ابن ثعلبة بن مالك ، وعقبة بن وهب بن كلفة بن الجعد حليف لهم ، وكان ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا إلى مكة ، فكان يقال له : مهاجري أنصاري .

ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج رجُلان : سعد بن عبادة بن دُلَيْم ابن حارثة ، والمنذر بن عمرو بن خُنَيْس ، وأمرأتان ، وهما : نسيبة ابنة كعب ابن عمرو ، وهي أم عمارة ، وأم منيع ، واسمها أسماء بنت عمرو بن عدي بن فاري ، ولم يصالحهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان لا يصالح النساء ، وإنما كان يأخذ عليهن ، فإذا أقررن قال : آذهبن ، وكان النقباء من هؤلاء اثني عشر رجلا ، وهم : أسعد بن زرارة ، وسعد بن الربيع ، عمرو ، وعبد الله بن رواحة ابن أمريئ القيس ، ورافع بن مالك بن العجلان ، والبراء بن معرور ، وعبد الله ابن عمرو بن حرام ، وعبادة بن الصامت بن قيس ، وسعد بن عبادة بن دُلَيْم ، والمنذر بن عمرو بن خُنَيْس ويقال : ابن خُنَيْس ، هؤلاء من الخزرج .

ومن الأوس ثلاثة نفر : أسيد بن حُضَيْر ، وسعد بن خيثمة بن الحارث ، ورفاعة بن عبد المنذر .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : وأهل العلم يعدون أبا الهيثم بن التيهان ، ولا يعدون رفاعه . والله أعلم بالصواب .

١١٢
١٤

وقال: "إن الله قد جعل لكم إخوانا، ودارا تأمنون بها"، فخرجوا أرسالا، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر الإذن من الله في الهجرة إلى المدينة، فكان أول من هاجر من المهاجرين من قريش: أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله المخزومي، وكانت هجرته قبل بيعة العقبة بسنة، وكان قد قدم من أرض الحبشة، فلما آذته قريش، وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار هاجر إلى المدينة، فقتل بقرية بنى عمرو بن عوف بقباء على أحمد بن مبشر ابن عبد المنذر، ثم كان أول من قدمها بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة حليف بنى عدى بن كعب، معه امرأته ليلي بنت أبي حثمة بن غانم، ثم عبد الله بن جحش ابن رثاب، حليف بنى أمية ابن عبد شمس، احتمل بأهله وبأخيه عبد بن جحش، وهو أبو أحمد، وكان رجلا ضرير البصر، وكان يطوف مكة بغير قائد، وكانت عنده الفرعة بنت أبي سفيان بن حرب، نزل هؤلاء كلهم بقباء على أحمد ابن مبشر أيضا، ثم قدم المهاجرون أرسالا، ثم خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وعياش بن أبي ربيعة في عشرين من المسلمين، منهم: زيد بن الخطاب أخو عمر، وسعيد بن زيد بن عمرو بن ثعلبة، وخنيس ابن حذافة السهمي، وواقد بن عبد الله التميمي حليف بنى عدى، وعبد الله وعمر بن ابن سراقبة بن المعتمر—ويقال: عمر بدل عمرو—وخولى بن أبي خولى، حليف الخطاب، وأخوه مالك—ويقال: هلال بن أبي خولى بدل مالك—وبنو البكير الأربعة: إياس، وعافل، وخالد، وعامر. ويقال: وكان مع عمر ابنه عبد الله ابن عمر.

(١) أرسالا: جماعات.

(٢) في أسد الغابة: «حشمة بن حذيفة بن غانم».

١١٣
١٤

قال ابن إسحاق: فقتل عمر بن الخطاب، وعياش بن أبي ربيعة في بني عمرو
ابن عوف بقاء، بغاء أبو جهل والحارث أبنا هشام إلى عياش إلى المدينة، وكان
ابن عمهما وأخاهما لأمهما، فكلما في الرجوع، وقالوا: إن أمك قد نذرت أن
لا يمشط رأسها مشط، ولا تستظل من شمس حتى تراك، ففرق لها. قال عمر
ابن الخطاب: فقلت له: يا عياش، إنه والله إن يريدك القوم إلا [ليفتنوك^(١)] عن
دينك فأحذرهم، فوالله لو أذى أمك القمل لامتشطت، ولو اشتد عليها حر مكة
لاستظلت. فقال: أبر قسم أي، ولي هناك مال فأخذه. قال عمر: فقلت له:
يا عياش، والله إنك لتعلم أني من أكثر قريش مالا، فلك نصف مالي ولا تذهب
معهما. قال: فآبى إلا أن يخرج معهما، فقلت: أما إذ فعلت فخذ ناقتي هذه
فإنها ناقة نجية ذلول، فألزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب فأنج عليها، فخرج
عليها معهما حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال له أبو جهل: يا أحمق والله لقد
استغلطت بعيري هذا، أفلا تعقبني على ناقتك؟ قال: بلى، فاناخ وأناخا ليتحول
عليها، فلما آستوا بالأرض أوثقاه رباطا، ثم دخلا به [مكة^(٢)]، وقتناه فأقتن.
رواه ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر.

قال ابن إسحاق: ودخلا به مكة نهرا موثقا، وقالوا: يا أهل مكة، هكذا
فأفعلوا بسفهاكم كما فعلنا بسفيها هذا. قال ابن عمر في حديثه فكان يقول:
ما الله بقابل من آقتن صرفا ولا عدلا ولا توبة، قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى

(١) الزيادة من ابن هشام ٢ : ١١٨

(٢) تعقبني على ناقتك: من قولهم أعقب زيد عمرا، أي رجا بالنوبة.

(٣) في ابن هشام ٢ : ١١٩ «عدوا عليه فأوثقاه وربطاه».

(٤) الزيادة عن ابن هشام.

الكفر لبلاء أصابهم ، وكانوا يقولون : ذلك لأنفسهم ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل الله فيهم ، وفي قولنا وقولهم لأنفسهم : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ . وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ^(١)) ، قال عمر : فكتبتها بيسدى في صحيفة ، وبعث بها إلى هشام بن العاص ، فلما قرأها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدثني مَنْ أَتَى به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بالمدينة : « مَنْ لِي بَعِاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَهَشَامُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ ؟ » فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة : أنا لك يا رسول الله بهما ، فخرج إلى مكة ، فقدمها مستخفيا ، فلقى امرأة تحمل طعاما فقال لها : أين تريدان يا أمة الله ؟ قالت : أريد هذين المحبوسين — تعنيهما — فتبعها حتى عرف موضعهما ، وكانا قد حبسا في بيت لا سقف له ، فلما أمسى تسور عليهما ، ثم أخذ مَرَّةً فوضعها تحت قيديهما ، ثم ضربهما بسيفه فقطعتهما ^(٢) ، ثم حملهما على بعيره وسار بهما ، فغثر فديمت إصبعه فقال : ^(٣)

هل أنت إلا إصبعٌ دَمِيَّتْ * وفي سبيل الله ما لقيت

نعود إلى تمة أخبار عمر في هجرته — قال ابن إسحاق : ونزل عمر بن الخطاب حين نزل المدينة ومن لحق به من أهله وقومه ، وأخوه زيد بن الخطاب ، وعمر بن عبد الله

(١) سورة الزمر ٥٣ — ٥٥ .

(٢) المروءة : واحدة المروء ، وهي حجارة بيض برافة توري النار .

(٣) زاد في ابن هشام بعد هذا : « فكان يقال لسيفه : ذو المروءة لذلك » .

(٤) في ابن هشام : « قدم » . ومؤدى الرايتين واحد .

آبنا سُراقَة بن المعتمر، وخُنيس بن حُذافة المِهمي — وكان صهرَه على أخته حفصة
خلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده — وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل،
وواقِد بن عبد الله التيمي، حليف لهم، وخولى بن خولى، ومالك بن خولى،
حليفان لهم، وبنو البكير الأربعة: إياس، وعافل، وعامر، وخالد، حلفاؤهم،
وهم من بني سعد بن لُبث، على رفاعَة بن المنذر بَقِباء، ثم تتابع المهاجرون، فنزل
طلحة بن عبيد الله، وصهيب بن سنان على خُبيب بن إيساف أنى بلحارث بن
الخزرج، ويقال: بل نزل طلحة على أسعد بن زُرارة، ونزل حمزة بن عبد المطلب،
وزيد بن حارثة، وأبو مرثد كَنَاز بن حصين، وآبسه مرثد الغنويان حليفا حمزة
ابن عبد المطلب، وأنسة وأبو كبشة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم على كثوم
ابن هِدم أحمى بني عمرو بن عوف بَقِباء — ويقال: بل نزلوا على سعد بن خيثمة،
ويقال: بل نزل حمزة على أسعد بن زُرارة — ونزل عبيدة بن الحارث بن المطلب،
وأخواه الطفيل والحُصين، ومِسَطَح بن أثانة بن عباد بن المطلب، ومُؤنِيط بن
سعد بن حريملة، أخو بني عبد الدار، وطُليب بن عمير أخو بني عبد بن قصى،
وخباب مولى عتبة بن غزوان على عبد الله بن سلمة أنى بلعجلان بَقِباء، ونزل

(١) قباء: على فرسخ من المدينة.

(٢) في الأصل: «المهاجرين»؛ وهو خطأ من الناسخ.

(٣) ويقال فيه: «آيساف» بياء مفتوحة: وهو ابن عتبة، ولم يكن حين نزل المهاجرون عليه مسلماً، بل آخر إسلامه حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر (عن الاستيعاب ملخصاً).

(٤) زاد في ابن هشام بعد هذه الكلمة قوله: «بالسنح».

(٥) في أسد الغابة: «ابن هرم»، بالراء. وفي ابن سعد، والاستيعاب: «ابن الخدم».

(٦) كذا في الأصل، وابن هشام، وفي الاستيعاب، وأسَد الغابة، والتاج، والإصابة: «حملة».

عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع أنى بلحارث
ابن الخرج في دار بلحارث ، ونزل الزبير بن العوام ، وأبو سبرة بن أبي رهم بن
عبد العزى على منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بالعصبة دار
بنى حجبى . ونزل مصعب بن عمير بن هاشم أخو بنى عبد الدار على سعد بن معاذ
أبن النعمان في دار بنى عبد الأشهل . ونزل أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسالم
مولى أبي حذيفة ، وعتبة بن غزوان بن جابر على عباد بن بشر بن وقش أنى
بنى عبد الأشهل في دار بنى عبد الأشهل . ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت
أبن المنذر أنى حسان بن ثابت في دار بنى النجار . وكان يقال : نزل العزاب من
المهاجرين على سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزبا .

١٠ ذكر اجتماع قريش في دار الندوة ، وتساورهم في شأن النبي صلى الله
عليه وسلم ، واتفاقهم على قتله ، وحماية الله تعالى له ،

وخبر الشيخ النجدى ، وهو إبليس ، نراه الله

قال محمد بن إسحاق ، يرفعه إلى عبد الله بن عباس وغيره قالوا : لما رأت
قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيع وأصحاب من غيرهم
من غير بلد ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد زلوا
١٥ دارا ، وأصابوا منهم مئة ، فخذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ،
وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا في دار الندوة — وهى دار قصى بن

(١) عصبة ، كهزمة ، وكذا ضبطه ياقوت ، وذكر أنه حصن بقباء ، وقتل من ابن هشام أيضا أنه
ضبطه بالضم ثم السكون . (٢) حجبى : جد أحيحة بن الجلاح البزبي .

(٣) ابن هشام ٢ : ١٢٤

كَلَابِ الَّتِي كَانَتْ قَرِيشٌ لَا تَقْضِي أَمْرًا إِلَّا فِيهَا — يَتَشَاوِرُونَ مَا يَصْنَعُونَ فِي أَمْرِ
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا لِذَلِكَ ، وَاتَّعَدُوا لَهُ ، غَدَا فِي يَوْمِ
 الْمَوْعِدِ ، وَهُوَ الْيَوْمُ الْمُسَمَّى يَوْمَ الرَّحْمَةِ ، فَاعْتَرَضَهُمْ إِبْلِيسُ فِي هَيْئَةِ شَيْخٍ جَلِيلٍ
 عَلَيْهِ بَتٌ — قَالَ الْوَاقِدِيُّ : مُشْتَمِلُ الصَّمَاءِ فِي بَتٍّ — قَالَ : فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الدَّارِ ،
 فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : مَنْ الشَّيْخُ ؟ قَالَ : شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ، سَمِعَ بِالَّذِي اتَّعَدْتُمْ لَهُ ،
 فَخَضِرَ مَعَكُمْ لِيَسْمَعَ مَا تَقُولُونَ ، وَعَسَى أَنْ يُعْذِّبَكُمْ مِنْهُ رَأْيَا وَنُصْحًا ، قَالُوا :
 أَجَلٌ ، فَادْخُلْ ، فَدَخَلَ مَعَهُمْ ، وَقَدْ اجْتَمَعَ أَشْرَافُ قَرِيشٍ ، وَهُمْ : عُتْبَةُ ، وَشَيْبَةُ
 ابْنَا رَبِيعَةَ ، وَأَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيٍّ ، وَجُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ ،
 وَالْحَارِثُ بْنُ عَامِرٍ ، وَنُفَيْلٌ ، وَالتَّضَرُّ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ
 ابْنُ هِشَامٍ ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمَطْلَبِ ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ، وَأَبُو جَهْلٍ
 ابْنُ هِشَامٍ ، وَثَيْبَةُ وَنَيْبَةُ ابْنَا الْحِجَابِ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ لَا يَعُدُّ^{١٠}
 مِنْ قَرِيشٍ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا قَدْ
 رَأَيْتُمْ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَأْمَنُهُ عَلَى الْوُثُوبِ عَلَيْنَا مِنْ قَدْ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِنَا ، فَاجْمَعُوا فِيهِ
 رَأْيَا ، فَتَشَاوَرُوا ، ثُمَّ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : أَحْبَسُوهُ فِي الْحَدِيدِ ، وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِ بَابًا ،
 ثُمَّ تَرَبَّصُوا بِهِ مَا أَصَابَ أَشْبَاهَهُ مِنَ الشَّعْرَاءِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ : زَهِيرٌ وَالنَّابِغَةُ ، وَمَنْ
 مَضَى مِنْهُمْ حَتَّى يَصِيبَهُ مَا أَصَابَهُمْ ، فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ : لَا وَاللَّهِ ، مَا هَذَا لَكُمْ
 بِرَأْيٍ ، وَاللَّهِ لَئِنْ حَبَسْتُمُوهُ كَمَا تَقُولُونَ لَيَخْرُجَنَّ أَمْرُهُ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ الَّذِي أَغْلَقْتُمْ

(١) فِي ابْنِ هِشَامٍ : « حِينَ خَافُوهُ » .

(٢) سَمِيَ يَوْمَ الرَّحْمَةِ لِتَرَاخُمِ أَغْرَافِ الْقَبَائِلِ الْقَرَشِيَّةِ فِي دَارِ النَّدْوَةِ .

(٣) فِي ابْنِ هِشَامٍ : « بَتْلَةٌ » ، وَالبَتْلَةُ وَالبَتُّ : الْكِسَاءُ الْغَلِيظُ .

(٤) وَاشْتِمَالُ الصَّمَاءِ هُوَ أَنْ يَشْتَمِلَ الرَّجُلُ بِالتُّوبِ حَتَّى يَجْلِسَ بِهِ جَسَدُهُ وَلَا يَرْفَعُ مِنْهُ جَانِبًا ، فَيَكُونُ فِيهِ

فَرْجَةٌ يَخْرُجُ مِنْهَا يَدُهُ ، وَهُوَ التَّلْفِيعُ ، (اللسان — شمل) .

دونه إلى أصحابه ، ولأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ، ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى ، فانظروا في غيره ، فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فإذا خرج عنا فوالله ^(١) [ما] نبالي أين ذهب ، ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرغنا منه ، أصلحنا أمرنا وألفقنا كما كانت . قال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأى ، ألم تروا حسن حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ، والله لأن فعلتم ذلك ما أمئتم أن يحل على حتى من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم ليسير بهم إليكم حتى يطأكم فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، دبروا فيه رأيا غير هذا . فقال أبو جهل بن هشام : إن لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فتيا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا ، [فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا] ^(٢) ، فرضوا منا بالعقل ، فعقلناه لهم . فقال النجدي : القول ما قال الرجل ، هذا الرأي لا أرى ^(٣) غيره .

١١٥
١٤

وحكى أن هذا الرأي كان رأى الشيخ النجدي ، وأنه لما أشار به قالوا : كلهم : صدق النجدي ، صدق النجدي ! والله أعلم .

قال : فتفرق القوم وقد أجمعوا على ذلك .

فأتى جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بالخبر ، وقال له :

لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه ، قال : فلما كانت عتمة

(١) من ابن هشام . (٢) عن ابن هشام . (٣) ابن هشام : « لا أرى غيره » .

من الليل اجتمعوا على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرصدونه حتى ينام، فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: "تم على فراشي، وتسمع يردي هذا الحضرمي الأخضر، فتم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم".

قال: فقال أبو جهل ومن معه على الباب: إن محمدا يزعم أنكم إذا تابعتوه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان بكنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم نار تحرقون فيها. قال: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ حفنة من تراب في يده، ثم قال: "نعم أنا أقول ذلك، أنت أحدكم"، وأخذ الله على أبصارهم فلا يرونه، فجعل يثر التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات من سورة يس: (يَس . وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ) . إلى قوله: (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) ^(١).

ولم يبق منهم رجل إلا وضع على رأسه ترابا، ثم انصرف إلى حيث أراد، فأتاهم آت من لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: محمدا، قال: خبيكم الله، قد والله نخرج عليكم محمدا، ثم مترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا وأنطلق لحاجته، أفأترون ما بكم؟ قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم جعلوا ينظرون فيه فيرون عليا على الفراش متسجيا برؤ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائما عليه برده. فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام على عن الفراش، فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا.

قال ابن إسحاق : فكان مما أنزل من القرآن في ذلك اليوم قوله تعالى :
 (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُجْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ
 وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ^(١)) وقوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ مَتَّبِعُ بِهِ رَبِّبَ الْمُتُونِ .
 قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ^(٢)) .

ذكر ابتداء هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأبى بكر رضى الله عنه

قال محمد بن إسحاق : لما هاجر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
 المدينة ، أقام هو بمكة بعدهم ينتظر الإذن من الله تعالى في الهجرة ، ولم يتخلف
 معه بمكة إلا أبو بكر الصديق ، وعلى بن أبي طالب رضى الله عنهما ، ومن حبس
 أوثق . وكان أبو بكر يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة كثيرا
 فيقول له : " لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحباً " ، فطمع أبو بكر أن يكون
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يعنى نفسه .

وروى عن عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهما أنها
 قالت : كان لا يخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بيت أبي بكر أحد
 طرفي النهار إما بكرة وإما عشية^(٣) ، [حتى] إذا كان اليوم الذى أذن الله تعالى فيه
 لرسوله في الهجرة والخروج من مكة أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة
 في ساعة كان لا يأتى فيها . قالت : فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله صلى
 الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدث ، فلما دخل تأخر أبو بكر عن سريره ،

(٢) سورة الطور ٣٠ - ٣١

(١) سورة الأنفال ٣٠ .

(٣) الزيادة من ابن هشام .

بفلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أخرج عني من عندك " قال : يا رسول الله ، إنما هما أبتائى ، وما ذاك فذاك أبي وأمي ؟ قال : " إن الله أذن لي في الخروج " . فقال أبو بكر : الصعبة يا رسول الله ! قال : " الصعبة " . قالت : فوالله . اشعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ ، ثم قال : يا نبي الله ، إن هاتين راحلتان كنت أعددتكما لهذا . فاستأجرا عبد الله بن أرقط — وقيل : الأريقط — الليثي وكان مشركا ، يدهما على الطريق ، ودفعنا إليهما راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاهما لمعادهما . قال ابن إسحاق : ولم يعلم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد حين خرج إلا أبو بكر وآل أبي بكر ، وعلى بن أبي طالب ، أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بخروجه ، وأمره أن يتخلف بعده ، حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس .

ذكر خبر الغار وما قيل فيه

قال : لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج أتى أبا بكر فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته ، ثم عمدا إلى غار ثور — جبل بأسفل مكة — فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فهيرة موله أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحهما عليهما إذا أمسى في الغار ، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمسيت بما يصلحهما .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم أن الحسن بن أبي الحسن قال : لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلا دخل أبو بكر قبل

رسول الله صلى الله عليه وسلم يلمس الغار لينظر أليه سبع أو حية يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً ، ومعه أبو بكر ، وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن يرده عليهم . وكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش يسمع ما يأترون به ، وما يقولون في شأن النبي صلى الله عليه وسلم . وأبي بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر ، وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يرعى في رعاء من أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غم أبي بكر فأحتلبا وذبحا ، فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة أتبع عامر بن فهيرة أثره النعم حتى يعنى عليه .

- ١٠ وقال محمد بن سعد بسنده إلى زيد بن أرقم وأنس بن مالك ، والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهم : إن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار أمر الله شجرة فنبتت في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته ، وأمر العنكبوت فانسجت على وجهه فسترته ، وأمر حمامتين وحشيتين فوقفتا بقم الغار ، وأقبل فتيان قريش من كل بطن رجل بأسيا ففهم وعصبيهم وهراواتهم حتى إذا كانوا من النبي صلى الله عليه وسلم قدر أربعين ذراعاً ، نظر أولهم فرأى الحمامتين فرجع فقال له أصحابه : مالك لم تنظر في الغار ؟ قال : رأيت حمامتين وحشيتين بقم الغار ، فعرفت أن ليس فيه أحد . فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ، فعرف أن الله عز وجل درأ عنه بهما . وقال بعض من حضر في طلبه : إن عليه من العنكبوت ما هو قبل ميلاد محمد . وقال أبو بكر رضى الله عنه : فنظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا فقلت : يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا ، فقال : "يا أبا بكر ، ما ظنك بأشين الله ثالثهما" ! قال : ومكثا في الغار ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر .
- ١٥
- ٢٠

قال محمد بن سعد : قالت عائشة رضى الله عنها : وجهزناهما أحب الجهازا، وصنعنا لهما سفرة في جراب ، فقطعت أسماء قطعة من نطاقها فأوكتت به الجراب ، وقطعة أخرى صيرتها عصا لقم القرية ؛ فلذلك سميت أسماء ذات النطاقين .

قال محمد بن سعد بسند يرفعه إلى أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما أنها قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر معه احتمل ماله كله معه ، — خمسة آلاف درهم أوسنة آلاف — فأطلق بها معه ، فدخل علينا جدى أبو خافة وقد ذهب بصره ، فقال : والله إنى لأراه قد فخمكم بماله مع نفسه ، قال فقلت : كلاً يا أبت ، إنه ترك لنا خيراً كثيراً . قالت أسماء : فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة البيت حيث كان أبى يضع فيها ماله ، ثم وضعت عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده فقلت : ضع يا أبت يدك على هذا المال ، فوضع يده عليه وقال : لا بأس إن كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا بلاغ لكم ؛ فلا والله ما ترك لنا شيئاً ، ولكنى أردت أن أسكن الشيخ بذلك . والله أعلم .

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه من الغار ، وتوجههما إلى المدينة ، وما كان من أمر سراقه بن مالك ، وأم معبد وغير ذلك إلى أن أتتهما إلى المدينة

كان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الصديق رضى الله عنه من الغار ليلة الاثنين لأربع خلون من شهر ربيع الأول ، وذلك أنه لما مضت الأيام الثلاثة ، وسكن عنهما الناس أتاهما عبد الله بن الأرقط براحتيهما وبغير له ، فقرب أبو بكر رضى الله عنه الراحيتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقدم له أفضلهما ^(١)

(١) فى الأصل : «لنسلهما» والصواب ما أثبتناه كما فى ابن هشام ج ٢ : ١٣١

ثم قال : اركب فداك أبى وأمى يارسول الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 "إنى لا أركب بعيرا ليس لى" ، قال : فهى لك يارسول الله أبى أنت وأمى ! قال :
 "لا ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به" ^(١) ؟ ، قال : كذا وكذا ، قال : "قد أخذتها بذلك" .

قال محمد بن سعد : وكان أبو بكر اشتراها بثمانمائة درهم من نعم بن قُشَيْرٍ ، فأخذ
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إحداها وهى القصواء .

قال ابن إسحاق : فركبا وأنطلقا ، وأردف أبو بكر رضى الله عنه مولاه
 جابر بن فهيرة خلفه ليعدهما فى الطريق .

قال أبو بكر رضى الله عنه : أسرنا ليلتنا ويومنا حتى إذا قام قائم
 الظهيرة وأقطع الطريق ، ولم يتر أحد ، رُفِعَتْ لنا صخرة لها ظل لم تات عليه
 الشمس . قال : فسويت للنبي صلى الله عليه وسلم مكانا فى ظلها ، وكان معى قَرُو
 ففرشته ، وقلت للنبي صلى الله عليه وسلم : ثم حتى أنفض ما حولك ، فخرجت فإذا
 أنا براج قد أقبل يريد من الصخرة مثلما أردنا ، وكان يأتينا قبل ذلك فقلت :
 ياراعى ، لمن أنت ؟ قال : لرجل من أهل المدينة يعنى مكة ، قال : قلت : هل فى شائك
 من لبن ؟ قال : نعم ، قال : بخاءنى بشاة فجعلت أمسح الغبار عن ضرعها وحلبت
 فى إداوة معى كُثْبَةً من لبن ، وكان معى ماء للنبي صلى الله عليه وسلم فى إداوة فصببتُ
 على اللبن من الماء لأبرده ، فوافيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قام من
 نومه فشرب وقال : "ما آن الرحيل" ؟ قلت : بلى ، قال : فأرسلنا حتى إذا كنا
 بأرض صلبة جاء سُرَاقَةُ بن مالك بن جُعْثَمٍ ، فبكى أبو بكر وقال : يارسول الله قد أتينا ،
 قال : "كلا" ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرتطم فرس سُرَاقَةَ — أى

(١) فى الأصل : «ابتعتها» ، و«أخذتها» والصواب ، عن ابن هشام .

(٢) كنية : قليل .

احتبس إلى بطنه — فقال : قد أعلم أن قد دعوتما علي فادعوا لي ، ولكما علي أن أرد الناس عنكما ولا أضركما . قال : فدعاه فرجع ووفى وجعل يرد الناس ويقول : قد كفتم ماها هنا . وقد روى عن سرافة أنه قال لأبي جهل بن هشام :

أبا حَكَمٍ والله لو كنتَ شَاهِدا * لأمرِ جوادِي إِذْ تَسُوخُ قَوَائِمُهُ

عَلِمْتَ ولم تَشْكُكْ بأن عِدا * رَسولٌ يَرِهَانُ فَن ذَا يِقَاوِمُهُ !

عَلَيْكَ بِكَفِّ الْقَوْمِ عَنْهُ فَإِنِّي * أَرَى أَمْرَهُ يَوْمًا سَيَبْدُو مَعَالِمُهُ

بِأَمْرِ يَوَدُّ النَّاسُ فِيهِ بِأَسْرِهِمْ * بِأَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ طَرَا تَسَالِمُهُ ^(١)

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدثني الزُّهري أن عبد الرحمن بن مالك

ابن جعشم حدثه عن أبيه عن عمه سرافة بن مالك قال : لما خرج رسول الله صلى الله

عليه وسلم من مكة مهاجرا إلى المدينة ، جعلت فيه قريش مائة ناقة لمن يرده عليهم ،

فبينما أنا جالس في نادى قومي أقبل رجل منا حتى وقف علينا فقال : والله لقد رأيت

ركبة ثلاثة مروا على آفء ، إنى لأراهم عِدا وأصحابه ، قال : فأومأت إليه بعيني أن

أسكت ، ثم قلت : إنما هم بنو فلان يتغنون ضالة لهم ، قال : لعله . ثم قمت فدخلت

بنتي وأمرت بفرسى فقيده إلى بطن الوادى ، وأمرت بسلاحي فأخرج من دُبر

مُحْجَرِي ، ثم أخذت قِداحي التى أستقسم بها ، ثم أنطلقت فلبست لأمي ، ثم أخرجت

قِداحي فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذى أكره : « لا يضره » ، قال : وكنت أرجو

أن أردّه على قريش فأخذ المائة ، فركبت الفرس فى أثره ، فبينما فرسى يشتد بى عثر

فسقطت عنه ، فقلت : ما هذا ؟ ثم أخرجت قِداحي فاستقسمت بها فخرج السهم

(١) فى الأصل : « طورا » وهو تصحيف .

(٢) فى الدلائل : قال : « لعله » ، ثم سكت قال فكنت قليلا ثم قمت .

(٣) فى الأصل : « الذى » ، ما أثبتناه عن ابن هشام ج ٢ : ١٣٤ .

الذى أكره «لا يضره»، قال فأييت إلا أن أتبعه فركبت في أثره، فلما بدا لي القوم
ورأيتم عثري فرسي فذهبت يدها في الأرض وسقطت عنه، ثم أنزع يده من
الأرض وتبعهما دُحَانٌ كالإعصار، فعرفت حين رأيْتُ ذلك أنه قد منع مني وأنه
ظاهر، فناديتُ القوم: أنا سراقه بن جعشم، أنظروني أكلتمكم، فوالله لا يأتينكم مني
شيء تكروهونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: "قل له وما تبغى
منّا؟" فقال لي ذلك أبو بكر، قلت: تكتب لي كتابا يكون بيني وبينك، قال:
"اكتب له يا أبا بكر"، فكتب لي كتابا في عظم أو في رقعة أو في خرقة ثم ألقاه إلى
فأخذته فجعلته في كنانتي، ثم رجعت فلم أذكر شيئا مما كان، حتى إذا كان فتح
مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقرغ من حنين والطائف، فرحت ومعى
الكتاب لألقاه فلقيته بالجرزاة^(١)، فدخلت في كنيبة من خيل الأنصار فجعلوا
يقرعونني بالرماح ويقولون: إليك إليك ماذا تريد؟ قال: فدنوت من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته، والله إنى لأنظر إلى ساقه في غرزه كأنها^(٢)
جمارة، فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت: يا رسول الله، هذا كتابك أنا سراقه بن جعشم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يوم وفاء وبر"، أدنه^(٣)، قال فدنوت منه
فأسلمت. والله الهادي للصواب.

١٥

ومروا على خيمتي أم معبد الخزاعية، وأسم أم معبد عائكة بنت خالد بن منقذ
ابن ربيعة، ويقال: عائكة بنت خالد بن خليف، وكانت برزة جلدة تجلس بفناء^(٤)

- (١) الجرزة بكسر الجيم وتشديد الزايم: ما بين مكة والطائف على سبعة أميال من مكة.
(٢) الفرز للرجل: هو كالركاب للسرّاج، وفي الدلائل والنهاية: «كانه جمارة»، والجمارة: قلب
النحلة وشحمها. (٣) في الأصل: «خلف»، وما أثبتناه عن أسد الغابة، والمواهب.
(٤) البرزة: التي تظهر للناس.

٢٠

(١) القبة تَسْقَى وتُطْعِم ، فسألوها تمرا ولحما يشترونه منها ، فلم يصيبوا عندها من ذلك شيئا ، وكان القوم مُرْمِلِينَ مُسْتَنِينَ ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في كسر الخيمة ، فقال : ” ما هذه الشاة يا أم معبد “ ؟ قالت : شاة خلقها الجهد عن الغنم ، قال : ” هل بها من لبن “ ؟ قالت : هي أجهد من ذلك ، قال : ” أناذنين أن أحلبها “ ؟ قالت : نعم ، بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلبا فاحلبها . فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح بيده ضرعها وسمى الله ، ودعا لها في شاتها ، فتفاجأت عليه — أى فتحت ما بين رجلها — ودبرت ، ودعا بلاناء يُرْبِضُ الرِّقْطَ — أى يروهم — فحلب فيه ثجا ثم سقاها حتى رويت ، ثم سقى أصحابه حتى رَوُوا ، ثم شرب آخرهم ، ثم حلب إناء حتى ملأه ثم غادره عندها ، وباعها وأرتحلوا عنها ، وأصبح صوت بمكة عال يسمونه ، ولا يدرون من صاحبها وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين قالاً خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر وأرتحلا به * فأفلح من أسمى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم * به من فقال لا تجارى وسودد
لبن بني كعب مكاث فقاتهم * ومقعدا للمؤمنين بمرصد
سلوا اختكم عن شاتها وإنائها * فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت * له بصريح ضرة الشاة مزيد
فأدرها رهنا لديها لحالب * تدربها في مصدر ثم مورد

(١) في الأصل : « الهنه » وهو تصحيف ، والتصحيح من البزة الحليسة ، وفي الدلائل وغيرها : « الخيمة » . (٢) مرملين : فقد زادهم . مستنين : مجدين . (٣) ثجا : أى لبنا كثيرا . (٤) قالاً : نزلا وقت القيلولة . (٥) زوى : صرف . (٦) تجارى : بالراء ، وفي رواية بالزاي . (٧) الصريح : اللبن الخالص . (٨) الضرة : أصل الضرع . (٩) في مصدرهم مورد : أى يحلبها مرة ثم أخرى ، والمعنى : ترك الشاة عندها ذات لبن .

قال ابن إسحاق : ولما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل أسفل من عُسْفَانَ ^(١) ، ثم سلك بهما أسفل أَمَج ^(٢) ثم استجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قديداً ^(٣) ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخزار ، ثم سلك بهما ثنية المرة ^(٤) ، ثم سلك بهما لَقْفاً ^(٥) — ويقال لَقْفاً ^(٦) — ثم أجاز بهما مَدْلَجَةً لَقْفٍ ^(٧) ، ثم استَبَطْنَ بهما مَدْلَجَةَ مَجَاجٍ ^(٨) ، ثم سلك بهما مَرْجٍ مَجَاجٍ ^(٩) ، ثم تَبَطْنَ بهما [مَرْجٍ] ^(١٠) من ذى القُصَوَيْنِ ^(١١) ، ويقال : العَصَوَيْنِ ، ثم بطن ذى كُشْرٍ ^(١٢) ، ثم أخذ بهما على الجَدَايِدِ ^(١٣) ، ثم على الأَجْرَدِ ^(١٤) ، ثم سلك بهما ذا سَلَمٍ ^(١٥) [من بطن] ^(١٦) أَعْدَاءٍ مَدْلَجَةً تَعِينٍ ^(١٧) ، ثم على الْعَبَائِدِ — ويقال : الْعَبَائِبِ . ويقال :

١١٩
١٤

- (١) عسفان كتمان : موضع بين مكة والمدينة . (٢) أمج : بلد بين مكة والمدينة فيه مزارع .
(٣) قديد : موضع قرب مكة . (٤) الخزار : موضع قرب الحنفية .
(٥) ثنية المرة : موضع ، تحفيف المرأة . (٦) لقف : موضع كثير الماء لا زرع فيه .
(٧) لقت : واد في طريق المدينة ، وقد وقع الخلاف في لقف ولقت في حديث الهجرة وكلاهما صحيح ، وهذا موضع ، وذلك آخر .
(٨) المدلجة : الخوض الذي يفرغ فيه الساقى دلوه .
(٩) مجاج : بفتح الميم موضع ، وفيه خلاف . راجع ياقوت .
(١٠) ساقطة من الأصل ؛ وما أثبتناه عن ابن هشام ٢ : ١٣٦ ، وانظر ياقوت .
(١١) ذوالقُصَوَيْنِ : بفتح القين والضاد المجرى ثنية الغضا .
(١٢) في الأصل « كشد » ، وهو تحريف . وكشر : موضع بين مكة والمدينة .
(١٣) الجداجد : جمع جدجد يضم الجيمين وهى البر القديمة . ياقوت .
(١٤) الأجرد : أحد جبلي جهينة ، بين المدينة والنام .
(١٥) ذو سلم : واد من أرض بني البكاء على طريق البصرة إلى مكة .
(١٦) الزيادة عن ابن هشام .
(١٧) تعين : عين ماء على ثلاثة أميال من السُّبْيَاء بين مكة والمدينة . والأعداء : النواحي .

العُثَيَانَةُ - ثم أجاز بهما الفَاجَةُ ^(١) ، ويقال : الفَاجَةُ ، ثم هبط بهما العُرج ^(٢) ، وقد أبطأ عليهم بعضُ ظهرهم فحمل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ يقال له : أوس بن حجر على جمل له إلى المدينة ، وبعث معه غلاما له يقال له : مسعود بن هُنَيْدَةَ ، ثم خرج بهما دليلهما من العُرج ^(٣) ، فسلك ثنية العائر عن يمين رَكُوبَةٍ - ويقال الغائر - حتى هبط بهما [بطن] ^(٤) رَغِمَ ، ثم قدم بهما قُبَاءَ على بنى عمرو بن عوف . قال الشيخ شرف الدين الدمياطي : وكان عبد الله بن الأريقط على كفره ، ولم يعلم له إسلامٌ .

ذكر قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضي الله عنه إلى المدينة

قال محمد بن إسحاق : كان مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبَاءَ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين الضحَا ، وكادت الشمس تعتدل ، وهو صلى الله عليه وسلم ابن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد أن بعثه الله تعالى بثلاث عشرة سنة . وقال الخوارزمي : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا يوم الاثنين ، وهو اليوم الثامن من شهر ربيع الأول سنة أربع وخمسين من عام الفيل ، ويوم عشرين من أيلول ، فكان من مبعثه إلى يوم هاجر ودخل المدينة ثلاث عشرة سنة كاملة . قال ابن إسحاق : وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمعوا بخروجه من مكة وتَوَكَّفُوا قُدُومَهُ ^(٥) ، يخرجون إذا صلوا

- (١) الفَاجَةُ والفَاجَةُ : مدينة على ثلاث مراحل من المدينة ، قبل السقياء بنحو ميل .
- (٢) العُرج : مكان بين مكة والمدينة على جادة الحاج ، تذكر مع السقياء .
- (٣) رَكُوبَةٌ : ثنية بين مكة والمدينة عند العُرج .
- (٤) ساقطة من الأصل ، والزيادة عن ابن هشام .
- (٥) تَوَكَّفُوا : استشعروا قدومه وانتظروه .

الصباح إلى ظاهر الحِزَّة ينتظرونه ، فلا يرحون حتى تغلبهم الشمس على الظلال
 فيدخلون ، وذلك في أيام حارة ، حتى إذا كان اليوم الذي قَدِم فيه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم جاسوا على عاداتهم ، حتى إذا لم يبق ظل دخلوا بيوتهم ، فقدم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم حين دخلوا البيوت ، فكان أول من رآه رجل من يهود ،
 فصرخ بأعلى صوته : يا بني قَيْلَةَ ، هذا جدكم قد جاء ، قال : فخرجوا إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وهو في ظل نخلة ، ومعه أبو بكر رضى الله عنه في مثل سِنَّه ،
 وأكثر الأنصار لم يكن يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ، فأقبل
 الناس وما يعرفونه من أبي بكر ، حتى إذا زال الظل عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قام أبو بكر فآظله بردائه ، فعرفوه عند ذلك ، قال : قتل رسول الله صلى الله
 عليه وسلم على كلثوم بن هِذَم أنحى بنى عمرو بن عوف ، وهو الأصم ، وكان إذا
 خرج من منزل كلثوم جلس للناس في بيت سعد بن خَيْثَمَة ، وذلك أنه كان عزَّبا
 لا أهل له ، وكان منزل العُزَّاب من المهاجرين ، ونزل أبو بكر الصديق رضى الله عنه
 على خُبَيْب بن إِسَاف أحد بنى الحارث بن الخزرج بالسُّنَح . وقيل : بل نزل
 على خارجة بن زيد . وأقام على بن أبي طالب رضى الله عنه بمكة ثلاث ليال ،
 حتى أذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس ، ثم لحق
 برسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل معه على كلثوم بن هِذَم ، فأقام رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بقاء من يوم الاثنين إلى آخر يوم الخميس أربعة أيام .

(١) بنو قَيْلَةَ : هم الأنصار ، وقَيْلَةُ : اسم جدة كانت لهم .

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من قباء

وتحوله إلى المدينة، وصلاته الجمعة، ونزوله على أبي أيوب خالد بن زيد
قال محمد بن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة من
منزل كلثوم فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلّاها في المسجد الذي في بطن
الوادي ، وادي رانوثاء^(١) ، وكانت أول جمعة صلاها بالمدينة . قال محمد بن سعد :
صلاها بمن كان معه من المسلمين وهم مائة . قال ابن إسحاق : فأتاه عتيبان بن
مالك ، وعباس بن عباد بن فضالة ، في رجال من بني سالم بن عوف ، فقالوا :
يا رسول الله ، أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة ، قال : ” خلوا سبيلها فإنها مأمورة “
نفلوا سبيلها ، فأنطلقت حتى إذا مرت بدار بني ساعدة ، اعترضه سعد بن عباد ،
والمندر بن عمرو في رجال من بني ساعدة ، فقالوا مثل ذلك ، وقال مثل ما قال
لأولئك ، نفلوا سبيلها ، فأنطلقت ، حتى إذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج
اعترضه سعد بن الربيع ، وخارجة بن زيد ، وعبد الله بن رواحة في رجال من بلحارث
من الخزرج ، فقالوا مثل ذلك ، وقال مثل ما قال ، نفلوا سبيلها فأنطلقت ، حتى
إذا مرت بدار بني عدى بن النجار وهم أخواله اعترضه سليط بن قيس ، وأبو سليط
أسيرة بن أبي خارجة في رجال من بني عدى بن النجار ، فقالوا : يا رسول الله هلم^(٢)
إلى أخوالك إلى العدد والعدة والمنعة ، فقال كما قال لأولئك ، نفلوا سبيلها
فأنطلقت ، حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يومئذ مريد لفلانين يقيمين من بني النجار ، في حجر

(١) رانوثاء بنونين : بين قباء والمدينة يلتقي مع بطحان في دار بني زريق .

(٢) الذي في أسد الغابة : « أسيرة بن عمر بن قيس بن مالك » .

(٣) مرید : الموضع الذي يجمع فيه الزرع والتمر للتجفيف .

معاذ بن عفراء وهما سهل وسهيل أبنا عمرو ، فلما بركت ثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينزل ، فسارت غير بعيد ، ثم التفت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه ، ثم تحلحلت ورزمت ووضعت حرائنها ، فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته ، ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى : لما بركت الناقة جعل الناس يكلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في النزول عليهم ، وجاء أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب فخط رحله فادخله منزله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المرء مع رحله " ، وجاء أسعد بن زُرارة فأخذ بزمام راحلته فكانت عنده ، قال زيد بن ثابت : فأول هدية دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزل أبي أيوب هدية دخلت بها إناء قصعة مئرد فيها خبز وسمن ولبن ، فقلت : أرسلت بهذه القصعة أمي ، فقال : " بارك الله فيك " ، ودعا أصحابه فأكلوا ، فلم أرم الباب حتى جاءت قصعة سعد بن عباد بن ثريد وعراق ، وما كان من ليلة إلا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة والأربعة يحملون الطعام ، يتناوبون ذلك حتى تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل أبي أيوب ، وكان مقامه فيه سبعة أشهر .

وقال ابن إسحاق : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الداخلة ، حتى بنى له فيها مسجده ومساكنه . والله أعلم .

(١) في الأصل : « تحاجلت » ، وما أنشأه عن ابن هشام : وقال السبيل : إن ابن قتيبة فسره بتحلحلت — بتقديم اللام — لزمت مكانها ، وكذا فسره في النهاية : تحلحلت أقامت ولزمت مكانها ولم تبرح ضد تحلحلت . ورزمت للناسفة : إذا أقامت من الكلال ، وجرائنها : عتقها .

(٢) فلم أرم : لم أبرح .

(٣) عراق : جمع عرق وهو جمع قادر ، والعرق (بالسكون) : العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل أبي أيوب زيد بن حارثة ،
وأبا رافع ، وأعطاهما بعيرين ونجمائة درهم ، فقدموا إلى مكة لفاطمة وأم كلثوم
عليهما السلام ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسودة بنت زمعة زوجته ،
وأسماء بن زيد ، وحمل زيد بن حارثة أمراته أم أيمن مع أبنائها أسماء بن زيد ،
وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم بعيال أبي بكر فيهم عائشة ، فقدموا المدينة فأنزلهم
في بيت حارثة بن النعمان ، وكانت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحبيشة
مع زوجها عثمان بن عفان . قال ابن إسحاق بسنده إلى أبي أيوب قال : لما نزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي نزل في السفل ، وأنا وأم أيوب في العلو ،
فقلت له : يا نبي الله ، يا أبي أنت وأمي ، إني أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون
تحتي ، فظهر أنت وكن في العلو ، وتنزل نحن ونكون في السفل ، فقال :
” يا أبا أيوب ، إن أرفق بنا ومن يشانا أن نكون في سفلى البيت “ ، قال : فلقد
آنكسر حب لنا فيه ماء ، فقمنا أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ،
ننشف بها الماء ، نخوفنا أن يقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه ، قال :
وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به إليه ، فإذا ردت علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع
يده فأكلنا منه ، فبقي بذلك البركة حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه ، وقد جعلنا له فيه
بصلا أو ثوما ، قال : فردّه ولم أر ليدّه فيه أثرا ، فحنته فزعا ، فقلت : يا رسول الله
يا أبي أنت وأمي ، رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك ؟ فكننت إذا رددته علينا
تيممت أنا وأم أيوب موضع يدك للبركة ، قال : ” فإني وجدت فيه ريح هذه
الشجرة “ ، وأنا رجل أناجي فاما أتم فكلوه “ ، فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة .
والله المستعان .

(١) الحب : جرة كبيرة . (٢) أناجي من الحاجة : وهي أن يحدث الإنسان غيره .

ذكر بناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيوته بالمدينة

قال محمد بن سعد عن محمد بن عمر بن واقد قال : حدثني معمر بن راشد عن الزهري قال : بركت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موضع المسجد ، وهو يؤمئذ يصلي فيه رجال من المسلمين ، وكان مربدا لسهل وسهيل غلامين يتيمين من الأنصار ، وكانا في حجر أبي أمامة أسعد بن زُرارة ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا : بل نهبه لك يا رسول الله ، فأبى صلى الله عليه وسلم حتى أتباعه منهما . قال ابن سعد : وقال غير معمر عن الزهري : فأتباعه بعشرة دنانير ، وأمر أبا بكر أن يعطيتهما ذلك ، فكان جدارا مجذرا ليس عليه سقف ، وقبلته إلى بيت المقدس ، وكان أسعد بن زُرارة بناءه ، فكان يصلي بأصحابه فيه ، ويجمع بهم فيه الجمعة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل الذي بالحديقة وبالفرقد الذي فيه أن تقطع ، وأمر باللبن فضرب ، وكان في المربد قبور جاهلية فأمر بها فنبشت ، وبالعظام أن تُقَيَّب ، وكان في المربد ماء مُسْتَنْجِل فسيروه حتى ذهب ، فأسس رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وأسسوا معه ، فجعلوا طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع ، وفي هذين الجانبين مثل ذلك فهو مُرَبَّع ، ويقال : كان أقل من المائة ، وجعلوا الأساس قريبا من ثلاثة أذرع على الأرض بالحجارة ، ثم بنوه باللبن ، وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وجعل ينقل الحجارة معهم بنفسه ، ويقول : ” اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأغفر للأنصار والمهاجرين ، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار “ قال : وقال قائل من المسلمين يرتجز :

لَيْنَ قَعَدْنَا وَالنَّبِيُّ يَعْمَلُ * لَذَاكَ مِنَّا الْعَمَلُ الْمَضْلَلُ

(١) مستنجل : مستنقع ، والنبل الماء الذي يخرج من الأرض نرا .

قال : ودخل عمار بن ياسر وقد أنقلوه باللين فقال : يا رسول الله ، قتلوني ، يحملون عليّ ما لا يحملون ، قالت أم سلمة : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفذ وفرته بيده ، وكان رجلاً جَعْدًا ، ويقول : ” ومج ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك ^(١) إنما تقتلك الفئة الباغية “ قال ابن سعد : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة المسجد إلى بيت المقدس ، وجعل له ثلاثة أبواب : باباً في مؤخره ، وباباً يقال له : باب الرحمة ، وهو الباب الذي يدعى باب عائكة ، والباب الثالث الذي يدخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل طول الجدار بسطة ، وعمده الجذوع ، وسقفه جريداً ، ف قيل له : ألا تسقفه ؟ فقال : ” عريش كعريش موسى خشيبات وثمام ^(٢) الشأن أعجل من ذلك “ قال : وبني بيوتاً إلى جنبه باللين ، وسقفها بمجذوع النخل والجريد ، فلما فرغ من البناء ، بنى لعائشة رضي الله عنها [في البيت الذي يليه شارع إلى المسجد] ^(٣) على ما تذكره إن شاء الله تعالى . وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل فُطِعَ ، وبقبور المشركين فنبشت ، وبالحِزْب فسويت ، قال : فصفوا النخل قبلة ، وجعلوا عضادتيه حجارة ^(٤) .

ذكر بناء المسجد الذي أسس على التقوى وهو مسجد قباء

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى بسنده إلى سهل بن سعد وأبي غزيرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم قال : لما صُرفت القبلة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قباء فقدم جدار المسجد إلى موضعه اليوم وأسسّه ، وقال :

(١) الوفرة : شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن . (٢) العريش : كل ما يستظل به ، مثل الحسن من معنى ” عريش موسى “ فقال : إذا دفع يده بلغ العريش أى السقف ، وفي الدلائل : قبل لرسول الله إلى متى نصلي تحت هذا الجريد ؟ فقال : ” ما بين رغبة عن أخى موسى عريش كعريش أخى موسى “ . (٣) الثام : ثبت ضعيف يسد به خصاص البيوت . (٤) الزيادة من ابن سعد ، وفي الأصل : « بنا بعائشة » وهو خطأ (راجع ابن سعد ١ : ٢ : ٢) . (٥) المضادة : جانب العتبة من الباب ، والمضد : لادجد .

”جبريل يؤتم بي البيت“، ونقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الحجارة لبنائه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه كل سبت ماشياً، وقال صلى الله عليه وسلم: ”من توضأ فأصبح الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلى فيه كان له أجر عمرة“، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأتيه يوم الاثنين ويوم الخميس، وقال: لو كان بطرف من الأطراف لضربنا إليه أكباد الإبل . قال : وكان أبو أيوب يقول : هذا المسجد الذي أسس على التقوى . وكان أبي بن كعب وغيره يقولون : بل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر ما أصاب المهاجرين من حمى المدينة ، ودعاء رسول الله

صلى الله عليه وسلم لهم

- ١٠ روى عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قدمها وهي آوياً أرض الله من الحمى ، فأصاب أصحابه منها بلاءٌ وسقم ، وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم . قالت : فكان أبو بكر رضي الله عنه ، وعامر بن فهيرة وبلال ، ولوليا أبي بكر مع أبي بكر في بيت واحد فأصابهم الحمى ، فدخلت عليهم أعودهم ، وذلك قبل أن يضرب علينا [الحجاب] ^(١) وريهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوباء ، فدنوت من أبي بكر فقلت : كيف تجددك يا أبت ؟ فقال :

كل أمرئ موصَّب في أهله * والموت أدنى من شرك أمي

قالت : فقلت والله ما يدرى أبي ما يقول ، ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة ، فقلت : كيف تجددك يا عامر ؟ فقال :

(١) الزيادة عن الديار بكرى ١ : ٣٥٠ ، ودلائل النبوة .

لقد وجدت الموت قبل ذوقه * إن الجبان حقه من فوقه^(١)
شكل أمرى مجاهد بطوقه * كالنور يحى جلده بروقه^(٢)

فقلت : والله ما يدري عامر ما يقول ؛ قالت : وكان ليل إذا تركته الحمى أضطجع
بفناء البيت ، ثم رفع عقيرته فيقول :^(٣)

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة * بفج وحولي إذخر وجليل^(٤)
وهل أريدن يوماً مياه مجنة^(٥) * وهل يبدون لي شامة وطفيل^(٦)

قالت عائشة : فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت منهم ، فقلت : إنهم
ليهدون ، وما يعقلون من شدة الحمى ، فقال : ” اللهم حبب إلينا المدينة كما حبيت
إلينا مكة وأشد ، وبارك لنا في مدينتها وصاعها ، وأتقل وباءها إلى مهمة “ ، وهي الجحفة .

ذكر مؤاخاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار

كان ذلك بعد مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ روى محمد بن سعد عن
الزهري وغيره قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة آتى بين
المهاجرين بعضهم لبعض ، وآتى بين المهاجرين والأنصار ، آتى بينهم على الحق
والمواساة ، يتوارثون بعد الممات دون ذوى الأرحام ، وكانوا تسعين رجلاً ؛ خمسة

(١) الخنف : الهلاك . (٢) الرق : القرن . (٣) عقيرته : صوته .

(٤) فج : موضع خارج مكة فيه ماء . أغتسل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم .

(٥) الإذخر : من نبات مكة طيب الرائحة . (٦) الجليل : هو الشام .

(٧) مجنة ، بكسر الميم وفتحها وهو الأكثر : موضع أسفل مكة على أنبال ، كانت تقام فيها
سوق للعرب .

(٨) شامة وطفيل : قيل هما جبلان بنواحي مكة ، وقيل هما عيان .

وأربعون من المهاجرين ، وخمسة وأربعون من الأنصار ، قال ويقال : مائة ؛
 خمسون من المهاجرين ، وخمسون من الأنصار ، فلما كانت وقعة بدر وأنزل الله تعالى :
 ﴿ وَأَوَّلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ^(١) ٠

فنسخت هذه الآية ما كان قبلها ، وأنقطعت المؤاخاة في الميراث .

ذكر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أمر بكتبه

بين المهاجرين والأنصار ، وموادعة يهود ، وإقزارهم على دينهم ،

وما اشترطه فيه عليهم ولهم

كان مضمون الكتاب على ما أورده ابن هشام عن ابن إسحاق : "بسم الله الرحمن

لرحيم ، هذا كتاب من عهد النبي [صلى الله عليه وسلم] بين المؤمنين والمسلمين

من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون

الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم ، وهم يقدون ^(٢) عانيهم

بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ،

وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الحارث على ربعتهم

يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ،

وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون بينهم معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها

(١) سورة الأنازال ٧٥ (٢) الزيادة من ابن هشام . (٣) ربة كنية : حالة حسنة

أمرهم الذي كانوا عليه ، وفي النهاية : « إنهم أمة واحدة على رباعتهم ، يقال : القوم على رباعتهم

ورباعتهم أى على استقامتهم ، يريد أنهم على أمرهم الذي كانوا عليه . » وقوله : يتعاقلون : العقل

الدية التي تجب على العاقلة ، وهي دية الخطأ ، والعاقلة : عصابة القتلى . (٤) العاني : الأسير .

(د) معاقلهم الأولى : أى يكونون على ما كانوا عليه من أخذ الديات وإعطائها ، والمعاقل

الديات .

١٢٣
١٤

١٠

١٥

٢٠

بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو جُشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، [وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين] وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل ، وإنه لأيمحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وإن المؤمنين المتقين على من بقى منهم ، أو أبتغى دسيسة ظلم ، أو إثم ، أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ؛ وإن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كفر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة يمجير عليهم أديانهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالى لبعض دون الناس ، وإنه من [تبعنا من] يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ، وإن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله عز وجل إلا على سواء وعدل بينهم ، وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا ، وإن المؤمنين يبيء بعضهم عن بعض ، بما نال دماءهم في سبيل الله عز وجل ،

- (١) زيادة عن ابن هشام ٢ : ١٤٨ (٢) المفسر : المتقل بالدين والكثير العيال ، وفي الأصل : «مفدحا» . وما أثبتناه عن ابن هشام . (٣) ولا يحالف : المخالفة : المؤاخاة والمعاودة . (٤) الدسيسة : العطية ، أى طلب أن يدفعوا له عطية على سبيل الظلم . (٥) الزيادة من ابن هشام ، وفي الأصل : « وإنه من يهود فإن له النصر » . وهذا خطأ . (٦) السلم بالكسر ويفتح : الصلح يذكر ويؤنث . (٧) يبيء : هو من البواء : أى المساواة .

وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وإنه لا يُجِير مشركٌ مالا لقربش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن ، وإن من أَعْتَبَ^(١) مؤمناً قتلاً عن بيته فإنه قودٌ به ، إلا أن يرضى وليُّ المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافةٌ ، ولا يحل لهم [إلا] القيام عليه ، وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مُجِدِّثاً ولا يؤويه ، وإن من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صَرْفٌ ولا عَدْلٌ ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن سرّده إلى الله وإلى محمد [صلى الله عليه وسلم]^(٢) وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، ومواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته ، وإن يهود بنى التجار مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف ، [وإن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى جثم مثل ما ليهود بنى عوف] ، وإن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته ، وإن جَفَنَةَ بطن من بنى ثعلبة [كأنفسهم]^(٣) وإن لبنى الشُّطْنَةَ مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن البرّ دون الإثم ، وإن موالى ثعلبة كأنفسهم ، وإن بطانة يهود كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ، وإنه لا يُنَحِّجُز على نارٍ يُرْجَح ، وإنه من قَتَلَ فبنفسه [قَتَكَ ، وأهل بيته]^(٤) إلا من ظلم ، وإن الله على أبرّ هذا ، وإن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، [وإن بينهم النصح والنصيحة ، والبرّ دون الإثم ، وإنه لم يأثم أمرؤ

(١) أَعْتَبَ : قتل بلا جناية كانت منه ولا جريمة توجب قتله ، والقود بفتحين : القصاص .

وفي الأصل : « قوديد » ، وهو تصحيف ، وما أثبتناه عن ابن هشام .

(٢) الزيادة من ابن هشام . (٣) يوتغ : يهلك .

(٤) بطانة الرجل : خاصته وأهل بيته . (٥) على أبرّ هذا : أى على الرضاية .

بجليفه ، وإن النصر للظلم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ^(١١) ، وإن الحار كالنفس غير مُضَار ولا آثم ، وإنه لا تُجَار حُرمة إلا بإذن أهلها ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره ، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب ، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه ، فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين ، إلا من حارب في الدين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم ، وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة — ويقال مع البر المحسن — وإن البر دون الإثم ، لا يكسب كاسب إلا على نفسه ، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره ، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم ولا آثم ، وإنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم وآثم ، وإن الله جار لمن برّ وأتقى ومحمد رسول الله .

ذكر أخبار المنافقين من الأوس والخزرج وما أُنزل

فيهم من القرآن

وقد رأيت أن أجمع ما فرقه أهل السير من أخبار المنافقين ، وأضم بمضه إلى بعض ، وأورده جملة واحدة ، فإن ذلك لم يكن في وقت واحد ولا في سنة بعينها ، بل أورده أهل السير بحسب ما وقع ، وفرقه في الفزوات وغيرها ، فأثرت جمعه في هذا الموضع ، وما كان قد وقع في غزاة أو حادثة نهبت عليه في موضعه على ما تقف عليه إن شاء الله تعالى .

(١) الزيادة عن ابن هشام . (٢) في الأصل : « إنسان » والمثبت عن ابن هشام .

قال محمد بن إسحاق رحمه الله : كان رجال من الأوس والخزرج ممن أسلم وهو على جاهليته ، فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعثة ، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره ، واجتماع قومهم عليه ، فظهروا بالإسلام ، وأخذوه جنة من القتل ، وناققوا في السر ، وكان هواهم مع يهود ؛ لتكذيبهم ومجودهم الإسلام ، فكان منهم من الأوس من بنى عمرو بن عوف ، ثم من بنى لؤذان بن عمرو بن عوف : زوى بن الحارث ، ومن بنى حبيب بن عمرو : جلاس بن سويد بن صامت ، وأخوه الحارث بن سويد ، قال : وجلاس هو الذي قال عند تخلفه عن غزوة تبوك : لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمير ، فرفع ذلك من قوله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عُمير بن سعد ، وكان في حجر جلاس خلف على أمه بعد أبيه ، فلما تكلم جلاس بهذا قال له عمير : والله يا جلاس ، إنك لأحب الناس إلى ، وأحسنهم عندى يدا ، وأعزهم على أن يصيبه شيء بكرهه ، ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لأفضحتك ، ولئن صمت عليها ليهلكن ديني ، وإلحداهما أيسر على من الأخرى ، ثم مشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ما قال ، فخلف جلاس لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالله لقد كذب على عمير ، وما قلت ما قال ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ عَمَّا لَمْ يَنْأَلُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتُوبُوا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ ، قال ابن إسحاق : فزعموا أنه تاب فحسن توبته حتى عرف منه الإسلام والخير . والله أعلم بالصواب .

وأما أخوه الحارث بن سويد فإنه قتل المجذّر بن ذيايد البَلَوِيّ في يوم أحد
ولحق بقريش ، وكان المجذّر قتل سويد بن صامت في بعض الحروب التي كانت
بين الأوس والخزرج ، فلما كان يوم أحد قتله بأبيه . قال ابن إسحاق : وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكره - أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه
بقتله إن هو ظفر به ففاته ، وكان بمكة ثم بعث إلى أخيه جلاس يطلب التوبة
ليرجع إلى قومه ، فأنزل الله فيه - فيما حكى عن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ كَيْفَ
يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(١) إلى آخر القصة . وكان من المنافقين من بنى ضبيعة
ابن يزيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بجناد بن عثمان بن عامر . ونبتل
أبن الحارث ، وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى : "من أحب
أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث" ، وكان رجلا جسيما أدلم ، ^(٢) نائر
شعر الرأس ، أحمر العينين ، أسفع الخدين ، وكان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويتحدث إليه ويسمع منه ، ثم ينقل حديثه إلى المنافقين ، وهو الذي قال : إنما
جد أدن ، من حديثه شيئا صدقه . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ
وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنَىٰ قُلْ أَدْنَىٰ خَيْرٌ لَّكُمْ يَوْمِنَا بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُونَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا
مِنْكُمْ ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ^(٣) ، وأخبر جبريل رسول الله
صلى الله عليه وسلم به وبصفته فيما حكاه ابن إسحاق . وأبو حبيبة بن الأزعر ، وكان
ممن بنى مسجد الضرار . وطلحة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وهما اللذان عاهدا
الله ﴿ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ^(٤) ، ومعتب هو الذي

١٢٥
١٤

١٥

(١) سورة آل عمران ٨٦ (٢) الأدلم : الأسود الطويل . (٣) السفع : أسوداد
مشرب بجمرة . (٤) سورة التوبة : ٦١ (٥) سورة التوبة : ٧٥

قال يوم أحد : لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتِلنا ها هنا ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله : ﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ^(١) ﴾ إلى آخر القصة . وهو الذي قال يوم الأحزاب : كان نجد بعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقبصر ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط ، فأنزل الله فيه : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ^(٢) ﴾ . والحارث بن حاطب — وقال ابن هشام : ثعلبة والحارث أبنا حاطب ، هما من بنى أمية بن زيد من أهل بدر ، وليسا من المنافقين — والله أعلم . ومنهم عباد بن حنيفة أخو سهل ، وبجزة ، وهو ممن بنى مسجد الضرار ، وعمرو بن خذام ، وعبد الله بن نبتل ، وجارية بن عامر ابن العطف وأبناء زيد وجميع ، وهم ممن بنى مسجد الضرار . وكان يجمع غلاما حدثا قد جمع من القرآن أكثره ، فكان يصلي بهم فيه ، فلما كان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلم عمر في مجمع ليصلي بيني عمرو بن عوف في مسجدهم ، فقال عمر : لا ، أو ايسر بإمام المنافقين في مسجد الضرار ! فقال : يا أمير المؤمنين والله الذي لا إله إلا هو ما علمت بشيء من أمرهم إلا على أحسن ما ذكروا ، فزعموا أن عمر تركه يصلي بقومه . ومن بنى أمية بن زيد بن مالك ودبعة بن ثابت وهو ممن بنى مسجد الضرار ، وهو الذي قال : إنما كنا نخوض ونلعب ، فأنزل الله فيه وفيمن قال بقوله : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ^(٣) ﴾ إلى آخر القصة .

ومن بنى عبيد بن زيد بن مالك خذام بن خالد ، وهو الذي أخرج مسجد الضرار من داره ، وبشر ورافع ابنا زيد . ومن بنى النبيت مزينة بن قتيبة وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز حائطه ، ورسول الله

(١) سورة آل عمران : ١٥٤ (٢) سورة الأحزاب : ١٢ (٣) سورة التوبة : ٦٥

صلى الله عليه وسلم عامداً إلى أحد : لا أحل لك يا محمد إن كنت نبياً أن تمر بجائطي ،
 وأخذ في يده حفنة من تراب ثم قال : والله لو أعلم أني لا أصيب بهذا التراب
 غيرك لميتك به ؛ فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 ”دعوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب ، أعمى البصيرة“ ، وضربه سعد بن زيد بالقوس
 فشجّه ؛ وأخوه أوس بن قيطي ، وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
 الخندق : إن بيوتنا عورة ، فأذن لنا أن نرجع إليها ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ يَقُولُونَ إِنَّا
 بِيُوتِنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ ^(١) . ومن بنى ظفر — وأسم ظفر
 كعب — حاطب بن أمية بن رافع ، وبشير بن أبيرق ، وهو أبو طعمة سارق الدرعين
 الذي أنزل الله فيه : ﴿ وَلَا تَجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
 خَوَّانًا أَنِيًّا ﴾ ^(٢) . وقزمان حليف لهم . قال ابن إسحاق بسنده : إن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم كان يقول : ”إنه لمن أهل النار“ ، فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديدا حتى
 قتل تسعة من المشركين ، وأثبتته الجراحة ، فحمل إلى دار بنى ظفر ، فقال له رجال
 من المسلمين : أبشر يا قزمان ، فقد أبليت اليوم ، وقد أصابك ما ترى في الله ، قال :
 بماذا أبشّر ، والله ما قاتلت إلا حمية عن قومي ، فلما اشتدت به جراحه أخذ سهماً
 من مكانته ، فقطع به رواهش يده فقتل نفسه . قال ابن إسحاق : ولم يكن في بنى
 عبد الأشهل منافق ولا منافقة إلا أن الضحاك بن ثابت أحاد بنى كعب رهط
 سعد بن زيد قد كان يُتهم بالنفاق وحُبَّ يهود . قال ابن إسحاق : وكان جلّاس
 ابن سويد قبل توبته ، ومعتب بن قشير ، ورافع بن زيد ، وشير ، هم الذين دعاهم
 رجال من قومهم من المسلمين في خصومة كانت بينهم إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، فدعاهم إلى حكام الجاهلية فأنزل الله فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ

أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ^(١) إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ . فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْنَاهُمْ مِنَ الْأَوَّلِ .

ومن الخزرج من بنى النجار رافع بن وديعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو ابن قيس ، وقيس بن عمرو بن سهل . ومن بنى جشم بن الخزرج الجند بن قيس ، وهو الذي يقول : يا محمد ائذن لي ولا تفتني ، فانزل الله تعالى فيه : (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذْنِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) ^(٢) ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قل له وهو في جهازه إلى تبوك : ” يا جند ، هل لك العام في جلاد بنى الأصفر ؟ ” قال : يا رسول الله ، أوأذن لي ولا تفتني ؟ فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجا بالنساء مني ، وإني أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر ألا أصبر . فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ” أذنت لك ” ، فانزل الله تعالى فيه ما أنزل . ومن بنى عوف بن الخزرج عبد الله بن أبي بن سلول ، وكان رأس المنافقين وكانوا يجتمعون إليه . قال محمد بن إسحاق : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وسيد أهلها عبد الله بن أبي بن سلول ، لا يختلف عليه في شرفه من قومه آثنان ، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين - حتى جاء الإسلام - غيره ، قال : ومعه رجل من الأوس هو في قومه شريف مطاع ، وهو أبو عامر عبد الله ابن عمرو بن صفي بن النعمان ، أحد بنى ضبيعة بن زيد ، وهو أخو حنظلة النسيب ^(٣) وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح ، وكان يقال له : الراهب ، فشقيا بشرفهما .

(١) سورة النساء ٦٠ (٢) سورة التوبة ٤٩

(٣) سمى النسيب لأن الملائكة غسلته ؛ وذلك أنه خرج جنباً حين سمع الصيحة يوم أحد فمات وهو يقاتل في سبيل الله ، فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الملائكة غسلته .

فأما عبد الله بن أبي فكان قومه قد نظموا له الحُرُزَ ليتَّوجَّهوا ثم يملَّكوه عليهم ،
 بفناءهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم وهم على ذلك ، فلما آنصرفت قومه عنه
 إلى الإسلام ضغن ، ورأى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آمنت به مُلْكًا ، فلما
 رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارها مُصْرًا على نفاق . وقد روى عن [أسامة
 ابن زيد] ^(١) بن حارثة قال : ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن عبادة
 يعودده من شكوى أصابته ، على حمار عليه إكافٌ فوقه قِطِيفَةٌ قَدِيكَةٌ مَخْطُومَةٌ بجمل
 من ليف ، وأردفني صلى الله عليه وسلم خلفه ، قال : فمر بعبد الله بن أبي بن سلول ،
 وهو في ظِلِّ مُزَاهِمٍ أَطْمِئَةٍ ^(٢) وحوله رجال من قومه ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم تَدَمَّ من أن يحارزه حتى يتزل ، فترل فسلم ثم جلس فنبأ القرآن ، ودعا إلى
 الله عز وجل ، وذَكَرَ بالله وحَدَّرَ وبَشَّرَ وأَنْذَرَ ، قال : وهو زَامٌ لَا يَتَكَلَّمُ ، حتى إذا
 فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقالته ، قال : يا هذا ، إنه لا أحسن من حديثك
 هذا إن كان حقًا ، فأجلس في بيتك فمن جاءك له فخذته إياه ، ومن لم يأتك فلا تَغْشَهُ
 به ، ولا تَأْتِهِ في مجلسه بما يكره منه . فقال عبد الله بن رَوَاحَةَ في رجال كانوا عنده
 من المسلمين : بلى فَأَغْشَيْنَاهُ وَأَتَيْنَاهُ فِي مَجَالِسِنَا وَدُورِنَا وَبُيُوتِنَا ، فهو والله مَانِحِبٌ ،
 وما أكرمنا الله به وهدأنا له ، فقال عبد الله حين رأى من خلاف قومه ما رأى :
 مَتَى مَا يَكُنْ مَوْلَاكَ خَصَمُكَ لَمْ تَزَلْ * تَذِلُّ وَيَصْرَعُكَ الَّذِينَ تُصَارِعُ
 وهل يَنْهَضُ الْبَايُ بِغَيْرِ جَنَاحِهِ * وَإِنْ جُدَّ يَوْمًا رِيْشُهُ فَهُوَ وَاقِعُ
 قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على سعد بن عبادة وفي وجهه
 ما قال عدو الله ، فقال سعد : والله يا رسول الله ، إني لأرى في وجهك شيئًا ؛ لكأنك

(١) الزيادة من ابن هشام . (٢) مزاحم : اسم الأطم . والأطم : الحصن .
 (٣) تدم : استكف . (٤) زام : رافع رأسه لا يقبل عليه كبراً .

سمعت شيئا تكفه . قال : ” أجل “ ، ثم أخبره بما قال ابن أبي ، فقال : يا رسول الله أرفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإنا لننظم له الحُرَزَ لتوجه ، فإنه ليرى أنك قد سلبت ما سكا . وكانت مقالة عبد الله بن أبي هذه قبل تلفظه بالإسلام ، وسنورد إن شاء الله تعالى من أخباره في الغزوات ، وأنحيازه عن المسلمين بثُلث الناس يوم أُحد ، وما قاله في غزوة المريسيع وغيرها ما تقف عليه في مواضعه ، مما تستدل به على صحة نفاقه ، وإصراره في الباطن على كفره . وأما أبو عامر فإنه أبى إلا الإصرار على كفره ، وفارق قومه حين اجتمعوا على الإسلام ، فخرج إلى مكة ببضعة عشر رجلا ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق ، وهو أول من أنشب الحرب يوم أُحد على ما ذكره إن شاء الله تعالى . قال : وكان أبو عامر قد أتى النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فقال : ما هذا الذي جئت به ؟ قال : ” جئت بالحنيفية دين إبراهيم “ ، قال : فأنا عليها ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” إنك لست عليها “ ، قال : بلى ، إنك أدخلت يا محمد في الحنيفة ما ليس . منها ، قال : ” ما فعات ولكن جئت بها بيضاء نقية “ ، قال : الكاذب أمانة الله طريدا غربيا وحيدا — يعرض برسول الله صلى الله عليه وسلم : أى إنك ما جئت بها كذلك ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” أجل ، فمن كذب يفعل الله به ذلك “ ، فكان هو ذاك ، فخرج إلى مكة ، فلما أنتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الطائف ، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام ، فمات به طريدا غربيا وحيدا .

ومن المنافقين من أحبار يهود

من تعوذ بالإسلام ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق : سبعة

٢٠ ابن حنيفة ، وزيد بن اللصيت ، وثمان بن أوفى ، وثمان بن أبي أوفى . وزيد

(١) سياتي للوف أنه ابن أبي أوفى .

أَبْنُ اللَّصِيَّتِ هُوَ الَّذِي قَاتَلَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بِسُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ حِينَ ضَلَّتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ : يَزْعُمُ عُمَرُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ خَبَرُ السَّمَاءِ ، وَلَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَجَاءَهُ الْخَبِيرُ بِمَا قَالَ وَدَلَّهَ اللَّهُ عَلَيْهَا — : ” إِنْ فَلَانَا قَالَ : يَزْعُمُ عُمَرُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ خَبَرُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا آتِيكُمْ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ ، وَقَدْ دَلَّنِي اللَّهُ عَلَيْهَا ، وَهِيَ فِي هَذَا الشَّعْبِ ، قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا “ ، فَذَهَبَ رِجَالُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَوَجَدُوهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَمَا وَصَفَ . وَمِنْهُمْ رَافِعُ بْنُ حُرَيْمِلَةَ وَهُوَ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ مَاتَ : ” قَدْ مَاتَ الْيَوْمَ عَظِيمٌ مِنَ عِظَمَاءِ الْمُنَافِقِينَ “ . وَرَفَاعَةُ [بْنُ زَيْدٍ^(١) بْنِ التَّابُوتِ] ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ هَبَّتْ رِيحٌ وَهُوَ قَافِلٌ مِنْ غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَأَشْتَدَّتْ ، حَتَّى أَشْفَقَ مِنْهَا الْمُسْلِمُونَ : ” لَا تَخَافُوا ، فَإِنَّهَا هَبَّتْ لِمَوْتِ عَظِيمٍ مِنَ عِظَمَاءِ الْكُفَّارِ “ ، فَلَمَّا قَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَجَدَ رَفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ مَاتَ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي هَبَّتْ فِيهِ الرِّيحُ . وَرِيسَلَةَ بْنُ بَرَهَامَ ، وَكَكَّانَةَ بْنَ صُورِيَا .

وَكَانَ هَؤُلَاءِ يَحْضُرُونَ الْمَسْجِدَ يَسْمَعُونَ أَحَادِيثَ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِدِينِهِمْ . قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : فَأَجْتَمَعَ يَوْمًا مِنْهُمْ فِي الْمَسْجِدِ نَاسٌ ، فَرَأَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَدَّثُونَ بَيْنَهُمْ بِأَقْصَى أَصْوَاتِهِمْ^(٢) ، قَدْ لَصِقَ بِمَعْضِهِمْ بَعْضٌ ، فَأَمَرَهُمْ فَأَخْرَجُوا مِنَ الْمَسْجِدِ إِخْرَاجًا عَنِيفًا ، فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ إِلَى عُمَرُو بْنِ قَيْسٍ أَحَدِ بَنِي النَّجَّارِ — وَكَانَ صَاحِبَ آلِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ — فَأَخَذَ بِرِجْلِهِ يَسْجُبُهُ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَهُوَ يَقُولُ : أَتُخْرِجُنِي يَا أَبَا أَيُّوبَ مِنْ مِرْبَدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ! ثُمَّ أَقْبَلَ أَبُو أَيُّوبَ أَيْضًا إِلَى رَافِعِ بْنِ وَدِيعَةَ أَحَدِ بَنِي النَّجَّارِ فَلَبَّيْهِ

(١) الزيادة من ابن هشام . (٢) في ابن هشام : « خافضى أصواتهم » .

بردائه ، ثم قره تراً شديدا ، ولطم وجهه وأخرجه ، وهو يقول : أَفَّ لَكَ منافقا
 خبيثا ! أَدْرَاكِ يَا منافق من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقام عُمارة^(٢)
 ابن حَزَم إلى زيد بن عمرو — وكان رجلا طويل اللحية — فأخذ بلحيته فقاده بها
 قودا عنيفا حتى أخرجه ، ثم جمع عُمارة يديه فلدمه بها في صدره لدمة خَرَّ منها ، فقال :
 خَدَشْتَنِي يَا عُمارة ، قال : أبعدك الله يا منافق ، فإعد الله لك من العذاب أشد
 من ذلك ، فلا تقربن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقام أبو محمد مسعود
 ابن أَوْس من بني النجار إلى قيس بن عمرو بن سهل ، وكان قيس غلاما شابا
 ولا يعلم في المنافقين شاب غيره ، فجعل يدفع في قفاه حتى أخرجه . وقام عبد الله
 ابن الحارث من بلخندرة رهط أبي سعيد الخدري إلى الحارث بن عمرو ، وكان^(٣)
 ذا بجمعة ، فأخذ بجمته فسحبه بها سحبا عنيفا على ما مر به من الأرض حتى أخرجه ، فقال
 له : لقد أغلظت يا ابن الحارث ، فقال له : إنك أهل لذلك — أي عدو الله — ما
 أنزل فيك ، فلا تقربن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنك تجس . وقام
 رجل من بني عمرو بن عوف إلى أخيه زوى بن الحارث فأخرجه إخراجا عنيفا ،
 وأفَّف منه ، وقال : غاب عليك الشيطان وأمره .

١٢٨
١٤

قال : فهؤلاء من حضر المسجد يومئذ من المنافقين ، وفي هؤلاء من المنافقين ،
 وفي أحبار يهود أنزل الله تعالى صدر سورة البقرة إلى المائة منها ، والله أعلم .
 فالذي منها مما يختص بالمنافقين قوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ
 وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) إلى قوله : (وَيَعِدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) . وقوله :

(١) قره : جذبه . (٢) أدراكي : أي أدرج من الطريق التي جئت منها .

(٣) الدم : الضرب بطن الكف . (٤) بلخندرة : يريد بني الخندرة .

(٥) أففف منه : أي قال له أف . (٦) سورة البقرة ٨ (٧) سورة البقرة ١٥

(١) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ قَرَّادُهُمُ اللَّهُ مَرَضًا (١) أَى شَك فزادهم الله شكاً . وقوله : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) (٢) لَأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ : إِنَّمَا نَزِدَ الْإِصْلَاحَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ . وقوله : (وَإِذَا خُلُوعًا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ) (٣) أَى مِنْ تَهْوُدٍ (قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ) أَى عَلَى مِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَنْزِفُونَ) (٤) أَى إِنَّمَا نَسْتَهْزِئُ بِالْقَوْمِ وَلَنَلْعَبَ بِهِمْ . ثُمَّ ضَرَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِثْلًا فَقَالَ : (مِثْلَهُمْ كَمِثْلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا) (٥) الْآيَةُ ؛ أَى يَبْصُرُونَ الْحَقَّ وَيَقُولُونَ بِهِ ، حَتَّى إِذَا خَرَجُوا بِهِ مِنْ ظُلُمَةِ الْكُفْرِ أَطْفَأُوهُ بِكُفْرِهِمْ وَنَفَقَتِهِمْ فِيهِ ، فَتَرَكَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُمَاتٍ الْكُفْرِ فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ هُدًى ، وَلَا يَسْتَقِيمُونَ عَلَى حَقٍّ . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : (صُمُّ بَكْمٌ غَمٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) (٦) أَى عَنْ الْخَيْرِ ، لَا يَرْجِعُونَ إِلَى هُدًى . وقوله : (أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ) (٧) الصَّيْبُ : الْمَطَرُ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : أَى هُمْ مِنْ ظُلُمَةِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْحَذَرِ مِنَ الْقَتْلِ ، عَلَى الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْخِلَافِ وَالتَّخَوُّفِ لَكُمْ ، عَلَى مِثْلِ مَا وُصِفَ ، مِنْ الَّذِي هُوَ فِي ظُلُمَةِ الصَّيْبِ ، يَجْعَلُ أَصَابِعَهُ فِي أُذُنَيْهِ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ . (وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ) أَى مِثْلَ ذَلِكَ بِهِمْ مِنَ النِّقْمَةِ . وقوله : (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ) أَى لَشِدَّةِ ضَوْءِ الْحَقِّ (كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا) أَى يَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَيَتَكَلَّمُونَ بِهِ ، فَهُمْ مِنْ قَوْلِهِمْ عَلَى اسْتِقَامَةٍ ، فَإِذَا ارْتَكَبُوا مِنْهُ إِلَى الْكُفْرِ قَامُوا مُتَحِيرِينَ . (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ) (٨) أَى لِمَا تَرَكُوا الْحَقَّ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ .

(٣) سورة البقرة ١٤

(٢) سورة البقرة ١٣

(١) سورة البقرة ١٠

(٦) سورة البقرة ١٩

(٥) سورة البقرة ١٨

(٤) سورة البقرة ١٧

(٧) سورة البقرة ٢٠

وحيث ذكرنا ما ذكرنا من أخبار المنافقين ، فلنذكر أخبار يهود ، ونجمع ما تفرق منها على نحو ما تقدم .

ذكر شئ من أخبار يهود الذين نصبوا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أنزل فيهم من القرآن

- قال : لما أظهر الله تعالى دينه ، وأطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، اجتمع إليه إخوانه من المهاجرين والأنصار ، وأستحكم أمر الإسلام ، نصبت أخبار يهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنيا وحسدا ، مع تحققهم نبوته ، وصحة رسالته ، وأنه الذي نص الله تعالى عليه في التوراة ؛ فكانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتعتنونه ، وهم من بنى النضير : حُيَّ بن أخطب ، وأخواه أبو ياسر وحُدَي ، وسلام بن مِشْكَم ، وكانه بن الربيع بن أبي الحقيق ، والربيع ابن الربيع بن أبي الحقيق ، وعمرو بن حِمْشاش ، وكعب بن الأشرف ، والحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف ، وكُردَم بن قيس حليفه أيضا . ومن بنى ثعلبة بن الفطَيون^(١) - ويقال فيه الفطَيوس - عبد الله بن صُورِيا الأعور ، وهو أعلم أهل زمانه بالحجاز بالتوراة ، وابن صُلُوبا ، ومُحْيِرِيق ، وكان جبرهم . ومن بنى قَيْنُقَاع : زيد بن الصُّلَيْت - ويقال فيه اللُّصَيْت - وسعد بن حُنَيْف ، ومحمود بن سِيحان ، وعُزَيْر ابن أبي عُزَيْر ، وعبد الله بن صَيْف - ويقال ابن صَيْف - وسويد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفتحاص ، وأَشْبَع ، ونُعمان بن أضاء ، وبحري بن عمرو ، وشاس ابن عدى بن قيس ، وزيد بن الحارث ، ونُعمان بن عمرو ، وسُكَيْن بن أبي سُكَيْن ، وعدى بن زيد ، ونُعمان بن أبي أوفى ، أبو أنس ، ومحمود بن دُحْيَة ، ومالك بن صَيْف ، وكعب بن راشد ، وعازر ، ورافع بن أبي رافع ، وخالد ، وأزار بن

(١) الفطيون : كلمة عبرانية ، وهي عبارة عن كل من ول أمر اليهود وملكهم .

أبي أزار - ويقال فيه : أزر بن أبي أزر - ورافع بن حارثة ، ورافع بن خارجة ،
ومالك بن عوف ، ورفاعة بن زيد ، وعبد الله بن سلام بن الحارث ، وكان
حبرهم وأعلمهم ، وكان اسمه الحُصَيْن ، فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه
وسلم عبد الله .

١٢٩
١٤

ومن بنى قريظة الزبير بن باطا بن وهب ، وعزال بن سَمَوَال ، وكعب
ابن أسد . وشمَّوِيل بن زيد ، وجبل بن عمرو ، والنَّحَام بن زيد ، وقَرْدَم بن
كعب ، ووهب بن زيد ، ونافع بن أبي نافع ، وأبو نافع ، وعدى بن زيد ،
والحارث بن غوف ، وكَرْدَم بن زيد ، وأسامة بن حبيب ، ورافع بن رُمَيْلة ،
وجبل بن أبي قُشَيْر ، ووهب بن يَهُودَا .

ومن يهود بنى زُرَيْق لَيْد بن أَعْقَم السَّاحِر . ومن يهود بنى الحارثة : كَنَانة
ابن صُورِيَا . ومن يهود بنى عمرو بن عوف قَرْدَم بن عمرو . ومن يهود بنى النجار :
سَلِيلَة بن بَرَّهَام ، هؤلاء أحبار يهود ، وأهل العداوة لله تعالى ولرسوله ، لم يستثن منهم
إلا عبد الله بن سَلَام ومُخَيَّرِيق ، فإنهما أسلما . والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع .

ذكر إسلام عبد الله بن سلام^(١) ، ومُخَيَّرِيق

أما عبد الله بن سلام فإنه كان عالما حبرا من أحبار يهود ، حكى محمد بن
إسحاق عن خبر إسلامه رواية عن بعض أهله عنه قال : لما سمعت برسول الله
صلى الله عليه وسلم عرفت صفته وإسلامه وزمانه الذي كُنَّا نتَوَكَّف له^(٢) ، فكنت
مُسِرًّا لذلك صامتا عليه ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ،

(١) يلاحظ أنه لا يوجد من اسمه سلام بالتخفيف في المسلمين ، سلام بالتخفيف في اليهود . راجع

(٢) تتوَكَّف له : أى تنتظر وقوعه . (الروض الأنف ٢ : ٢٥) .

- فلما نزل بقاء في بني عمرو بن عوف أقبل رجلٌ حتى أخبر بقدومه، وأنا على رأس نخلةٍ أعمل فيها، وعمتي خلدة بنت الحارث تَحْتِي جالسةً، فلما سمعتُ الخبر كبرتُ؛ فقالت عمتي حين سمعت تكبيري: خبيك الله! والله لو كنتُ سمعتُ بمومي بن عمران قادمًا ما زدت. قال: قلت لها: أي عمة، هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه، يُعْتَمَدُ بها. بعثتُ به؛ قالت: أي ابن أُنْجى، هذا النبي الذي كنا نخبر به أنه يبعث مع نفس الساعة؟ قلتُ نعم؛ قالت: فذاك إذا؛ قال: ثم خرجتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمتُ؛ فلما رجعتُ إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا؛ وكنتم إسلامي من يهود، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، إن يهود قومٌ بهت^(١)، وإني أحب أن تدخلني بعض بيوتك فتغيبني عنهم؛ ثم تسالم عني حتى يخرجوك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي، فإنهم إن علموا به بهتوني؛ قال: فأدخلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض بيوته، ودخلوا عليه فكلّموه وساءلوه ثم قال لهم: "أي رجل الحصين بن سلام فيكم؟" فقالوا: سيدنا وابن سيدنا وعالمنا؛ فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم: يا معشر يهود، اتقوا الله وأقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله تجددونه مكتوبًا عندكم في التوراة باسمه وصفته، فإني أشهد أنه رسول الله، وأؤمن به، وأصدقّه وأعرفه؛ فقالوا: كذبت، ثم وقعوا بي، فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قومٌ بهت، أهلٌ غدر وكذب وبغور؟ قال: وأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي، وأسلمت عمتي خلدة بنت الحارث فحسن إسلامها.

(١) ويقال: «خالدة» . (٢) بهت: جمع بهوت، والبهوت: المباحة بالغة

في أسم الفاعل، من البهتان وهو الكذب (راجع نهاية ابن الأثير) .

وأما تخييرىق — قال ابن إسحاق : كان حبرا عالما ، وكان غنيا كثير الأموال من النخل ، وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته وما يجد في علمه ، وغلب عليه إلف دينه ، فلم يزل على ذلك ، حتى إذا كان يوم أحد وهو يوم السبت ، قال : يا معشر يهود ، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق ؛ قالوا : إنا اليوم يوم السبت ، قال : لا سبت لكم ، ثم أخذ سلاحه ففرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأحد ؛ وعهد إلى من وراءه من قومه : إن قتل في هذا اليوم فأموالى لمحمد يصنع فيها ما أراه الله ؛ فلما أقتل الناس قاتل حتى قُتل ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى يقول : ” تخييرىق خير يهود ” ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواله ، فعامة صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة منها .

قال : وكان مما أنزل الله تعالى في أمر اليهود صدرا من سورة البقرة ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) أى إنهم قد كفروا بما عندك من ذكر لهم ، وسجدوا ما أخذ عليهم من الميثاق لك ، فقد كفروا بما جاءك ، وبما عندهم مما جاءهم به غيرك ، فكيف يستمعون منك إنذارا أو تحذيرا !

وقوله : ﴿ خَمَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ (٢) أى عن الهدى لن يصيبوه أبدا ، ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣) أى بما هم عليه من خلافك .

وقوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون . وَأَمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيَّائِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُون . وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ

وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ^(١) ، أى لا تكتفوا ما عندكم من المعرفة برسولى وبما جاء به ، وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التى بأيديكم .

ثم قال الله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ^(٢) ﴾ أى تنهون الناس عن الكفر بما عندكم من التوراة ، وتكون أنفُسكم ، وأنتم تكفرون بما فيها من عهدى إليكم فى تصديق رسولى ، وتُستَظنون ميثاقى ، وتجدون ما تعلمون من كتابى . [ثم] عَدَّد عليهم أحدائهم فيما سلف ، فذكر لهم العجل ، وقولهم لموسى : ﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَكَ جَهَنَّةُ^(٣) ﴾ وَصَعَقَتْهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ ، ثم إحياء الله لهم وإظلالهم بالغمام ، وإزالة عليهم المِنِّ والسَّلْوَى ، وقوله لهم : ﴿ ادْخُلُوا الْبَابَ مُجْتَدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ^(٤) ﴾ أى قولوا ما أمركم به أحط به ذنوبكم عنكم ؛ وتبدلهم ذلك ، إلى ما ذكره الله تعالى من أخبارهم مع موسى .

ثم قال الله تعالى والخطاب لنبيه صلى الله عليه وسلم ولمن معه من المؤمنين : ﴿ أَفَقَطَّمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ^(٥) ﴾ قال الفريق الذى أخبر الله عنهم أنهم كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعدما عقلوه ؛ وهم الذين قالوا لموسى صلى الله عليه وسلم : يا موسى ، قد حيل بيننا وبين رؤية ربنا ، فاسمعنا كلامه حين يكلمك ، فطلب موسى ذلك من ربه لهم ، فقال تعالى : مرهم فليطهروا ويطهروا ثيابهم ويصوموا ، ففعلوا ، ثم خرج بهم حتى أتى الطور ، فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى فوقعوا سُجُودًا وكلهم ربه ، فسمعوا كلامه يأمرهم وينهاهم ، حتى عقلوا ما سمعوا ، ثم أنصرف بهم موسى إلى بنى إسرائيل ، فلما جاءهم حَرْفُ فريق ممن سمع ما أمرهم به ، وقالوا

٢٠ (١) سورة البقرة ٤٠ - ٤٢ (٢) سورة البقرة ٤٤ (٣) الزيادة من ابن هشام .
(٤) سورة النساء ١٥٣ (٥) سورة البقرة ٥٨ (٦) سورة البقرة ٧٥

حين قال موسى لبني إسرائيل : إن الله قد أمركم بكذا وكذا، قال ذلك الفريق :
 إنما قال كذا وكذا خلافا لما قال الله تعالى لهم ، فهم الذين عني الله تعالى . ثم قال :
 ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ﴾ ^(١) أى بصاحبكم رسول الله ، ولكنه إليكم خاصة .
 وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا : لا نتحدّثوا العرب بهذا ، فإنكم قد كنتم
 تستفتحون به عليهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا
 بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا اتَّخَذْتُمُوهُمْ مِمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا
 تَعْقِلُونَ ﴾ ^(٢) أى تقرون بأنه نبي ، وهو يخبرهم أنه النبي الذي كما تنتظرونه ونجده
 في كتابنا ، أبحدوه فلا تقرّوا لهم به ، قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
 مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ . وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ
 إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ ^(٣) أى إلا تلاوة ، والأُمّي هو الذي يقرأ ولا يكتب ، معناه أنهم
 لا يعلمون الكتاب فلا يدرون ما فيه ، فهم يتحدثون نبوتك بالظان . وقوله تعالى :
 ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ
 عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٤) قال ابن عباس رضى الله عنهما : قدّم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تقول : إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ،
 وإنما يعذب الله تعالى الناس في النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا
 في النار من أيام الآخرة ، وإنما هي سبعة أيام ، ثم ينقطع العذاب ، فأنزل الله تعالى
 ذلك ، ثم قال : ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَتُهُ ﴾ أى من عمل مثل
 أعمالكم ، وكفر بمثل ما كفرتم به ، حتى يحيط كفره بما له . من حسنة ﴿ فَأُولَئِكَ
 أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ^(٥) . ثم قال تعالى يدّمهم : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ

(٣) سورة البقرة ٧٧، ٧٨

(٢) سورة البقرة ٧٦

(١) سورة البقرة ١٤

(٥) سورة البقرة ٨١

(٤) سورة البقرة ٨٠

بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ^(١) أَى تَرَكْتُمْ ذَلِكَ كُلَّهُ . ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَوْنَ ^(٢) .

١٣١
١٤

قال ابن إسحاق : أقررتهم على أن هذا حق من ميثاقى عليكم ، ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فِرْقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ^(٣) ، أَى أهل الشرك ، حتى يسفكوا دماءهم معهم ، ويخرجوهم من ديارهم معهم ، ﴿ وَإِنْ يَأْتِكُمْ أَسَارَىٰ تَفَادَوْهُمْ ﴾ وقد عرفتم أن ذلك عليكم في دينكم ، ﴿ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ أَى أتنفادونهم مؤمنين بذلك وتخرجونهم كفارا بذلك ﴿ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَبِوَمِ الْيَوْمِ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ . أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَشْرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَحْفَظُهُمْ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ^(٤) فانهم بذلك من فعلهم ، وقد حرّم عليهم في التوراة سفك دمائهم ، وافترض عليهم فيها فداء أسراهم فكانوا فريقين ، منهم بنو قينقاع ولقهم حلفاء الخزرج ، والنضير وقريظة ، ولقهم حلفاء الأوس ، وكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج ، وخرجت بنو النضير وقريظة مع الأوس يظهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه حتى يتسافكوا دماءهم بينهم ، وبأيديهم

(٣) سورة البقرة ٨٥

(٢) سورة البقرة ٨٤

(١) سورة البقرة ٨٣

(٥) لقهم ، أَى من عدوهم

(٤) سورة البقرة ٨٥ ، ٨٦

التوراة يعرفون منها ما عليهم وما لهم ، والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان ، لا يعرفون جنة ولا ناراً ، ولا بعثاً ولا قيامة ، ولا كتاباً ، ولا حلالاً ولا حراماً ، فإذا وضعت الحرب [أوزارها] ^(١) آفدوا أسرارهم تصديقاً لما في التوراة وأخذوا به ، يفتدى بنو قينقاع ما كان من أسرارهم في أيدي الأوس ، [و] يفتدى بنو النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم ، ويطلبون ما أصابوا من الدماء ، وقتل من قتلوا منهم فيما بينهم ، مظاهرة لأهل الشرك عليهم ؛ يقول الله تعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ ^(٢) أي تفادي به بحكم التوراة وتقتله ، وفي حكم التوراة : ألا تفعل : [تقتله] ^(٣) ، وتخرجه من داره ، وتظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الأوثان ابتغاء عَرْض الدنيا . ثم قال : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ أي الآيات التي كانت له من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله ، والخبر بكثير من الغيوب مما يأكلون وما يذبحون في بيوتهم ، ثم ذكر كفرهم بذلك كله ، فقال : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِمَّا لَا تُهْوَىٰ أُنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ ^(٤) ثم قال : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ . وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٥) وذلك أنهم كانوا يقولون للأنصار لما كانوا على جاهليتهم : إن نبياً يبعث الآن قد أطل زمانه ، نبعه ، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم أتبعه الأنصار

(١) تكملة من ابن هشام . (٢) تكملة عن ابن هشام .

(٣) في الأصل : «ويطلبون» ؛ والصواب ما أثبتناه عن ابن هشام . ويطلبون هنا : يطلبون .

(٤) البقرة ٨٥ (٥) تكملة عن ابن هشام . (٦) البقرة ٨٧

(٧) البقرة ٨٨ ، ٨٩

وكفر به يهود ، قال الله تعالى : (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ) ، ثم قال :
 (يَسْمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَنِيَّ أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى
 مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ) (١) ، غَضِبَ
 الله عليهم فيما صنعوا من مخالفتهم حكم التوراة ، وغَضِبَ عليهم بكفرهم بهذا النبي الذي
 أرسل إليهم ، ثم أنبهم برفع الطور ، واتخاذ العجل إلهاً من دون الله ؛ ثم قال تعالى :
 (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الدَّارَ الْآخِرَةَ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمْنُوا الْوَيْدَ
 أَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (٢) أى أدعوا بالموت على أى الفريقين أكذب ، فأبوا ذلك ،
 فأعلمهم أنهم لم يتمنوه فقال : (وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ) (٣) أى بما
 عندهم من العلم بك والكفر بذلك ، فيقال : لو تمنوه يوم قال لهم ذلك مايق على
 الأرض يهودى إلا مات ، ثم ذكر رغبتهم فى الحياة فقال : (وَلَتَجِدَنَّ أَجْرَ
 النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍ
 مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ) (٤) أى ما هو بمُنْجِيهِ ؛ وذلك أن المشرك لا يرجو إمنا بعد
 الموت ، فهو يحب طول الحياة ، وأن اليهودى قد عرف ماله فى الآخرة من الخزى
 بما صنع فيما عنده من العلم . والله تعالى الهادى للصواب ، وإليه المرجع والمآب .

١٥ ذكر سؤال أحبار يهود رسول الله صلى الله عليه وسلم
 واشترطهم على أنفسهم أنه إن أجابهم عما سألوهم آمنوا به ،
 ورجوعهم عن الشرط

وذلك أن نفرا من أحبار يهود جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا :
 يا محمد ، أخبرنا عن أربع نسألك عنهن ، فإن فعلت آتبعناك وصديقناك وآمنا بك ؛
 فقال : "عليكم بهذا عهد الله وميثاقه إن أخبرتكم بذلك لتصدقننى" ؟ قالوا : نعم ؛

(١) سورة البقرة ٩٠ (٢) سورة البقرة ٩٤ (٣) سورة البقرة ٩٥ (٤) سورة البقرة ٩٦

قال : " فاسألوا عما بدا لكم " قالوا : أخبرنا كيف يُشبه الولد أُمّه ، وإنما النطفة من الرجل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل هل تعرفون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة ، ونطفة المرأة صفراء رقيقة فأيتهما علت صاحبتهما كان لها الشبه " ؟ قالوا : اللهم نعم ، قالوا : فأخبرنا كيف نومك ؟ قال : " أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلمون أن نوم الذى ترعمون أنى لست به تنام عينه وقلبه يقظان " ؟ [قالوا : اللهم نعم ، قال : " فكذلك نومي ، تنام عيني وقلبي يقظان "] قالوا : فأخبرنا عما حرم إسرائيل على نفسه ؟ قال : " أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلمون أنه كان أحب الطعام والشراب إليه ألبان الإبل ولحومها ، وأنه أشكى شكوى فعاياه الله منها ، فحرم على نفسه أحب الطعام والشراب إليه شكر الله تعالى ، فحرم على نفسه لحوم الإبل وألبانها " ؟ قالوا : اللهم نعم ، قالوا : فأخبرنا عن الروح ؟ قال : " أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلمونه جبريل ، وهو الذى يأتينى " ؟ قالوا : اللهم نعم ، ولكنه يا محمد ، لنا عدو ، وهو ملك ، إنما يأتى بالشدة وبسفك الدماء ، ولولا ذلك لأتبعناك ، فأنزل الله فيهم : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجِبْرِيلِ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ . مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ . وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ . أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَهْدًا بَيْنَهُمْ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ الْكِتَابَ أَنْ يَكْتُبِ اللَّهُ وَرَاءَهُمْ طُغُورَهُمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلْطَانٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ

النَّاسَ السَّحَرُ) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر سليمان في المرسلين قال بعض أحبار يهود : ألا تعجبون من مجد ! يزعم أن سليمان بن داود كان نبيا ، والله ما كان إلا ساحرا ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ أي بآتباعهم السحر وعملهم به ، ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾^(١) ، قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه كان يقول : الذي حرم إسرائيل على نفسه : زائدنا الكبد ، والكليتان ، والشحم ، إلا ما على الظهر ، فإن ذلك كان يقرب للقربان فأكله النار . والله أعلم بالصواب .

ذكر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتبه

إلى يهود خيبر

١٠

عن ابن عباس رضى الله عنهما : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بسم الله الرحمن الرحيم ، من مجد رسول الله صاحب موسى وأخيه ، المصدق بما جاء به موسى ، ألا إن الله قد قال لكم : يا معشر أهل التوراة — وإنكم تجدون ذلك في كتابكم : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّرَ أَنْخَرَجَ شَطَأَهُ فَأَزْرَهُ فَاسْتَقْلَطَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّرْعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(٢) ، وإني أنشدكم بالله ، وأنشدكم بما أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسَّلَوَى ، وأنشدكم بالذي أيس البحر لآبائكم حتى

١٣٣
١٤

٢٠

أنجاهم من فرعون وعمله إلا أخبرتمونا هل تجدون فيما أنزل عليكم أن تؤمنوا بمحمد؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم؛ (قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) فادعواكم إلى الله وإلى نبيه .

ذكر ما قاله أحبار يهود في قوله تعالى : (الْم) ، و (الْمَص) و (الر) ، و (المر)

حكى محمد بن إسحاق أن أبا ياسر بن أخطب مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو: (الْم. ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ) ، فأتى أخاه حُيَّ بن أخطب في رجال من يهود. فقال : تَعَلَّمُوا ، والله لقد سمعت محمداً يتلو فيما أنزل عليه : (الْم . ذَلِكَ الْكِتَابُ) ، فقالوا : أنت سمعته؟ قال : نعم ، فغشى حُيَّ في أولئك نفر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، ألم تذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل عليك : (الْم)؟ فقال : ”بلى“ ، قالوا : أجاك بها جبريل من عند الله؟ قال : ”نعم“ ، فقالوا : لقد بعث الله قبلك أنبياء ، ما نعلم بين لبيّ منهم ما مدة ملكه ، وما أكل أمته غيرك . فأقبل حُيَّ بن أخطب على من معه ، فقال لهم : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ؛ فهذه إحدى وسبعون سنة ، أفقدخلون في دين إيماناً مدة ملكه وأكل أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، هل مع هذا غيره؟ قال : ”نعم“ قال : ماذا؟ قال : (الْمَص) قال : فهذه أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ؛ والصاد تسعون ، فهذه إحدى وستون ومائة ، هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال : ”نعم (الر)“ . قال : هذه أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والراء مائتان ، فهذه

(١) البقرة ٢٥٦ (٢) في الأصل : «إياس» ؛ صوابه ما أثبتنا كما في ابن هشام ج ٢ : ١٩٤

(٣) البقرة آية ١ - ٢ (٤) في الأصل «ثلاثون» وهو خطأ صوابه ما أثبتنا .

إحدى وثلاثون ومائتان ، هل مع هذا غيره يا محمد ؟ قال : « نعم (المر) » قال :
هذه أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مائتان ،
فهذه إحدى وسبعون ومائتا سنة ، ثم قال : لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى
ما ندرى أقليلاً أعطيت أم كثيراً ؟ ثم قاموا عنه ؛ فقال أبو ياسر لأخيه حُجَيٍّ ولمن
معه من الأخبار : ما يُدريكم ، لعله قد جُمع هذا كله لمحمد ؛ سبعمائة وأربع
[وثلاثون] سنة ، قالوا : لقد تشابه علينا أمره ، فيقال : إن قوله تعالى :
(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) ^(١)
نزلت فيهم ، وقيل : إنما نزلت في وفد تَجْران ، على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر شيء من مقالات أخبار يهود ، وما أنزل من القرآن في ذلك

- ١٠ كان من مقالاتهم ما قاله مالك بن الصَّيْفِ حين بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر لهم ما أخذ عليهم من الميثاق ، وما عاهد إليهم فيه ، فقال :
والله ما عاهد إلينا في محمد عهد ، وما أخذ له علينا ميثاق ، فأنزل الله عز وجل فيه :
(أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَاهِدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) ^(٢) وقال ابن صلُّوا
الْفُطَيْوْنِي لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، ما جئتنا بشيء نعرفه ، وما أنزل
عليك من آية بدنة فتبعك بها ؛ فأنزل الله تعالى : (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ
وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ) ^(٣) .

(١) في الأصل : « وأربع سنين » والتصويب عن ابن هشام . (٢) آل عمران ٧

(٣) وفي ابن هشام : « الصيف » ؛ بالصاد المهملة ، وهما روايتان كما تقدم . (٤) البقرة ١٠٠

(٥) قال في الروض الأنف : « الفطيوون كلمة عبرانية ، وهي عبارة عن كل من ولي أمر اليهود

وملكهم ، كالنجاشي لمن ملك الحبشة » . (٦) البقرة ٩٩

وقال رافع بن حُرَيْمَةَ، ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد،
 آمَنَّا بِكِتَابِ تَزَلَّهَ عَلَيْنَا مِنَ السَّمَاءِ تَقْرُؤُهُ ، وَجَعَرْنَا لَنَا أَنَهَارًا نَتَّبِعُكَ وَنُصَدِّقُكَ ،
 فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ
 يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ^(١) 》 قال : وكان حُجَيٌّ بْنُ أَخْطَبَ
 [وَأَخُوهُ أَبُو بَاسِرٍ بْنُ أَخْطَبَ] مِنْ أَشَدِّ يَهُودٍ لِلْعَرَبِ حَسَدًا ؛ فَكَانَا جَاهِدِينَ
 فِي رَدِّ النَّاسِ عَنِ الْإِسْلَامِ بِمَا اسْتَطَاعَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمَا : ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ
 أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ
 مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ^(٢) 》
 قَالَ : وَلَمَّا قَدِمَ أَهْلُ تَجْرَانِ مِنَ النَّصَارَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَتَتْهُمْ
 أَحْبَابُ يَهُودٍ ، فَتَنَازَعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ رَافِعُ بْنُ حُرَيْمَةَ :
 مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ ، وَكَفَرُ بَعِيسَى وَبِالْإِنْجِيلِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ تَجْرَانِ مِنَ النَّصَارَى
 لِلْيَهُودِ : مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ ، وَجَعَدَ نَبُوءَةُ مُوسَى ، وَكَفَرُ بِالتَّوْرَةِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى :
 ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ
 وَهُمْ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ^(٣) 》 . وَقَالَ رَافِعُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا مُحَمَّدُ ،
 إِنْ كُنْتُ رَسُولًا مِنَ اللَّهِ كَمَا تَقُولُ فَقُلْ لَلَّهِ يَكَلِّمُنَا تَكَلِيمًا حَتَّى نَسْمَعَ كَلَامَهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ
 تَعَالَى فِي ذَلِكَ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ^(٤) 》 .
 وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صُورٍ يَا فِطْيُونِي الْأَعُورُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا الْهَدَى

١٣٤
١٤

(١) سورة البقرة ١٠٨ (٢) هذه التكلة آتيتها عن ابن هشام ج ٢ : ١٩٧
 (٣) سورة البقرة ١٠٩ (٤) سورة البقرة ١١٣ (٥) سورة البقرة ١١٨

إلا ما نحن عليه ، فاتبعنا يا محمد تهتد ، وقالت النصارى مثل ذلك ، فأنزل الله تعالى في أقوالهم : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١) . وتكلموا عند صرف القبلة بما نذكره إن شاء الله في حوادث السنة الثانية .

قال : وسأل معاذ بن جبل ، وسعد بن معاذ ، وخارجة بن زيد ، نفرا من أحبار يهود عن بعض ما في التوراة ، فكتبتهم إياه وأبوا أن يخبروهم ، فأنزل الله فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾^(٢) . ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود إلى الإسلام ورغبهم فيه ، وحذّره عذاب الله ، فقال رافع بن خازجة ، ومالك بن عوف : بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا ، فهم كانوا أعلم منا ، وخيرا منا ، فأنزل الله في ذلك : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾^(٣) .

قال : ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزاة بدر جمع يهود في سوق بنى قينقاع ، وقال لهم : ” يا معشر يهود ، أسلموا قبل أن يصيبكم الله بمثل ما أصاب به قريشا “ فقالوا : يا محمد ، لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفرا من قريش ، كانوا أغمارا لا يعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس ، وأنت لم تلق مثلنا ، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيٌ وَلَهُمْ جَهَنَّمُ وَسُخْرٌ وَمَنْ يَكْفُرْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُ ﴾^(٤) .

(١) سورة البقرة من ١٣٥ - ١٤١ (٢) سورة البقرة ١٥٩ (٣) سورة البقرة ١٧٠

(٤) الأغمار ، جمع غمر ، مثلثة الغين : وهو الذي لم يجرب الأمور .

فَتَّةٌ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ بَرُّهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَنَصِيرَهُ
مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ^(١) .

قال: ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من يهود ،
فدعاهم إلى الله عز وجل ، فقال له النعمان بن عمرو ، والحارث بن زيد : وعلى أى دين
[أنت] يا محمد ؟ قال : « على ملة إبراهيم ودينه » قالوا : فإن إبراهيم كان يهوديا ، فقال لهما

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فلهن إلى التوراة فهى بيننا وبينكم » ، فأنزل الله فيهما :
(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ
يَتَوَلَّوْا فَرِيقًا مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ . ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّ النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ
وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ^(٢)) . وقال أخبار يهود ونصارى نجران حين اجتمعوا

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنازعوا ، فقال الأخبار : كان إبراهيم يهوديا ،
وقالت النصارى : كان نصرانيا ، فأنزل الله تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحْجُجُونَ
فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَيْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . هَٰئِنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ
حَاجِّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّوْنَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ .

مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّ
أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ^(٣)) . وقال
عبد الله بن صَيْف ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف ، بعضهم لبعض : تعالوا نؤمن

بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة ، ونكفر به عشية ، حتى نلبيس عليهم دينهم ، فأنزل
الله تعالى فيهم : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ

(١) سورة آل عمران ١٢ - ١٣ (٢) بيت المدراس : بيت لليهود يتدارسون فيه كتابهم .

(٣) الزيادة من ابن هشام . (٤) سورة آل عمران ٢٣ ، ٢٤ .

(٥) سورة آل عمران من ٦٥ - ٦٨ (٦) قال ابن هشام : « ويقال ابن صيف » .

تَعْلَمُونَ . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ
وَأَكْفَرُوا آخَرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . وَلَا تَزِمُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّمَا أُهْدِيَ هَدْيُ
اللَّهِ أَن يُوَفَّى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيَهُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّمَا الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ
مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ^(١) . وقال أبو رافع القُرظي حين أجمعت الأخبار من يهود
والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، تريد منا أن
نعبدك كما يعبد النصارى عيسى بن مريم ؟ وقال رجل من أهل نجران يقال له الرئيس :
أو ذاك تريد منا يا محمد ، وإليه تدعوننا ؟ أو كما قال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
” معاذ الله أن أعبد غير الله ، أو أمر بعبادة غيره ، ما بذلك بعثني ولا أمرني “ ، فأنزل
الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ
كُونُوا عِبَادًا لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ
وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ . وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ
بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ^(٢) ، والربانيون هم العلماء والفقهاء ، ثم ذكر تعالى ما أخذ عليهم
وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه إذا هو جاءهم ، فقال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ
النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَحِكْمَةً ثُمَّ جَاءَكُمْ ^(٣) إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ . والله أعلم .

ذكر ما ألقاه شأس بن قيس اليهودي بين الأوس والخزرج

من الفتنة ، ورجوعهم إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم
قال محمد بن إسحاق : مر شأس بن قيس ، وكان شبيخا عظيم الكفر ، شديد
الظن على المسلمين ، شديد الحسد لهم ، على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الأوس والخزرج ، قد أجمعوا في مجلس يتحدثون ، فغاظه ما هم عليه

٢٠ (١) سورة آل عمران من ٧١ - ٧٣ (٢) سورة آل عمران ٧٩ ، ٨٠

(٣) سورة آل عمران ٨١

من الألفة والجماعة وصلاح ذات البين على الإسلام، بعد ما كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال : قد اجتمع ملا بني قبيلة بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر شابا من يهود كان معه أن يجلس معهم، ثم يذكر يوم بعث وما كان قبله، وأن ينشدهم بعض ما كانوا قالوه من الأشعار يوم بعث، وهو يوم أقتلت فيه الأوس والخزرج، فكان الظفر فيه للأوس، وكان عليهم يومئذ حُضِير بن سِمَاك الأشملي، أبو أسيد بن حُضِير، وعلى الخزرج عمرو ابن النعمان البياضي، فقتل جميعا، ففعل الشاب ذلك، فتكلم القوم، وتنازعوا وتفاخروا، حتى تواب رجلا من الحيين على الركب، أوس بن قِيْطَى الأوسى، وجبار بن صخر الخزرجي، فتقالوا، ثم قال أحدهما للآخر : إن شتمت رددناها الآن جَذَعَةً، فغضب الفريقان جميعا، وقالوا : قد فعلنا، موعدكم الظاهرة، وهي الحِزَّة، وقالوا : السلاح السلاح، وخرجوا إليها، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين، فقال : "يا معشر المسلمين، الله الله ! أيدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به، وقطع عنكم به أمر الجاهلية، وأستنقذكم به من الكفر، وألّف به بينكم ! " فعرف القوم أنها نَزْعَةٌ من الشيطان، وكيد من عدوهم، فبكوا، وعانق بعضهم بعضا، ثم أنصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى في شاس بن قيس : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ . قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصَدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبَغُّوهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

(١) قبيلة : هي أم الأوس والخزرج .

(٢) في الأصل : « مع » ، وصوبناه عن ابن هشام ج ٢ : ٢٠٤ .

(٣) يوم بعث : من أيام العرب ؟ معروف . وسأني بعد .

(٤) رددناها الآن جذعة : أي رددنا الآخر إلى أوله . (٥) سورة آل عمران ٩٨ ، ٩٩ .

وَأَنْزَلَ فِي أَوْسَ بْنِ قَيْظَى وَجَبَّارَ بْنَ صَخْرٍ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا مِنْ قَوْمِهِمَا الَّذِينَ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ . وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ . وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً قَالَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبِرْهُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝

١٣٦
١٤

ذكر ما تكلم به يهود في شأن من أسلم منهم

وما أنزل الله تعالى في ذلك

قال : (٢) لما أسلم عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سَعِيَّة، وأُسَيْدُ بْنُ سَعِيَّة، وأَسَدُ بْنُ عُبَيْدٍ، ومن أسلم معهم من يهود وآمنوا وصدقوا، قال أهل الكفر من أحبار يهود : ما آمن بمحمد وآتبعه إلا شرارنا، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، فانزل الله تعالى فيهم : ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ . يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝

(٢) هو ابن إسحاق .

(١) سورة آل عمران ١٠٠ - ١٠٥

(٣) سورة آل عمران ١١٣ - ١١٤

قال : وكان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود ، لما كان بينهم من الحوار والحلف في الجاهلية ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ . هَآأَنْتُمْ أَوْلَاءُ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ ، [أى تؤمنون بكتابكم وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم ، فأنتم كنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم] ، ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . إِنْ تَسْتَسْخِمُوا حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْرِفُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنْ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (١) ، قال : ودخل أبو بكر الصديق رضى الله عنه إلى بيت المدراس على يهود ، فوجد جماعة كثيرة منهم قد اجتمعوا إلى حبر من أبحارهم يقال له فنحاص ، ومعه حبر آخر يقال له أشيع ، فقال أبو بكر لفنحاص : ويحك يا فنحاص ! أتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله ، قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والإنجيل ، فقال لأبى بكر : والله يا أبا بكر ، ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا لفقير ، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإنا عنه لأغنياء ، وما هو عنا بغنى ، ولو كانت عنا غنيا ما آستقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الربا ويعطيناه ، ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا . فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربا شديدا

(١) الكلمة من ابن هشام ج ٢ ص ٢٠٧

(٢) سورة آل عمران من ١١٨ - ١٢٠

(٣) انظر هامش رقم ٢ من صفحة ٣٧٧ من هذا السفر .

وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك، أى عدو الله:

فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، أنظر ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: "ما حملك على ما صنعت؟"

فقال: يا رسول الله، إن عدو الله قال قولاً عظيماً — وذكر قوله — فلما قال ذلك

غضبت له وضربت وجهه، فخذ فنحاص ذلك، وقال: ما قلت [ذلك]،

فأنزل الله في ذلك تصديقاً لأبي بكر رضى الله عنه: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ

قَالُوا إِنَّ اللَّهَ قَعِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ

دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، وأنزل الله تعالى في أبي بكر وغضبه في ذلك: ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ

مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا

فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾. قال: وكان كزدم بن قيس، وأسامة بن حبيب

ونافع بن أبي نافع، وبحري بن عمرو، وحوي بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن

التابوت، يأتون رجالاً من الأنصار يتنصحنون لهم فيقولون: لا تُنفقوا أموالكم،

فإننا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارعوا في النفقة، فإنكم لا تدرسون علام يكون،

فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿الَّذِينَ يَخْلُونِ بِأَمْوَالِ النَّاسِ بِالْخِلَافِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ

مِنْ فَضْلِهِ﴾ أى من التوراة التى فيها تصديق ما جاء به رسول الله صلى الله عليه

وسلم ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً . وَالَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ

وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً . وَإِذَا عَلَيْهِمْ

لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَلِيماً﴾ قال: وكان

رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء يهود، إذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٣٧

١٤

(١) الزيادة من ابن هشام . (٢) سورة آل عمران ١٨١ (٣) سورة آل عمران ١٨٦

(٤) سورة النساء ٣٧ — ٣٩ (٥) كذا في الأصل، وفي ابن هشام: «لم رسول الله» .

لوى لسانه وقال : أرعنا سمك يا مجد حتى نفهمك ، ثم طعن في الإسلام وعابه ،
 فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالَةَ
 وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا .
 مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ
 وَرَاعِنَا لَيًّا بِالْسُنَنِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ
 خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ^(١) . قال : وكلم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم رؤساء من أحبار يهود ، منهم عبد الله بن صوريا الأعور ، وكعب
 ابن أسد ، فقال : ” يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ، فوالله إنكم لتعلمون أن الذي
 جئتكم به لحق “ ، قالوا : ما نعرف ذلك يا مجد ، وأصروا على الكفر ، فأنزل الله
 تعالى فيهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّ
 نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ
 مَفْعُولًا ^(٢) . قال : وقال سكين ، وعدى بن زيد : يا مجد ، ما نعلم أن الله أنزل على بشر
 من شيء بعد موسى ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ
 مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ
 وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا . وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلِ
 وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا . رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
 لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ^(٣) . ودخلت طائفة منهم على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم : ” أما والله إنكم لتعلمون أني [رسول من الله
 إليكم] “ ! قالوا : ما نعلمه : وما نشهد عليه ، فأنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى :

(٢) سورة النساء . ٤٧ :

(١) سورة النساء من ٤٤ — ٤٦

(٤) الزيادة من ابن هشام .

(٣) سورة النساء . ١٦٣ — ١٦٥

﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾^(١).

وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نهمان بن أضاء، وبحري بن عمرو، وشأس ابن عدي^(٢)، فكلّموه وكلّمهم، ودعاهم إلى الله وحذّره ثم تقمته، فقالوا: ما نخوفنا يا محمد،

نحن والله أبناء الله وأحباؤه، كقول النصاري، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^(٣). قال: ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود إلى الإسلام، ورغبهم

فيه، وحذّره عقوبة الله، فأبوا وكفروا وجمدوا، فقال لهم معاذ بن جبل، وسعد ابن عباد، وعقبة بن وهب: يا معشر يهود، آتقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون أنه

رسول الله، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه، وتصفونه بصفته، فقال رافع ابن خزيمة، ووهب بن يهود: ما قلنا هذا لكم، وما أنزل الله من كتاب من بعد موسى ولا أرسل بشيرا ولا نذيرا بعده، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ قُرْآنٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنَّ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤).

ذكر قصة الرجم

روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال: إن أحبار يهود اجتمعوا في بيت المدراس حين قدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وقد زنى رجل بينهم بعد إحصائه بامرأة من يهود قد أحصنت، فقالوا: آبعثوا بهذا الرجل وهذه المرأة إلى محمّد، فأسأله كيف الحكم فيهما، وولّوه الحكم عليهما، فإن عمل فيهما

١٣٨٠
١٤

٢٠ (١) سورة النساء ١٦٦ (٢) في الأصل: «على» والتصويب عن ابن هشام ج ٢ : ٢١٢ (٣) سورة المائدة ١٨ (٤) سورة المائدة ١٩ (٥) في ابن هشام: «منهم».

بعمالك من التجنية — والتجنية: الخلد بجمل من ليف قد طلي بقر، ثم تُسود وجوههما،
ثم يجلان على حمارين، وتجمل وجوههما من قبل أدبار الحمارين — فأتبعوه فإنما
هو ملك، وصدقوه، وإن هو حكم فيهما بالرجم فإنه نبي، فأحذروه على ما في أيديكم أن
يسلبكموه، فأنوه فقالوا: يا محمد، هذا رجل قد زنى بعد إحصائه بامرأة قد أحصنت،
فأحكم فيهما، فشى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى أجارهم في بيت المدراس،
فقال: "يا معشر يهود أخرجوا إلى علماءكم"، فأخرجوا إليه عبد الله بن سوريا
وأبا ياسر بن أخطب، ووهب بن يهوذا، فقالوا: هؤلاء علمائنا، فسأهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم، ثم قالوا: هذا عبد الله بن سوريا أعلم من بقي بالتوراة،
نفلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان غلاما شابا من أحدثهم سنا، فقال له:
"يا ابن سوريا، أنشدك الله، وأذكرك بأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلم أن الله
حكم فيمن زنى بعد إحصائه بالرجم في التوراة؟" قال: اللهم نعم، أما والله
يا أبا القاسم إنهم ليعرفون أنك لنبي مرسل، ولكنهم يحسدونك، فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأمر برجمهما، فرجما عند باب مسجده، ثم كفر بعد ذلك
أبن سوريا، وجمد نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا
الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ
قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْفَرُونَ
الْكَلِمَ مِنْ مِمْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾،
أي الرجم، ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ
أَنْ يَطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ
أَكَاوُنَ لِلشَّخِطِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ
يَضُرُّكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالنِّسْبِ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ

وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ .
 إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا
 وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا
 النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَخْشَوْا إِيَّائِي ثُمَّ نَزَّلْنَا قَلِيلًا مِمَّنْ لَمْ يَحْكُمُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ
 هُمُ الْكَافِرُونَ^(١) .

معين التارخ
 لأهل التارخ

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجمهما ، فرجما بباب مسجده ، فلما وجد اليهودي من الحجارة قام إلى صاحبه فجثا عليها يقيما من الحجارة حتى قُتلا جميعا .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : لما حُكوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما دعاهم بالتوراة ، وجلس خبر منهم يتلوها ، وقد وضع يده على آية الرجم ، فضرب عبد الله بن سلام يد الخبر ، ثم قال : هذه يا نبي الله آية الرجم ، يأبى أن يتلوها عليك ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” ويحكم يا معشر يهود ! ما دعاكم إلى ترك حكم الله وهو بأيديكم “ ؟ ! فقالوا : أما إنه كان فينا يُعمل به ، حتى زنى رجل منا بعد إحصائه من بيوت الملوك وأهل الشرف فنعنه الملك من الرجم ، ثم زنى رجل من بعده فأراد أن يرحمه فقالوا : لا والله ، حتى ترجم فلانا ، فلما قالوا ذلك أجتمعوا فأصلحوا أمرهم على التَّجْبِيَةِ ، وأما توا ذكر الرجم والعمل به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” فانا أزل من أحيا أمر الله وكتابه وعمل به “ . ثم أمر بهما فرجما عند باب مسجده ، قال عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما : [كنت^(٢)] فيمن رجمهما . قال : واجتمع كعب بن أسد

(١) سورة المائدة من ٤١ - ٤٤ . (٢) جثا عليها : أى أكب عليها ، ويروى « حنا » .

(٣) نكلة من ابن هشام .

وابن صلّو، وعبد الله بن صوريا، وشاس بن قيس . وقال بعضهم لبعض : أذهبوا إلى مجد؛ لعلنا نفتته عن دينه، فإنما هو بشر، فاتوه فقالوا : يا مجد، إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم ، وأنا إن أتبعناك أتبعك يهود ولم يخالفونا ، وإن بيننا وبين بعض قوما خصومة ، أفنحناكم إليك فتقضى لنا عليهم ، وتؤمن بك ونصدقك ؟ فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ؛ فانزل الله فيهم : ﴿ وَإِنْ أَحَكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ . ائْتِكُمُ الْجَاهِلِيَّةُ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ^(١) .

قال : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحبار يهود أبو ياسر بن أخطب ، ونافع بن أبي نافع ، وعازر بن أبي عازر ، وخالد بن زيد ، وأزار بن أبي أزار ^(٢) ، وأشيع ، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل ، فقال صلى الله عليه وسلم : " تؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفزع بين أحد منهم ونحن له مسلمون " .

فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته ، وقالوا : لا تؤمن بعيسى ولا بمن آمن به ، فانزل الله تعالى فيهم : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ وَإِنَّ أَكْثَرَكُمْ لَفَاسِقُونَ ^(٣) . قال : وأتاه صلى الله عليه وسلم رافع ابن حارثة ، وسلام بن مشكم ، ومالك بن الضيف ، ورافع بن حريملة فقالوا : يا مجد ، ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ، وتؤمن بما عندنا من التوراة ،

(١) سورة المائدة ٤٩ - ٥٠ . (٢) قال ابن هشام : « ويقال أذر بن أبي أذر » .

(٣) سورة المائدة ٥٩

وتشهد أنها من الله حق ؟ قال : ” بلى ، ولكنكم أحدثتم ومجدتم ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق ، وكنتم منها ما أمرتم أن تدينوه للناس ، فبرئت من أحدانكم “ .
 قالوا : فلأنا نأخذ بما في أيدينا ؛ فلأنا على الهدى والحق ، ولا تؤمن بك ولا تتبعك ،
 فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

قال : وأما صلى الله عليه وسلم النحام بن زيد ، وقردم بن كعب ، وبحري ابن عمرو ، فقالوا : يا محمد ، أما تعلم مع الله لها غيره ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” لا إله غيره ، بذلك بعثت ، وإلى ذلك أدعو “ ؛ فأنزل الله تعالى فيهم وفي قولهم : ﴿ قُلْ أَى شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ . الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

قال : وكان رفاعة بن زيد بن النابوت ، وسويد بن الحارث قد أظهرهما الإسلام وناققا ، فكان رجال من المسلمين يوادونهما ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾ . وقال جبل بن أبي قشير ، وشمویل بن زيد لرسول الله صلى الله عليه

(١) سورة المائدة ٦٨ (٢) سورة الأنعام ١٩ — ٢٠ (٣) سورة المائدة ٢٠
 ٥٧ — ٦١ (٤) في الأصل : « جبل بن بشر » ، والتصويب من ابن هشام .

وسلم : أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيا كما تقول ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ تَقَاتِلْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ^(١) 》 .

وقال محمود بن سبجان ونعمان بن أضاء ، وبحري بن عمرو ، وعزير بن أبي عزير ، وسلام بن مشكم ، وفنحاص ، وعبد الله بن صوريا ، وآبن صلوبا ، وكثانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وأشيع ، وكعب بن أسد ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أحق يا محمد أن هذا الذي جئت به حق من عند الله ؟ فإننا لا نراه متسقا كما نتسق التوراة ؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله ، تجدونه مكتوبا عندكم ، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا به ما جاءوا به ” فقالوا عند ذلك : يا محمد ، أما يعلمك هذا إنس ولا جن ؟ فقال : ” أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله ، وأنى لرسول الله ؟ تجدون ذلك مكتوبا عندكم في التوراة ” قالوا : يا محمد ، فإن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما يشاء ، ويقدر منه على ما أراد ، فأنزل علينا كتابا من السماء تقرأه ونعرفه ، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به . فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي آجِئْتُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ^(٢) 》 ، والظهير : العون .

قال : وأتى رهط من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : يا محمد ، هذا الله خلق الخلق فمن خلقه ؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) سورة الإسراء ٨٨ .

(١) سورة الأعراف ١٨٧ .

(٣) في ابن هشام : « أتى رسول الله » .

حتى أَنتَقِعَ لَوْنُهُ ، بخاءه جبريل عليه السلام فَسَكَّنَهُ ، فقال : خَفَضَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وجاءه من الله بجواب ما سأله عنه : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ^(٢) ، فلما تلاها عليهم قالوا : فيصِفُ لنا كيف خَلَقَهُ ؟ كيف ذَرَأَهُ ؟ كيف عَصَدَهُ ؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد من غضبه الأول ، فأتاه جبريل فقال له مثل ما قال له أول مرة ، وجاءه من الله بجواب ما سأله فقال : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ . وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ . سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ^(٣) ، وكانت سؤالات يهود وعَنَتُهُم وبغيتهم وتحريفهم وتبديلهم كثيرة ، قد نطق بذلك كله القرآن ، وجاء بالرد عليهم وبتكذيبهم وتفريقهم ، ثم سلط الله عليهم المسلمين ، وحكم فيهم سيوفهم فقتلوه وأجلوه وأسأصلوا شأفتهم ، وأسروا وسبوا منهم ، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في الغزوات والسرايا ، فلما أيسوا وأبلسوا عمدوا إلى تَحْيِيلَاتٍ أَنَحَرُ مِنَ السَّحَرِ وَالسِّمِّ .

ذكر ما ورد من أن يهود سحرُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة الحُدَيْبِيَّةِ سنة ست من مُهَاجِرِهِ ، ودخل المحرم سنة سبع ، جاءت رؤساء يهود الذين بقوا بالمدينة ممن يظهر الإسلام وهو منافق ، إلى لَيْدِ بْنِ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيِّ حليف بنِ زُرَيْقٍ ، وكان ساحرا ، قد علمت ذلك يهود أنه أعلمهم بالسَّحَرِ وَبِالسُّمُومِ ، فقالوا له : يَا أَبَا الْأَعْصَمِ أَنْتَ أَسْحَرْنَا ، وقد سَحَرْنَا مَجْدًا ، فسحره منا الرجال والنساء فلم نصنع شيئا ، وأنت

(٢) سورة الإخلاص .

(١) أَنتَقِعَ لَوْنُهُ : تَغْيِيرُ .

(٣) سورة الزمر ٦٧ .

تري أثره فينا ، وخلافه ديننا ، ومن قتل منا وأجل^(١) ، ونحن نجعل لك على ذلك
 جُعلا على أن تسحره لنا سحرا ينكره ، بفعلوا له ثلاثة دنائير على أن يسحر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فعمد إلى مشط وما يمشط من الرأس من الشعر
 فعقد فيه عقدا وتفل فيه تفلًا ، وجمله في جُفّ طلعة^(٢) ذكر^(٣) ، ثم انتهى به حتى جعله
 تحت أروعفة^(٤) البئر ، فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرا أنكره ، حتى يُجِيل
 إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله ، وأنكر بصره حتى دلّه الله على ذلك ؛ فدعا جبير^(٥)
 ابن إياس الزرقى وكان ممن شهد بدرا فدلّه على موضع في بئر ذروان تحت أروعفة
 البئر ، فخرج جبير حتى استخرجه ، ثم أرسل إلى لييد بن الأعصم ، فقال : " ما حملك
 على ما صنعت ، فقد دلّني الله على سحرك وأخبرني بما صنعت " ؟ فقال : حُبّ الدنائير
 يا أبا القاسم . قال محمد بن سعد ، قال إسحاق بن عبد الله : فأخبرت عبد الرحمن
 ابن كعب بن مالك بهذا الحديث ، فقال : إنما سحره بنات أعصم أخوات لييد ،
 وكُنّ أُسْحَرْنَ من لييد وأُخْبِتَ ، وكان لييد هو الذي ذهب به فأدخله تحت أروعفة
 البئر ، قال : فلما عقدوا تلك العقد أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الساعة
 بصره ، ودَسَ بناتُ أعصم إحداهن ، فدخلت على عائشة فخبرتها عائشة — أو سمعت
 عائشة تذكر ما أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بصره — ثم خرجت إلى
 أخواتها وإلى لييد فأخبرتهم ، فقالت إحداهن : إن يكن نبيا فسيُخْبَرُ ، وإن يك

(١) في الأصل : « راجلا » وهو تحريف ، والصواب عن ابن سعد .

(٢) الجف : وعاء الطلع ، وهو الفشاء الذي يكون فوقه . و « ذكر » صفة للجف .

(٣) الأروعفة والراوعة : صخرة ترك في أسفل البئر إذا حفرت ، تكون ثالثة ، فإذا أرادوا

تنقية البئر جلس المنق عليها . وقيل : هي حجر يكون على رأس البئر يقوم المستنق عليه .

(٤) في الطبقات : « دلّه الله عليه » .

(٥) بئر ذروان : بالمدينة في بستان بن زريق من اليهود .

غير ذلك فسوف يذهب عقله ^(١) ، فيكون بما نال من قومنا وأهل ديننا . فدلله الله عليه :

وفي الصحيح عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم ^(٢) سحر ، حتى كان يخيل إليه أنه يصنع الشيء ولم يصنعه ، حتى إذا كان ذات يوم رأيته يدعو ، فقال : ^(٣) "أشعرت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته ، أتاني رجلان فقام أحدهما عند رأسي ، والآخر عند رجلي ، فقال أحدهما : ما وجع الرجل ؟ فقال الآخر : مطبوع ، فقال : من طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم ، قال : فم ؟ قال : في مشط ومشاطة في جفّ طلعة ذكر ، قال : فإين هو ؟ قال : في ذى ذروان" ، فأنطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رجع أخبر عائشة فقال : "كأن نخلها رءوس الشياطين ، وكأن ماءها نفاع الحناء" ، قالت فقلت : يا رسول الله ، فأنرجه للناس ، قال : "أما والله قد شفاني ، وخشيت أن أثور على الناس منه شرا" ^(٤) .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عن النساء وعن الطعام والشراب ، فهبط عليه ملكان وهو بين النائم واليقظان فجلس أحدهما عند رأسه ، والآخر عند رجله ، فقال : أحدهما لصاحبه :

- ١٥ (١) دله : حيره وأدهشه . وفي الأصل « يده » ، وهو تصحيف .
 (٢) في الطبقات : « سحره » .
 (٣) أشعرت : أعلت ؛ والخطاب للسيدة عائشة رضي الله عنها .
 (٤) المعنى : أجاوب عما سأله عنه .
 (٥) مطبوع : مسحور ؛ عبر عن السحر بالطب كما عبروا عن اللدغ بالسليم تفاؤلا .
 ٢٠ (٦) في الصحيح : « في بئر ذروان » ، وهما روايتان .
 (٧) قال القسطلاني : « الشر تذكر السحر وتعلمه ، وهو من باب ترك المصلحة خوف المفسدة » .
 (٨) أخذ : حبس بالسحر .

ما شكواه ؟ قال : طُبَّ — يعنى سحر — قال : ومن فعله ؟ قال : لبيد بن أعصم اليهودي ، قال : ففى أى شىء جعله ؟ قال : فى طَلْعَةِ ، قال : فأين وضعها ؟ قال : فى بئر ذَرَوَانَ تحت صخرة ، قال : فما شفاؤه ؟ قال : تُزَح البئر، وتُرفع الصخرة وتُستخرج الطلعة . وأرتفع الملسكان ؛ فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى على وعمار فأمرهما أن يأتيا الركني فيفعلا الذى سمع ، فأتياها وماؤها كانه قد خُضِب بالحِناء فنزحها ، ثم رفع الصخرة فأخرج طَلْعَةَ ، فإذا فيها إحدى عشرة عُقْدَةً ، ونزات هاتان السورتان : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرأ آية أنحلت عُقْدَةً ، حتى أنحلت العُقْدَ ، وانتشر نبي الله صلى الله عليه وسلم للنساء والطعام والشراب .

وجاء فى حديث آخر أن جبريل وميكائيل عليهما السلام أخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشأن السحر ، وأنه صلى الله عليه وسلم أخذ لبيدًا ، فاعترف فعفا عنه ، روى عفوه عنه عن غير واحد ؛ قال عكرمة : ثم [كان] يراه بمد عفوه فيعرض عنه . وحيث ذكرنا حديث السحر فلا بأس أن نصله بالكلام على مشكله . والله أعلم بالصواب .

ذكر الكلام على مشكل حديث السحر

وقد تكلم القاضى عياض بن موسى بن عياض على هذا الحديث فقال : هذا الحديث صحيح متفق على صحته ، وقد طعنت فيه الملاحدة ، وتذَّرعَت به لسخف عقولها ، وتلبسها على أمانها إلى التشكيك فى الشرع ، وقد نزه الله الشرع والنبي صلى الله عليه وسلم عما يُدخل فى أمره لبسًا ، وإنما السحر مرض من الأمراض

(١) قال فى اللسان : « كانوا بالطلب عن السحر تفاؤلا بالبرء ؛ كما كنوا عن اللدغ قائلوا : سليم » .

(٢) الزيادة من الطبقات .

وعارض من العِلَل يجوز عليه كأَنواع الأمراض ، مما لا ينكر ولا يقدحُ في نبوته ،
وأما ما ورد أنه كان يُخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله ، فليس في هذا ما يدخل
عليه داخلَةً في شيء من تبليغه وشريعته ، ويقدح في صدقه ؛ لقيام الدليل^(١)
والإجماع على عصمته من هذا ، وإنما هذا فيما يجوز طُرُوه عليه في أمر دنياء التي
يبعث بسببها ، ولا فضل من أجلها ، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر ،
فغير بعيد أن يُخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له ، ثم يتجلى عنه كما كان .
وأيضا فقد فسر هذا الحديث الآخر من قوله : ” حتى يُخيل إليه أنه يأتي أهله
ولا يأتيهم ” . وقد قال سفيان^(٢) : وهذا أشد ما يكون من السحر ، ولم يأت في خبر
منها أنه نقل عنه في ذلك قول ، بخلاف ما أخبر أنه فعله ولم يفعله ، وإنما كانت
خواطر وتخييلات . وقد قيل : إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل لشيء أنه فعله ،
وما فعله لكنه تخيل لا يعتقد صحته ، فتكون أعتقاداته كلها على السداد ، وأقواله
على الصحة . قال : هذا ما وقفت عليه لأمتنا من الأجوبة عن هذا الحديث .
قال : لكنه قد ظهر لي في هذا الحديث تأويل أجل وأبعد من مطاعين ذوى
الأضاليل يستفاد من نفس الحديث ، وهو أن عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن
أبن المسيّب ، وعُروة بن الزبير ، وقال فيه عنهما : سحر يهود بنى زُرَيْق رسول الله
صلّى الله عليه وسلم ، فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينكر^(٣)
بصره . ثم دلّه الله على ما صنعوا ، فأستخرجه من البئر .

١٤٢
١٤

فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات أن السحر إنما يُسلط على ظاهره
وجوارحه ، لا على قلبه وأعتقاده وعقله ، وأنه إنما أتى في بصره ، وجسده عن وطء

(١) الداخلة : القبيصة واليب والفساد . (٢) هو ابن عينة كما صرح به في سنده
في البخاري . (٣) أي ما أبصره ، أو ينكر نفس رؤيته لتأثير السحرة (شرح الشفاء) .

نسائه ، ويكون معنى قوله : ” يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيه “ ، أى يظهر له من نشاطه ومتقدم عاداته القدرة على النساء ، فإذا دنا منهن أصابته أخذة بالسحر ، فلم يقدر على إتيانهن ، كما يعثرى من أخذ وأعترض ، قال : ولعله لمثل هذا أشار سفيان بقوله : وهذا أشد ما يكون من السحر . والله أعلم بالصواب .

ذكر خبر الشاة التي سمّ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان ذلك في غزاة خيبر ، بعد أن أفتتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه لما أفتتح خيبر وحصونها وأطمأن ، أهدت إليه زينب ابنة الحارث امرأة مَلّام بن مِشْكَم وهي ابنة أخي مَرْحَب الذى بارز يوم خيبر ، وقتل — على ما تذكره إن شاء الله — شاة مَضْلِيَّة ، وقد سألت : أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقيل لها : الذراع ، وأكثرت فيها السم ، ثم سمّت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع ، فلأنك منها مُضْغَةٌ فلم يُسْغِها ، وكان معه يثربن البراء بن معرور ، فأخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما بشر فأساغها ، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها .

وروى الشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في دلائل النبوة أنه صلى الله عليه وسلم أساغها ، ثم قال لأصحابه : ” أرفعوا أيديكم فإن كيف هذه الشاة يخبرني أنها قد بُغِيَتْ فيه “ ، قال بشر بن البراء : ^(١) والذى أكرمك لقد وجدت ذلك فى أكلتى التى أكلت ، فما معنى أن ألفظها إلا أنى أعظمت أن أنقصك طعامك ، فلما أسغت

(١) الحديث في الدلائل نصه : « يخبرني أن قد بغيت فيها » ، بغيت : طلبت ، من بغى يبغي بقاء ،

بالضم ؛ إذا طلب . (نهاية ابن الأثير) .

ما في فيك لم أكن لأرغب بنفسى عن نفسك، ثم دعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعترفت، فقال: "ما حملك على ذلك؟" قالت: بلغت من قومى ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكا أسترحت منه، وإن كان نبيا فسبّخه، فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومات بشر بن البراء. والصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلها، قيل: سلّمها لأولياء بشر بن البراء فقتلوا. والله تعالى أعلم.

+++

وحيث ذكرنا من سيرته صلى الله عليه وسلم ما ذكرناه، فلندكر هنا حوادث السنين بعد الهجرة خلا الغزوات والسرّايا والوفود، فإننا نورد ذلك إن شاء الله تعالى فيما بعد على ما تقتضيه عليه.

- ١٠ ذكر الحوادث بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة النبوية على حكم السنين؛ من السنة الأولى إلى السنة العاشرة خلا ما أسنتنينا، وقدمناه

حوادث السنة الأولى

- فيها جعلت صلاة العصر أربع ركعات، وكانت ركعتين وذلك بعد مقدّمه صلى الله عليه وسلم بشهر. وفيها صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة حين ارتحل من قُباء إلى المدينة، صلاها في طريقه بنى سالم على ما تقدم، وهى أول جمعة صلاها، وأول خطبة خطبها في الإسلام. وفيها بنى صلى الله عليه وسلم مسجده ومساكنه، ومسجد قُباء على ما تقدم. وفيها آخى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار بعد مقدمه بثمانية أشهر، وقد تقدم ذكر ذلك. وفيها أسلم عبد الله بن سلام. وفيها ولد عبد الله بن الزبير بالمدينة. وفيها مات أبو قيس كلثوم بن المدهد، وهو أول من مات من المسلمين بالمدينة. ومات سعد بن زُرارة أبو أمانة. وفيها أعزّس صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها.

حوادث السنة الثانية

١٤٣
٤٤

في هذه السنة توفيت رُقِيَّة بنت النبي صلى الله عليه وسلم زوج عثمان بن عفان،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر، وتوفي عثمان بن مظعون بعد [رجوع] رسول
الله صلى الله عليه وسلم من غزاة بدر وشهدا عثمان . وفيها صُرفت القبلة .

ذكر صرف القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة

وما تكلم به اليهود وما أنزل الله تعالى في ذلك من القرآن

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة يصلى إلى بيت
المقدس ستة عشر شهرا، أو سبعة عشر شهرا ، كما ورد في صحيح البخارى وغيره .
وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، فقال : ” يا جبريل وددت أن الله تعالى
صرف وجهى عن قبلة يهود ” ، فقال جبريل : إنما أنا عبد فأدع ربك وسله .
وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى إلى بيت المقدس رفع رأسه إلى السماء ،
فأنزل الله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ .

قال محمد بن سعد : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين من الظهر
في مسجده بالمسلمين ، ثم أمر أن يوجه إلى المسجد الحرام فاستدار إليه ، ودار معه
المسلمون ، قال ويقال : بل زار رسول الله صلى الله عليه وسلم أُمّ بَشْر بن البراء
ابن معرور في بنى سليم ، فصنعت له طعاما ، وحانت الظهر ، فصلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بأصحابه ركعتين ، ثم أمر أن يوجه إلى الكعبة ، فاستدار إلى الكعبة ،
واستقبل الميزاب فسمى المسجد مسجداً القبلتين ، وذلك يوم الاثنين للنصف من
شهر رجب على رأس سبعة عشر شهرا من هجرته صلى الله عليه وسلم .

وروى البخارى أن أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه، فتر على أهل المسجد وهم راكعون، قال : أشهد بالله لقد صليتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت .

قال ابن إسحاق : ولما صُرفت القبلة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعة ابن قيس ، وقرّهم بن عمرو ، وكعب بن الأشرف ، ورافع بن أبى رافع ، والحجاج ابن عمرو ، والربيع بن الربيع بن أبى الحقيق ، وكثانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، فقالوا : يا محمد ، ما ولّاك عن قبّلتك التى كنت عليها ، وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ؟! أرجع إلى قبّلتك التى كنت عليها [تنبّعك] ونصدّقك — وإنما يريدون فتنه

عن دينه — فأنزل الله : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ اللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١)

أى إيمانكم بالقبلة الأولى، وتصديقكم نبيكم، وأتباعكم إياه إلى القبلة الأخرى . ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ قَدْ تَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ . وَلَئِنْ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَتَّبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ آتَبْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ

إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ . الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١) . والله أعلم .

ذكر خبر الأذان

(٢)

قال محمد بن سعد بسنده إلى نافع بن جبير، وعروة بن الزبير، وزيد بن أسلم، وسعيد بن المسيب، قالوا: كان الناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يؤمر بالأذان ينادى منادى النبي صلى الله عليه وسلم: «الصلاة جامعة»؛ فيجتمع الناس فلما صُرفت القبلة إلى الكعبة أمر بالأذان، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهتم أمر الأذان، وأنهم ذكروا أشياء يجمعون بها الناس للصلاة، فقال بعضهم: البوق، وقال بعضهم: الناقوس؛ فبينما هم على ذلك إذ نام عبد الله ابن زيد الخزرجي، فأرى في المنام أن رجلاً مرّ عليه ثوبان أخضران وفي يده ناقوس، قال فقلت: أتبيع الناقوس؟ قال: ماذا تريد به؟ فقلت: أريد أن أبتاعه لكي أضرب به للصلاة لجماعة الناس، قال: فأنا أحذثك بخير لكم من ذلك؛ تقول: الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حتى على الصلاة، حتى على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. فأتى عبد الله ابن زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: «قم مع بلال فأتني عليه ما قيل لك وليؤذن بذلك»، ففعل. وجاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: لقد رأيت مثل الذي رآه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فلله الحمد»

(١) سورة البقرة ١٤٤ - ١٤٧ .

(٢) في الأصل: «رافع بن جبير» وهو تصحيف، والتصويب عن ابن سعد، وتم تذيب التهذيب .

(٣) في الأصل: «شيئا» وما أثبتناه عن ابن سعد .

فذلك أثبت . قالوا : وأُذِّن بالأذان وبقى يُنادى فى الناس : « الصلاة جامعة » ؛
للأمر يحدث ، فيحضرُونَ له يُخْبِرُونَ به ، مثل فتح يُقرأ ، أو أمر يؤمرون به ،
فينادى : « الصلاة جامعة » ، وإن كان فى غير وقت الصلاة . وقد قدّمنا خبر
الأذان من رواية على بن أبى طالب فى قصة الإسراء . والله أعلم .

وفى هذه السنة فُرض صوم رمضان فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من
الهجرة ، وفُرضت زكاة الفطر قبل العيد بيومين ، وفيها ضُحى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بكبشين ، أحدهما عن أمته ، والآخر عن محمد وآله ، وفيها وُلد النعمان بن بشير ،
وفيها أعرس على بن أبى طالب بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ورضى عنهما . والله أعلم .

حوادث السنة الثالثة

ففى تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى
الله عنهما . وفيها توفى عثمان بن مظعون عند بعضهم . وفيها تزوج عثمان بن عفان
رضى الله عنه أم كلثوم بنت النبی صلى الله عليه وسلم فى جمادى الآخرة . وفيها ولد
الحسن بن على رضى الله عنهما فى النصف من رمضان .

حوادث السنة الرابعة

ففى حُرِّمت الخمر فى شهر ربيع الأول ، وقيل : حُرِّمت فى السنة الثالثة .
وفيها صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فى غزوة ذات الرقاع . وفيها
قُصِرت الصلاة . وفيها وُلد الحسين بن على رضى الله عنهما . وفيها ماتت زينب
بنت خزيمة الهلالية أم المؤمنين . وفيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة

في شوال ، وتزوج زينب بنت جحش في ذى القعدة على الصحيح . وفيها
نزل الحجاب .

ذكر نزول الحجاب على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان سبب نزول الحجاب ما رواه البخاري عن ابن شهاب قال : أخبرني أنس بن
مالك ، قال : كان أول ما أنزل الحجاب في مُبَتْنَى رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب
بنت جحش ؛ أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسا ، فدعا القوم فاصابوا من
الطعام ، ثم خرجوا ، وبقي منهم رهط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطالوا
المكث ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجتُ معه كي يخرجوا ،
فمشى صلى الله عليه وسلم ومشيتُ معه ، حتى جاء عتبةُ حُجْرَةِ عائشة رضي الله عنها ،
ثم ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم خرجوا ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ورجعتُ نعه حتى دخل على زينب ، فإذا هم جلوس لم يتفرقوا ، فرجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورجعتُ معه حتى بلغ عتبةُ حُجْرَةِ عائشة ، فظن أن قد خرجوا
فرجع ورجعتُ معه فإذا هم قد خرجوا ؛ فأنزل الله الحجاب ، فضرب يني وبينه
سترا ، وأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ
لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاطِرٍ مِنْ إِيَّاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا إِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا
وَلَا مَسْتَأْذِينَ لِلْخَبِيثِ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ
الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ۖ ﴾ الآية . وعن عروة بن
الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت : كان عمر رضوان الله عليه يقول لرسول الله
صلى الله عليه وسلم : أحجب نساءك يا رسول الله ، قالت : فلم يفعل . وكان أزواج

النبي صلى الله عليه وسلم يخرجن ليلاً إلى لَيْلٍ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ ^(١) فخرجت سَوْدَةُ بنت زَمْعَةَ وكانت امرأةً طويلةً، فأراها عمر بن الخطاب وهو في المجلس، فقال : عرفتك يا سَوْدَةُ — حرصاً على أن ينزل الحجاب — فأُنزل الله [الحجاب] ^(٢). وفي هذه السنة فَرَضَتِ الزَّكَاةُ في المال .

حوادث السنة الخامسة

فيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ريمانة بنت زيد النضرية، وجُورِيَةُ بنت الحارث المِصْطَلْقِيَّة . وفيها زلزلت المدينة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ^(٣) «إِنَّ اللَّهَ يَسْتَعْتِبُكُمْ فَأَعْتَبُوهُ» . وفيها سابق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخليل . وقد تقدم ذكر ذلك في الباب الأول من القسم الثالث من الفن الثالث في الجزء التاسع من هذه النسخة . وفيها كانت غزوة بنى المِصْطَلِقِ بالمُرَيْسِيع . وحدث في هذه الغزوة وقائع نذكرها في هذا الموضع ؛ فيها ما وقع بين المهاجرين والأنصار، وحديث الإفك، وخبر التيمم .

ذكر ما وقع بين المهاجرين والأنصار في غزوة المُرَيْسِيعِ ^(٤)

وما قاله عبد الله بن أبي بن سلول المناقب

قال محمد بن إسحاق : لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على المُرَيْسِيعِ ^(٥) — وهو ماء لبنى المِصْطَلِقِ — في نزوله عن غزوته إياهم، وَرَدَتْ واردةُ الناس،

(١) المناصع (جمع منضع) : صعيد واسع آخر المدينة جهة البقيع .

(٢) الزيادة من البخاري ، وبالأصل بياض .

(٣) استعجب : طلب أن يعجب أي يسترضى ؛ تقول : استعجبته فأعجبني ؛ أي أسرّضته فأرضاني .

(٤) في الأصل : « والآراء » ، ولا معنى له .

(٥) بنو المِصْطَلِقِ : هم بنو جذيمة بن كعب ؛ من خزاعة .

ومع عمر بن الخطاب أجبر له من بني غفار، يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه، فازدحم جهجاه وستان بن وبر الجهني - حليف بني عوف بن الخزرج - على الماء، فاقتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار! وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين! فغضب عبد الله بن أبي، وعنده رهط من قومه، فيهم زيد بن أرقم - غلام حدث - فقال: أو قد فعلوها! قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجلايب قريش هذه إلا كما قال الأول: سمن كلبك يا كلك! أما والله لن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. ثم أقبل على من حضره من قومه وقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم! أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم. قال: فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب، فقال عمر: مَرَّ به عباد بن بشر فليقتله! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كيف يا عمر إذا تحدث الناس أن عباد يقتل أصحابه! لا، ولكن أذن بالرحيل"، فأرتحل الناس في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها، وجاء عبد الله بن أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلف بالله: ما قلت ما قال زيد بن أرقم عني، وما تكلمت به، فقال من حضر من الأنصار: يا رسول الله، عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل.

فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيه أسيد بن حضير فقال: يا نبي الله، والله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح في مثلها. قال: "أو ما بلغك

(١) جلايب قريش: لقب من كان أسلم من المهاجرين؛ لقبهم بذلك المشركون، وأصل الجلايب: الأزر الغلاظ، وكانوا يلتحفون بها، فلقبهم بذلك.

(٢) في الأصل: «أحللتموه بلادكم وقاسمتموه أموالكم»، وما أثبتناه عن ابن هشام.

ما قال صاحبكم؟ قال : أي صاحب ؟ قال : "عبد الله بن أبي" قال، وما قال يا رسول الله ؟ قال : "زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعرنة منها الأذل" قال : فأنبت يا رسول الله تخرجه إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز. ثم قال : يا رسول الله ، أرفق به ، فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظّمون له النجرز ليتوجوه ، فإنه ليزي أنك استلبته مذكراً. قال : ثم متن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصنّدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا إلا أن وجدوا من الأرض فوقوا نياماً. قال : وإنما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان من عبد الله بن أبي .

قال : ثم هبت ريح شديدة تحوّفها الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تحوّفوها وإنما هبت لموت عظيم من عطاء الكفار". فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن النابوت أخذ بنى قينقاع — وكان من عطاء يهود ، وكهفا للنافقين — مات ذلك اليوم .

ونزلت السورة التي ذكر الله تعالى فيها المنافقين في ابن أبي ومن قال بقوله ، فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد بن أرقم ثم قال : "هذا الذي أوفى الله بأذنه". وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي بن شلول ما كان من أمر أبيه ، فقال : يا رسول الله ، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا فمروني به فانا أجعل إليك رأسه ، إني أخشى أن تأمر غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله يمشي في الناس فأقتله ، فأقتل مؤمناً بكافراً فأدخل

(١) متن بالناس : أي سار بهم يومه أجمع .

(٢) في الأصل : « آذته » ؛ وما أثبتناه عن ابن هشام .

لنار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تفرّق به ونحسن صحبته ما بقي معنا"، وكان بعد ذلك إذا أحات حدثاً كان قومه هم الذين يعاتبونه ويعتقونه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم : "كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتله يوم قلت لي أقتله لأرعدت^(١) [له] أنف لو أمرتها اليوم [بقتله]^(١) لقتلته"، فقال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى .

ومن الحوادث في هذه الغزوة حديث الإفك .

ذكر حديث الإفك وما تكلم به من تكلم من المنافقين وغيرهم فيه وما أنزله الله تعالى من براءة عائشة، وفضل أبيها رضوان الله عليهما ١٠
هذا الحديث قد تداوله الرواة وأهل الأخبار والسير، فمنهم من زاد فيه زيادات كثيرة، وذكر تحامل من تحامل في أمر الإفك، وتعصب من تعصب، فعلمت أن إيراد ذلك من أقوالهم يقتضى أن يصير في نفس من سمعه من أهل السنة شيئاً ممن تكلم عليه بما تكلم، ولعل ذلك لم يقع، فرأيت أن أقصر منه على ما ثبت في صحيح البخاري، وأتصل لنا بالرواية الصحيحة، وذكرت زيادات ذكرها ابن إسحاق - رحمه الله - ويحتاج إلى إيرادها مما لا ضرر فيه، نهت عليها بعد مساق الحديث على ما تقف عليه إن شاء الله تعالى . ولنبدأ بحديث البخاري: ١٥

١٤٧

١٤

حدثنا الشيخان المسندان المعمران، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب نعمة الصالحى المجتار، وست الوزراء أم محمد وزيرة بنت القاضي شمس الدين عمر ابن أسعد بن المنجا التنوخية الدمشقية قراءة عليهما وأنا أسمع، بالمدرسة المنصورية ٢٠

(١) الزيادة من ابن هشام . (٢) الحديث من صحيح البخاري ٦ : ٥

التي هي بين القصرين بالقاهرة المعزية ، في جمادى الأولى سنة خمس عشرة وسبعمائة ،
قالا : حدثنا الشيخ سراج الدين أبو عبد الله الحسين بن المبارك بن محمد بن يحيى
الزبيدي ، في شوال مسنة ثلاثين وستمائة ، بدمشق بالجامع المظفرى بسفح جبل
قاسيون ، قال : حدثنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي^(١) قراءة
عليه ونحن نسمع ببغداد ، في آخرة سنتين وأول سنة ثلاث وخمسين ونحسمائة ،
قال : حدثنا الشيخ أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودي^(٢) في شوال
وذى القعدة سنة خمس وستين وأربعمائة ، قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد
ابن حمويه المرخسي في صفر سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة ، قال : أخبرنا أبو عبد الله
محمد بن يوسف بن مطر القزويني بفربر سنة ست عشرة وثلثمائة ، قال : أخبرنا أبو عبد الله
محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري قراءة عليه بتهريب سنة ثمان وأربعين ومائتين ،
ومرة في سنة اثنتين وخمسين ، قال : حدثنا يحيى بن بكير ، قال : حدثنا الليث عن
يونس عن ابن شهاب ، قال : أخبرني عمرو بن الزبير ، وسعيد بن المسيب ،
وعلقمة بن وقاص ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن حديث عائشة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ، فبرأها الله مما قالوا ،
وكلُّ حديثي طائفة من الحديث ، وبعض حديثهم يُصدق بعضا ، وإن كان
بعضهم أوعى له من بعض ، الذي حدثني عمرو بن عائشة زوج النبي صلى الله عليه
وسلم ، أن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج

(١) السجزي : نسبة إلى مجستان على غير قياس ؛ وفي الأصل « المنجری » وهو تصحيف .

(٢) في الأصل « الداودي » ، وصوبناه عن السمعاني .

(٣) فربر : بلد قرب بخاري .

أفرع بين أزواجه، فأَيَّهنَّ خرج سهمها خرج ^(١) [بها] رسول الله صلى الله عليه وسلم معه، قالت عائشة: فأفرع بيننا في غزوة غزاهما فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما نزل الحجاب، فأنا أُحْمَلُ في هَوْدَجِي وأُنْزَلُ فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل، ودنونا من المدينة قافلين، أذنَ ليلةً بالترحيل، فقمت حين أذنوا بالترحيل، فمسيْتُ حتى جاوزت الجيـش، فلما قضيت شأني أقبلتُ إلى رَحْلي فإذا عِقدٌ لي من بَزْعٍ ظَفَارٍ قد انقطع، فألتصت عِقدِي وحسبني أبتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي، فأحتملوا هَوْدَجِي فراحلوه على بعيري الذي كنتُ ركبْتُ، وهم يحسبون أنني فيه، وكان النساءُ إذ ذاك خِفافاً لم يُثقلهنَّ اللحم، إنما تأكل اللَّقْمَةَ من الطعام، فلم يستنكر القوم خِفةَ الهودج حين رفعوه، وكنتُ جاريةً حديثة السنَّ، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدتُ عِقدِي بعدما استمرَّ الجيـش، فبُعثتُ منازلهم وأيس بها داج ولا محيِبٌ، فأمتُ منزلي الذي كنتُ به، وظننتُ أنهم سيفقدوني فيرجعون إلى، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمتُ، وكان صفوان بن المعطل السَّلميَّ ثم الذَّكوانيَّ من وراء الجيـش، فأدْجَلْ فأصبح عند منزلي، فرأى سوادَ إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رأيته، وكان يراني قبل الحجاب، فأستيقظتُ باسترجاعه حين عرفني، فخمرتُ وجهي بجلاببي، ووالله ما كُتِبَني كلمةٌ، ولا سمعتُ منه كلمةً غيرَ استرجاعه حتى أناخ راحلته، فوطئ على يدها فركبتها، فأنطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيـش

(١) الزيادة من البخاري . (٢) هي غزوة بني المصطلق من خزاعة .

(٣) الجزع : خرم معروف في سواده بياض كالعروق . وظفار : مدينة باليمن . ويروى « أظفار »

بالهمزة المفتوحة وسكون الظاء . (٤) اللقمة كفرة : القليل .

بعدهما نزلوا مُوعِرين^(١) في نحر الظهيرة ، فَمَلَكَ بَن هَلَك^(٢) — وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي بن سلول — فقَدِمْنَا المَدِينَةَ ، فَاشْتَكَيْتُ حينَ قَدِمْتُ شَهْرًا ، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ في قول أصحاب الإفك ، لَا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يربني في وجعي ؛ أَنِّي لَا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللُّطَفَ الذي كُنْتُ أرى منه حينَ أَشْكِي ، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم ينصرف ، فَذَلِكَ الذي يربني ، وَلَا أشعر بالشَّرِّ حتى نَحْرَجْتُ بعدمَا نَقَّهْتُ ، فَخَرَجْتُ مَعِي أُمُّ مِسْطَحَ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ — وَهُوَ مُتَبَرِّزًا — وَكُنَّا لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَتَّخِذَ الْكُفُوفُ قَرِيبًا مِنْ بَيْتِنَا ، وَأَمَرْنَا أَمْرَ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي التَّبَرُّزِ [قَبْلَ] الْغَائِطِ ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحَ ، وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رُحْمَ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَأُمُّهَا بِنْتُ صَخْرِ ابْنِ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَبْنَاهُ مِسْطَحُ بْنُ أَنَاثَةَ ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحَ قَبْلَ بَيْتِي قَدِ فَرَعْنَا مِنْ شَأْنِنَا ، فَعَزَّتْ أُمُّ مِسْطَحَ [فِي مِرْطَها]^(٣) ، فَقَالَتْ : تَعَسَ مِسْطَحُ ؛ فَقُلْتُ لَهَا : بئس ما قلت : أَتَسْبِيْنِ رَجُلًا قَدِ شَهِدَ بَدْرًا ؟ ! قَالَتْ : أَيْ هَتَاهُ ، أَوْ لَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ ؟ قَالَتْ قُلْتُ : وَمَا قَالَ ؟ فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي ، قَالَتْ : فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي ، وَدَخَلَ عَلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثُمَّ قَالَ : ” كَيْفَ تَيْكَمُ ؟ “^(٤) فَقُلْتُ : أَتَأْذِنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبُوتِي ؟ قَالَتْ : وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قَبْلِهِمَا ؛ قَالَتْ : فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِفَتْحِ أَبُوتِي ،

١٤٨
١٤

(١) موعرين : داخلين ، ونحر الظهر : هو حين تبلغ الشمس منهاها من الارتفاع .

(٢) أي بسبب الإفك . (٣) يربني (يفتح أوله وبضه) : أي يشككني ويوهمني .

(٤) زاد البخاري بعد هذا : » ثم يقول كيف تيكم ... الخ » .

(٥) الزيادة عن البخاري .

فقلت لأُمِّي : يا أُمَّتاه ، ما يتحدث الناس ؟ قالت : يا بُيْتِي ، هَوْنِي عليك ، فوالله لَقَلَّمَا كانت امرأة قَطُّ وضيئَةً عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أَكْثَرْنَ عليها ، قالت فقلت : سبحان الله ! ولقد تحدث الناس بهذا ؟ ! قالت : فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دَمْعٌ ، ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبت الوحي يستأمرهما في فراق أهله . قالت : فأما أسامة بن زيد ، فأشار علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله ، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الوُدِّ ، فقال : يا رسول الله ، أهلك وما نعلم إلا خيرا . وأما علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — فقال : يا رسول الله ، لم يُضَيِّقْ الله عليك ، والذناء سواها كثير ، وإن تسأل الجارية تصدقك . قالت : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بَرِيرَةَ ، فقال : ” أي بَرِيرَةَ ، هل رأيت من شيء يريبك “ ؟ قالت بَرِيرَةُ : لا والذي بعثك بالحق ، إن رأيتُ عليها أمرا أغمضه عليها ، أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عَجِينِ أهلها ، فتأتي الداجن فتأكله . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول ، قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر : ” يا معشر المسلمين ، من يعذرني من رجلٍ قد بلغني أذاه في أهل بيتي ! فوالله ما علمتُ على أهلٍ إلا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا ما علمتُ عليه إلا خيرا ، وما كان

(١) لا يرقأ : لا ينقطع . (٢) الوحي : بالرفع فاعل ؟ أي طال لبث نزوله ، وضبط

بالنصب على أنه مفعول به ؟ أي استبطأ النبي صلى الله عليه وسلم الوحي .

(٣) في الأصل : « كثيرون تسأل ... الخ » ، وما أثبتناه عن البخاري .

(٤) إن رأيت : ما رأيت . وأغمضه : أعياه .

(٥) الداجن : الشاة التي تألف البيوت ولا تخرج إلى المرعى .

(٦) من يعذرني : من يقوم بعذري إن كافأته على قبيح فعله ، ولا يلومني ! أي من ينصرتني ! .

- يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِ إِلَّا مَعِيَ“ . فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال : يا رسول الله ، أنا أعذرُك منه ؛ إن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخَزْرجِ أمرتَنا ففعلنا أمرَكَ . قالت : فقام سعد بن عبادة وهو سيّد الخَزْرجِ ، وكان قبيل ذلك رجلاً صالحاً ، ولكن احتملته الحِمْيَرة ^(١) . فقال لسعد : كذبت ، لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلْهُ ، وَلَا تَقْدِرْ عَلَى قَتْلِهِ ، وقام أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ — وهو ابن غم سعد — فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله لقتلته ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين . فتناور الحَيَّانُ : الأَوْسُ والخَزْرجُ حتى هَمُّوا أَنْ يَقْتُلُوا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ . قالت : فبكيتُ يومئذٍ ذلك لا يَرِيقُ لِي دَمْعٌ ، وَلَا أَكْتَحِلُ بَنُومٌ ، قالت : وأصبح أبوأي عندي ، وقد بكيت ليلتين ويوما لا أَكْتَحِلُ بَنُومٌ وَلَا يَرِيقُ لِي دَمْعٌ ، ١٠ يظنان أن البكاء فالق كَيْدِي ، فقالت : فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنتُ على امرأة من الأنصار فأذنتُ لها ، فجلست تبكي معي ، قالت : فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ، قالت : ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها ، وقد لبث شهراً لا يوحى إليّ في شأني ، قالت : فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ، ثم قال : ” أَمَا بَعْدُ يَا عَاشَةَ ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذْأً وَكَذْأً ، فَإِنْ كُنْتَ بِرِيْثَةٍ فَسِيرْكَ اللَّهُ ، وَإِنْ كُنْتَ أَلْمِيتَ بِذَنْبٍ ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتَوْبِي إِلَيْهِ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ “ . قالت : فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أَحْسُ مِنْهُ قَطْرَةً ، فَقُلْتُ لِأَبِي : أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا قَالَ ، قال : والله

(١) احتملته الحية : أي أغضبه . (٢) لعمر الله : أي وبقاء الله . ٢٠

(٣) يخفضهم : يسكنهم ، ويهون عليهم الأمر .

ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت لأُمِّي : أجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن : إني والله لقد علمت ؛ لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ، فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت بأمر الله يعلم أني بريئة منه لتصدقني ، والله ما أجد لكم مثلا إلا قول أبي يوسف ، قال : ﴿ قَصْبَرُ جَيْمِلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ . قالت : ثم تحولت فاضطجعت على فراشي ، قالت : وأنا حينئذ أعلم أني بريئة ، وأن الله يبرئني ببراءتي ، ولكن والله ما كنت أظن أن الله مُتَزَلٌّ في شأني وحيأيتلي ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا يبرئني الله بها . قالت : فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه ، فأخذه ما يأخذه من البرحاء ، حتى إنه ليتحدر منه مثلُ الجمان من العرق — وهو في يوم شاتٍ — من ثقل القول الذي ينزل عليه ، قالت : فلما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سرى عنه وهو يضحك ، فكانت أول كلمة تكلم بها : « يا عائشة ، أما الله فقد برأك » ، فقالت أُمِّي : قومي إليه ، قالت فقلت : والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل ، وأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا آكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ . لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ . لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ

(١) ما رام : أى ما فارق . (٢) البرحاء : العرق من شدة ثقل الوحى .

(٣) الجمان : القوثر .

فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ . وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ . إِذْ تَقَوُّوهُ بِالْعَنَتِ وَتَقُولُونَ يَأْفُواكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ . وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ . يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝ قَالَ

عائشة : فلما أنزل الله تعالى هذا في براءتي ، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقربائه وفقره : والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة — رضي الله عنها — ما قال ، فأنزل الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ ٢٢ ﴾ . قال أبو بكر رضي الله عنه : بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي ، فرجع

إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبدا . قالت

عائشة : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمري

فقال : ” يا زينب ، ماذا علمت أو رأيت ؟ ” ، فقالت : يا رسول الله ، أحمي

سمعي وبصري ، ما رأيت إلا خيرا ، قالت : وهي التي كانت تُسأمني من أزواج

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعصمها الله بالورع ، وطَفِقت أختها حمنة تحارب

لها ، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك . انتهى حديث البخاري .

(١) سورة النور ١١ — ٢٠ (٢) سورة النور ٢٢

(٣) قساميني : أي تضاهيني ، وتفاخرني بها لها ومكاتها عند النبي صلى الله عليه وسلم .

وروى أبو محمد عبد الملك بن هشام بسنده إلى عروة بن الزبير ، وعبد الله
 ابن عبد الله بن عتبة ، وعبد الله بن الزبير ، وعمره بنت عبد الرحمن ، كلهم يحدث
 عن عائشة — رضى الله عنهم — بنحو هذا الحديث ، وزاد فيه من قول أسامة
 ابن زيد ، فأثنى خيرا ، وقاله ؛ ثم قال : يا رسول الله ، أهلك ولا نعلم إلا خيرا ،
 وهذا هو الكذب والباطل . قال : وأما على بن أبي طالب فإنه قال : يا رسول الله ،
 إن النساء لكثير ، وإنك لقادر على أن تستخلف ، وأسأل الجارية فإنها ستصدقك .
 قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة لیسألها ، فقام إليها على بن أبي طالب
 فضربها ضربا شديدا ، وقال : أصدقي رسول الله . وساق نحوه ما تقدم .
 وقال في خبر الوحي : قالت فوالله ما يرح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه
 حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه ، فسجى بثوبه ، ووُضعت له وسادة من آدم
 تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت ما رأيت فوالله ما فزعْتُ ولا باليتُ ؛ قد عرفت
 أنى منه بريئة ، وأن الله غير ظالمى ، وأما أبواى ، فوالذى نفس عائشة بيده ،
 ما مررتُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننتُ لتخرجن أنفسهما فرقا من
 أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس . وساق الحديث بنحو ما تقدم . ثم قال : قالت
 ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل عليه
 من القرآن في ذلك ، ثم أمر بمسطح بن أثانة ، وحسان بن ثابت ، وحننة بنت
 جحش ، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضرَبوا حذم ؛ فقال رجل من المسلمين
 في ذلك :

لقد ذاق حسان الذى كان أهله * وحننة إذ قالوا هجيراً ومسطحاً^(١)
 تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم * ومخططة ذى العرش الكريم فأتروا^(٢)

(١) الهجير : الفحش من القول . (٢) الرجم : الظن ، وأتروا : أجزوا .

وَأَذَرُوا رَسُولَ اللَّهِ فِيهَا بِخُلُوتِهَا * نَحَاذَى تَبَقَى عُمُومُهَا وَفُضِّحُوا
 وَصَبَّتْ عَلَيْهِمْ مُحْصَدَاتُ كَأَنهَا * شَايِبُ قَطْرِ مِنْ دُرَى الْمُزْنِ تَسْقَحُ^(١)
 وحكى أبو عمر بن عبد البر في ترجمة مسطح — وهو عوف بن أئانة بن عباد
 ابن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي ، وأمه سلمى بنت صخر بن عامر
 خالة أبو بكر الصديق . قال : وذكر الأُموي عن أبيه عن ابن إسحاق قال قال
 أبو بكر يذكر مسطحا :

يَا عَوْفُ وَيْحَكَ هَلَّا قَلْتَ عَارِفَةً * مِنْ الْكَلَامِ وَلَمْ تُنْجِ بِهَا طَمَعًا
 وَأَدْرَكَكَ حُمَيَّا مَعْشَرِ أَنْفٍ * وَلَمْ تَكُنْ قَاطِعًا يَا عَوْفُ مِنْ قِطْعَا
 هَلَّا حَرَبْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ إِذْ حَسَدُوا * فَلَا تَقُولُ وَلَوْ عَايَنْتَهُ قَدْعَا
 لِمَا رَمَيْتَ حَصَانًا غَيْرَ مُقْرِفَةٍ * أَمِينَةَ الْجَبِيبِ لَمْ نَعْلَمْ لَهَا خَضْعَا
 فِيمَنْ رَمَاهَا وَكُنْتُمْ مَعْشَرًا أَفْكَا * فِي سَيِّءِ الْقَوْلِ مِنْ لَفْظِ الْخَنَاءِ شَرًّا
 فَأَنْزَلَ اللَّهُ وَحْيًا فِي بَرَاءَتِهَا * وَبَيْنَ عَوْفٍ وَبَيْنَ اللَّهِ مَا صَنَعَا
 فَإِنْ أَعِشْ أَجْزِ عَوْفًا عَنْ مَقَاتِلِهِ * شَرَّ الْجَزَاءِ إِذَا أُلْفِيَتْهُ تَبَعَا

ولعل هذا الشعر إن صح عن أبي بكر فيكون قاله قبل نزول قوله تعالى :
 ﴿ وَلَا يَأْتِلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ ﴾ الآية . فإنه قد صح أن أبا بكر قال عند نزولها :
 والله إني أحب أن يغفر الله لي ، ورجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ،
 وقال : والله لا أنزعها عنه أبدا .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني أبي إسحاق بن يسار عن بعض رجال بني النجار :
 أن أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أم أيوب : ألا تسمع ما يقول

(١) محصدات : يعني سياطا محكمة القتل شديداً . شاييب : جمع شوبوب ، وهو الدفعة من
 المطر . والذرى : الأعلى . وتسفح : تسيل .

الناس في عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب ، أكنيت يا أم أيوب فاعلة ؟ قالت : لا والله ما كنيت لأفعله ؛ قال : فعائشة والله خير منك . فلما نزل القرآن بذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال أهل الإفك ، ثم قال : ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ ، أي فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبته .

قال ابن إسحاق : وكان حسان بن ثابت قال شعرا يعرض فيه بصفوان بن المعطل ، فأعرضه صفوان فضر به بالسيف ، ثم قال :

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنْكَ فِإِنِّي * غَلَامٌ إِذَا هُوَ جِئْتُ لَسْتُ بِشَاعِرٍ

فوثب ثابت بن قيس بن شماس على صفوان بن المعطل حين ضرب حسان فجمع يديه إلى عنقه بجبل ، ثم أنطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج ، فلقيه عبد الله بن رواحة فقال : ما هذا ؟ قال : أما أعجبك ^(١) ! ضرب حسان بالسيف والله ما أراه إلا قد قتله ؛ فقال له عبد الله بن رواحة : هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء مما صنعت ؟ قال : لا والله ؛ قال : لقد آجرت ، أطلق الرجل ، فأطلقه ،

ثم أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا ذلك له ، فدعا حسان وصفوان ، فقال صفوان : يا رسول الله ، آذاني وهجاني ، فحملني الغضب فضربته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” يا حسان ، آتَشَوَهْتَ ^(٢) على قومي أن يهدهم الله الإسلام ؟ ” ثم قال : ” أَحَسِنْ يا حسان في الذي قد أصابك ” ، قال : هي لك ؛ فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوضا عنها يبرحا — وهي قصر بنى حُدَيْلَةَ — كانت مالا لأبي طلحة وتصدق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه حسان في ضربته ، وأعطاه

(١) قال السبيل : « معناه أما جعلك تعجب ، تقول عجب من الشيء وأعجبنى الشيء . إذا كان ذلك

العجب من مكروه أو محبوب » . (٢) آتَشَوَهْتَ على قومي : أفبعت ذلك من فعلهم حين سميتهم بالجلالين من أجل هجرتهم إلى الله ورسوله .

سيرين — أمة قِطِيَّة — فولدت له عبد الرحمن بن حسان . قال : وكانت عائشة رضى الله عنها تقول : لقد سُئِلَ عن ابنِ المعطل فوجدوه رجلا حَصُورًا ما يأتى النساء ، ثم قُتِلَ بعد ذلك شهيداً رضى الله عنه .

وقال حسان بن ثابت يعتذر من الذى كان منه فى شأن عائشة أم المؤمنين

رضى الله عنها :

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزِنُ بَرِيَّةً * وَتُصْبِحُ غَرَقَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ ^(١)

عَقِيلَةٌ حَتَّى مِنْ لُؤَى بْنِ غَالِبٍ * كِرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرِ زَائِلِ ^(٢)

مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خِيَمَهَا * وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ ^(٣)

فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُ * فَلَا رَفْعَتْ سَنَوطِي إِلَى أَنَامِلِي

وَكَيْفَ وَوَدِدْتُ مَا حَيَّيْتُ وَنُصِرْتُ * لَأَلِ رَسُولَ اللَّهِ زَيْنَ الْحَافِلِ ^(٤)

لَهُ رَبُّ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ * تَقَاصَرَ عَنْهَا سَوْرَةُ الْمُتَطَاوِلِ ^(٥)

فَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَائِطٍ * وَلَكِنَّهُ قَوْلُ أَمْرِي بِي مَاحِلِ ^(٦)

وقد روينا عن البخارى رحمه الله بالإسناد المتقدم ، قال : حدثنا محمد بن

يوسف ، قال : حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة

١٥ (١) الحصان : العفيفة . الرزان : الملازمة موضعها ، التى لا تنصرف كثيراً . ما زن : أى ما نتم . غزنى : جائنة . الغوافل : جمع غافلة ؛ أى لا ترفع فى أعراض الناس .

(٢) العقيلة : الكريمة . المساعى (جمع مسعاة) : وهو ما يسعى فيه من طلب المجد والكرم .

(٣) الخيم : الطبع والأصل . (٤) السورة : المنزلة ، والرتبة .

(٥) اللائط : اللاحق واللازق . (٦) كذا فى الأصل ، والذي فى ديوان حسان :

* بها الدهر بل قول امرئى بى ماحل *

الماحل المشاء بالنميم .

رضى الله عنها قالت : جاء حسان بن ثابت يستأذن عليها ، قلت : أأأذنن لهذا ؟
قالت : أوليس قد أصابه عذاب عظيم ؟ قال سفيان : تعنى ذهاب بصره ، فقال :
حَصَانُ رَزَانٌ مَا تُرْنُ بِرَيْسَةٍ * وَتُصْبِحُ غَرَّتِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ
قالت : لكن أنت^(١) .

وعن مسروق أيضا قال : دخل حسان على عائشة فشَبَّ فقال :
حَصَانُ رَزَانٌ البيت . قالت : لست كذلك ، قلت : تدعين هذا يدخل
عليك وقد أنزل الله : ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ ﴾ ؟ قالت : وأى عذاب أشد من العمى !
وقد كان يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر خبر التيمم

من أهل العلم من ذهب إلى أن آية التيمم أنزلت في غزوة المريسيع^(٢) ، ومنهم
من ذهب إلى أنها أنزلت في غيرها . روى أبو عبد الله محمد البخاري رحمه الله بسنده
عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء — أو بذات الجيش — آنفطع عِقدلى ،
فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه ، وأقام الناس معه وليسوا على ماء ،
فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا : ألا ترى ما صنعت عائشة ؟ أقامت
برسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ، وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء . فجاء
أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام ، فقال :

(١) إشارة إلى أنه أغتابها في قصة الإفك .

(٢) المريسيع : ماء لى نخاعة بينه وبين الفرج (بضم الفاء والراء) مسيرة يوم ، وهذه الغزوة

هى غزوة بنى المصطلق . (المواهب) .

حَبَسَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسَ ، وَلِيسُوا عَلَى مَاءٍ ، وَلِيسَ مَعَهُمْ مَاءٌ !
فَقَالَتْ عَائِشَةُ : فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ ، وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ، وَجَعَلَ يَطْعَنُنِي بِيَدِهِ
فِي خَاصِرَتِي ، فَلَا يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى
نَفْذِي ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ
التَّيَمُّمِ فَيَتِمُّوْا ، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الْحَضِيضِ : مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ .
قَالَ : فَبِعَنَّا الْبَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ ، فَأَصْبَحْنَا الْعَقْدَ تَحْتَهُ .

١٥٢
١٤

(١) حوادث السنة السادسة

فِيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَبَيْعَةُ الرِّضْوَانِ ، وَهُدْنَةُ قُرَيْشٍ ، عَلَى مَا نَذَرَ
ذَلِكَ كُلَّهُ فِي الْغَزَوَاتِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَفِيهَا حَقَّطَ النَّاسُ ، فَاسْتَسْقَى رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَسُقُوا ، وَفِيهَا هَاجَرَتْ أُمُّ كَلثُومَ .

ذِكْرُ هَجْرَةِ أُمِّ كَلثُومَ بِنْتِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَجْرَةِ النِّسَاءِ

لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، بَعْدَ أَنْ حَلَّتِ
الْهُدْنَةُ ، وَتَقَرَّرَتِ الْقَضِيَّةُ ، وَكَانَ فِيمَا وَقَعَ عَلَيْهِ الصُّلْحُ : أَنَّهُ مِنْ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قُرَيْشٍ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلَيْتَهُ رَدَّهُ إِلَيْهِمْ ، وَرَدَّ مِنْ رِجَالِ
الْمُسْلِمِينَ ، عَلَى مَا نَذَرَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي الْغَزَوَاتِ . ثُمَّ هَاجَرَتْ أُمُّ كَلثُومَ بِنْتُ
عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ ، فَخَرَجَ أَخَوَاهَا
عُمَارَةُ وَالْوَلِيدُ ، أَبْنَا عُقْبَةَ ، حَتَّى قَدَمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلَانِهِ أَنْ
يَرُدَّهَا عَلَيْهِمَا بِالْعَهْدِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ

(١) فِي الْأَصْلِ : « النَّالَةُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

أَنْزَلَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ
بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا مِنْ حِلٍّ لِهِنَّ وَلَا لَهُمْ
يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُفَّارِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَ
حُكْمُ اللَّهِ يُحْكِمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ
فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ^(١) ،
فمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء لذلك ، وأمر برّد صدقاتهن إليهم إن هم
ردّوا على المسلمين صدقات من حبسوا عنهم من نساءهم .

قال ابن إسحاق : ولما أنزل الله تعالى قوله : ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُفَّارِ ﴾ ،
كان ممن طلق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، طلق امرأته قريّة ابنة أبي أمية
ابن المغيرة ، فترجّعها بعده معاوية بن أبي سفيان ، وأتم كلثوم بنت جبرول أم عبيد الله
ابن عمر الخزاعية ، فترجّعها أبو جهّم بن حذيفة بن غانم ، وكانوا إذ ذاك على
شركهم . والله أعلم .

[حوادث السنة السابعة ^(٢)]

فيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وصفيّة
بنت حيّ بن أخطب ، وميمونة بنت الحارث الهلالية . وفيها أسلم أبو هريرة — وأسمه
في الجاهلية عُمير بن عامر بن عبد ذى الشرى ، وفي الإسلام عبد الرحمن بن صخر
الدؤسي ، وأسماءه كثيرة بحسب ما ورد من اختلاف أقوال الرواة ، وقد صحّحوا
مأذكرناه ، والله أعلم — وعمران بن حصين . وفيها حرّمت الحُرّ الأهلية ، ومُنّعت النساء

على ما نذكر ذلك إن شاء الله في غزوة خيبر . وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الرُّسل إلى الملوك ، وقدم حاطب بن أبى بلتعة من عند المذقوقس بمارية بنت شمعون القبطية أم إبراهيم عليه السلام وأختها شيرين . وفيها قدم جعفر بن أبى طالب ومن كان قد بقى من المهاجرين بأرض الحبشة ، وقد تقدم ذكرهم .

حوادث السنة الثامنة

فيها ولد إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مارية . وفيها توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيها وهبت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم يومها لعائشة رضى الله عنها حين أراد طلاقها . وفيها عمل منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخطب عليه .

١٥٣
١٤

ذكر اتخاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر وخطبته عليه

روى محمد بن سعد فى طبقاته الكبرى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إلى جذع فى المسجد قائما ، فقال : " إن القيام قد شق على " ، فقال له تميم الدارى : ألا تعمل لك منبرا كما رأيت يصنع بالشام ؟ ، فشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين فى ذلك ، فأروا أن يتخذوه ، فقال العباس بن عبد المطلب : إن لى غلاما يقال له كلاب أعمل الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مره أن يعمل " ، فأرسله إلى أنلة بالغابة فقطعها ، ثم عمل منها درجتين ومقعدا ، ثم جاء به فوضعه فى موضعه [اليوم] ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عليه وقال : " منبرى هذا على ترعة من ترع الجنة ، وقوائم منبرى رواتب فى الجنة " . وعن سهل بن سعد

(١) الزيادة من ابن سعد .

وقد سئل عن مَثْبُور رسول الله صلى الله عليه وسلم من أى عُود هو ؟ فقال : أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلانة - امرأة سماها - فقال : "مُرِّي غلامك النجار يعمل لى أعوادا أكلّم الناس عليهما"، فعمل هذه الثلاث درجات من طُرُقَاء الغابة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضعه فى هذا الموضع . وقد رُوى عن باقُوم الرومى أنه قال : صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم منبرا من طرفاء ، ثلاث درجات : القعدة ودرجتيه ؛ رواه عنه صالح مولى التَّوَمَةِ . ^(١) حكاه أبو عمر فى ترجمة باقُوم . ولما آتتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه كان من حنين الخُذَع ما نذكره إن شاء الله تعالى فى معجزاته صلى الله عليه وسلم .

وفى هذه السنة أسلم عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وعثمان بن طلحة ، على ما نشرح ذلك .

ذكر إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة

كان سبب إسلامهم على ما حكاه محمد بن إسحاق بسنده يرفعه إلى عمرو بن العاص ، قال عمرو : لما أنصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعتُ رجالا من قريش كانوا يرون رأيت ، ويسمعون منى ، فقلت لهم : تعلّموا والله أنى أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً مُنكرا ، وإنى قد رأيت أمرا فاسترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن تلحق بالنجاشى فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كما عند النجاشى ، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدى محمد ، وإن ظهر قومنا فتحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير . قالوا : إن هذا

(١) التَّوَمَةُ : هى بنت أمية بن خلف الجهمى ، وإنا قيل لها : التَّوَمَةُ لأنها كانت معها أخت لها

فى بطن . (انظر أسد الغابة) .

لرأى، قلت : فاجمعوا ما يهدى له ، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم ،
 بجمعنا أدمًا كثيرًا ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه . فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن
 أمية الضمري ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر
 وأصحابه ، قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده ، فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن
 أمية ، ولو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت
 ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها ، فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع ،
 فقال لي : مرحباً بصديقي ، أهديت لي من بلادك شيئاً ؟ قلت : نعم أيها الملك ، قد
 أهديت لك أدمًا كثيرًا ، ثم قربته إليه فأعجبه ، ثم قلت له : أيها الملك ، إني قد
 رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدولنا ، فأعطينه لأقتله ، فإنه قد
 أصاب من أشرافنا وخيارنا ، قال : ففضض ، ثم مديده فضرب بها أنفه ضربة
 ظننت أنه قد كسره ، فلو أنشقت الأرض لدخلت فيها فرقاً منه ، ثم قلت له :
 أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك ، قال : أتسألني أن أعطيك
 رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى صلى الله عليه وسلم لثقلته !
 فقلت : أيها الملك ، أكذاك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو ، أظنني وأتبعه ، فإنه والله
 لعل الحق ، وليظهرن على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، قال :
 قلت : أفتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فيسط يده فبايعته على الإسلام ،
 ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكنتمهم إسلامي .

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقيت خالد بن الوليد
 وهو مقبل من مكة ، فقلت : إلى أين يا أبا سليمان ؟ فقال : لقد استقام المنيم ،
 (١)

٢٠ (١) استقام المنيم : معناه تبين الطريق ووضح ، وفي الأصل : « المنيم » وفي ابن هشام « المنيم »
 والتصويب عن الخشني ، وابن الأثير .

وإن الرجل لنبيّ، أذهب والله فأسلم فحتى متى ! قال قالت : والله ما جئتُ إلا لأسلم، قال : فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت فقلت : يا رسول الله، إني أبايعك على أن يُنقَر لي ما تقدّم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر، فقال : ” يا عجمو : بايع، فإن الإسلام يجب ما كان قبله، وإن الهجرة تُحب ما كان قبلها “، فبايعت ثم أنصرفت .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أنهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما فأسلم حين أسلما .

حوادث السنة التاسعة

ففيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسائه، وأقسم ألا يدخل عليهن شهرا . وكان سبب الإبلاء ما رواه البخاريّ بسنده عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبّ العسل والحلواء، وكان إذا أنصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهنّ، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس ففترت، فسألت عن ذلك فقيل لي : أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل، فسقت النبيّ صلى الله عليه وسلم منه شربة، فقلت : أما والله لنحتالن له، فقلت لسودة بنت زمعة : إنه سيدنو منك، فإذا دنا منك فقولِي له : أكلت مغافير، سيقول لك : لا، فقولِي له : ما هذه الریح التي أجده ؟ فإنه سيقول لك : سقنتي حفصة شربة عسل، فقولِي له : جرسيت نخله الرُفْطَ، وسأقول ذلك، وقولِي أنت يا صفية ذلك، قالت : تقول سودة فوالله ما هو إلا أن قام على

(١) يجب : يقطع ويحرق . (٢) جرسيت : أكلت؛ يقال للنخل الجوارس، والمرفط :

شجر الطلح، وله صمغ كريح الرائحة، فإذا أكلته النحل حصل في عسلها من ريحها .

الباب فأردت أن أبأدنه بما أمرتني به فرَّقاً منك . ومن رواية مسلم — قالت تقول سودة : فوالذي لا إله إلا هو لقد كدَّتُ أبأدنه بالذي قلت لي ، وإنه لعلى الباب فرَّقاً منك . قال البخاري : فلما دنا منها قالت له سودة : يا رسول الله ، أكلت مغافير؟ قال : " لا " قلت : فها هذه الرِّيح التي أجِد منك ؟ قال : " سَقَنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَل " ^(١) قالت : جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُط ، فلما دار إلى قلت له نحو ذلك ، فلما دار إلى صفة قالت له مثل ذلك ، فلما دار إلى حَفْصَة قالت له : ألا أسقيك منه ؟ قال : " لا حاجة لي فيه " ^(٢) قالت : تقول سودة والله لقد حرَّمناه ، قلت لها : أسكتي . وفي رواية عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب عسلا عند زينب بنت جحش ، ويمكث عندها ، فتواطأت أنا وحَفْصَة على أبتنا دخل عليها فلنقل له : أكلت مغافير ، إني أجِد منك رِيح مغافير ، قال : " لا ، ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش فلن أعود له ، وقد جلفت لا تخبري بذلك أحداً " ، فأنزل الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ^(٣) .

وروى مسلم بن الحجاج في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ،

١٥ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : كُنا معشر قريش قوما تغلب النساء ، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم ، فطَفِق نساؤنا يتعلمن من نساؤهم ، وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي ، فتغضبت يوماً على أمرأتي ، فإذا هي تُراجعتني ، فأنكرت أن تراجعني ، فقالت : ما تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنّه ، وتهجره إحداهنّ اليوم إلى الليل ، فأنطلقت فدخلت

٢٠ (١) حرّمناه : منعناه من العسل . (٢) قلت لها أسكتي : أي قالت السيدة عائشة لسودة أسكتي ؛ لئلا يظهر ما ذبّره لحفصة . (٣) سورة التحريم آية ١

على حفصة فقلت : أتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : نعم [فقلت :
أتهجره إحدانا كن إلى الليل ؟ قالت : نعم ، فقلت ^(١)] : قد خاب من فعل ذلك منك
وخسر ، أفتأمن إحدانا أن يغضب الله عليها لغضب رسوله صلى الله عليه وسلم ؟
فإذا هي قد هلكت ، لا تراجعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيئا ،
وسليني ما بدا لك ، ولا يفترق أن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم منك ، يريد عائشة .

١٥٥

١٤

ومن رواية البخارى قال : خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرايتي منها
فكلمتها ، فقالت أم سلمة : عجباً لك يا بن الخطاب ! دخلت في كل شيء حتى
تبغى أن تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه ، فأخذتني والله أخذاً
كسرتني عن بعض ما كنت أجده ، فخرجت من عندها .

رجعنا إلى حديث مسلم — قال عمر : وكان لى جار من الأنصار فكنا تتناوب
التزول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيترى يوماً ، وأنزل يوماً ، فيأتيني بخبر
الوحي وغيره ، وآتيه بمثل ذلك ، وكنا نتحدث أن غسان تُعمل الخليل ليعزونا ،
فترى صاحبي ، ثم أتاني عشاء فضرب بابي ، ثم ناداني فخرجت إليه ، فقال : حدث
أمر عظيم ، فقلت : ماذا ، أجاءت غسان ؟ قال : لا ، بل أعظم من ذلك وأطول ،
طَلَّقَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم نساءه ، فقلت : قد خابت حفصة وخسرت ، وقد
كنت أظن هذا كائناً ، حتى إذا صليت الصبح شددت على نياي ، ثم نزلت
فدخلت على حفصة وهي تبكي ، فقلت : أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
فقالت : لا أدري ، ها هو ذا معتزل في هذه المشربة ، فأتيت غلاماً له أسود
فقلت : أستاذ لعمر ، فدخل ثم خرج إلى فقال : قد ذكرتك له فصمت ، فاناطلقت

(١) الزيادة من صحيح مسلم ج ٤ : ١٩٣ . (٢) في سلم : « لتعزونا » .

حتى آتيتُ إلى المنبر فخلصتُ ، فإذا عنده رهطٌ جلوس يبكي بعضهم ، فخلصت قليلا ثم غلبني ما أجد ، ثم أتيتُ الغلام فقلت : أستاذنُ لعمر ، فدخل ثم خرج إلى ، فقال : قد ذكرتُك له فصمتَ ، فوَلَّيتُ مدبرا ، فإذا الغلام يدعوني ، فقال : أدخل فقد أذن لك ، فدخلتُ فسألتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو مُتَّكِئٌ على رَمْلٍ حَصِيرٍ ^(١) قد أترَفَ جنبه ، فقلت : أطلقت يا رسول الله نسائك ؟ فرفع رأسه إلى وقال : ” لا “ قلت : الله أكبر ، لو رأيَنتُنا يا رسول الله ، وكنا معشر قريش قوما نغلب النساء ، فلما قَدِمْنَا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم ، فطَفِقَ نساؤُنا يتعلمن من نساءهم ، فتَغَضَّبْتُ على أمرأتِي يوما فإذا هي تراجعتني ، فانكرتُ أن تراجعتني ، فقالت : ما تُنكر أن أراجعتك ؟ فوالله إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل ، فقلت : قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر ، أفأمن إحداهن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله صلى الله عليه وسلم فإذا هي قد هلكت ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، قد دخات على حفصة فقلت : لا يُفْرَنِك أن كانت جارَتِكَ هي أَوْسَمُ مِنْكَ وأحبُّ إلى رسول الله منك ، فتبسم أخرى .

ومن رواية البخاري — قال عمر : فقصصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث ، فلما بلغت حديث أُمِّ سَلَمَةَ تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر التَّبَسُّمَ فيما قبلها .

قال مسلم في حديثه : فقالت أستاذن يا رسول الله ؟ قال : ” نعم “ فخلصتُ فرفعتُ رأسي في البيت ، فوالله ما رأيت فيه شيئا يرَدُّ البصر

(١) رمل حصير : فسجة ، ليس له وطأ سواه .

(٢) المراد بهذه الكلمة الاستئذان في الأنس والمحادثة ، كما يستفاد من الترح .

إلا أهبا ثلاثة^(١)، فقلت : أَدع الله يا رسول الله أن يُوسِّعَ على أمتك ، فقد وسَّعَ على فارس والروم وهم لا يعبدون الله ، فاستوى جالسا ثم قال : ” أفى شك أنت يا ابن الخطاب ، أولئك قوم مُجَلَّت لهم طبائهم في الحياة الدنيا ” فقلت : أَسْتَغْفِرُكَ يا رسول الله ، قال : وكان أقسم ألا يدخل عليهن شهرا من شدة مَوَاجِدته^(٢) عليهن حتى عاتبه الله عز وجل .

وعن عُروَة عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما مضى تسع وعشرون ليلة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم — بدأ بى — فقلت : يا رسول الله ، إنك أقسمت ألا تدخل علينا شهرا ، وإنك دخلت من تسع وعشرين ، أعدهن ؟ فقال : ” إن الشهر تسع وعشرون ” ثم قال : ” يا عائشة ، إني ذا كرك أمرأ فلا عليك ألا تعجلي حتى تستأمرى أبويك ” ثم قرأ على الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ ﴾ حتى بلغ ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(٣) فقالت عائشة : قد علم والله أن أبوى لم يكونا ليأمرانى بفراقه ، فقلت : أوفى هذا أستامر أبوى ؟ فإنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة . وفيها هدم رسول الله مسجد الضرار .

ذكر خبر مسجد الضرار وهدمه ومن آتخذه من المنافقين

وكان هدم مسجد الضرار عند مُنْصَرَف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك ، وكان أصحابه الذين بنوه اثنى عشر رجلا : وهم خذام بن خالد ومن داره نخرج ، وثعلبة بن حاطب ، ومُعْتَب بن قُشَيْر ، وأبو حبيصة بن الأزرع ، وعباد ابن حنيفة ، وجارية بن عامر ، وأبناء مجع وزيد ، وتبثل بن الحارث ، وبمخرج من بنى ضبيعة ، ومجاد بن عثمان من بنى ضبيعة ، ووديعة بن ثابت ، فانوا رسول الله

(١) الأهب : الملبود . (٢) الموجدة : الغضب . (٣) سورة الأحزاب آية ٢٨ — ٢٩

صلى الله عليه وسلم وهو يَجْهَرُ إِلَى تَبُوكَ ، فقالوا : يا رسول الله ، قد بنينا مسجدا
لدى الْعِلَّةِ والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا فصلى لنا
فيه ، فقال : ” إني على جَنَاحِ سَفَرٍ وحال شغل — أو كما قال صلى الله عليه وسلم —
ولو قد قَدِمْنَا إن شاء الله تعالى لأتيناكم فصلينا لكم فيه “ فلما أقبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من غزوة تَبُوكَ نزل يَدِي أَوَّانٍ — بلد بينه وبين المدينة ساعة
من نهار — أنه أخبر المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدُخُثُمِ
أخا بني سالم بن عوف ، ومعن بن عدى ، أو أخاه عاصم بن عدى ، فقال :
” أنطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فأهدماه وحرّاه “ فخرجا سريعين حتى أتيا
بني سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدُخُثُمِ ، فقال مالك لمعن : أنظرني حتى
أخرج إليك بنار من أهلي ، فدخل إلى أهله فأخذ سَعَفًا من النخل فاشعل فيه نارا ،
ثم [خرجا] ^(١) يَشْتَدَانِ حتى دخلاه وفيه أهله فخرّاه وهدماه وتفرّقا عنه ، ونزل
فيهم من القرآن قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضُرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ
الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا
الْحُسْنَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ
أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ .
أَمَّنْ أَسَّسَ بَنِيانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرًا مِّنْ أَسَّسَ بَنِيانَهُ عَلَى شَفَا
جُرْفٍ هَارٍ فَأَنهَارُ يَهْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ
الَّذِي بَنَوْا رِيسَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .
وفيها لَاعَنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين العَجَلَانِ وبين أمرأته في مسجده
بعد صلاة العصر في شعبان ، وكان عويمر قدِمَ من تَبُوكَ فوجدوها حُبْلَى . وفي سؤال منها

٢٠

مات عبد الله بن أبي بن سلول المنافق، وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يصل بعدها على منافق؛ لقوله تعالى : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ ^(١) الآية .

وفيهما ماتت أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيها تمي رسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي في اليوم الذي مات فيه بالحبيشة ، قيل : في شهر رجب . وفيها أسلم كعب بن زهير . والله أعلم بالصواب .

ذكر إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى وأمه داحه

رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان سبب إسلامه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أنصرف عن الطائف كتب أخوه جبير بن زهير إليه يخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل رجلاً بمكة ممن كان يهجوهم ويؤذيه، وأن من بقي من شعراء قريش كأبن الزبعرى، وهبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً، وإن أنت لم تفعل فأتج إلى تجائك من الأرض . وكان كعب قد كتب إلى أخيه جبير لما بلغه إسلامه :

أَلَا أَلَيْغَا عَنِّي بِجُبَيْرٍ رِسَالَةٌ * فهل لك فيما قلتَ ويحك هل لك؟
شربت مع المأمون كأساً رويةً * فأنهك المأمون منها وعلكاً ^(٢)
وخالفت أسباب الهدى وأتبعته * على أي شئٍ ويب غيرك ذلكا ^(٣)
على خلقي لم تُلِفَ أمّا ولا أباً * عليه ولم تدرك عليه أحاً لكاً

(١) سورة التوبة ٨٤ (٢) المأمون : يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت قريش تسميه المأمون والأمين . والنبل : الشرب الأول ، والعلل : الشرب الثاني .

(٣) ويب غيرك : وييم غيرك .

ويروي :

على خُلُقِي لم تُنْفِ يوماً أباه * عليه وما تُنْفِي عليه أباً لكَا
فإن أنت لم تفعل فليست بأسيف * ولا قائل إماً عثرت : لَمَّا لَكَا!

١٥٧
١٤

وبعث بها إليه ، فلما أنت مُجَيَّرَا كره أن يكتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لما سمع ^(٢)] قوله « سفاك بها المأمون » : ” صَدَق وإنه لكذوب ، [أنا المأمون ^(٢)] ” ولم يسمع قوله « على خُلُقِي لم تُنْفِ أمّا ولا أباً عليه » قال : ” [أجل ^(٢)] لم يُنْفِ عليه أباه ولا أمه ” فكتب يُجَيِّرُ إلى كعب :

مَنْ مُنْبِغٌ كُتِبَ فُهَلْ لَكَ فِي الَّتِي * تَلُومُ عَلَيْهَا بَاطِلًا وَهِيَ أَحْرَمُ
إِلَى اللَّهِ لَا الْزَى وَلَا اللَّاتِ وَحَدَهُ * فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النَّجَاءُ وَتَسْلَمُ

لدى يوم لا يُنْجُو وليس يُنْقَلِيت * من الناس إلا طاهر القلب مُسْلِمُ
فَدَيْنُ زُهَيْرٍ وَهُوَ لَا شَيْءَ دَيْنُهُ * وَدَيْنُ أَبِي سُلَيْمٍ عَلَى مُحَرَّمُ

قال : فلما بلغ كعباً كتاب أخيه ضاقت به الأرض ، وأشفق على نفسه ، وأرجف به من كان في حاضره من عَدُوِّهِ ، فقالوا : هو مقتول ، فقال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر فيها خوفه ، وإرجاف الوُشَاة به من عَدُوِّهِ ، وخرج حتى قدم المدينة ، فترل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جُهينة ، فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح فصلّى معه ، ثم أشار الجُهَنِيُّ لكعب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه ، فقام حتى جالس إليه ، فوضع يده في يده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) لما : كلمة يقال لمن عثر ، دعاء له أن يتعش من سقطته . (٢) الزيارات من ابن هشام ،

والذي في شرح الديوان للسكري : ” صدق ! أنا المأمون ، وإنه لكاذب ” . (٣) حاضره : حبه .

لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نعم " فقال : أنا يا رسول الله كعب بن زهير ، فوثب رجل من الأنصار وقال : يا رسول الله ، دعني وعدو الله أضرب عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " دعه عنك ، فإنه قد جاء تائباً نازعاً " . قال : فغضب كعب على هذا الحى من الأنصار لما صنع به صاحبهم ، وأنشد كعب قصيدته ، وهى :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * متم عندها لم يحز مكبول^(٢)
وما سعاد غداة البين إذ برزت * إلا أغن غيض الطرف مكحول^(٣)
هيفاء مقيلة عجزاء مذرة * لا يشكى قصر منها ولا طول^(٤)
تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت * كأنه منهل بالراح معلول^(٥)
شجت بذي شيم من ماء مخينة * صاف يبطح أضحى وهو مشمول^(٦)
تنفى الرياح القذى عنه وأفرطه * من صوب غادية ييض بعاليل^(٧)

(١) نازعاً : أى ما تلا إلى الإسلام ، أو كانا عن الشرك .

(٢) بانت : فارقت . متبول : غلبه الحب وحمه . متم : ذلله الحب . مكبول : مقيد . يروى : « لم يقد » : من القداء . ولم يحز من الجراء .

(٣) البين : الفراق . ويرى : « غداة البين إذ رحلوا » . والأغن : الذى فى صوته غنة . وغضيض الطرف : فافر الطرف ، أراد التشبيه . (٤) الهيف : ضمير البطن ورقة الخاصرة . (٥) العوارض : الأسنان ما بين الثنية والفرس . والظلم : ماء الأسنان وبريقها . ومنهل : قد أنهل بالراح : الخمر ، والهلل : أول شربة . والمعلول : قد سقى مرتين ، والعال : الشرب الثانى . (٦) شجت : مزجت بالماء . والشيم : الماء البارد . المخينة : منعطف الرادى . الأبطح : مسيل واسع فيه دفاق الحصى . مشمول : أصابه ريح الشمال فبردته .

(٧) عنه : أى عن الماء الصافى . أفرطه : ملاه . الصوب : المطر . الغادية : السحابة التى تأتى بالنداء . يطول : الغدير . يروى : « من صوب سارية » .

وَيَلِ أُمُّهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ * بوعدها أو لو أن النصح مقبول^(١)
 لكنها خُلَّةٌ قَدْ سَبَطَ مِنْ دِمِهَا * بجمع وولع وإخلاف وتبديل^(٢)
 فَمَا تَقُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهِ * كَمَا تَلَوْنَ فِي أَثَوَاهِا الْغُفُولُ^(٣)
 كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُقٍ لَهَا مَثَلًا * وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ^(٤)
 وَمَا تَمَسَّكَ بِالْعَهْدِ الَّتِي زَعَمَتْ * إِلَّا كَمَا يُمَسِّكُ الْمَاءَ الْغَرَائِصِلُ^(٥)
 أَرْجُو وَأُمِّلُ أَنْ يَجْعَلَ فِي أَبَدٍ * وَمَا لَهْنُ إِخَالِ الدَّهْرِ تَعَجِيلُ^(٦)
 فَلَا يَفْرَنُكَ مَا مَنَنْتَ وَمَا وَعَدْتَ * إِنَّ الْأَمَانِي وَالْأَحْلَامَ تَضَلِيلُ^(٧)
 أَمْسَتْ سُمَاعِدُ بَارِضٍ مَا يُبْلَغُهَا * إِلَّا الْعِشَاقُ النَّجِيَّاتُ الْمَرَاسِيلُ^(٨)
 وَلَا يُبْلَغُهَا إِلَّا عُذَافِرَةٌ * فِيهَا عَلَى الْآيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ

- ١٠ (١) يروى : « أكرم بها خلة » . وفي الديوان : « يا ويحها خلة » .
 (٢) سبط : خلط . الفجع : المصيبة . الولع : الكذب . يريد أنها قد خلط بدمها الفجع بالمصائب ، والكذب في الأخبار ، وإخلاف الوعد ، وتبديل خليل بآخر ، وصار ذلك سجية لها .
 (٣) الغول : السعلاة ، وهي أذى الشياطين ، سميت بذلك لأنها فيما زعموا تقتلهم ، أو لأنها تراهي لهم في الغلوات ، وتتلون بألوان شتى ، وتضلهم عن الطريق .
 ١٥ (٤) عروق : رجل يضرب به المثل في خلف الوعد ، وكان بالمدينة .
 (٥) يروى : « تمسك بالوصل » .
 (٦) أبداً : زمن . يريد أنه ينبغي الوفاء بما وعدن على عجل ولو مرة في الدهر ، وتعجيل : تصديق ، و يروى :

أرجو وأمل أن تدنو موطنها * وما إخال لدينا منك تنويل

- ٢٠ (٧) المراسيل : الخفاف . يقول : لا يبلغي سعاد إلا مثل هذه النوق لبعدها .
 (٨) في الديوان وآبن هشام : « ولن يبلغها » . عذافرة : شديدة غليظة ، والآين : الإعياء .
 والإرقال : أن تعدد وتنفض رأسها ، والتبغيل : ضرب من المهلجة المختلطة بالعتق .

من كل نضاجة الذفرى إذا عرقت * عرضتها طامس الأعلام مجهول^(١)
 ترى النجاد يعينى مقدر لحي * إذا توقدت الحزان والميل^(٢)
 ضخم مقلدها فعم مقيدها * فى خلقها عن بنات الفحل تفضل^(٣)
 حرف أخوها أبوها من مهجنة * وعمها خالها قوداء شميل^(٤)
 يمشى القراد عليها ثم يزلفه * منها لبان وأقارب زهايل^(٥)
 عيرانه قذفت بالنحض عن عرض * مرفقها عن بنات الزور مقتول^(٦)

(١) نضاجة : فوارة ، يصفها بكرم الأصل . الذفرى : النقرة خلف أذن الناقة والبعير ، أول ما يعرق منها . عرضها : هبتها ؛ أى قوية على السفر . طامس : دارس . الأعلام : العلامات ، أى قوية على قطع الأعلام المتدسة المجهولة .

(٢) النجاد : المشرف من الأرض ، ويرى : « الغيوب » : ما غاب من الأرض . المقرد : الذى خذل عن صاحبه . اللق : الشديد البياض . الحزان (جمع حزين — براين) : المكان الغليظ الصلب . والميل جمع ميلاء . العقدة الضخمة من الزمل ، وقيل : هو مد البصر . يقول : إنها لا تكسل ولا تفترق فى الهجرة .

(٣) مقلدها : رقبها . فعم : ممتلئ ، ويرى : « عبل » : وهو الضخم . المقيد : الرسخ . بنات الفحل : النوق . أى لحافضل عليهن . فى شرح ابن هشام بيتان بعد هذا البيت ليسا بالأصل :

غلباء وجنا . علىكوم مذكرة * فى دفها سعة قدامها ميسل
 وجلدها من أطوم ما يؤيسه * طلع بضاحية المنتين مهزول

(٤) الحرف : القطعة البارزة من الجبل ، أى مثله فى القوة والصلابة ، وأحرف الخط فى الرقة والضمورة . أخوها أبوها : أى جعل حمل على أمه فوضعت ناقة ، فصار الجبل أخاها وأباها . والمهجنة من النوق : الكريمة ، والتهجين اختلاف الأبوين ، وهو مدح فى الإبل ، وذم فى بنى آدم . عمها خالها : يعنى أن عمها وخالها من جنس واحد ، أى إنها كريمة الطرفين من أبيها وأمها . قوداء : الطويلة الظهر والعنق . والشميل : الخفيفة البرية .

(٥) اللبان بفتح اللام : الصدر ، والأقارب : الخواصر ، والزهايل : اللس .

(٦) عيراة : تشبه العير فى صلابتها ، قذفت بالنحض : كاملة الخلق لم ينقصها الحلب ، والنحض اللحم . العرض : الجوانب ، وبنات الزور : الأضلع المقدمات ، المقنول : المدمج المحكم .

قَنَوَاءً فِي حَرْثِهَا لِلْبَصِيرِهَا * عَتَقَ مُبِينٌ^(١) فِي الْخَدَيْنِ تَسْهِيلُ^(٢)
 كَانَتْ مَا فَاتَ عَيْنِهَا وَمَذْبَحُهَا * مِنْ خَطْمِهَا وَمِنْ الثَّغْنِ بَرِطِيلُ^(٣)
 مُمِرٌّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلِ * فِي غَارِزٍ لَمْ تَحْوَنَهُ الْأَحَالِيلُ^(٤)
 تَهْوَى عَلَى بَسَرَاتٍ وَهِيَ لَا هِمَّةَ * ذَوَابِلُ وَقَمْعُهُنَّ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ^(٥)
 سُمُرُ الْعَجَابَاتِ يَتَرَكْنَ الْحَصَى زَيْمًا * لَمْ يَقْبِهِنَّ سَوَادَ الْأَثْمِ تَغْيِيلُ^(٦)
 يَوْمًا يَظُلُّ بِهِ الْحَرْبَاءُ مُرْتَبًا * كَأَنَّ ضَاحِيَهُ فِي النَّارِ مَمْلُولُ^(٧)
 وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيَهُمْ وَقَدْ جَعَلْتُ * بُقْعُ الْجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الْحَصَى قِيلُوا

(١) قنواء : في أنفها كالخشب . حراثها : أذاهاها . والعنق : الكرم ، وسهلة الخدين : ساقها .

غير مرتفعة الوجنتين .

(٢) المذبح : المنحر . الخطم : الأنف . البرطيل : معول من حديد ، أو حجر مستطيل ، وصفها
بكبر الرأس وعظمه .

(٣) عسيب النخل : جريدها . والغارز : الضرع ، قد غرز وقل لبنه . لم تحونه : لم تنقصه .
الأحالييل : مجارى اللبن . يريد تمر ذنبها على ضرعها .

(٤) تهوى : تسير بسرعة . ويروى : «تخذى» ومعناها واحد . والبسرات : القوائم الخفاف .
ذوابل : ليست برهلة . وقمعن الأرض : إشارة إلى سرعة رفعها قوائمها ، وتحليل : مثل تحلة اليمن .
أى كما يحلف الإنسان على الشيء ليفعله ، فيفعل منه اليسر ليتحلل من قسمه .

(٥) سمر : في ألوانها ، وهى البسرات في البيت السابق . العجابات : عصب باطن اليدين . زيمًا :
متفرقة ، يقول : لا يجتجن أن يعلن لأنهن غلاظ الأخفاف .

(٦) الحرباء : ذكراهم حين ، وهو حيوان يتلون ألوانا يحذر الشمس . مرتبًا : مرتقبا ؛ وذلك إذا
كان فوق شرف ، ويروى : «مصلحًا» : ميتصبا ؛ ويروى : «مصلحدا» : فصل بحر الشمس .
الضاحي : البارز للشمس . ملول : من ملكت الخبز ، جعلته في الملة بفتح الميم : الحفرة المحمأة ، أو الرمد الحار .
(٧) الحادى : سائق الإبل . بقع : ذات اللون الأبقع . الجنادب : جراد صغير ، في أشد
ما يتكون الهاجة يكون ذلك . قيلوا : من القيلولة ، وهى الإبراد عند الهاجة ، وفي الديوان : «ورق
الجنادب» ، «الورق جمع أوراق ، وهو الأخضر إلى سواد ، أو على لون الرماد .

- (١) كَانَ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا وَقَدْ عَرَقَتْ * وَقَدْ تَلَفَعَ بِالْقُورِ السَّاقِيلِ
(٢) أَوْبُ يَدَيَّ فَاقِدِ شَمَطَاءَ مُعْوَلَةٍ * قَامَتْ بِقَارِبِهَا نَكْدًا مَثَاكِيلِ
(٣) نَوَاحَةٌ رِخْوَةٌ الضَّبْعَيْنِ لَيْسَ لَهَا * لَمَّا نَفَى يَكْرِهَا النَّاعُونَ مَعْقُولِ
(٤) تَقْرِى اللَّبَانَ بِكَفِّهَا وَمِذْرَعُهَا * مُشَقَّقٌ عَنْ تَرَايِبِهَا رَطَائِيلِ
(٥) تَسْعَى الْوُشَاةُ بِجَنَابِهَا وَقَوْلُهُمْ * إِنَّكَ يَا بَنِي أَبِي سُلَيْمٍ لَمَقْتُولِ
(٦) وَقَالَ كُلُّ صَدِيقٍ كُنْتُ أَمْلُهُ * لَا أَهْلِيكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْفُولِ
(٧) فَقُلْتُ خَلُّوا طَرِيقِي لَا أَبَا لَكُمْ * فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولِ
(٨) كُلُّ ابْنِ أُنْتَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ * يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَذَبَاءَ حَمُولِ
نُبِّتُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي * وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولِ
(٩) مَهْلًا هَذَا الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْ * مُقْرَأَنَ فِيهَا مَوَاعِظٌ وَتَفْصِيلُ

(١) أرب : رجع ، تلفع : تلفع ، القور جمع قارة : الأكمة ، وقيل جبل يرتفع طولا ولا يرتفع عرضا . والساقيل : السراب .

(٢) شطاء : العجوز التي لا ترجو ولدا ، معولة : من العويل ، إنما أراد امرأة نفى لها ولدها ، نكد جمع نكدا : التي لا يعيش لها ولد . مثاكيل جمع مثكال : التي فقدت أولادا كثيرة . ويرى الشطر الأول :
* شدَّ النهار ذراعا عيطل نصف *

(٣) رخوة : مسترخية ، الضبع يسكون الباء : العضد ، يريد شديدة الحركة ، والمعقول : العقل .
(٤) تقري : تشق ، اللبان : الصدر ، مذرعا فيصفا : شبه الناقة بالمرأة التي تشق الثياب عن صدرها ،
الرطاييل : المتخرقة المتمزقة .

(٥) تسعى من السعاية : وهي الوشاية ، بجنابها : حولها ، ويرى : جنابها .

(٦) لا أهلك : لا أشغلك عما أنت فيه . ويرى : « لا أهلك » أي لا أكون معك .

(٧) الآلة : النعش . حذباء : معوجة .

(٨) النافلة : قال ابن هشام : النافلة العطية المنقطع بها زيادة على غيرها ، وذلك إشارة إلى أن القرآن مع ما أنعم الله على نبيه به من العلوم العظيمة زيادة على تلك العلوم .

لَا نَأْخُذُكَ بِأَقْسَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ * أَذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَفَاوِيلِ
 لَقَدْ أَقَوْمُ مَقَامًا لَوْ يَقُومُ بِهِ * أَرَى وَأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الْقَيْلُ
 لَظَلَّ تُرْعَدُ مِنْ وَجْدِ بَوَادِرِهِ * إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْوِيلُ^(١)
 حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي مَا أَنَا زَعُهَا * فِي كَفِّ ذِي نَقِيَّاتٍ قَوْلُهُ الْقَيْلُ^(٢)
 فَلَهُوَ أَخَوْفُ عِنْدِي إِذَا أَكَلَّمَهُ * وَقِيلَ إِنَّكَ مُنْسُوبٌ وَمَسْئُولُ^(٣)
 مِنْ ضَيْغَمٍ بِضَرَاءِ الْأَرْضِ مُخْدَرُهُ * فِي بَطْنِ عَثَرٍ غَيْلٌ دُونَهُ غَيْلُ^(٤)
 يَفْدُو فَيَلْحَمُ ضَرْغَامِينَ عِشْمَهُمَا * لَحْمٌ مِنَ النَّاسِ مَعْقُورٌ خَرَّازِيلُ^(٥)
 إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنًا لَا يَحِلُّ لَهُ * أَنْ يَتَرَكَ الْقِرْنَ إِلَّا وَهُوَ مَقْلُولُ^(٦)
 مِنْهُ تَظَلُّ حَمِيرُ الْجَوْنِ نَافِرَةٌ * وَلَا تُنْمِئُ بِبَوَادِيهِ الْأَرَاجِيلُ^(٧)

- ١٠ (١) لظل ترعد جواب «لو» الأولى وهو دال على جواب «لو» الثانية، الوجه: شدة الحزن .
 والبوادر: اللحم الذي بين العنق والكف . والذي في الشرح :

لظل يرعد إلا أن يكون له * من الرسول بإذن الله تنويل

تنويل، من التأثر، وهو العطاء، والمراد هنا: العفو والأمان، وفي السيرة المشامية بعد هذا البيت :

ما زلت أقطع البيداء مدرعا * جنح الظلام وثوب الليل مسدول

- ١٥ (٢) أنازعها : أي وضعت يميني في يمينه وضع طاعة لا أنازعه . ويريد بصاحب النقبات : النبي
 صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه كان ينتقم من الكفار . القيل : القول الصادق .

(٣) منسوب : مسئول عما صدر منك ، ويروى : مسبور :

(٤) الضيغم : الأسد ، ضراء جمع ضار : من ضرى بكذا ولع به ، والمشهور كما في الشرح :

« بضراء الأسد مخدرة » . عثر : موضع باليمن كثير الأسد ، والنيل : الشجر الملتف . ويروى :

* من خادر من ليوث الأسد مسكه *

- ٢٠ (٥) يلحم ضرغامين : يطعمهما لحم الناس ، معفور : ملق في الغفر : التراب . خراذيل ، بمعجمة
 ومهمله : قطعاً . (٦) القرن : مقاومك في الشجاعة أو العلم ، يساور : يواش ، مقلول : منهزم ،
 ويروى : « مجذول » : ملق في الجدالة وهي الأرض . (٧) الجو هنا : الوادي ، والبر الواسع ،
 ويروى ضامزة : ساكنة ، مكان « نافرة » . الأراجيل : جمع أرجال جمع رجل .

- (١) وَلَا يَزَالُ يُوَادُّهُ أَخُو ثِقَةٍ * مَطْرَحُ الْبَزِّ وَالذَّرْسِينَ مَا كَوَّلُ
(٢) إِنَّ الرُّسُولَ لَنُورٍ يُسْتَضَاءُ بِهِ * مُهَنْدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوكُ
(٣) أَغْرَأُ أَبْلَجُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِهِ * كَأَنَّ طَلْعَتَهُ فِي اللَّيْلِ قِنْدِيلُ
(٤) فِي عُصْبَةٍ مِنْ قَرِيشٍ قَالَ قَاتِلُهُمْ * بَيْطُنْ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا
(٥) زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ * عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَازِيلُ
(٦) يَمْشُونَ مَشَى الْجَمَالِ الزُّهْرُ بَعْضُهُمْ * ضَرْبٌ إِذَا عَرَدَ السُّودُ التَّنَائِيلُ
(٧) شُمُّ الْعَرَانِينَ أَبْطَالُ لِبُوسِهِمْ * مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا مَرَايِيلُ
(٨) بَيْضٌ سَوَانِغٌ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ * كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولُ

(١) البز : الثياب ، والسلاح . والمدرسان : الثياب الخلقعة ، ويروى : « مضرع » ، ومقول .
(٢) الرواية المشهورة : « لسيف » ، وهذه الرواية أحسن ؛ لأن النور هو الذي يستضاء به ،
مهنت : مطبوع من حديد الهند .

(٣) أغرأ : أبيض الوجه بالنور ، أبلج : مشرق الوجه ، يستسقى : يطلب النيث به من الغمام وهو
السحاب ، طلعت : أول ما يندومته ، القنديل : السراج .
(٤) يروى : « ثقية » ، والمعنى واحد ، زولوا : انتقلوا من مكة إلى المدينة ، والعصبة : أراد به
الجماعة لا العدد الذي هو من عشرة إلى أربعين .

(٥) أنكاس ، جمع نكس بكسر النون : الرجل الضعيف المهين ، كشف ، جمع اكشف : الذي
لا تزم معه ، ميل جمع أميل : الذي لا سيف معه ، أو الذي لا يحسن الركوب ولا يستقر على السرج ،
والمعازيل جمع معزال : الذي لا سلاح معه .

(٦) الزهر : البيض ، بعضهم ، يمشهم ، عرد : فزع ، وتكل ، وجين ، التنايل جمع تنال : القصير .
(٧) العرائن : الأنوف ، الشمم : حدة في طرف الأنف مع تشهير ، لبوسهم : لباسهم ، نسج
داود : الدروع ، الهيجا ، الحرب ، سرايل جمع سرايل : القميص .

(٨) بيض : مجلوة صافية ، سوانغ جمع سايغ : الطويل التام ، شكت : أدخل بعض حلقاتها في بعض
وسمرت . ويروى : « سكت » : ضبقت ، القفعاء : شجر لها ورق ونهر مثل حلق الدروع ، مجدول : مفتول .

لِيسُوا مَقَارِجَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمْ * قُومًا وَلِيسُوا حَاجِزًا إِذَا نِيلُوا
لَا يَقَعُ الطَّنُّ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ * وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلٌ^(١)

قال ابن إسحاق : فلما قال كعب في قصيدته : « إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلَ » ،
وإنما أراد معشر الأنصار ، وخص المهاجرين من قريش بمدحتهم ، غضبت
الأنصار عليه ، فقال بعد ذلك يمتدح الأنصار من قصيدة له :

مَنْ سَرَّهُ كَرُمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ * فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ^(٢)
وَرِثُوا الْمَكَارِمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ * إِنَّ الْخَبَارَ هُمْ بَنَوْا الْأَخْيَارِ^(٣)
الْمُكْرِهِينَ السَّمْهَرِيَّ بِأَذْرِجٍ * كَسَوَّافٍ الْهِنْدِيَّ غَيْرَ قِصَارِ^(٤)
وَالنَّاظِرِينَ بَأَعْيُنٍ مُجْمَرَةٍ * كَالْبَحْرِ غَيْرِ كَلِيلَةِ الْإِبْصَارِ
وَالْبَائِعِينَ نَفْسَهُمْ لِنَيْمٍ * لِلْوَيْلِ يَوْمَ تَعَانِي وَكَرَارِ^(٥)
يَتَطَهَّرُونَ بِرَوْنِهِ نُسْكَالَهُمْ * بِدَمَاءٍ مِنْ عَلَقُوا مِنَ الْكُفَّارِ^(٦)
دَرَبُوا كَمَا دَرَبَتْ بَطْنِ خَفِيَّةٍ * غُلْبُ الرَّقَابِ مِنَ الْأُسُودِ ضَوَارِي^(٧)
وَإِذَا حَلَلْتَ لِيَمْنَعُوكَ إِلَيْهِمْ * أَصْبَحْتَ عِنْدَ مَعَاوِلِ الْأَغْفَارِ^(٨)

(١) تهليل : هروب من الحرب . (٢) المِقْنَب : ألف وأقل ، قاله أبو عمرو . وقال

الأصمعي : هم الجماعة من الفوارس نحو الثلاثين أكثر وأقل ، وأحتج أبو عمرو بقول الجعدي : « بِأَلْفٍ
يَكْتَبُ أَوْ يَنْقَبُ » . يكتب : يجمع . (٣) رواية الديوان « الكرام » .

(٤) كذا في الأصل : وعبارة الديوان رواية السكري « كسواقل » وفي رواية « كسواقل » .

(٥) كذا في الأصل وابن هشام . ورواية ابن سلام « يوم الهياج وسطوة الجبار » وفي الأغاني
« عند الهياج وسطوة الجبار » وفي ابن الأثير :

والباذلين نفوسهم ودماءهم * يوم الهياج وسطوة الجبار

(٦) رواية الديوان : * يتطهرون كأنه نُسك لهم * (٧) خفية : موضع كثير الأسد .

(٨) في الديوان « نزلت » . والأغفار : أولاد الأروى ، واحدا غفريضم فسكون ، والأروى أنثى الوعل .

ضَرَبُوا عَلَيَّ يَوْمَ بَدْرٍ ضَرْبَةً * دَانَتْ لَوْفَتِهَا جَمِيعُ نِزَارِ^(١)
لَوْ يَتَلَمَّ الْأَقْسَامُ عَلَيَّ كُلَّهُ * فِيهِمْ لَصَدَّقَنِي الَّذِينَ أُمَارَى
قَوْمٌ إِذَا خَوَتْ النُّجُومُ فَلَانِهِمْ * لِلطَّارِقِينَ النَّازِلِينَ مَقَارَى^(٢)

قال ابن هشام : ويقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أنشد
« بابت سعاد فقلبي اليوم متبول » : « لولا ذكرت الأنصار بخير ، فإن الأنصار
لذلك أهل » .

ذكر حج أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس
وأذان علي رضي الله عنه بسورة براءة

قال : وفي ذى القعدة سنة تسع من الهجرة ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميرا على الحاج ليقم للمسلمين حجهم ، والناس من
أهل الشرك على منازلهم من حجهم ، فخرج أبو بكر رضي الله عنه ومن معه من المسلمين ،
ثم نزلت سورة براءة في نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين
من العهد الذي كانوا عليه فيما بينهم وبينه ، ألا يصد عن البيت أحد جاءه
ولا يخاف أحد في الشهر الحرام ، وكان عهدا عاما بينه وبين الناس من أهل
الشرك ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال :
« أخرج بهذه القصة من صدر براءة ، فأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بئني »

(١) علي : قالوا هو علي بن بكر بن وائل . ويقال : علي أخو عبد مناة بن كنانة بن خزيمة من
أمه . (شرح ديوان كعب السكري) . وفي هامش الأصل : « علي هذا الذي ذكره ، هو علي بن أمية
ابن خلف » .

(٢) المقار : الذين يقرون الضيف . ويروي في الديوان :

وهم إذا خوت النجوم فلانهم * للطائفين السائرين مقار

أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يخرج بعد العام مُشرك، ولا يطوف بالبيت عُمران، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته "نخرج على" ابن أبي طالب رضى الله عنه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العُضباء حتى أدرك أبا بكر الصديق رضى الله عنه بالطريق، فلما رآه أبو بكر رضى الله عنه قال : أمير أو مأمور؟ قال : بل مأمور، ثم مضيا، فأقام أبو بكر رضى الله عنه للناس حجهم، وذلك في ذى القعدة، حتى إذا كان يوم النحر قام على بن أبي طالب رضى الله عنه، فأذن في الناس بما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال : «أيها الناس، إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يخرج بعد العام مُشرك، ولا يطوف بالبيت عُمران، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته» وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ليرجع كل قوم إلى مآثمهم وبلادهم، ثم لا عهد لمُشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدة فهو له إلى مدته، فلم يخرج بعد ذلك العام مُشرك، ولم يطف بالبيت عُمران، ثم قديما على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حوادث السنة العاشرة

فيها كانت حجة الوداع، سذكها إن شاء الله تعالى في حج رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيها نزل في يوم الجمعة قوله عز وجل : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ . وفيها نزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ أَذْنُكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يُلْفُوا الْحِلْمُ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ﴾

(١) في ابن هشام : « أو بلادهم » . (٢) سورة المائدة ٢

(٣) سورة النور ٥٨

الآية . وكانوا لا يفعلونه قبل ذلك . وفيها مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول . وفي كل سنة من هذه السنين العشرين غزوات ومرايا ووقائع تُذكر إن شاء الله تعالى في مواضعها ، والله المستعان الهادي . (١٠ / ١)

(1) (2) (3) (4)
4 497

✦ ✦ ✦

صورة ما ورد بآخر الجزء الرابع عشر في الأصل الثاني

المرموز له بحرف (ا)

« كل الجزء الرابع عشر من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب ؛ للشيخ الإمام شهاب الدين أحمد النويري - رحمه الله تعالى ، على يد كاتبه أضعف الخلق وأحقهم إلى الرحمة ، نور الدين بن شرف الدين العالِم - بلدا ، الشافعي - مذهبا ، غفر الله له ولوالديه ، ولمن يطالعهِ ويدعو له . آمين . »

10

تم بعون الله تعالى تحقيق الجزء السادس عشر من كتاب « نهاية الأرب في فنون
الأدب » من تجزئة طبعة دار الكتب المصرية في يوم الخميس ١٧ من جمادى الثانية
سنة ١٣٧٤ هـ الموافق ١٠ من فبراير سنة ١٩٥٥ م .

وبليه الجزء السابع عشر ، وأوله : « ذكر غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

10

جزوب
معين التاريخ
لاهل التاريخ

فهرس المراجع

- حلية الأولياء، لأبي نعيم، السعادة ١٣٥٧ .
الحامسة بشرح التبريزي
حياة الحيوان للديمري ، البابي الحلبي ١٣٠٥ .
الخبر عن البشر للقرنزي ، مخطوطة دار الكتب ٩٤٧ تاريخ .
نزهة الأدب للبغدادى ، بولاق ١٢١٩
خلاصة تهذيب تهذيب الكمال للزرجى ، بولاق ١٣٠١
خير البشر لابن ظفر ، القاهرة ١٢٨٠
خير البشر، مخطوطة دار الكتب ١٥ مجاميع
دلائل النبوة لليبق ، مخطوطة دار الكتب المصرية ٢١٢
حديث .
دلائل النبوة لأبي نعيم ، حيدرآباد ١٣٢٠
الروض الأنف للسبلى ، الجالية بمصر ١٣٣٢
السيرة الحلبية ، مصر ١٣٢٠
السيرة النبوية لابن هشام ، مصطفى الحلبي ١٣٥٥ ، وجوتجين
١٨٦٠ م .
شرح السيرة للحنى ، حنبة ١٣٢٩
شرح الشفاء للنفاجى = نسيم الرياض .
شرح الشفاء للحنى = مزبل الخفا .
شرح المواهب اللدنية للزرقانى ، بولاق ١٢٧٨
صفة الصفوة ، حيدرآباد ١٣٥٥
طبقات ابن سعد ، لندن ١٣٢١
طبقات القزاة ، السعادة ١٣٥١
عيون الأثر لابن سيد الناس نشره القدسي ١٣٥٦
الكامل في الضعفاء لابن عدى ، مخطوطة ٩٦ مصطلح .
كنوز الحقائق للناوى ، مصر ١٣٠٥
جمع الأمثال لابن عدى ، بولاق ١٢٨٤

- الاستيعاب لابن عبد البر ، حيدرآباد ١٣١٨
أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، الوهية ١٢٨٠
الاشتقاق لابن دريد ، جوتجين ١٧٥٤ م
الإصابة فى تمييز الصحابة ، الشرفية ١٣٢٧
الأصنام لأبن الكلبي ، دار الكتب المصرية ١٣٤٣
الأغانى لأبن الفرج الأصفهاني ، بولاق ١٢٨٥
الاكتفا بما تضمنته من مغازى المصطفى ، مخطوطة دار الكتب
٢٤٤٢ حديث .
الإكمال لابن ماكولا ، مخطوطة دار الكتب ٨ مصطلح .
الإنباء على قبائل الرواد لابن عبد البر نشره القدسي ١٣٥٠
الأنساب للسمعاني ، لندن ١٩١٢ م .
البداية والنهاية لابن كثير ، السعادة ١٣٥١
تاريخ ابن الأثير ، بولاق ١٢٩٠
تاريخ الخميس للديار بكرى ، الوهية بمصر ١٢٨٣
تاريخ دمشق لابن عساكر ، مخطوط دار الكتب ١٠٤١
تاريخ تيمور .
تاريخ الطبرى ، الحسينية بالقاهرة ١٣٣٦
تاريخ يعقوبى ، النجف ١٣٥٨
تهذيب الأسماء واللغات للنوى ، المنيرة بالقاهرة .
تهذيب التهذيب ، حيدرآباد ١٣٢٧
تهذيب الكمال للزى ، مخطوطة دار الكتب المصرية ٢٥
مصطلح .
التيجان فى ملوك حير ، حيدرآباد ١٣٤٧
نمرات الأوراق لابن حجة ، الوهية ١٣٠٠
الجامع الصغير للسيوطى ، بولاق ١٢٨٦
جوهرة الأنساب لابن حزم ، المعارف ١٩٤٨ م

- المحرر لابن حبيب ، حيدرآباد ١٣٦١
- مزيل الخفا عن ألقاظ الشفاء للشمي ، مخطوطة دار الكتب
٣٧٥ حديث .
- المعارف لابن قتيبة ، الحسينية ١٣٥٣
- معجم البلدان ، السعادة ١٣٢٤
- معجم الطبراني ، مخطوطة دار الكتب ١٣٥٣ حديث .
- المعمرين لأبي حاتم ، السعادة ١٣٢٣
- المقتنى من سيرة المصطفى لبيد الدين بن حبيب الموصل ،
مخطوطة دار الكتب ٣٠٩ تاريخ .
- المقدمة الفاضلة ، مخطوطة دار الكتب ١٩ تاريخ .
- الميسر والقداح لابن قتيبة ، السلفية
- نسب قريش ، مخطوط دار الكتب ٤١٥١ تاريخ .
- نسب معد لابن الكلبي ، مخطوطة ٩٩٥٩ تاريخ .
- نسيم الرياض ، الآستانة ١٢٦٧
- النهاية لابن الأثير ، بولاق ١٣١١
- الوفاء بالوفيات ، مخطوطة دار الكتب ١٢١٩ تاريخ .
- وفيات الأعيان ، بولاق ١٢٩٩

الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	ص	س
طابخة	طايخة	٣	١٢
نبت بن حمل	نبت ابن حمل	٤	٢
قينان بن مهلائيل	قينان ابن مهلائيل	٤	٧
أمر	أمر	٧	٨
صلبه	صلبه	١٢	٦
تاج العروس	تابع العروس	١٢	٢٠
خزيمة	خزيمة	١٣	٤
الحشني	الحشني	١٣	٩
سلول بن كعب	سلول بن كعب	٢١	٥
تويمان	توأمان	٣٨	١
تذم	تذم	٤٣	١٤
الميسر	المير	٤٧	٢١
تشركونهم	تشركونهم	٤٩	٦
أنقذ	أنقذ	٤٩	١٢
السادن	السادن	٥١	١٣
خطب	خطبه	٥٧	١
القائل آبن عبد البر ١ : ١٢	القائل آبن سعد ... الخ	٥٧	٦
وهب	وهب	٦٢	٨
الزهرى	الزهرى	٦٤	١٤
قالت	قال	٨٢	١٠
٧٣ : ١	٧٧ : ١	٨٧	٢١

ص	خطأ	ص	خطأ
٨	يعزف	٩١	يعزف
٧	فلاني كنت إذ أنا	٩٣	فلاني كنت إذ أنا
١١	خبر التحدي	١٠٢	خبر التحدي
٢٠	فاران جبال مكة	١٠٧	فاران مكة
١٢	تكذب	١١٠	تكذب
١٥	اختيارهم	١٢٦	اختيارهم
١١	فاحتفظ	١٤٠	فاحتفظ
٣	ففيها	١٤٢	ففيها
٩	بعتم شتم	١٤٢	بعتم شتم
١٠	يقال ابن الهيبان	١٤٤	يقال ابن الهيبان
٢	النعمان المنذر	١٥٧	النعمان المنذر
١٥	قصدها بيتا منها	١٥٧	قصدها بيتا منها
٣	ابن جريح	١٧٦	ابن جريح
٢٢	عامر بن طيء	١٨٣	معن بن طيء
١٩	يقتل عمار الفئة الباغية	١٩١	يقتل عمارا الفئة الباغية
١٨	علاقة	١٩٦	علاقة
١٨	فالها في نادي	٢٣٥	فالها في نادي
٢٠	ص ١١٨	٢٣٦	ص ٢١٨ ج ٢
٢١	خطم	٢٦١	خطم
٢	كلذة	٢٦٧	كلذة
١٥	تملكون	٢٧٧	يملكون
١٥	السيرة الحديث له	٢٨٦	السيرة له
٢	قالت فبهت	٢٨٧	قال : فبهت
١٥	عند الوجي، كما فيكون	٢٨٧	عند الوجي، فيكون



بإذن الله وجميل توفيقه قد تم طبع الجزء السادس عشر من كتاب
”نهاية الأرب في فنون الأدب“ بمطبعة دار الكتب المصرية في شهر شعبان
سنة ١٣٧٤ هـ (مارس سنة ١٩٥٥ م)

محمود عثمان الرزاز

مراقب المطبعة بدار الكتب المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ٢٠١ / ١٩٤٩ / ٢٠٠٠)